إصدارات الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه
سلسلة الرسائل الجامعية
(١٩)



تحريف معاني الألفاظ القرآنية

دراسة نظرية تطبيقية
في سورتي الفاتحة والبقرة

تأليف
عميرة بنت حمد الرشيدي



طبع على نفقة مؤسسة الشيخ عبدالله بن زيد بن غنيم الخيرية

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع الرياض ١٤٣٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الرشيدي، عميرة بنت حمد
تحريف معاني الألفاظ القرآنية، دراسة نظرية تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة
عميرة بنت حمد الرشيدي - الرياض ١٤٣٢هـ.
٦٨١ صفحة ١٧×٢٤
ردمك: ٧-٦٨-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨
١. القرآن - ألفاظ ٢. التصحيف والتحريف أ. العنوان
ديوي ٢٢٤ ١٤٣٢/٢٨٤٤

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٢٨٤٤هـ
ردمك: ٧-٦٨-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع



المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧
هاتف: ٤٩١٤٧٧٦ - ٤٩٦٨٩٩٤ فاكس: ٤٤٥٣٢٠٣
E-mail: eshbelia@hotmail.com

تحريف معاني الألفاظ القرآنية

دراسة نظرية تطبيقية

في سورتي الفاتحة والبقرة

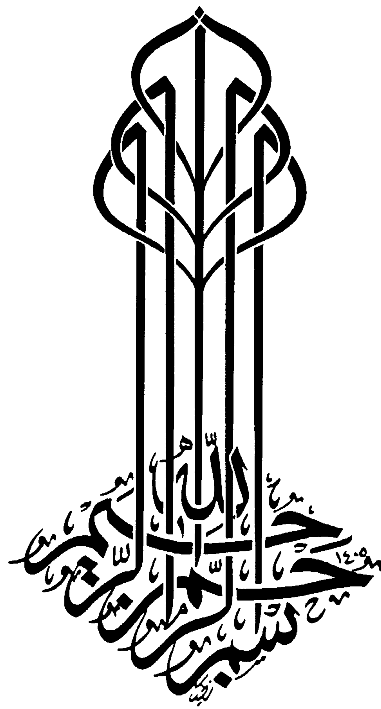
تأليف

عميرة بنت حمد الرشيدي

دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع



طبع على نفقة مؤسسة الشيخ عبد الله بن زيد بن غنيم الخيرية


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن كتاب الله هو الصراط المستقيم، والنور المبين، والذكر الحكيم، الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

أقسم به الله ﷻ ووصفه بأنه مجيد ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، لسعة معانيه وعظمتها، فإذا عُلم هذا تبيين افتقار كل مكلف لمعرفة معانيه والاهتداء بها، وكان حقيقاً بالعبد أن يبذل جهده ويستفرغ وسعه في تعلمه وتفهمه، ومن يخوض في آيات الله بغير علم فهو مخطئ، وبمثل هذا المنهج السقيم تُحرَّف المعاني السليمة في كتاب الله، لكن الله ﷻ قال في محكم تنزيله: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فأنجز وعده، وحفظ كتابه وسنة نبيه ﷺ، وسخَّر لهما العلماء في كل مكان وزمان إلى أن يأتي أمر الله، ليدافعوا عنهما، ويذودوا عن حياضهما كل باطل، فلهم الأجر الجزيل والشكر والثناء والتقدير.

ولخطر التحريف وعظيم ضرره في تفسير كلام الله تعالى أحببت أن أسجل بحثاً بعنوان:

(تحريف معاني الألفاظ القرآنية دراسة نظرية تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة)

وذلك للذب عن كتاب الله تعالى والرد على المبطلين.

والله أسأل أن ييسر ما قصدت، ويذلل ما أردت، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، فهو المستعان، ومنه التوفيق والسداد. وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١-انتشار كثير من كتب التفسير المحرفة، وخطورة ذلك على عقيدة الفرد والأمة.

٢- بيان المعاني الصحيحة للألفاظ القرآنية التي حُرِّفت معانيها، والتحذير مما وقع فيها من تحريف وبيان زيفه.

٣- الحاجة الماسة لدراسة موضوع التحريف في تفسير كتاب الله ﷻ، فهو موضوع واسع ومتجدد.

أهداف البحث:

١- إبراز أهمية التمسك بالقواعد والضوابط لتفسير كتاب الله ﷻ، والتحذير من الجرأة على كتاب الله، والقول فيه بغير علم.

٢- جمع الألفاظ التي وقع التحريف في تفسيرها في سورتي الفاتحة والبقرة؛ لرد التحريف عنها، وإثبات التفسير الصحيح لها.

٣- استكمال الدراسة بدراسة تطبيقية.

٤- بيان الآثار السيئة للتحريف.

الدراسات السابقة للموضوع:

موضوع التحريف في التفسير موضوع واسع متجدد، ومجالاته متعددة، ويمكن تناوله من عدة جوانب، فمثلاً أسباب التحريف في التفسير تحتاج لإفراده في البحث والدراسة، وهذا ما قام به الدكتور طاهر محمود بن محمد بن يعقوب في رسالة له لنيل الدكتوراه بعنوان:

١- (أسباب الخطأ في التفسير) من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٢٢هـ.

٢- وهناك رسالة بعنوان (الانحراف الفكري في التفسير المعاصر) للدكتور يحيى بن ضاحي شطناوي مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٩هـ.

وقد كانت دراسة تأصيلية فكرية، أشار فيها للأمثلة المنحرفة في التفسير إشارة عابرة، فقد قال في الفقرة (٦) من صعوبات البحث:

«كثرة الأمثلة المنحرفة التي جمعتها، حيث جعلتني في حيرة: أيها التي أثبتها، وأيها التي أدعها؟ ولو وضعتها كلها لتضخم حجم البحث كثيراً، ولهذا تركت كثيراً منها، وأشرت إلى بعضها إشارة عابرة مستوعبة بقصد التمثيل على بعض القضايا بنماذج مختارة»[1].

٣- وللدكتور فهد الرومي بحث قصير من ٣٨ ورقة، قد خصه بالمصطلحات المُحرفة المعنى، والمصطلح قسم من أقسام اللفظ، وذكر الدكتور في بحثه أن الموضوع بحاجة لدراسة في رسالة جامعية، كما أن الآثار الناتجة عن التحريف تحتاج لدراسة خاصة، كما خصصت الأسباب بالدراسة[2].

هذا ما اطلعت عليه من رسائل في هذا الموضوع، وقد سدت ثغرة يُحتاج إليها في موضوع التحريف في التفسير.

وهناك كتابات متناثرة في بطون الكتب عن هذا الموضوع.

وأردت أن أسهم بخدمة متواضعة في الكشف عن التحريف في تفسير كتاب الله بإضافة لبنة جديدة للمشاركة في بناء الصرح. واستكمال الدراسات السابقة.

الفروق بين هذه الدراسة والدراسات السابقة:

١- الدراسات السابقة كانت تهتم بجانب التأصيل أكثر من جانب التطبيق، وأما ما هدفت إليه في هذا البحث فهو استكمال هذه الدراسات بدراسة تطبيقية بالإضافة للدراسة النظرية.

٢- هناك بعض الرسائل التي عنيت بجانب من جوانب البحث مثل الأسباب أو المصطلحات فقط.

٣- خصصت القسم التطبيقي من الرسالة لدراسة الألفاظ القرآنية التي وقع التحريف في تفسيرها لمعالجتها بإذن الله.

---

(١) الانحراف الفكري في التفسير المعاصر للدكتور يحيى شطناوي، ج ١ ص ١٠.

(٢) تحريف المصطلحات القرآنية وأثره في انحراف التفسير في القرن الرابع عشر، للدكتور فهد الرومي، ص ٣٦.

الإضافات الجديدة في الكتاب:

١-إخراج دراسة تطبيقية لاستقراء الألفاظ التي حرفت معانيها، ورد المعنى المنحرف بذكر التفسير الصحيح من تفاسير أئمة هذا العلم.

٢- هناك ألفاظ كثيرة لم تذكرها الدراسات السابقة، كما ذكر الدكتور يحيى شطناوي باكتفائه بالإشارة العابرة للتمثيل، كذلك يقول الدكتور فهد الرومي في بحثه السابق. «وهناك مصطلحات أخرى كثيرة يضيق المقام عن الوقوف عندها»[(١)].

٣- جمع هذه الألفاظ واستقراؤها وترتيبها بحسب ترتيب المصحف، ليسهل الرجوع إليها، وليكون أتم للفائدة عند قراءة اللفظ في سياق الآيات التي ورد فيها.

* وبعد: فهذه بعض الإضافات التي أرجو أني وفقت إليها في هذه الدراسة.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وقسمين، وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث ومنهجه.

القسم الأول: الدراسة النظرية

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: التحريف، تعريفه، ونشأته، وجهود العلماء في كشفه.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التحريف، والفرق بينه وبين التأويل. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التحريف.

المطلب الثاني: الفرق بين التحريف والتأويل.

المبحث الثاني: نشأة التحريف.

المبحث الثالث: جهود العلماء في كشف التحريف.

الفصل الثاني: أنواع التحريف.

وفيه ثلاثة مباحث:

---

(١) تحريف المصطلحات القرآنية، مرجع سابق ص ٢٥.

المبحث الأول: تحريف اللفظ. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تحريف مبنى اللفظ.

المطلب الثاني: تحريف معنى اللفظ.

المبحث الثاني: تحريف معنى الآية العام.

المبحث الثالث: تحريف الاستدلال.

الفصل الثالث: أسباب التحريف، وآثاره، وحكمه.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسباب التحريف.

المبحث الثاني: آثار التحريف.

المبحث: الثالث: حكم التحريف.

الفصل الرابع: قواعد التفسير وشروط المفسر.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: قواعد التفسير وضوابطه.

المبحث الثاني: شروط المفسر.

الفصل الخامس: التعريف بالتفاسير المشمولة بالبحث ومؤلفيها بإيجاز.

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية:

وفيه دراسة الألفاظ التي حرفت معانيها في سورتي الفاتحة والبقرة، وفقاً للمنهج المتبع.

الخاتمـة:

وفيها أهم النتائج التي انتهى إليها البحث.

فهارس البحث[1]:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس الأبيات الشعرية.

(١) هذا ما كان في الرسالة، أما الناشر فقد اقتصر على فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

- ثبت المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

يقوم البحث في القسم الأول على المنهج الموضوعي، وذلك من خلال تعريف التحريف وأنواعه وأحكامه، ويقابله بيان قواعد التفسير وضوابطه.

أما القسم الثاني وهو القسم التطبيقي فقام على المنهج الاستقرائي وذلك باستقراء الألفاظ التي وقع التحريف في معانيها وتحليها ونقدها، ودراستها على النحو التالي:

أولاً: جمع الألفاظ التي حرفت معانيها في سورتي الفاتحة والبقرة، وذلك باستقراء التفاسير التالية:

١- (الميزان في تفسير القرآن) لمحمد الطباطبائي (ط٢، مؤسسة الأعلمي).
٢- (تفسير كتاب الله العزيز) لهود الهواري.
٣- (حقائق التفسير) لأبي عبد الرحمن السُّلمي.
٤- (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) للزمخشري.
٥- (تأويلات أهل السنة) لمحمد الماتريدي.
٦- (مفاتيح الغيب) للرازي.
٧- (تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا.
٨- (الجواهر في تفسير القرآن) لطنطاوي جوهري.

ووقع الاختيار على هذه التفاسير لما فيها من تأصيل لمنهج فرقة كل مفسر؛ فمثلاً الرازي كان يُأصّل للأشعرية في تفسيره، وكذلك تفسير الهواري أصّل لمنهج الإباضية وهو التفسير الوحيد الذي بين أيدينا لتلك الفرقة، والسُّلمي من أوائل مفسري الصوفية وتفسيره ألّفه لجمع أقوالهم في التفسير، وهذا ما نصّ عليه في مقدمة تفسيره، والزمخشري تفسيره مرجع في الاعتزال وينص كذلك على أنه ألفه خدمة لمذهبه، والماتريدي أيضاً شرع في التفسير وأخذ يقرر منهج الماتريدية من خلاله كغيره من أهل البدع، أما تفسير المنار فهو أشهر تفاسير المدرسة العقلية ويعد محمد رشيد رضا وشيخه من مؤسسي هذه

المدرسة، وتفسير الجواهر لطنطاوي جوهري مثال للغلو وتحريف الآيات وتطويعها للنظريات العلمية، وأما تفسير الميزان للطباطبائي فهو كامل في مذهب الرافضة، وهو من التفاسير المتأخرة التي لم تتتبع بدراسات كافية.

ثانياً: أَوْرَدت اللفظ بحسب ترتيبه في المصحف، وذكرت التحريف في تفسيره مع عزوه لقائله على ترتيب الوفاة، وبَيَّنت سبب الحكم عليه بالتحريف.

أوردت التفسير الصحيح للفظ نقلاً عن أئمة التفسير، ولست أزعم أنني استوعبت جميع التحريفات من تلك التفاسير؛ بل هي مليئة بغيرها، ورغبت عن تضمينها في البحث لعدة أمور، هي:

١-تخصيص البحث بتحريف معاني الألفاظ، لذا فإن كثيراً مما اطلعت عليه من تحريف للاستدلال أو لمعنى الآية العام لا يدخل في البحث.

٢- تضييق نطاق الحكم بالتحريف، فلا يشمل ما كان له وجهٌ ما، أو صلة بالآية ولو من بعيد.

٣- وجود بعض الطرق غير المباشرة في التحريف، مما يجعل مجالاً للشك في الحكم عليها، وعليه فالأولى تركها، لئلا يتحكم على قائلها.

ثالثاً: ذكرت ما يوضح المعنى ويظهر الصحيح، ويرد الشبهة، مبتعدة عن الإطالة والتوسع.

رابعاً: التزمت بذكر المعاني التي يحتملها اللفظ، ولا تؤول إلى تفسير باطل.

خامساً: عزوت الأقوال إلى أصحابها مع توثيقها.

سادساً: خرَّجْت الأحاديث والآثار الواردة في البحث، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما أو إلى أحدهما وإلا فإني أخرجه من كتب السنة المعتمدة.

سابعاً: عرّفْت الأعلام غير المشهورين عند أول موطن ورد ذكرهم فيه.

ثامناً: ضبطت المُشكِل، وأوضحت المُبهم.

تاسعاً: نسبت الأبيات الشعرية والشواهد لقائليها.

كلمة الشكر

أسأل الله أن يكون هذا البحث بادرة خير لي في دراسة كتاب الله والذبِّ عنه، وفي ختام هذه المقدمة أتوجه بالشكر والثناء لله - جل وعلا-؛ فهو أهل الثناء والفضل، فله الحمد الأكمل، والشكر الأعظم، ثم أتقدم بوافر الشكر وصادق الدعاء لمعلمي الأول؛ والدي الكريم الذي كرس حياته لرعايتي وتوجيهي لطلب العلم وهيَّأ لي جميع الأسباب المعينة على البحث؛ وأنا أتفيَّأ ظلال دعواته، وأتنعم ببركاتها، ولازال في أشد مرضه يحثني على الجد والطلب، ألبسه الله لباس العافية، وجزاه عني خير ما جزى والداً عن ولده، وخير ما جزى محسناً على إحسانه.

ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر لهذا الصرح الشامخ المبارك جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة بقسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين التي رعت العلم وأهله، ويسرت طريق البحث للباحثين، وأتاحت لي تقديم هذه الرسالة، ثم لصاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع الذي تفضل بالإشراف على الرسالة، وقد أدركت من تعليقاته الثمينة قراءته للرسالة حرفاً حرفاً، فكان نعم الموجه، والمعلم فأجزل الله مثوبته وضاعف أجره.

ثم الشكر موصولاً لكل من أفادني طوال مدة البحث برأي، أونصح، أومساعدة في المعلومات الحاسوبية، فجزى الله كلّ محسن على إحسانه وغفر الله لي ولهم ولوالدي، وللمسلمين والمسلمات.

وبعد فهذه محاولاتي في هذا البحث فما كان من صواب فمن الله؛ فله الفضل وله الحمد، وما كان من خطأ فمن نفسي وأستغفر الله، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً..

القسم الأول

الدراسة النظرية

وفيه خمسة فصول:

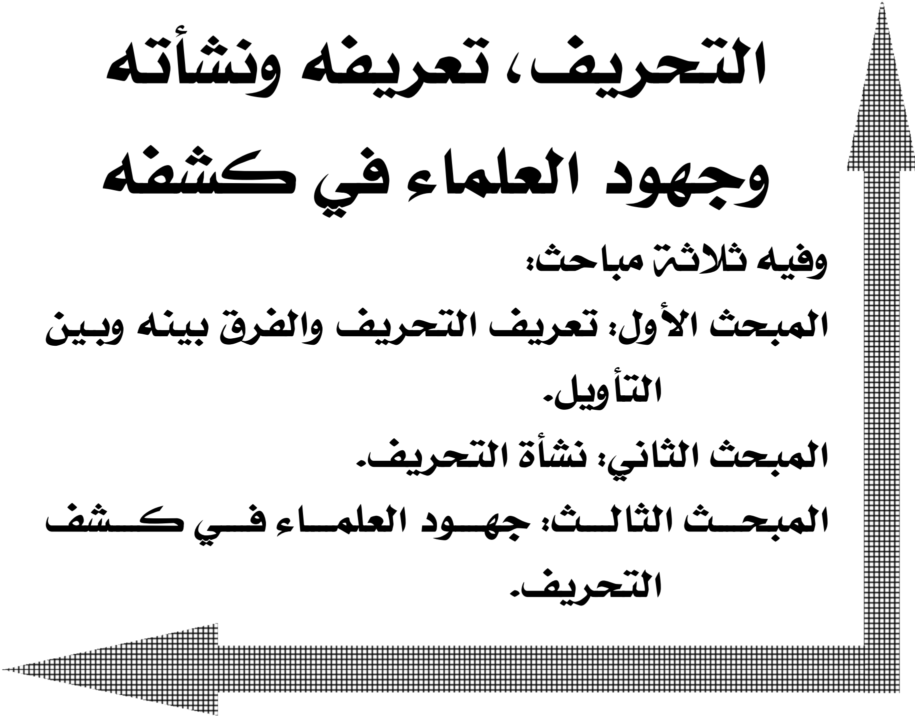
الفصل الأول: التحريف، تعريفه، ونشأته، وجهود العلماء في كشفه.

الفصل الثاني: أنواع التحريف.

الفصل الثالث: أسباب التحريف، وآثاره، وحكمه.

الفصل الرابع: قواعد التفسير وشروط المفسر.

الفصل الخامس: التعريف بالتفاسير المشمولة بالبحث ومؤلفيها بإيجاز.



الفصل الأول

التحريف، تعريفه ونشأته وجهود العلماء في كشفه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التحريف والفرق بينه وبين التأويل.

المبحث الثاني: نشأة التحريف.

المبحث الثالث: جهود العلماء في كشف التحريف.

المبحث الأول
تعريف التحريف والفرق بينه وبين التأويل

وفيه مطلبان:

المطلب الأول
تعريف التحريف

أولاً: معنى التحريف لغة:

التحريف لغةً مأخوذ من الحَرْف، وأصله في كلام العرب الطَّرَفُ والجانبُ والوجهُ الواحد، وطَرَفُ كُلِّ شيء ناحيتُه وَحدُّهُ وشفيرهُ(١)، ومنه حرف الجبل والسفينة أي: جانبها، وبه سُمِّي الحرفُ من حروف الهجاء، وقيل سُمِّيت بذلك لأنها جهات للكلام ونواحٍ: كحروف الشيء وجهاته(٢).

وفلان على حرفٍ من أمره أي: على ناحيةٍ منه كأنه ينتظر ويتوقع، فإن رأى من ناحيته ما يحب وإلا مال إلى غيرها، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٍ﴾ [الحج: ١١]، فهو يعبده في السراء فقط، فإن رأى ضُراً انقلب على وجهه كافراً(٣).

وَحَرَفَ عن الشيء يَحْرِفُ حَرْفاً وانْحَرَفَ وَتَحَرَّفَ واحْرَوْرَفَ أي: عدل ومال عنه، ومنه: حُورِفَ فهو مُحَارَفٌ إذا ميل برزقه عنه، وسُميت الصنعة بالحرفة، لأنها جهة الكسب، والإنسان يميل إليها في كسب رزقه(٤)، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾

---

(١) ينظر: مادة (حرف) في العين للخليل بن أحمد ج٣ ص ٢١١، تهذيب اللغة للأزهري ج ٥ ص ١٢، لسان العرب لابن منظور مادة (حرف) ج ٩ ص ٤١.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس ج ٢ ص ٤٢ مادة (حرف)، القاموس المحيط للفيروز آبادي ص ٢٨٠(فصل الحاء - باب الفاء)، المصباح المنير للفيومي ص ٧٢.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير ج ١٨ ص ٥٧٨، الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد القرطبي ج ١٢ ص ١٧٠.

(٤) ينظر: سر الفصاحة للخفاجي ص ٢٣، أساس البلاغة للزمخشري ص ١٢٢، تاج العروس للزبيدي ج ٢٣ ص ١٣٣ مادة (ح ر ف).

[الأنفال: ١٦]، أي: إلا مائلاً لقتال يَتَحَرَّفُ من جانبٍ إلى جانبٍ في المعركة[١].

وتحريفُ الكلام: تغييره والميل والعدول به عن وجهه وصوابه، والتحريف في القرآن والكلمة: تغيير الحرف عن معناه، والكلمة عن معناها، وهي قريبة الشبه كما كانت اليهود تغيّر معاني التوراة بالأشباه[٢].

ومن غيّر مراد الله ﷻ في كتابه وعدل به عن الوجه الصحيح فقد حرّفه ومال به عن الحق.

ثانياً: التحريف في الاصطلاح:

تنوعت تعريفات العلماء للتحريف اصطلاحاً، وهي متقاربة المعنى، ومنها:

وتعريف الفخر الرازي (ت:٦٠٦): «تبديل اللفظ بلفظ آخر، أو صرف اللفظ عن معناه الحق إلى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية»[٣].

تعريف شيخ الإسلام (ت:٧٢٨) له بأنه: «إزالة اللفظ عمّا دل عليه من معنى»[٤].

تعريف ابن القيم (ت:٧٥١) بأنه: «العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره»[٥].

ويمكن تعريفه بأنه: «تغيير للكلام عن موضعه في مبناه أو معناه، حتى يظن أنه حق»[٦].

تحليل التعريفات:

١ - تشترك التعريفات مع التعريف اللغوي بأن التحريف تغيير متعمد ومقصود للكلام عن حقيقته، فالتحريف ميل عن قصد وهوى فهو مرادف للتزوير، ولا ينشأ إلا

---

(١) ينظر: تفسير النسفي لعبد الله بن أحمد النسفي ج ٢ ص ٥٩، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني ج ٢ ص ٢٩٤.

(٢) ينظر: جمهرة اللغة لابن دريد ج ١ ص ٥١٧ (حرف)، مختار الصحاح للرازي ص ١٣١، لسان العرب مادة (حرف) ج٩ ص ٤٢.

(٣) مفاتيح الغيب المسمى بالتفسير الكبير للرازي ج١٠ ص ٩٥.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج٣ ص ١٦٥.

(٥) الصواعق المرسلة لابن القيم ج١ ص ٢١٥.

(٦) تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال لبكر أبو زيد ص ٣٧.

عن هوى متبع. وذلك في قولهم: إزالة، والعدول، وتبديل.

٢- أن التحريف يكون في مبنى اللفظ، أو في معناه.

وكلا الأمرين وقع فيهما محرّفة أهل الكتاب(١)، وقد ذمهم الله تعالى على ذلك في أكثر من موضع في كتابه، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦]، وقال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة:٤١]، قال المفسرون: يُحرفون الكلم أي: يميلونه ويُزيلونه عن مواضعه، ويجعلون مكانه غيره، أو المراد صرفه عن المعنى الذي أنزله الله فيه إلى ما لا صحة له بالتأويلات الفاسدة، كما تفعله المبتدعة في الآيات القرآنية المخالفة لمذهبهم(٢).

وفي السنة الشريفة أحاديث عديدة تبين أن اليهود سَطَوْا على التوراة بتحريف ألفاظها ومعانيها، ووقعت النصارى فيما وقع فيه اليهود من تحريف، وتعدد نسخ الإنجيل التي بين أيديهم تدل على ذلك(٣)، أما القرآن الكريم فلا تُبدل ألفاظه بحفظ الله تعالى له، ولكنها شُبَه وتأويلات فاسدة يُلقيها المحرّفون في تفسيرهم لكتاب الله ﷻ، ولا يمكن لأحد تحريف لفظ القرآن، ومن حاول ذلك فضحه الله وكشف أمره، فيعمد أشباه اليهود والنصارى لتحريف معانيه وليّ أعناق نصوصه، إذلم يمكنهم تبديل لفظه، وقد أخبر النبي ﷺ أنه لابد من وقوعه في هذه الأمة، ولا يخفى تحقق نبوءته ﷺ(٤)، فمع دخول

---

(١) ينظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ج١ ص ٤٩.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج٨ ص ٤٣٢، تفسير ابن كثير ج٢ ص ٣٢٣، فتح القدير للشوكاني ج١ ص ٤٧٥، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين السيد محمد الآلوسي البغدادي ج٥ ص ٤٦، تحريف النصوص ص ٣٧.

(٣) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري ج٢ ص ٩، دلائل النبوة لإسماعيل الأصبهاني ج١ ص ١٥٣، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد وإظهار محاسن الإسلام للقرطبي ص ١٧٣، هداية الحيارى ص ٩٤.

(٤) ينظر: ج ١ ص ٢٢، ٥٨.

الناس الإسلام، ونشأة الفرق، وظهور النزاع، ذهبت كل فرقة تلتمس لها سنداً من القرآن والسنة، ولا تتردد عن التحريف فيهما لإثبات بدعها، فتجد هذا التحريف عند هذه الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة وعند المنافقين المنتسبين للإسلام، إلا أن الله ﷻ لم يسلم لهم كتابه، وأنجز وعده بحفظه، فقيّض له من العلماء من تصدى للمُحرفة، قال ﷺ: (**يحمل هذا العلم من كل خلف عُدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**)[1].

والمتأمل في الأحداث العظيمة، والأهوال الجسيمة التي اخترقها القرآن حتى وصل إلينا كما أنزله الله تعالى، سيرى معجزة إلهية في هذا القرآن، وما كان لينجو من تحريف المتآمرين لو لا أن هناك قوة أكبر لا يستطيعها البشر، تولت حفظ هذا الكتاب المبين[2]، وسيتخطى جميع المؤامرات، لا تناله أيدي العابثين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهو الكتاب الوحيد الذي تولى الله تعالى حفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، أمّا التوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزلة، فقد أوكل الله سبحانه حفظها إلى أهلها، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ج٢ ص ١٧، ابن حبان في الثقات ج٤ ص ١٠ برقم ١٦٠٧، الطبراني في مسند الشاميين ج١ ص ٣٤٤ برقم ٥٩٩، ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ج١ ص ١٨، البيهقي في دلائل النبوة ج١ ص٤٤ وفي السنن الكبرى ج١٠ ص ٢٠٩، ابن عبد البر في التمهيد ج١ ص ٥٩، وصححه الإمام أحمد في شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص ١١.

(٢) ينظر: خصائص القرآن الكريم للدكتور فهد الرومي ص ١٥٨.

ولما سبق بيانه والتأكيد عليه من أن مباني الألفاظ في القرآن الكريم لا يعتريها التحريف بحفظ الله تعالى له، فإن مجال البحث معاني الألفاظ، وعنوانه: **(تحريف معاني الألفاظ القرآنية)**.

مرادفات التحريف:

هناك أسماء أخرى مرادفة للتحريف، فهي داخلة في التعريف، ومنها:

١-**التبديل**: قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [البقرة:٥٩].

ويفسره ما جاء في الصحيحين من قول النبي ﷺ: **(قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً، وقولوا حطة، فبدلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا: حبة في شعرة)**(١).

فتبديلهم هذا تحريف، وذهب بعض المفسرين إلى أن التبديل يكون في اللفظ، والتحريف في المعنى، وهناك من جعلهما بمعنى واحد(٢).

٢- **التغيير**: كتغيير اليهود لصفات النبي ﷺ، وتغيير حد الزنا في كتابهم، والتبديل هو التغيير أيضاً(٣).

٣- **الإلحاد**: الإلحاد من أسماء التحريف، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت:٤٠].

قال ابن جرير الطبري (ت:٣١٠): «اللحد والإلحاد هو الميل، وقد يكون ميلاً عن آيات الله وعدولاً عنها بالتكذيب بها، ويكون بالاستهزاء بها مكاءً وتصديةً، ويكون مفارقةً لها وعناداً، ويكون تحريفاً لها وتغييراً لمعانيها»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ ج٤ ص١٧٠١ برقم ٤٣٦٥.

(٢) ينظر: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام لعلاء الدين البخاري ج٣ ص ٢٣٢،٢٥٦، مختار الصحاح ص ١٨، لسان العرب ج١١ ص ٤٨.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ج٢١ ص ١١٢.

(٤) المرجع السابق ج٢١ ص ٤٧٨.

٤ -التأويل بالباطل، أو تأويل التحريف، قال ابن القيم (ت:٧٥١): «التأويل يتجاذبه أصلان: التفسير والتحريف. فتأويل التفسير هو الحق، وتأويل التحريف هو الباطل»(١).

فالتأويل مشترك لفظي يأتي بمعنى التفسير ويأتي بمعنى التحريف، وللتفريق بينهما لابد من تفصيل القول في مبحث مستقل بعنوان الفرق بين تأويل التحريف وتأويل التفسير من هذه الرسالة(٢).

وبكل هذه المسميات سلك أهل التحريف شتى الطرق الملتوية لتحريف المعاني السليمة في كتاب الله ﷻ، فأدخلوا عليه مصائب مضحكات مبكيات، وقام لهم دعاة مُنافِحون في القديم والحديث.

فأهل التعصب العقدي يتنافسون في تفاسيرهم المحرّفة، التي وضعوها لخدمة معتقداتهم والرد على مخالفيهم، فتجد تفسيراً كاملاً أُلف لهذا الغرض، وأصبحت كل فرقة لها تفسيرها الخاص، تنصر به مذهبها وتقابل البدعة ببدعة، ونتج عن هذا الصراع العقدي تفسيرات محرفة، هي عَلَمٌ لبعض الفرق كبعض الأشاعرة(٣)،

---

(١) الصواعق المرسلة ج١ ص ٢١٥.

(٢) ينظر: المطلب الثاني من المبحث الأول ج١ ص ٢٢.

(٣) الأشاعرة فرقة كلامية إسلامية، اتخذت الأدلة العقلية منهجاً لها في الرد على مخالفيها، وقد خرجت كردة فعل للرد على المعتزلة ومن وافقهم، ولهم بدع أخرجتهم عن منهج أهل السنة والجماعة، مثل نفي بعض صفات الله تعالى، وهم ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري (ت:٣٣٠) الذي عاد إلى مذهب السلف، وبقي أتباعه على مذهبه الأول، فنسبتهم إليه غير صحيحة، وفي البحث ندرس من تفاسيرهم التفسير الكبير للرازي وقد أَصَّل فيه مذهب الأشاعرة، ينظر: الفصل في الملل ج٤ ص ٣٣، الملل والنحل ج١ ص ٩٤، الاستقامة لابن تيمية ج١ ص ١٠٥، وله أيضاً العقيدة الأصبهانية ص ٥٨ والفتاوى الكبرى ج٥ ص ٣٣.

والمعتزلة[١]، والصوفية[٢]، والرافضة[٣]، وغيرهم كثير، يقل أو يكثر من فرقة لأخرى، فهذا الزمخشري (ت:٥٣٨) ينص في مقدمة تفسيره على أنه ألفه إجابة لطلب بعض معتزلة عصره، الذين وصفهم بأنهم من أفاضل الفئة الناجية العدلية[٤].

---

(١) المعتزلة أصحاب واصل بن عطاء (ت:١٣١) الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وهم فرسان الجدل، حكّموا العقل على الشرع، فابتدعوا تحريفات خرجوا بها عن مذهب السلف، والمعتزلة من أوائل الفرق الكلامية خروجاً، فقد خرجت في أوائل المائة الثانية، حازت على مكانة سياسية في عصر المأمون، فامتُحن أئمة السلف ببدعهم وعلى رأسها خلق القرآن، ومن أشهر تفاسيرهم التي وضعت لخدمة المذهب (الكشاف للزمخشري) وهو من التفاسير المشمولة بالبحث، ينظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي ص ٣٨، البدء والتاريخ لابن طاهر المقدسي ج٥ ص ١٤٢، تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٠.

(٢) الصوفية من أوسع الطوائف المنتسبة للإسلام، ويعظم خطرها أن تزيّا أصحابها بزيّ العبادة والزهد، ويذكر ابن خلدون أنها نشأت كردة فعل لإقبال الناس على الدنيا، وقد اختُلِفَ كثيرا في سبب تسميتها واختار ابن تيمية أنه نسبة للصوف الذي كانوا يلبسونه شعاراً للزهد، وقد ابتدعوا طرقاً للزهد والعبادة على غير منهج السلف، ومنهم من غلا وتطرف حتى خرج عن ربقة الإسلام، ومن تفاسيرهم المشمولة بالبحث (حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السُّلمي)، ينظر: تلبيس إبليس ص١٩٩، الفرقان بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان لابن تيمية ص٨٠، مقدمة ابن خلدون ص٥١٤.

(٣) الرافضة طائفة من الشيعة، تدّعي أحقية آل البيت من نسب عليّ رضي الله عنه بالخلافة عن غيره من الصحابة، وقد غلوا فيهم، ونسبوا لهم العصمة، وطعنوا في الصحابة وكفّروا عدداً كبيراً منهم واتهموهم بالردة، ورفضوا إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وغيرهم من الصحابة ومن هنا سُموا رافضة، وأكثروا في تفسير كتاب الله تعالى من التحريفات المنسوبة لأئمتهم المزعومة، وهم مبرؤون مما قالوا، ومن تفاسيرهم المشمولة بالبحث الميزان للطباطبائي، ينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ص ١٦، الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني ص ٢٤٢، رسالة في الرد على الرافضة لمحمد بن عبد الوهاب ص ٨.

(٤) الكشاف للزمخشري ج١ ص ١٨.

فما ظنك بهذا التفسير إن كان تأليفه لهذا الغرض؟! فعلى رغم ما لتفسيره من تقدم وتميز في الجوانب اللغوية والبلاغية، إلا أنه حقق لأصحابه مطلبهم، ودس اعتزالياته في تفسيره.

وغلاة الرافضة من هذه الفرق أظلم وأطغى، فقد اشتهروا بوضع روايات مكذوبة في تفسيرهم لكتاب الله تعالى، ونسبوها لأئمتهم المزعومة.

والباطنية[١] أشد ضلالاً وتحريفاً؛ فقد أبطنوا الكفر، وتستروا بلباس التشيع، وسلكوا منهجهم في الوضع والتحريف.

وأهل الفلسفة[٢] والتصوف أَدْلَوا بدلوهم في تحريف القرآن، فشطحت بهم خيالاتهم ومواجيدهم، وأتوا بمعاني هي أقرب للكفر منها للإيمان، فجعلت الفلاسفة الحقائق التي

---

(١) الباطنية هم الملاحدة الذين أجمع المسلمون على أنهم أكفر من اليهود والنصارى، وسُمّوا بالباطنية لأنهم أرادوا إبطال الشريعة جملةً وتفصيلاً، ولما لم يمكنهم التصريح بذلك لجأوا إلى صرف الهمم عن الظواهر من النصوص وأنها غير مرادة، بل لها تأويلات عندهم وتحريفات، زعموا أنها معانٍ باطنة للنصوص، وأنها ما قصده الشارع وأراده، فحرفوا بها الدين، يقول البغدادي في الفرق بين الفرق: إن الذين وضعوا أساس الباطنية أولاد المجوس، الذين نافقوا لتحريف الإسلام إلى دينهم، وتستروا بالتشيع وحب آل البيت، ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٦٩، فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي ص ١١، الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص ١٩٠، ولبعض الأمثلة على تحريفاتهم ينظر: الأقوال الشاذة في التفسير لعبد الرحمن الدهش ص ٥٠،.

(٢) الفلاسفة هم أرباب النهاية في تقديم العقول، وقد وقعوا بسببها في الحيرة والضلال، فأملت عليهم عقولهم استنقاص ما جاءت به الرسل، وادّعوا استغناءهم عن الرسالات بعقولهم لديهم من إلهامات ومواجيد وخيالات، وقد انتقلت الفلسفة إلى المسلمين بسبب ترجمة الكتب اليونانية وغيرها من الديانات، ينظر: الفصل في الملل ج١ ص ٧٩، الرد على المنطقيين لابن تيمية ص ٤٤١، شرح المقاصد في علم الكلام للتفتازاني ج١ ص ٢٧، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم ص ٢٠٦.

أخبر الله تعالى في كتابه مجازاً وتمثيلاً وادّعت الصوفية في آياته إشارات لا يعرفها إلا هم ما أنزل الله بها من سلطان.

وبعض أهل التعصب الفقهي البغيض لهم سهم وافر في تطويع الآيات لمذاهبهم ولو أدّى لتحريف معناها انتصاراً للمذهب، وبعض أهل اللغة والأدب والبلاغة(١) افتتنوا بها، واكتفوا بها في تفسير كتاب الله ﷻ كأي نص عربي آخر، وازدروا علماء التفسير فأتوا بتفاسير جامدة مُحرّفة لا يمكن قبولها.

ودعاة التجديد(٢) المنهزمون أمام الغرب والمعجبون بثقافاتهم يريدون الانسلاخ من الدين والجري وراء الغرب بدعوى التجديد وطرح القديم.

ومما دعا هؤلاء لتجديد مطالبتهم بنزع حجاب المرأة بدعوى تحريرها، وإبطال الحدود باسم حرية الإنسان، وتعطيل معنى الجهاد وغير ذلك من الدعاوى، وإنهم من إفكهم يقولون: إنها حضارة وتجديد!.

---

(١) اللغة مصدر هام في تفسير كتاب الله تعالى، وبها نزل القرآن، ولكنها لا تستقل في تفسيره، بل هي جزء من ضوابط أخرى لا بد من مراعاتها في تفسير كتاب الله تعالى، ولكن هناك من يدعو لتكون أساساً وحيداً في فهم كتاب الله تعالى وتفسير القرآن كأي نص عربي، مثل أمين الخولي في كتابه (التفسير نشأته..تدرجه..تطوره) ص ٧٨، ومن قبله طه حسين وأشباههم كثير ينظر: شرح مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير لمساعد الطيار ص ١٩٦، التفسير اللغوي له ص ٤٩٩.

(٢) لا يخفى على المسلم العاقل المتمسك بدينه أن هذه الدعاوى للتجديد لا تعني تجديد الدين، وإحياء ما اندرس من سننه، وتنقيته من البدع والخرافات، وإنما أرادوا هدم الدين، والتخلي عن تراثنا العلمي، وهم يزخرفون دعاويهم بشعارات عدة، منها: الحضارة: والثقافة، والتمدن، والتطور، وحرية الفكر، والعقلانية، والعصرانية، والموضوعية العلمية، والبحث النزيه، ينظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب لمحمد الناصر ص ١٢٧، تجديد الفكر الإسلامي لجمال سلطان ص ٦٢، الشريعة الإلهية لا القوانين الوضعية لعمر الأشقر ص ٢، مفهوم تجديد الدين لبسطامي سعيد ص ١٢٣، ٢٢٩، العصريون معتزلة اليوم ليوسف كمال ص ١٢٣، وينظر للأمثلة على هذه التحريفات: تجديد الفكر الإسلامي لحسن ترابي، أسباب الخطأ في التفسير لطاهر يعقوب ج٢ ص ٧٨٦.

والمفسرون الغالون في العلوم الحديثة[1] والفنون العصرية، مثل الطب، والهندسة، والريّاضيات، وغيرها حمّلوا القرآن ما لا يحتمله، فصارت تفاسيرهم للعلوم أقرب، وعن مقصود الهداية أبعد.

وتحريفات الداعين إلى وحدة الأديان [2] ووحدة الأديان تدق ناقوس الخطر، فهم ومن تأثر بهم يخططون لطمس معالم الدين، وخلط الحق بالباطل، وتوحيد البشر باسم الانسانية والإيمان بالله وحده دون تفصيل أواشتراط للإيمان بجميع الرسل، فحرّفوا معنى الإسلام، والإيمان[3]، والجهاد، والولاء والبراء، وغيرها من ثوابت الدين[4].

وهذه الاتجاهات المنحرفة في التفسير وتلك الطرق والطوائف المتشعبة ليست خاصة بزمن من الأزمنة ومكان من الأمكنة، ولا يمكن وصفها بدعوى قديمة اندثرت أو تكون

---

(١) ظاهرة الغلو في التفسير العلمي أسهمت في دخول التحريفات في تفسير كتاب الله تعالى، والإيمان بإعجاز القرآن لا جدال فيه، لكن تذليل آياته لتوافق النظريات العلمية بتعسف وتعنت يذهب ببهاء القرآن وجلاله ويؤدي إلى التحريف والصرف عن مفهوم الهداية في القرآن، وتعريضه لما يعتري العلوم التجريبية من تغيير ونقض، وقد ضمنت البحث أنموذجاً لهذا التفسير وهو تفسير طنطاوي جوهري، ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ج١ ص ٥٦٥، اتجاهات التفسير في العصر الراهن لعبدالمجيد المحتسب ص٢٩٧، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر لفهد الرومي ج٣ ص٤١٣.

(٢) يزعم الداعون للعولمة أنهم يجمعون الناس على مذهب واحد تزول معه الخلافات، فدعوا لوحدة الأديان، والحقيقة أنها مكيدة للإسلام وأهله، تسعى لطمس هويتهم، وهي هجمة على الإسلام فقط، أما أديانهم فهم متمسكون بها، ويدعون إليها، قال تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٩]، ينظر: المسلمون والعولمة لمحمد قطب ص ٢، معجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد حرف العين ص ٣٧٠.

(٣) ينظر: مثال هذا التحريف عند آية ٦٢ من القسم التطبيقي.

(٤) على سبيل المثال ينظر: رسالة التوحيد لمحمد عبده ص ١٠٥، تيارات اليقظة الإسلامية لمحمد عماره: ص ٨٠، بحوث ودراسات في ضوء القرآن الكريم لمحمد زقزوق ص ١٤٤.

وليدة اليوم، فإن مصيبة التحريف تنمو وتتزايد ولا يمكن إحصاء أهلها، بل هو مستحيل، لكن يمكننا حصر أهل التحريف بطائفتين لا يخرج عنهما المُحرِّف:

أهل التحريف:

[١] أهل الكفر والزندقة(١) والإلحاد(٢):

تستروا باسم الدين وأبطنوا الكفر والحقد والنفاق والعداء له منذ بزوغ فجره، فأفرزوا سمومهم في تفسير كتاب الله ﷻ، وهي من أبطل التفاسير وأشدها تحريفاً، وقد تأثر بهم سفهاء الأحلام وضعفاء الدين من المسلمين.

والله تعالى أمكن منهم بحفظه لكتابه، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

فسخر لكتابه من العلماء من فضح هؤلاء المحرّفة، وكشفوا للناس خطرهم وأثرهم في تحريف كتاب الله تعالى(٣).

---

(١) الزنديق لفظ أعجمي أُخذ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام وعُرب، في البداية كان يطلق على من يؤمن بكتاب المجوس، نسبة للمقدس الزندافست، ومن ثم توسع هذا اللفظ على كل من يتشكك في الدين، أو يجحد شيئاً منه، أو يتهاون في أداء عبادته، أو يهزأ بها، أو يتجرأ على المعاصي والمنكرات ويُعلن بها، أو يقول بمقالة بعض الكفار، ويؤمن ببعض عقائدهم، واستعمل اللفظ في الإسلام بمعان متعددة، فبعضهم يطلقه على المجوس، وبعضهم يطلقه على الدهرية، وبعضهم على الجهمية، وأطلقه أحمد بن حنبل على المعتزلة، ينظر: مجموع الفتاوى ج٧ ص ٤٧١، فتح الباري لابن حجر ج١٢ ص ٢٧١، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ج٢ ص ١٠٦٥.

(٢) الملحد في اللغة المائل، ويطلقه العلماء على المائل عن الدين إلى جهة من جهات الكفر، والإلحاد مذهب فلسفي ينكر وجود الله تعالى، سعت لنشره الصهيونية في بلاد المسلمين، تحت شعار ومسميات مختلفة، ينظر: فتح الباري ج١٢ ص ٢١٠، قواعد الفقه للبركتي ص ٥٠٥، الموسوعة الميسرة ج١ ص ٨٠٣.

(٣) ينظر: الأمثلة على الإلحاد والزندقة في التفسير: أسباب الخطأ ج٢ ص ٦٨٦.

[٢] أهل البدع:

وتحريفهم في التفسير كان ولا يزال سبباً في انقسام الأمة وظهور الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، ولا تزال الأمة تُبتلى بأمثالهم في كل زمان ومكان، والباحث عن المعنى السليم لكتاب الله ﷻ الذي لم يعتره تحريف لا يلزمه إحصاؤهم وتتبعهم بل يكفيه معرفة ضابط التحريف، لينظر من خلاله أهل التحريف جميعاً، فإليك هذا الضابط:

ضابط التحريف:

كل تفسير يُعارض ما جاء في القرآن، أو صحيح السنة، أو ما أجمع عليه الصحابة والتابعون وأئمة التفسير المعتبرون، فإنه تفسير مُحَرَّف مردود، فينبغي الاتباع، وترك الابتداع، والسكوت عما سكتوا عنه[١]، ولا يعني ذلك إغلاق باب الاجتهاد، فإن القرآن لا تنقضي عجائبه، ولا زال العلماء يستنبطون من أسراره ومعجزاته، وهو مما يزيد من فهم الآيات، ولكن للاستنباط شروطه، التي تدفع عنه التحريف، وتجعله لا يتعارض مع منهج السلف الصالح[٢].

---

(١) هناك أمور سكت عنها السلف لعلمهم أنه يجب السكوت عنها، وعدم الخوض فيها، مثل كيفية أسماء الله تعالى وصفاته وغيرها، ينظر: البدع للمرواني ص ٧٧، ذم الكلام وأهله للهروي ج٥ ص ٢٤، العين والأثر في عقائد أهل الأثر ص١٠٩، وإليك وصية عمر بن عبد العزيز بإتباع السنة والثناء على تحقيق الصحابة رضي الله عنهم: «قف حيث وقف القوم، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ قد كفُّوا، وهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أَحْرى، فلئن قلتم حدث بعدهم فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي، وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسّر وما دونهم مقصّر، لقد قصّر عنهم قوم فجفوا، وتجاوز آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم»، ينظر: لمعة الاعتقاد لابن قدامة ص١٠، مجموع الفتاوى ج٤ ص ٧، إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ج٤ ص ١٥١.

(٢) ينظر: شروط الاستنباط من القرآن الكريم لفهد الوهبي ص ١٩٩.

فالقرآن لا يضيق بالتفسير العصري الذي يناسب كل زمان بشرط أن لا يُصرف إلى معان تجافي النص، وتفتقر إلى الدليل، وتفتح أبواب الفتنة، وتجعله غرضاً لكل ذي هوى أو مرض[١].

محترزات البحث:

١- ليس مقصوداً من البحث الخوض في نية المفسر من إرادة التحريف، فإن ذلك مرده إلى الله تعالى.

٢- استخراج مثالٍ تطبيقيٍ للتحريف في معنى لفظ قرآني، لا يعني الحكم على كتاب التفسير أنه مُحَرَّف بالكامل.

٣- الخطأ والنسيان لا يدخل في التحريف المتعمد، لأنه لا عصمة لأحد منه بعد الرسل والأنبياء فيما يبلغون عن ربهم، فكل البشر بعدهم عرضة للسهو، ولا ينبغي تَتَبُّع العالم الجليل الذي له قدم حسن وآثار صالحة واتباع للسنة، في زلته ويحكم عليه بالتحريف، مع بيان الخطأ وعدم الاقتداء به في الزلة، بل يُقتدى بالصواب، ويطرح غيره.

قال الذهبي (ت:٧٤٨): «...الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه وعُلِمَ تحريه للحق، واتسع علمه وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحه وورعه واتباعه يغفر له زلته، ولا نُضلله ونطرحه، وننسى محاسنه؛ نعم ولا نقتدي به في خطئه، ونرجو له التوبة من ذلك»[٢].

والعالم وإن اشترط فيه اتباع السلف وعدم الابتداع لكن ليس من شروطه ألّا يخطئ[٣]، وكما قيل: لكل عالم هفوة، ولكل جواد كبوة، فليس عيباً صدور الخطأ، ولكن العيب تَعَمُّده والإصرار عليه، وعلماء السلف الصالح يُخشى عليهم السهو والخطأ، ولكن لا يُخشى عليهم التحريف المتعمد[٤].

---

(١) اتجاهات التفسير في العصر الحديث لمصطفى الطير ص ٢٤١.

(٢) سير أعلام النبلاء ج٥ ص ٢٧١.

(٣) ينظر: المرجع السابق ج١٩ ص ٣٣٩.

(٤) لشيخ الإسلام كلام نفيس عن فضل سلفنا الصالح في مقدمته شرح مساعد الطيار ص١٣٤.

٤- بيان التحريف لا يعني التحامل على الآخرين والطعن فيهم، بل هو مما أوجبه علينا ديننا العظيم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة الدين، قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «...أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة... بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين»(١).

٥- يُستبعد أن أهل التحريف وجدوا بغيتهم في كتاب الله تعالى، وأن الحق ضاع بين هؤلاء المحرفين، فليس لمبتدع في كتاب الله حجة، قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

والقرآن بحججه الدامغة يدفع الباطل ويزيله، فهو علاج هذا التحريف، وأرشد إليه النبي ﷺ حين وقوع الفتن، فقال لعلي (ت: ٤٠) رضي الله عنه: **(ألا إنها ستكون فتنة)** فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟، قال: **(كتاب الله، فيه نبأ من كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحُكم ما بينكم، وهو الفَصْل ليس بالهَزْل، من تركه من جَبّار قَصَمَه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تَزِيغ به الألسن، ولا يَشْبَع منه العلماء، ولا يَخْلُقُ على كثرة الرَّدِّ، ولا تَنْقَضِي عَجَائبه...)** الحديث(٢).

فكما جاءت نبوءته بوقوع التحريف في تفسير كتاب الله تعالى(٣)، جاءت توجيهاته ﷺ بالرجوع لهذا القرآن الكريم وإلى سنته المطهرة، فيزداد المؤمن به إيماناً ويزداد المبتدع عنه بُعداً، قال ﷺ: **(قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا**

---

(١) مجموع الفتاوى ج٢٨ ص ٢٣١.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ج٦ ص ١٢٥ برقم ٣٠٠٠٧، الترمذي في سننه ج٧ ص ١٥٢ برقم ٢٩٠٦، وقال: «حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول»، وأخرجه البزار في مسنده ج٣ ص ٧١-٧٢ برقم ٨٣٦، البيهقي في شعب الإيمان ج٢ ص ٣٢٥- ٣٢٦ برقم ١٩٣٥.

(٣) قال ﷺ: **(تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم، فَيُحلون الحرام، ويُحرّمون الحلال)**، أخرجه البزار في مسنده ج٧ ص ١٨٦ برقم ٢٧٥٥ من مسند عوف بن مالك، الطبراني في المعجم الكبير ج١٨ ص ٥٠ برقم ٩٠، الحاكم في المستدرك ج٣ ص ٦٣١ برقم ٦٣٢٥، الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ج١ ص ٤٥٠.

هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ...الحديث)[(١)].

المطلب الثاني

الفرق بين التحريف والتأويل

من أهم الوسائل التي يَتَذَرَّعُ بها المحرفون التأويل، فما من طائفة من أهل الفرق والبدع والأهواء إلا ولها تأويلات فاسدة جنت على المعاني السليمة للنصوص، فملؤوا تفسيراتهم بهذه التأويلات وهي تحريف لكتاب الله ﷻ، وإن سماها أهلها تأويلاً، لكنه تأويل باطل.

وتلجأ المحرفة للتأويل، وتَسْتَتِرُ خلفه لوقوع الاحتمال فيه، فهو مشترك لفظي يأتي بمعنى التفسير، ويأتي بمعنى التحريف، وللتفريق بينهما نتعرف على معنى التأويل في اللغة والاصطلاح، ونذكر أقسامه وشروط قبوله.

أولاً: التأويل في اللغة:

التأويل مصدر من باب التفعيل، وأصله (أَوَلَ) ومدار استعمالها في لغة العرب على الرجوع والعَوْد، وأغلب ماجاء في معاجم اللغة العتيقة[(٢)] يرجع إلى معنى الرجوع والعود، وقد ذكر ابن منظور (ت:٧١١) اشتقاقاتها بقوله: «الأَوْل الرجوع، آل الشيء يؤول ومآلاً رجع، وأَوَّلَ إليه الشيء: رَجَعَه، وإِلْت عن الشيء: ارتددت، يقال: طبخت النبيذ حتى آل إلى الثلث أو الربع أي: رجع»[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده من حديث العرباض بن سارية ج٤ ص ١٢٦ برقم ١٧١٨٢، ابن ماجه في مقدمة سننه باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ج١ ص ١٦ برقم ٤٣، والطبراني في المعجم الكبير ج١٨ ص ٢٤٧ برقم ٦١٩، الحاكم في مستدركه ج١ ص ١٧٥برقم ٣٣١.

(٢) عند البحث عن أي لفظ في اللغة العربية يلزم الاستناد لمعاجم اللغة العتيقة المستقاة من أفواه العرب الأقحاح؛ فاللغة العربية غير قابلة للاجتهاد بل يتوقف فيها ما جاء عن العرب قبل فساد اللسان العربي، ينظر: جناية التأويل الفاسد ص١ بتصرف.

(٣) لسان العرب مادة (أول) ج١١ ص٣٢.

وقال ابن فارس (ت:٣٩٥): «أَوَّلَ الحكم إلى أهله أي: أرجعه وردّه إليهم... وآل جسم الرجل: إذا نحف، أي: رجع إلى تلك الحالة»[١].

ومنه الموئل: وهو المرجع والمصير، والأيّل من الوحش: الوعل، وسمي بذلك لمآله إلى الجبل يتحصن فيه[٢].

ومن معاني التأويل: التفسير، وفيه معنى الرجوع، لأن المفسر يُرجع الكلام إلى المراد منه، ويُدَبِّر الكلام ويقدره، ففيه معنى العود والرجوع، وفي القاموس: «أَوَّلَ الكلام تأويلاً، وتَأَوّله: دَبّرَه، وقَدّرَه، وفَسّرَه»[٣].

ومما جاء في هذه المعاجم اللغوية:

الإصلاح: من آل يَؤُول أَوْلاً إذا أصلحه[٤]، وإصلاح الشيء إرجاعه لأصله، وما ينبغي أن يكون عليه.

السياسة: من آل الملك رعيته أي: ساسها، وإليه يرجع أمر الرعية[٥].

وقد استقرأت كثيراً من كتب اللغة[٦] فوجدتها لا تخرج عن معنى الرجوع في تفسيرها للتأويل.

---

(١) مقاييس اللغة مادة (أول) ج١ ص١٥٩.

(٢) ينظر: المرجعين السابقين، والعين ج٨ ص ٣٥٨.

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص١٢٤٤.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة ج١٥ ص٣١٤، لسان العرب ج١١ ص٣٤.

(٥) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن المرسي ج١٠ ص٤٥٠، المصباح المنير للفيومي ص٢٠، تاج العروس ج٢٨ ص٣١.

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء ج١ ص١٣٧، معاني القرآن للنحاس ج١ ص٣٥١، المفردات للراغب ص٤٠، أساس البلاغة ص٢٥، المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي ج١ ص٥١٣، التعريفات للجرجاني ص١٥٦، مختار الصحاح ج١ ص٥١٣، التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد المناوي ص١٠٥٦، الكليات لأبي البقاء أيوب الكفوي ص٢٦١، المعجم الوسيط لأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار ج١ ص٣٣.

ثانياً: التأويل في الاصطلاح:

أولاً: التأويل في الكتاب والسنة:

التأويل في كتاب الله وكلام رسوله ﷺ ليس ببعيد عن المعنى اللغوي، ويأتي على معنيين:

أحدهما: (الحقيقة التي يؤول إليها الكلام)[(١)]:

فإن كان خبراً كان تأويله وقوع المخبر به، فإذا قيل طلعت الشمس فتأويل هذا نفس طلوعها. وإن كان طلباً (أمراً أو نهياً) كان تأويله أن يُفعل هذا الطلب أو يترك.

وهذا المعنى هو الغالب على لفظ التأويل في القرآن والسنة، قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «يراد بالتأويل حقيقة مايؤول إليه الكلام وإن وافق ظاهره، وهذا هو المعنى المراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة»[(٢)].

ويقول شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي (ت:٧٩٢): «فالتأويل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل الخبر هو عين المخبر به، وتأويل الأمر: نفس الفعل المأمور به»[(٣)].

ويقول الشنقيطي (ت:١٣٩٣): «الغالب في القرآن إطلاق التأويل على حقيقة الأمر التي يؤول إليها»[(٤)].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ج٣ ص٥٦، شرح قصيدة ابن القيم ج٢ ص٣ لأحمد بن عيسى ج٢ ص١٣، شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٢٣٢، تفسير ابن كثير ج٢ ص١١، فتح رب البرية بتلخيص الحموية لمحمد بن عثيمين ص٩١.

(٢) مجموع الفتاوى ج٤ ص٦٨.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٣٢.

(٤) أضواء البيان ج١ ص١٨٩.

المعنى الثاني:(تفسير الكلام وبيان معناه)[(١)]:

والفرق بينه وبين المعنى الأول[(٢)] أن الحقيقة التي يؤول إليها الكلام ليست من جنس الكلام؛ بل وجوده في الواقع المحسوس، وعلى المعنى الثاني يكون التفسير من جنس الكلام[(٣)].

ثانياً: التأويل في اصطلاح السلف:

معنى التأويل في استعمال السلف الصالح من أهل القرون المشهود لهم بالخير والفضل؛ من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، لم يختلف عن معناه في القرآن والسنة واللغة، يقول شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «وأما خطاب الصحابة والتابعين فإنما يوجد فيه الأوّلان»[(٤)].

أي: المعنيان السابقان للتأويل في الكتاب والسنة.

شواهد إطلاق التأويل على المعنيين السابقين من القرآن والسنة وكلام السلف:

أولا: القرآن الكريم:

الغالب في استعمال القرآن للتأويل بمعناه الأول: (الحقيقة التي يؤول إليها الكلام).

يقول شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «وقد عُرف أن التأويل في القرآن هو الموجود الذي يؤول

---

(١) هذا هو الغالب في استعمال مفسّري القرآن، ينظر: تفسير ابن جرير الطبري في أكثر من موضع على سبيل المثال ج١ ص٥٧، ج٢ ص٣٩،ج٣ ص٥٧، تفسير القرطبي ج١ ص١٣، ج٢ ص٥٠، تفسير ابن كثير ج١ ص٦، ج٢ ص١١، ج٣ ص١٢٨، وينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ج٢ ص٣٤١.

(٢) هناك من العلماء من يفرق بين التفسير والتأويل، والراجح أن التفسير يتعلق بشرح الألفاظ و التأويل باستنباط الأحكام، ويصح أن يُقال: إنهما مثل الإيمان والإسلام، إذا اجتمعا افترقا، والعكس صحيح. ينظر: مفهوم التفسير ص١٠٨، مجلة البحوث الإسلامية ج٨ ص١٠٨.

(٣) ينظر: التوضيحات الأثرية لمتن الرسالة التدمرية لفخر الدين المحسي ص٢٥٨، مفهوم التفسير ص٩٢، مجلة البحوث الإسلامية ج٨ ص١٠٨.

(٤) الصفدية لابن تيمية ج١ ص٢٨٩.

إليه الكلام»[١]، ويقول تلميذه ابن القيم (ت:٧٥١): «فالتأويل في كتاب الله سبحانه وتعالى المراد به حقيقة المعنى الذي يؤول اللفظ إليه»[٢].

وقد وردت كلمة التأويل في القرآن سبع عشرة مرة في عدة سور، وسألتزم في ذكرها ترتيب سور القرآن الكريم:

١-قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، ومعنى التأويل في هذه الآية لا يخرج عن المعنيين السابقين، وسأرجئ الحديث عنها لما تحتاجه من تفصيل، لورود الخلاف في تفسيرها.

٢-قال تعالى في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ومعنى أحسن تأويلاً؛ أي: أحسن موئلا، وأجمل عاقبة، فَرَدُّ ما تنازعتم فيه من شيء إلى الله ورسوله خير لكم عند الله في معادكم، وأصلح لكم في دنياكم[٣].

٣-وجاء في سورة الأعراف من قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ...﴾ [الأعراف: ٥٣]، والتأويل هنا بمعنى الحقائق التي أخبر الله بها من الثواب والعقاب[٤].

---

(١) تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص١٦٧.

(٢) الصواعق المرسلة ج١ ص١٧٧.

(٣) تفسير الطبري ج٨ ص٥٠٦ بتصرف يسير.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير ج٣ ص٤٢٥.

٤-وبنفس المعنى جاء التأويل[١] في سورة يونس من قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ..﴾ [يونس: ٣٩].

٥-وجاء تأويل الرُّؤى في ثمان مواضع من سورة يوسف وهي: قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: ٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٣٦].

وقال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٣٧]، وقال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف:٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف:٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف:١٠٠]، وقال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١]. وهي جميعها بمعنى حقيقة هذه الرؤى وماتؤول

---

(١) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ج٥ ص١٦٠.

إليه، ووجودها في الخارج[(١)].

١-والتأويل في سورة الإسراء من قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [الإسراء: ٣٥]، هو بنفس معناه في سورة النساء؛ وهو العاقبة والمصير، ومايؤول إليه الحال[(٢)].

٢- وورد التأويل في موضعين من قصة الخضر في سورة الكهف من قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٨٢]، ومعناهما: ماتؤول إليه حقيقة الأفعال العجيبة، التي قام بها الخضر، ولم يصبر عليها موسى عليه السلام[(٣)].

تنبيه: هناك من المفسرين[(٤)] من فسّر التأويل في بعض الآيات بالتفسير بدلاً من الحقيقة التي يؤول إليها الكلام.

يقول محمد بن عثيمين (ت:١٤٢١) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٨٢]. «أي: بتفسيره، ويحتمل أن يكون التأويل هنا في الثاني العاقبة، يعني ذلك عاقبة مالم تستطع عليه صبراً؛ لأن التأويل يراد به العاقبة، ويراد به التفسير»[(٥)].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي ج١ ص٤٠٥، بتصرف يسير.

(٢) ينظر: تفسير الكشاف ج٢ ص٦٢٣.

(٣) ينظر: فتح القدير ج٣ ص٣٠٥.

(٤) ينظر على سبيل المثال: بحر العلوم للسمرقندي ج٢ ص٢٥٧، تفسير ابن كثير ج٥ ص١٧٩، تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ج١٦ ص١٠.

(٥) ينظر: تفسير القرآن للعثيمين، ج ٦ ص ٩٦.

ثانياً: السنة:

وردت كلمة التأويل في أحاديث النبي ﷺ بكلا المعنيين السابقين؛ الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، وبمعنى التفسير.

١-فمن الأحاديث التي جاء فيها التأويل بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام ما جاء في تعبير الرؤى، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه (ت: ٩٣) - قال رسول الله ﷺ: **(رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم، كأنّا في دار عقبة بن رافع، فأُتينا برطب من رطب ابن طاب، فأولتها: بالرفعة لنا في الدين، والعاقبة في الآخرة، وأن ديننا قد طاب)**(١).

وغيرها من الأحاديث في تعبير الرؤى.

ومن الأحاديث في معنى العاقبة ومايؤول إليه الكلام، ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (ت:٥٥) عن النبي ﷺ أنه سئل عن معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام ٦٥]. فقال: **(أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد)**(٢).أي: لم يأت وقت ظهور حقيقة العذاب ومصير المخاطبين وماتؤول إليه عاقبتهم(٣).

٢-ومن الأحاديث التي وردت فيها كلمة تأويل بمعنى التفسير؛ دعاؤه ﷺ لابن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ ج٤ ص١٧٧٩ برقم ٢٢٧٠.

(٢) أخرجه نعيم بن حماد في كتاب الفتن ج٢ ص٦١٢ برقم ١٧٠٠، أحمد في مسنده ج١ ص١٧٠ برقم ١٤٦٦، الترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب سورة الأنعام ج٥ ص٢٦٢ برقم ٣٠٦٦، وقال حديث حسن غريب، أبو يعلى في مسنده ج٢ ص٩٠ برقم ٧٤٥، السيوطي في جامع الأحاديث ج ٢ ص ١٥٨ برقم ٤٥٥٩.

(٣) ينظر: فتح الباري ج٨ ص٢٩٢.

عباس (ت:٦٨) م: (**اللهم فَقِّهْهُ في الدين، وعلمه التأويل**)[١].

وتفسرها الرواية الأخرى: (**اللهم علمه الكتاب**)[٢]، أي: علمه تفسير الكتاب[٣]، وصار رضي الله عنه بفضل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ترجمان القرآن.

ثالثا: الشواهد من أقوال الصحابة والتابعين:

١ - ما أورده البخاري (ت:٢٥٦) تحت قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]، عن عائشة رضي الله عنها (ت:٥٨) قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه: (**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفرلي**)، يتأوّل القرآن)[٤]، قال النووي (ت:٦٧٦): «معنى يتأوّل القرآن يعمل ما أمر به في قوله عز وجل: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه مختصراً بدون قوله: (**وعلمه التأويل**)، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء ج١ ص ٦٦ برقم ١٤٢، وأخرجه باللفظ المذكور أحمد في المسند ج١ ص ٢٦٦ برقم ٢٣٩٧، ابن حبان في صحيحه ج١٥ ص ٥٣١ برقم ٧٠٥٥، الطبراني في الأوسط ج٢ ص ١١٣ برقم ١٤٢٢، وفي الصغير برقم ٤٥٢ وفي الكبير ج١٠ ص ٢٦٣ برقم ١٠٦١٤، الحاكم في المستدرك ج٣ ص ٦١٥ برقم ٦٢٨١، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ج١٠ ص ١٦٩ برقم ١٦٧، وصححه الألباني في تخريجه لمشكاة المصابيح للتبريزي ج٣ ص ٣٤٠ برقم ٦١٣٨.

(٢) أخرج هذه الرواية البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم علمه الكتاب ج١ ص٤١ برقم ٧٥.

(٣) ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين ج٢ ص٣٤١، فتح الباري لابن حجر ج١ ص١٧٠.

(٤) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ج٤ ص١٩٠١ برقم ٤٦٨٤، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ج١ ص٣٥٠ برقم ٤٨٤.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ج٤ ص٢٠١.

٢-ما جاء عن ابن عمر (ت:٧٣) م، أنه كان يصلي حيث توجهت به راحلته، ويذكر أن رسول الله ﷺ يفعل ذلك، ويتأول قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ... ﴾ [البقرة: ١١٥]، أي: يفعل ما فهمه من الآية[(١)].

٣-ما رواه ابن جرير(ت:٣١٠) بسنده عن مجاهد رحمه الله (ت:١٠٤): «الراسخون في العلم يعلمون تأويله»[(٢)]، أي تفسيره[(٣)].

٤-كثيراً ما يقول الشافعي رحمه الله (ت:٢٠٤) في كتابه الأم: «وذلك -والله أعلم- بَيِّنٌ في التنزيل، مستغنيً به عن التأويل»[(٤)]، أي: عن التفسير والتوضيح.

٥-ومن الآثار قول أحمد (ت:٢٤٢) في الرد على الجهمية: «وتأوّل القرآن على غير تأويله»[(٥)]، أي: فسرته على غير تفسيره.

٦-وفي كثير من كتب التفسير جاء التأويل مراداً به التفسير، وأشهر من أطلقه بهذا المعنى ابن جرير الطبري (ت:٣١٠) في كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، فيقول: «القول في تأويل قوله كذا وكذا، واختلف أهل التأويل في هذه الآية»[(٦)]، وقد نص على ذلك بقوله: «وأما معنى التأويل في كلام العرب؛ فإنه التفسير والمرجع والمصير»[(٧)].

وكذا استعمال أبي عبيدة (ت:٢١٠) في مجاز القرآن[(٨)]، وغيرهما من المفسرين.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج٢ ص٥٣٠، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت، ج١ ص٤٨ برقم ٧٠٠.

(٢) تفسير الطبري ج٦ ص٢٠٣.

(٣) ينظر: المرجع السابق ج٦ ص٢٠٤.

(٤) الأم للشافعي ج٧ ص٣١٩، وغيرها من المواضع التي ذكر فيها هذا التعبير.

(٥) الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل ص ٢٠.

(٦) ينظر: تفسير الطبري ج١ ص٥٨، ج٢ ص٣٩، ٨٢، وغيرها.

(٧) المرجع السابق ج٢ ص٢٠٤.

(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة ص٣٩،٤، وغيرها، وكتب التفسير غيرها كثير في استعمال التأويل بمعنى التفسير.

ومن هذه الشواهد وغيرها يتبين أن استعمال السلف الصالح للفظ التأويل لم يخرج عن المعنيين السابقين للتأويل في الكتاب والسنة واللغة وهما: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام وتفسير الكلام وبيان معناه.

معنى لفظ التأويل الوارد في سورة آل عمران[1]:

كثر الخلاف في آية التأويل من سورة آل عمران، وهي قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧]، ولفظ التأويل في هذه الآية يحتمل وجهين صحيحين، كلاهما حق، وهما واردان عن السلف.

المعنى الأول:

أن التأويل بمعنى التفسير؛ أي أن ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ في العلم يعلمون تفسيره، ويكون الوقف على هذا القول على قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ وتكون الواو عاطفة، وهذا ما عناه مجاهد (ت:١٠٤) من أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله، وعليه يكون المتشابه يمكن أن يعلمه الناس ويكون تشابهاً نسبياً؛ فما يُشكل على قارئ لكتاب الله قد يكون واضحاً عند غيره، والمرجع في ذلك إلى العلماء الراسخين في العلم.

المعنى الثاني:

أن التأويل ما تؤول إليه حقيقة الأشياء مما استأثر الله بعلمه من المغيبات؛ مثل أشراط الساعة، وما يتعلق بكيفية صفات الله تعالى، ويكون الوقف على هذا القول على لفظ الجلالة من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وتكون الواو مستأنفة، أي أن ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ جملة مستأنفة، ويكون المتشابه على هذا المعنى من المغيبات، التي لا يعلمها إلا الله ﷻ،

(١) ينظر في معنى هذه الآية ولفظ التأويل فيها: تفسير الطبري ج٦ ص ١٦٩، دقائق التفسير لابن تيمية ج١ ص٣٢٩، تفسير ابن كثير ج٢ ص٦، أضواء البيان للشنقيطي ج١ ص١٨٩، مفهوم التفسير والتأويل ص ١٢٨.

وتأويلها معرفة حقيقتها وكيفيتها، فالتشابه فيها كلي، لا يمكن لأحد إدراكه، ويتعلق بالوقت والكيفية، أمّا ظاهر المعنى فواضح، لأن الله لا يخاطب الناس إلا بما يعقلون.

هذان المعنيان في الآية هما الواردان عن السلف، لم يأت شيء عنهم مما ذكره بعض المتأخرين في معنى التأويل في هذه الآية، فقد اضطربوا في فهمها، وتعددت آراؤهم تبعاً لاختلافهم في معنى

التأويل، قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «... وتجد هؤلاء حائرين في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ حيث ظنوا أن المراد بالتأويل صرف النصوص عن مقتضاها»[(١)].

التأويل في اصطلاح المتأخرين:

ظل المعنيان السابقان للتأويل هما المعنيان المعروفان عند السلف من الفقهاء والمفسرين وأهل اللغة[(٢)]، ولم يرد عنهم غيرُ هذين المعنيين، إلى أن طرأ تعريف ثالث مُحْدَث عند

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ج ٥ ص٣٨٠.

(٢) وقد يقال: إن بعض معاجم اللغة تذكر أن معنى التأويل هو (صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به)، ويرد عليه بأن هذا المصطلح لا يوجد في كتب اللغة في القرن الرابع الهجري مثل تهذيب اللغة للأزهري، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، وإنما ظهر هذا المصطلح لاحقا، فقد نقله ابن منظور(ت:٧١١) في لسان العرب عن ابن الأثير (ت:٦٠٦) وغيره، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، له ج١ ص٨٠، ونقله الزبيدي (ت:١٢٠٥) عن السيوطي (ت:٩١١) وغيره، ينظر: حاشية العطار على جمع الجوامع لحسن العطار ج٢ ص٨٨، وهذه النقول ليست من تحرير اللفظ في اللغة، بل نقلاً لمراد الأصوليين من اللفظ، وعلى فرض نقلها ودخولها في كتب اللغة، فإن العلماء اشترطوا شرطاً لقبول التأويل، وقد نص على ذلك السيوطي في جمع الجوامع، التي نقل منها علماء اللغة، وإذا اختلت هذه الشروط فلا يكون التأويل صحيحاً. ينظر: التأويل خطورته وآثاره لعمر الأشقر ص١٢.

بعض المتأخرين، وهو: «صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لقرينة تدل عليه»[(١)].

وهذا التعريف للتأويل على قسمين:

١- إن كان صرف اللفظ عن معناه الظاهر لدليل صحيح من (الكتاب، أو السنة الصحيحة، أو إجماع الأمة)، وتوفرت فيه شروط التأويل الصحيح التي نص عليها العلماء، فحينها يكون داخلاً في المعنيين السابقين للتأويل؛ فإما أن يكون تفسير للنص وكشف لبيان المعنى، أو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فهو بنفس المعنى الذي أراده السلف من التأويل، وهو ما يتميز به الراسخون في العلم، الذين يستنبطون الأحكام والمعاني الخفية من النصوص، ويكشفون أسرارها، ويوفّقون بين موهم التعارض بينهما.

يقول الآمدي (ت:٦٣١): «والحق في ذلك أن يقال: أما التأويل من حيث هو تأويل مع قطع النظر عن الصحة والبطلان: هو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه، مع احتماله له. وأما التأويل المقبول الصحيح فهو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه، مع احتماله له بدليل يعضده»[(٢)].

ويقول الزركشي (ت:٧٤٩): «التأويل في الاصطلاح: صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى يحتمله، ثم إن حُمل لدليل فصحيح، وحينئذ فيصير المرجوح في نفسه راجحاً»[(٣)].

فهذه قاعدة معروفة: أنه لا يجوز صرف شيء من كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ عن ظاهره إلا بدليل يجب الرجوع إليه.

---

(١) البرهان في أصول الفقه للجويني ج١ ص٣٣٦، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج٣ ص٥٣، روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي ج١ ص١٧٨، مفاتيح الغيب للرازي ج٧ ص١٤٦،مجموع الفتاوى ج٧ ص٤١٢، شرح العقيدة الطحاوية ج١ ص٢٣٥، إرشاد الفحول للشوكاني ص٢٩٨، مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي ص٢١٢.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج٣ ص٥٩.

(٣) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ج٣ ص٢٦، بتصرف.

٢-أما إذا صُرِفَ اللفظ عن المعنى الظاهر له إلى ما يخالفه من غير دليل فهذا تأويل باطل، وأحرى بأن يسمى تحريفاً، وهو الذي ذمه العلماء، ولم يرد عن أحد من السلف، قال ابن تيمية (ت:٧٢٨): «وتسمية هذا تأويلاً لم يكن في عُرف السلف، وإنما سَمّى هذا وحده تأويلاً؛ طائفة من المتأخرين الخائضين في الفقه وأصوله والكلام... فإنّ هذا التأويل في كثير من المواضع أو أكثرها وعامتها من باب تحريف الكلم عن مواضعه من جنس تأويلات القرامطة[1] والباطنية، وهذا هو التأويل الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذَمّه، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض، ورموا في آثارهم بالشهب»[2].

وقال تلميذه ابن القيم (ت:٧٥١): «فتأويل التفسير هو الحق، وتأويل التحريف هو الباطل، فتأويل التحريف من جنس الإلحاد؛ فإنه هو الميل بالنصوص عمّا هي عليه: إما بالطعن فيها، أو بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها... فالتأويل الباطل هو إلحاد وتحريف، وإن سمّاه أصحابه تحقيقاً وعرفاناً وتأويلاً»[3].

هل لهذا التأويل عند المتأخرين حد يقف عنده؟

إذا علمنا أن الذي يتأوّل بلا دليل صحيح ليس له حجة إلا أن اللفظ يحتمل هذا المعنى، فإنه كما يرى هو هذا الاحتمال فإن غيره يسوغ له أن يبتدع احتمالاً آخر، كما ساغ للأول فتح الباب في أن يقول في النصوص ما لم يرده الشارع منها، فتنتهي بهم احتمالاتهم إلى تحريف كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ[4].

---

(١) القرامطة حركة باطنية هدّامة، تنتسب إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعب، ويلقب بقرمط لقصر قامته، وهو من خوزستان في الأهواز، ثم رحل إلى الكوفة، وكان ظاهر الحركة التشيع لآل البيت فتسترت به، وحقيقتها الإلحاد والإباحية والقضاء على الدولة الإسلامية. ينظر: بغية الطلب في تاريخ حلب لكمال الدين أبي جرادة ج٢ ص ٢٩٢، نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري ج٢٥ ص١١١.

(٢) مجموع الفتاوى ج٤ ص٦٩.

(٣) الصواعق المرسلة ج١ ص٢١٧.

(٤) ينظر: الفتح المبين بالرد على عبد الله الغماري لكتاب الأربعين لعلي الفقيهي ص٣٨، مفهوم التفسير ص١٢٢.

يقول ابن قدامة المقدسي (ت:٦٢٠): «فإنّ أكثر ما عند المتأوّل أن هذه اللفظة تحتمل هذا المعنى في اللغة، وليس يلزم من مجرد إحتمال اللفظ أن يكون مراداً به، فإنه كما يحتمل هذا المعنى يحتمل غيره، وقد يحتمل معاني أخر لا يعلمها» [1].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١): «وهذه حال أصحاب التأويل، كل واحد منهم يؤوّل الشرع تأويلاً غير ما أوّله غيره، زاعماً أن تأويله هو الذي قصده الشرع حتى تمزق الشرع كل ممزق وبعد جداً عن موضوعه الأول»[2].

وزد على هذا أن القاعدة عند هؤلاء فيما يجوز تأويله وما لا يجوز: ما خالف المذهب وما وافقه، فما خالفهم بادروا لرده بالتأويل، وما يرونه لا يطرقه التأويل، قال ابن القيم (ت:٧٥١): «فهذا في الحقيقة هو عيار التأويل عند الفرق كلها... ضابط ما يتأول عندهم وما لا يتأول ما خالف المذهب أو وافقه، ومن تأمّل مقالات الفرق ومذاهبها رأى ذلك عياناً»[3].

شواهد في تمسك أهل الأهواء في معنى التأويل الباطل:

الأمثلة كثيرة جداً بعدد ما ابتدعه أهل الأهواء، فما من فرقة من الفرق المخالفة لمنهج السنة والجماعة إلا وقد ضربت بسهم وافر في تأويل التحريف لصياغة ما ينتمون إليه من باطل، وكل فرقة تتأول مذهب الفرقة الأخرى، متمسكين بدعوى التأويل بزعمهم الباطل، ومن شواهد ذلك:

* قال الدارمي (ت:٢٨٠): «وبلغنا أن بعض أصحاب المريسي[4] قال له: كيف تصنع

---

(١) تحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة المقدسي ص٥١.

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم ج٤ ص٢٥٣، بتصرف.

(٣) الصواعق المرسلة ج١ ص٣٢.

(٤) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة أبو عبد الرحمن المريسي، جهمي من أصحاب الرأي والكلام، مما ساء أهل العلم ورغب الناس عنه، مات سنة ٢١٨هـ، ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبدالقادر بن أبي الوفاء ج١ ص١٦٤، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٧ ص٥٦، ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ج٢ ص٨٦٨.

بهذه الأسانيد الجياد التي يحتجّون بها علينا في رد مذاهبنا مما لا يمكن التكذيب بها؟... قال: فقال المريسي: لا تردوه فتفتضحوا، ولكن غالطُوهم بالتأويل، فتكونوا قد رددتموها بلطف، إذ لم يمكنكم ردها بعنف»(١).

* قال الرازي (ت:٦٦٠) وهو يبيّن تمسكه بالتأويل: «المصير إلى التأويل أمر لابد منه لكل عاقل، وعند هذا قال المتكلمون لما ثبت بالدليل أنه سبحانه وتعالى منزه عن الجهة والجسمية. وجب علينا أن نضع لهذه الألفاظ الواردة في القرآن والأخبار محملاً صحيحاً لئلا يصير ذلك سبباً للطعن فيها»(٢).

وغيرها من الشواهد كثير.

ولما رأى علماء هذه الأمة من الأئمة الأعلام تسلط المحرفين على نصوص الكتاب والسنة بدعوى التأويل الباطل وضعوا شروطاً وضوابط يميز فيها التأويل الصحيح، والتأويل الباطل؛ تأويل التحريف. يقول الآمدي:(ت: ٦٣١): «وإذا عرف معنى التأويل فهو مقبول معمول به إذا تحقق بشروطه، ولم يزل علماء الأمصار في كل عصر من عهد الصحابة إلى زمننا عاملين به من غير نكير»(٣).

وقال ابن القيم (ت:٧٥١): «فنحن لا ننكر التأويل، بل حقيقة العلم هو التأويل، والراسخون في العلم هم أهل التأويل، ولكن أي التأويلين؟ فنحن أسعد بتأويل التفسير من غيرنا، وغيرنا أشقى بتأويل التحريف منا»(٤).

---

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله ﷻ من التوحيد للدارمي ج٢ ص ٨٦٨.

(٢) أساس التقديس في علم الكلام لفخر الدين الرازي ص٦٩، ٧٠.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج٣ ص٦٠.

(٤) الصواعق المرسلة ج ١ ص ٢١٩.

شروط التأويل:

الأصل في النصوص عدم التأويل، فهو خلاف للأصل من إمرار النصوص على ظاهرها، فلا يُلجأ للتأويل إلا لضرورة علمية، ولا يُلجأ إليه إلا بدليل صحيح وفق الشروط التي نص عليها العلماء[١]، أذكرها مجملة فيما يلي:

١-أهلية الناظر في الأمر، وتوفر شروط الاجتهاد فيه، وتجرده للحق.

٢-أن يكون هناك موجب للتأويل.

٣-أن يكون المعنى مما يسوغ تأويله، فلا يجوز تأويل النصوص التي استأثر الله بعلمها؛ مثل كيفية صفات الله تعالى وحقائق اليوم الآخر، وقد أفرد الزركشي: (ت:٧٩٤) فصلاً بعنوان (فيما يدخله التأويل) في كتابه البحر المحيط في أصول الفقه[٢].

٤-أن يكون النص قابلاً للتأويل، فيمتنع تأويل النص الذي لا يحتمل غير معنى واحد، وهو الغالب في نصوص الوحيين.

٥-احتمال اللفظ المصروف عن ظاهره للمعنى المصروف إليه في ذلك التركيب الذي وقع فيه، وإلا كان كذباً على اللغة قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «... الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربي، ولا يجوز أن يُراد بشيء منه(أي اللفظ المؤول) خلاف لسان العرب... وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أي لفظ بأي معنى سنح له وإن لم يكن له أصل في اللغة»[٣].

٦-مراعاة تركيب الكلام وسياق الكلام عند التأويل.

---

(١) ينظر في هذه الشروط: البرهان في أصول الفقه ج١ ص٣٣٦، الإحكام ج٣ ص٦٠، روضة الناظر ج١ ص٢٣٥، الصواعق المرسلة ج١ ص ١٨١، الموافقات للشاطبي ج٣ ص٩٩، مذكرة في أصول الفقه، ص ٢١٣، جناية التأويل الفاسد ص١٣.

(٢) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ج٣ ص٢٦، إرشاد الفحول للشوكاني ص٢٩٩.

(٣) الرسالة المدنية ضمن مجموع الفتاوى ج٦ ص ٣٦٠.

٧-أن يقوم الدليل من (الكتاب، أو السنة الصحيحة، أو إجماع الأمة) على ذلك التأويل، وإلا كان تحريفاً لا تأويلاً، قال ابن حزم الظاهري (ت:٤٥٦): «ومن حال نصاً عن ظاهره بغير برهان فقد ادّعى أن النص لا بيان فيه، وقد حرَّف كلام الله تعالى ووحيه إلى نبيه ﷺ عن موضعه، وهذا عظيم جداً، مع أنه لو سلم من هذه الكبائر لكان مدعياً بلا دليل»[(١)].

٨- سلامة دليل التأويل من المعارض المقاوم.

يقول شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «لابد من أن يسلم الدليل الصارف عن المعارض، وإلا فإذا قام دليل قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة مرادة امتنع تركها»[(٢)].

مثال: التأويل الصحيح الذي توفرت فيه الشروط:

تأويل النسيان بالترك من الهداية والرحمة من قوله تعالى: ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة:٦٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ﴾ [الجاثية: ٣٤]، وغيرهما من الآيات التي فيها نسبة النسيان إلى الله ﷻ، فقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما (ت: ٦٨) وغيره أن النسيان هو الترك[(٣)]، وقد دّل الدليل على امتناع النسيان على الله كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم:٦٤]، وقوله: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢]، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم:٦٤]، فلذلك جاز حمل الآية على هذا المعنى.

تطبيق الشروط على المثال:

١-لم يلجأ إلى التأويل في هذه الآيات إلا لحاجة دفع المتوهم من ظاهر النص، وهو نسبة النسيان إلى الله ﷻ.

٢-قيام الدليل القاطع على تأويل النسيان بأنه الترك بأدلة صحيحة لا يعارضها أي دليل؛

---

(١) النبذة الكافية في أحكام أصول الدين لابن حزم الظاهري ص٣٧، بتصرف يسير.

(٢) مجموع الفتاوى ج٦ ص٣١٦.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ج١٤ ص٣٣٧، ج١٨ ص٢٢٢، ج٢٢ ص٨٧، التوضيحات الأثرية ص٢٥٤.

مثل الآيات التي تنفي النسيان عن الله تعالى، والآيات التي جاء فيها النسيان بمعنى الترك[١]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

٣-هذا التأويل وارد في اللغة، وليس غريباً في اللسان العربي[٢].

٤-سياق الآيات وتركيب الكلام يتوافق مع هذا التأويل.

٥-هذا النص يجوز أن يصرف عن ظاهره، إذ فيه ما يوهم معنى لا يليق بالله ﷻ.

٦-هذا التأويل باتفاق أئمة السلف الأعلام الذين هم أهل للنظر في التأويل والاجتهاد[٣].

التأويل الفاسد:

بعد التعرف على التأويل الصحيح بشروطه في ضوء أقوال السلف صار من السهل تمييز التأويل الفاسد، إذ المتبادر إلى الذهن أن ما اختل فيه شرط من شروط التأويل الصحيح فهو فاسد مردود. والتأويل الفاسد نوعان:

الأول: صرف اللفظ عن ظاهره: لدليل بعيد، أو عن اجتهاد خاطئ، وشبهة دليل، ويمثل له العلماء بتأويل أبي حنيفة (ت: ١٥٠) (للمرأة) في الحديث (أيّما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ثلاثاً...الحديث)[٤].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج١٤ ص ٣٣٧.

(٢) ينظر: مختار الصحاح ج١ ص٢٤٧، لسان العرب ج١٥ ص٣٢٢، تاج العروس ج٤٠ ص٧٦.

(٣) جميع تفاسير أهل السنة والجماعة على هذا التفسير ينظر: تفسير الطبري ج١٤ ص٣٣٩ تفسير ابن أبي حاتم ج٦ ص١٨٣٢، تفسير السعدي ص٣٤٣. وقد وافقهم كثير من المخالفين على هذا التفسير، ينظر: تفسير الكشاف ج٢ ص٢٧٤، مفاتيح الغيب للرازي ج١٦ ص١٠١، تفسير البيضاوي ج٣ ص ١٥٦.

(٤) أخرجه الشافعي في مسنده ص ٢٢٠، الحميدي في مسنده ج ١ ص ١١٢ برقم ٢٢٨، أحمد في المسند ج٦ ص١٦٥ برقم ٢٥٣٦٥، الدارمي في سننه ج٢ ص١٨٥ برقم ٢١٨٤، أبوداود في سننه ج٢ ص٢٢٩ برقم ٢٠٨٣، الترمذي ج ٣ ص ٤٠٨ برقم ١١٠٢، البيهقي في سننه الكبرى ج٧ ص ١٣٨ برقم ١٣٥٦٩ كلهم بألفاظ متقاربة، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٧٠٩.

بالمرأة الصغيرة، فذهب إلى أنه لا يشترط الولي في النكاح، ويجوز للمرأة البالغة العاقلة تزويج نفسها، واحتج بالقياس على البيع؛ فإنها تستقل به[١]، وهذا القول مخالف لجمهور أهل العلم[٢]، وقد ردّ العلماء على هذا القول ببراهين واضحة، تبّين فساد هذا التأويل ومنها:

ما قاله أبو المعالي الجويني (ت:٤٧٨): «وقد تعرّض أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه لذكر محامل وتأويلات ونحن نشير إلى وجوهها على إيجاز... قال قائلون: الحديث محمول على الصغيرة. فأُنكر عليهم، وقيل لهم: ليس الصغيرة امرأة في حكم اللسان، كما ليس الصبي رجلاً..»[٣].

ومن الردود ما قاله ابن تيمية (ت:٧٢٨): «جمهور العلماء يقولون: النكاح بغير ولي باطل، يعزرون من يفعل ذلك اقتداء بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا مذهب الشافعي وغيره، بل طائفة منهم يقيمون الحد في ذلك بالرجم وغيره»[٤].

وقال أيضا: «دل القرآن في غير موضع، والسنة في غير موضع، وهو عادة الصحابة، إنما كان يزوج النساء الرجال، لا يعرف عن امرأة تزوج نفسها، وهذا مما يفرق فيه بين النكاح ومتخذات أخدان؛ ولهذا قالت عائشة: (لا تزوج المرأة نفسها؛ فإن البغي هي التي تزوج نفسها)»[٥].

---

(١) ينظر: فتح الباري ج٩ ص ١٨٧، عون المعبود لمحمد آبادي ج٦ ص ٧١، نيل الأوطار للشوكاني ج٦ ص ٢٥١.

(٢) ينظر: المراجع السابقة، بالإضافة إلى الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني لابن قدامة المقدسي ج٧ ص٣٣٧.

(٣) البرهان في أصول الفقه لأبي المعالي الجويني ج١ ص٣٣٩، بتصرف.

(٤) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ج٤ ص ٧٥.

(٥)كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ج٣٢ ص١٣١، وقول عائشة، أخرجه ابن ماجه في السنن ج١ ص٦٠٦ برقم ١٨٨٢، الدارقطني في سننه ج ٣ ص ٢٢٧ برقم ٢٥، البيهقي في سننه الكبرى ج٧ ص١١٠ برقم ١٣٤١٣، قال البوصيري في مصباح الزجاجه ج٢ ص ١٠٤: «هذا إسناد مختلف فيه»، وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي ج٤ ص ١٩٢: «قال ابن كثير: الصحيح وقفه على أبي هريرة»، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم ٦٢١٤.

وممن ردّ هذا التأويل الفاسد ابن حجر (ت:٨٥٢) في الفتح بقوله: «والأحاديث المذكورة ترفع هذا القياس، وتدل على اشتراط الولي في النكاح دون غيره، ليندفع عن موليته العار باختيار الكفء»[(١)].

وقال الشوكاني (ت:١٢٥٠) في معرض رده لهذا التأويل الفاسد، بعد أن ذكر الأحاديث في اشتراط الولي في النكاح قال: «ولكنه قياس فاسد الاعتبار»[(٢)]، يعني قياس الحنفية في الزواج على البيع.

وبهذا يتبين عدم قبول العلماء لهذا التأويل الفاسد[(٣)]، ورفضهم لصرف النصوص عن ظاهرها، بأدلة فاسدة، وقد اختلت الشروط السابقة في قبول التأويل، فهو تأويل مردود لا يقبل في فهم نصوص الكتاب والسنة.

الثاني: من أنواع التأويل الفاسد صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المرجوح، بلا دليل أصلاً، وهذا ما سماه العلماء لعباً، ومثاله: تحريفات الفرق المبتدعة والضالة لنصوص الكتاب والسنة، فإنما هو صرفٌ للنصوص عن ظواهرها بلا دليل، بل اتباع للهوى وإلحاد عن الحق، وهو تهجم على الشرع، حيث لا يجوز صرف النصوص عن ظواهرها إلا بدليل صحيح، وقد خلت تأويلاتهم من الأدلة، بل إن كل الأدلة الصحيحة تعارضها. فهو كما سبق تقريره تحريف لا تأويل.

ومن أخطر ما خاض فيه متأولة الباطل أسماء الله تعالى وصفاته، وهي مما لا يسوغ تأويله أصلاً. فحرَّفوا معانيها، وكيَّفوا حقيقتها، وعطَّلوا مدلولها بدعوى التأويل، وهم يتأولون أسماء الله ﷻ وصفاته العُلى على خلاف ما عُلِمَ من سلف الأمة في إمرارها كما هي دون خوض في كيفيتها، قال الذهبي (ت: ٧٤٨): « قد فسّر علماء السلف المهم من

---

(١) ينظر: فتح الباري ج٩ ص ١٨٧.

(٢) نيل الأوطار ج٦ ص ٢٥١.

(٣) ينظر: الموسوعة الفقهية ج٢ ص ٣٨٨، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية ج١٨ ص٢٦٩، مجلة البحوث الإسلامية ج٢١ ص ٣٦٧.

الألفاظ وغير المهم وما أبقوا ممكناً، وآيات الصفات وأحاديثها لم يتعرضوا لتأويلها أصلاً، وهي أهم الدين فلو كان تأويلها سائغاً أو حتماً لبادروا إليه، فعلم قطعاً أن قراءتها وإمرارها على ما جاءت هو الحق، لا تفسير لها غير ذلك، فنؤمن بذلك ونسكت اقتداءً بالسلف، معتقدين أنها صفات لله تعالى، استأثر الله بعلم حقائقها، وأنها لا تشبه صفات المخلوقين، كما أن ذاته المقدسة لا تماثل ذوات المخلوقين فالكتاب والسنة نطق بها، والرسول ﷺ بلغ، وما تعرض لتأويل مع كون الباري قال: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] فعلينا الإيمان والتسليم للنصوص»[(١)].

مثال التأويل الباطل في أسماء الله وصفاته:

تأويل التحريف هو موضوع البحث، وقد أفردت لأمثلته القسم التطبيقي، وستكرر الأمثلة عليه في أكثر من موضع، وأكتفي هنا بذكر مثالٍ يبين اختلال شروط التأويل في تأويلات المبتدعة أهل التحريف.

تأوّلت كثير من الفرق[(٢)] المفارقة لمنهج السلف صفة الاستواء تأويلاً مُحَرَّفاً، والاستواء قد ورد ذكره في سبع سور من كتاب الله العزيز؛ أولاها سورة الأعراف من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله تعالى في سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ

---

(١) سير أعلام النبلاء ج١٠ ص٥٠٦.

(٢) قال بهذا التفسير الجهمية، والرافضة، والزيدية، والمعتزلة، وتبعهم عليه جملة من متأخري الأشاعرة، وغيرهم ممن تأثر بهم في هذا التفسير، ينظر: على سبيل المثال تفسير الكشاف ج٣ ص ٥٤، تفسير مفاتيح الغيب للرازي ج١٤ ص٨٣، تفسير البيضاوي ج١ س٢٧٤، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ج٣ ص ٢٤٦، وممن تأثر بهذا التأويل النسفي في تفسيره ج٢ص٢٠٩، ينظر: التفسير اللغوي لمساعد الطيار ص ٥٤٠.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس:٣]، وفي الرعد قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢]، وورد لفظ الاستواء في طه من الآية: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وفي الفرقان قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩]، وفي السجدة من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة:٤]، وقال تعالى في سورة الحديد: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد:٤].

وجميع الآيات صريحة في إثبات صفة الاستواء، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة: الإيمان به من غير تحريف لمعناه أو خوض في كيفيته، قال الإمام مالك (ت:١٧٩): «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[(١)].

ومفسّرو الصحابة والتابعين؛ على أن استوى بمعنى علا وارتفع[(٢)]، دون تنازع يُذكر، قال أبو عُمَر الطَلَمَنْكي[(٣)] (ت:٤٢٩): «أجمع المسلمون من أهل السنة أن الله فوق

---

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات عن مالك وشيخه ربيعة الرأي ج ٢ ص ٤١٠، ٤١١، وفي الاعتقاد ص ١١٦ وينظر: ذم التأويل، لابن قدامة المقدسي برقم ١١، وفتح الباري ج١٣ ص ٤٠٦.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج١ ص٤٢٨، تفسير ابن أبي حاتم ج٦ ص ١٩٢٥، تفسير السمرقندي (بحر العلوم) ج١ ص٥٣٦، التسهيل في علوم التنزيل لمحمد الكلبي ج٢ ص١٠٤، تفسير ابن كثير ج٣ ص٤٢٦، الدر المنثور للسيوطي ج٣ ص٤٧٣، أضواء البيان ج٢ ص١٨.

(٣) هو أحمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي، وطلمنكة في الأندلس، مقرئ حافظ، كان رأساً في علم القرآن والتفسير، وعلم الحديث والديانات، ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي ج١ ص١٣٨٥، طبقات المفسرين للسيوطي ص٢٩.

فوق السماوات بذاته، مستوٍ على عرشه كيف شاء، وهذا لفظه في كتابه»[(١)].

لكن المبتدعة حرفوا معنى الاستواء بدعاوى باطلة، منها: أن فيه تشبيهاً لله ﷻ بمخلوقاته من الملوك الذين يحتاجون للأَسِرَّةِ، وفيه تجسيم لله ﷻ، وغيرها من التبريرات الباطلة، فإن أهل السنة والجماعة أكثر تنزيهاً لله ﷻ.

وهم أمام هذه النصوص التي لا يمكن أن يغيروا لفظها لجؤوا لتأويلها، تأويلاً باطلاً، فقالوا: استوى بمعنى استولى على الملك، وعمدتهم في ذلك البيت المشهور:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف أودم مهراق[(٢)]

فصرفوا اللفظ في جميع آيات الاستواء عن ظاهرها الجلي لهذا الدليل الضعيف، وقد ردّ عليهم العلماء بأقوال شافية كافية منها:

١-أن هذا التفسير لم يفسّره أحد من السلف من سائر المسلمين من الصحابة والتابعين، بل هو مما ابتدعه أهل التأويل الباطل، قال أبو الحسن الأشعري (ت:٣٢٤): «وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية[(٣)]: إن معنى قول الله ﷻ: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، أنه استولى وملك وقهر... وجحدوا أن يكون الله ﷻ على عرشه، كما قال أهل الحق»[(٤)].

فهذا التأويل الباطل هو من ابتداع الفرق الضالة، ولم يقل به أحد من السلف.

٢-الاستيلاء يدل على أنه استولى بعد أن لم يكن، ففيه معنى المنازعة، والله ﷻ لم ينازعه أحد على عرشه. ولا يجوز معنى الاستيلاء إلا في حق من كان عاجزاً فظهر.

---

(١) نقلاً من تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان عبد الوهاب ص ٦٤٠.

(٢) ذكر هذا البيت بدر الدين العيني في عمدة القاري ج٢٥ ص ١١١، ابن منظور في لسان العرب ج١٤ ص ٤١٤، الحافظ ابن حجر في فتح الباري ج١٣ ص ٤٠٥.

(٣) الحرورية شرار خلق الله؛ طائفة من الخوارج، وسُموا بذلك لأنهم نزلوا حروراء بقرب الكوفة، ينظر: صحيح ابن حبان ج١٥ ص١٣٥، عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر العيني ج٢٤ ص٨٥.

(٤) الإبانة عن أصول الديانة لأبي حسن الأشعري ص ١٠٨.

٣-أما بيت الشعر فلم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي، وأنكره غير واحد من أئمة اللغة، وقالوا: أنه بيت مصنوع لا يُعرف في اللغة [(١)].

٤-العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى، وقد أنكره الخليل بن أحمد (ت:١٧٥) وهو إمام في اللغة، فقال: «هذا ما لا تعرفه العرب، ولا هو جائز في لغتها»[(٢)].

٥-أدّى هذا التأويل المنحرف ببعض المبتدعة لإنكار العرش وتفسيره بالملك وهو تحريف آخر، وقد ثبت العرش بالكتاب والسنة[(٣)].

وقد نقض ابن القيم (ت:٧٥١) هذا التأويل الباطل والتحريف لنصوص الاستواء من اثنين وأربعين وجهاً، فلم يدع رحمه الله لَمحرِّفٍ متعلّقاً... قال: «وهذا التأويل يبطل من وجوه كثيره.. لو لم يكن منها إلا تكذيب رسول الله ﷺ»[(٤)].

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ج٣ ص١٠٤، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج٣ ص٢١٣، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية ج٢ ص٣٣٥، البداية والنهاية لابن كثير ج٩ ص٧، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد لعبد القادر الدمشقي ص٥٢، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ الحكمي ج١ ص٣٥٩.

(٢) ذكره شيخ الإسلام في الفتاوى ج٥ ص١٤٦.

(٣) منها الحديث الصحيح عن عمران بن حُصَيْنٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(كان الله ولم يكن غيره، وكان عرشه على الماء... الحديث)** رواه البخاري في صحيحه، كتاب الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ [الروم: ٢٧] ج٣ ص١١٦٦ برقم ٣٠١٩، وأخرج البخاري في كتابه خلق أفعال العباد ج١ ص٤٢، عن جبير بن مُطعم عن النبي ﷺ قال: **(إن الله على عرشه فوق سماواته، وسماواته فوق أرضه مثل القبة)**.

(٤) الصواعق المرسلة ج١ ص١٩١، وللاستزادة في الردود على تحريف صفة الاستواء ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لهبة الله اللالكائي ج٢ ص١٩٣، العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها للذهبي ص٢٦٨، إثبات صفة العلو لابن قدامة المقدسي ص١٠٩، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم ج١ ص١٢٢، الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب لحمد التميمي ج٧ ص ٣٧٩.

تنبيه: آيات الأسماء والصفات وما ثبت فيها من أحاديث النبي ﷺ، مصدر العلم فيها النقل، وليس للعقل فيها مجال، ولم يرد خلاف عن السلف فيها بل اتفقت كلمتهم، وكلمة التابعين بعدهم على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها، وإثبات حقائقها.

وإذا كان هذا التأويل الباطل من أشهر ما خالف فيه المخالفون، ولهم فيه أقاويل متعددة، فماذا عن غيرها من التأويلات التي هي أقل شهرة منه؟ إنّ كل نتاج المخالفين للسلف الصالح من التأويلات المنحرفة هو بمثل هذه التمحلات وأكثر ضعفاً.

* ومن هنا يتبين الفرق بين تأويل التفسير، وتأويل التحريف، فهذا الأخير أخطر ما تعرض له الدين الإسلامي عبر تاريخه، وهو أصل كل فساد وفتنة، وأساس كل ضلالة وبدعة، ولولا ما منّ الله به من حفظ دينه لاعتراه من التحريف والتبديل ما اعترى غيره من الأديان السماوية، قال ابن القيم (ت:٧٥١): في ذم التأويل: «لو علموا أيّ باب شرٍّ فتحوا على الأمة بالتأويلات الفاسدة، وأيّ بناءٍ هدموا بها، وأيّ معاقل وحصون استباحوا لكان أحدهم أن يخرَّ من السماء إلى الأرض أحب إليه أن يتعاطى شيئاً من ذلك... فأصل كل خراب الدين والدنيا من التأويل الذي لم يرده الله ورسوله بكلامه، ولا دلّ عليه أنه مراده، وهل اختلفت الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل؟ وهل وقعت في الأمة فتنة كبيرة أو صغيرة إلا بالتأويل؟ وهل أريقت دماء المسلمين إلا بالتأويل» [١].

وما نراه في زماننا هذا من اختلاف وتفرق فهو امتداد لمصائب التأويل، فإنها تنمو وتتزايد على مر الأزمان.

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ج٤ ص ٢٤٩.

المبحث الثاني
نشأة التحريف

لم يحدث في عهد النبي ﷺ، ولا في عهد أبي بكر (ت: ١٣) وعمر (ت: ٢٣) وعثمان (ت: ٣٥) رضي الله عنهم تحريف في معاني النصوص ألبتة، وما كان يحصل من تساؤلات منكرة؛ فإنها تقمع في مهدها[١]، وقد تزامن التحريف مع ظهور الافتراق بين الأمة وخروج الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، وهذه الفُرقة في الدين لم تظهر في عهد النبي ﷺ ولا في عهد الخلفاء الثلاثة، وما حدث بين الصحابة من اختلاف في بعض المسائل الكبرى - كموت النبي ﷺ ودفنه، وقصة السقيفة، وحروب الردة[٢]، وفي بعض مسائل الأحكام والفرائض - كانت كلها خلافات تنتهي دون افتراق، فلم تشق لهم صفاً، ولم تُفسد لهم وداً، بل تنتهي إلى وفاق بسبب الاحتكام إلى الكتاب والسنة، وكان كل نزاع ينتهي إما بالإجماع، أو الأخذ بقول الأغلب، أو العمل بما عليه الإمام، أو كل يذهب إلى ما أدى إليه اجتهاده، ويعذر كل فريق الآخر دون افتراق أو خروج على المسلمين وأئمتهم[٣].

والخلاف بين السلف في التفسير قليل، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد[٤]، فهو ليس من قبيل الخلاف، بل إن تعدد أقوالهم يثري التفسير[٥]، ولا يؤدي بشيء منه إلى التحريف، وعليه فإن نشأة التحريف تتزامن مع نشأة

---

(١) ينظر: الأمثلة على ذلك في المبحث الثالث ص ٦٦، ٦٧.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ج٦ ص ٧٨، الإمامة والسياسية لابن قتيبة ج ١ ص ٧، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٣٥، معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني ج ١ ص ١٤٨، الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام لناصر العقل ص ٩.

(٣) ينظر: الخوارج للعقل ص ٢٥.

(٤) ينظر: شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية شرح مساعد الطيار ص ٥٩.

(٥) مثل تفسيرهم للصراط المستقيم، فمنهم من عبر عنه بالإسلام، ومنهم من عبر عنه بالقرآن، وغيرها من الأقوال المتقاربة، ينظر: تفسير الطبري ج ١ ص ١٦٦.

الفرق المخالفة لمنهج أولئك السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، فإن تلك الفرق كان لها السبق في دخول الآراء المنحرفة في فهم القرآن والسنة، وأفرزت هذه السموم في تفسير القرآن، وطوّعت كل فرقة آياته لما تعتقده، فأظهر ذلك انحرافاً في التفسير، ونتج عنه تفاسير محرفة لكل فرقة. ولهذا كان التلازم بين التحريف وبين الفرق المخالفة، إذ هو من إفرازاتها، فإنه بمعرفة تاريخ ظهور أوّل الفرق المخالفة يتم تحديد تاريخ التحريف في التفسير.

وأوّل فتنة في هذه الأمة، الفتنة على عثمان رضي الله عنه، ففي أواخر عهده أثار بعضهم الشكوى من ولاته، وتحولت هذه الشكاوى على يد بعض المنافقين إلى طعن في دينه رضي الله عنه، ثم قُتل مظلوماً على يد الفئة الظالمة بتدبير من أولئك المنافقين(١).

وبعد تولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت: ٤٠) الخلافة، حصل خلاف بسبب اختفاء قتلة عثمان رضي الله عنه في صفوف المسلمين.

ووقع بعض الخلاف بين الصحابة رضي الله عنهم لكنهم حسموه بواقعة التحكيم المعروفة، سيراً على منهجهم المعروف في فض النزاع والرجوع إلى الكتاب والسنة؛ ولكنه بعد التحكيم الذي جمع صفهم أعلن الخوارج شق هذا الصف والخروج عن اجتماع الصحابة، وكانت البداية الفعلية للافتراق في الأمة(٢) بظهور الخوارج والشيعة، فظهورهما كان متزامناً متلازماً، فالخوارج نصبوا العداء لعلي حين قَبِل بالتحكيم، وكفَّروه بقبول حكم الرجال كما زعموا، وأفرز هؤلاء الشيعة، فهم على طرف نقيض منهم، إذ أظهروا الولاء لعلي وغلوا فيه، ففتح خروجهم باب القتل والقتال بين المسلمين.

---

(١) وهي مكائد دبرها عبد الله بن سبأ وكان سبباً في ظهور الخوارج، كما سيأتي.

(٢) وعلى أثرها كانت وقعة صفين التي قاتل فيها عليّ الخوارج، وهزمهم رضي الله عنه، فدبروا له مكيدة فقتلوه على يد الشقي عبد الرحمن بن ملجم، ينظر: الفتنة ووقعة الجمل للأسدي ص ١١٠، وقعة صفين لابن يسار المنقري ص٢٤٣، الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٤٨، خصائص عليّ للنسائي ص٥٧٣.

فالخوارج كانت أولى الفرق ظهوراً[(١)]، قال شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨): «كان أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع الخوارج المارقون»[(٢)]، وقال: «وهاتان الطائفتان - الخوارج والشيعة - حدثوا بعد مقتل عثمان، وكان المسلمون في خلافة أبي بكر وعمر وصدراً من خلافة عثمان في السنة الأولى من ولايته، متفقين لا تنازع بينهم، ثم حدث في أواخر خلافة عثمان أمور أوجبت نوعاً من التفرق[(٣)]، وقام قوم منهم من أهل الفتنة والظلم فقتلوا عثمان، فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان، ولما اقتتل المسلمون بصفين، واتفقوا على تحكيم حَكَمَين[(٤)]، خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفارقوه، وفارقوا جماعة المسلمين إلى مكان يقال له حروراء»[(٥)].

وهناك من يجعل نشأة التحريف في نصوص القرآن والسنة على يد عبد الله بن سبأ اليهودي[(٦)]، الذي تستر بالتشيع وكاد للإسلام وأهله، وهذا التأريخ[(٧)] لا يتعارض مع ما ذكرناه تماماً، إلا أن الأكثر دقة أن يقال: إن مخططات عبد الله بن سبأ كانت موجودة قبل ظهور

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين ص ٨٦، الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٦٢، درء تعارض العقل والنقل ج ٦ ص ٢٢٢.

(٢) مجموع الفتاوى ج ٣ ص ٣٤٩.

(٣) لكن هذا التفرق لم يقع إلا بعد قَتْله أثناء خلافة علي بن أبي طالب كما بينه شيخ الإسلام في الفتاوى ج ٣ ص ٢٧٩، مقتل الشهيد عثمان للمالقي ص ٧٨.

(٤) سيأتي بعد أسطر ذكرٌ لهما.

(٥) مجموع الفتاوى ج ١٣ ص ٣٢.

(٦) يهودي من أهل صنعاء، أظهر الإسلام زمان عثمان وأراد الكيد للإسلام وخلطه باليهودية، فأثار الفتن حول عثمان، فهو الذي تسبب بخروج الخوارج، وهو أوّل من ابتدع الرفض، وقيل إن عليّاً حرّقه بالنار لما سمعه يقول لعلي: أنت الله والعياذ بالله، ينظر: فرق الشيعة للنوبختي ص ٢٢، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ج ٤ ص ٢٠٤، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ج ٤ ص ١٠٥، المغني في الضعفاء ج ٢ ص ٣٣٩، كلاهما للذهبي، وقد اختلف المؤرخون في نسبه، وذلك نتيجة السرية التي أطبقها على نفسه لتغطية جرائمه ودسائسه.

(٧) ينظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي ص٢٩، التفسير اللغوي لمساعد الطيار ص٥٠١.

الفُرقة بين المسلمين على يد الخوارج، لكنه لم يُفصح عنها[١]، وبعد ظهور الخوارج كأوّل فرقة شقت وحدة المسلمين تزامن معه ظهور التشيع الذي يتستر به عبد الله بن سبأ اليهودي، فناسبه هذا الجو العَكِر لإعلان انحرافاته وإفراز سمومه اليهودية بين المسلمين، فالترتيب لظهور الشيعة هو الثاني بعد الخوارج، وإن كانتا متزامنتين خروجاً والثانية سبب لخروج الأولى في شوال عام ٣٧هـ[٢]، وبهذا العام يمكن التأريخ لنشأة التحريف، ففي هذا التأريخ خرجت طلائع التحريفات الأولى في تفسير القرآن على يد الخوارج والشيعة معاً.

ولنلقي الضوء على بعض السمات الرئيسة للخوارج والشيعة كأوّل فرقتين حرّفتا التفسير، والتعرف على شيء من تحريفاتهم.

الخوارج:

هي أولى الفرق التي خرقت لحمة المسلمين، وسُموا خوارج[٣]؛ لأن النبي ﷺ وصفهم بأنهم يخرجون على حين فرقة من المسلمين، فيخرجون على أئمة المسلمين، وعلى

---

(١) ومنها الطعن في عثمان رضي الله عنه وتأليب الثوار؛ من المنافقين والجهلة حديثي الإسلام وصغار السن عليه، لمّا عَلِم هذا اليهودي أن الخلاف بينهم يحقق له شق صفهم وخروجهم على ولاة أمرهم، لتذهب ريحهم، فكان ظهور الفرق الأولى (الخوارج والشيعة) امتداداً طبيعياً لهذه المؤامرات، رغم ما بينهما من تفاوت في العقائد والمناهج، إلا أنها من منبت واحد، وهكذا الفتن في كل زمان تنتج المتناقضات، وتنقلب فيها الموازين، ينظر: الخوارج للعقل ص ١٠.

(٢) هناك من يُسمي الخوارج السبئية وصفاً لسبب خروجهم وهي الفتنة التي أوقدها عبد الله بن سبأ، فهو سبب إثارة الخوارج، ينظر: الخوارج للعقل ص ٢٣.

(٣) وللخوارج ألقاب أخرى مثل: المحكمية لأنهم فارقوا جماعة المسلمين بسبب مسألة التحكيم، وأهل النهروان نسبة إلى المكان الذي قاتلهم فيه علي، والشراة لأنهم زعموا أنهم يشرون أنفسهم ابتغاء مرضاة الله في قتال المسلمين، والمارقة وهذا وصف النبي ﷺ بقوله: (**يمرقون من الدين**)، والمكفِّرة لتكفيرهم للمسلمين، والسبئية لأن منشأهم من الفتنة التي أوقدها ابن سبأ، وهذا وصف لمنشأهم وأصولهم، والناصبة لأنهم ناصبوا علياً رضي الله عنه وآله العداء، ينظر: الفرق بين الفرق ص ١٧، مجموع الفتاوى ج٧ ص ٤٨١، الخوارج للعقل ص ٢٢، ٢٣.

جماعتهم بالاعتقاد والسيف، وهذا وصف عام لكل من سلك سبيلهم إلى يوم القيامة[(١)]، وعرّف الشهرستاني (ت:٥٤٨) الخوارج بقوله: «كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يُسمى خارجياً، سواءً كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أوكان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان»[(٢)]. وأوّل خروج كان على علي بن أبي طالب ﵁، وقد أخبر النبي ﷺ عنهم كما سيأتي في نسب الخوارج[(٣)]، وكما أخبر عن الأوّلين فقد أخبر ﷺ عن المتأخرين، وأنهم يخرجون في آخر الزمان، وقد يخرجون في أيّ زمان، لّما كان اسم الخوارج يشمل كل من أخذ بأصولهم وسلك سبيلهم، قال ﷺ: **(سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السّهم من الرّمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة)**[(٤)].

واتفق الصحابة ﵃ على أن الخارجين بعد تحكيم الصحابة هم المعنيون في الخبر عنه ﷺ، واتفّقوا على وجوب قتالهم، قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «ولذلك اتفق على قتالهم الصحابة والأئمة»[(٥)].

وقال: «فلما شاع في الأمّة أمر الخوارج، تكلّمت الصحابة فيهم، ورووا عن النبي ﷺ الأحاديث فيهم، وبيّنوا ما في القرآن من الرد عليهم، وظهرت بدعتهم في العامّة»[(٦)].

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين ص ٨٦، الملل والنحل ج١ ص ١١٤، البداية والنهاية لابن كثير ج٧ص٢٧٩.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص ١١٤.

(٣) ينظر: ص٦٤ حاشية (٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم ج٦ ص ٢٥٣٩ برقم ٦٥٣١.

(٥) مجموع الفتاوى ج٧ ص ٤٨١.

(٦) المرجع السابق ج٧ ص ٤٨٤.

وقال أحمد بن حنبل (ت:٢٤١): «صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه»[١] وقد خرّجها مسلم في صحيحه، وخرّج البخاري طائفة منها[٢].

أوّل مقالة للخوارج أدخلت التحريف في التفسير[٣] وفرّقت الأمة.

يدور أوّل تحريف في فهم القرآن عند الخوارج على مسألتين، تجتمعان في أصل واحد هو: التكفير بالذنوب ولوازمه، أما المسألتان فهما:

المسألة الأولى: التَّحْكيمُ و الحُكْم:

فإنه حينما اتفق المسلمون على تحكيم الحكمين: أبي موسى الأشعري (ت:٤٤) من قِبَل عليّ (ت:٤٠) م، وعمرو بن العاص (ت:٤٢) من قِبَل معاوية (ت:٦٠) م، اعترضت الخوارج، وقيل: إن أوّل من أعلن ذلك الاعتراض عروة بن جرير[٤]، حين قال: (أتحكمون في دين الله الرجال؟)، ولكنها وإن كانت كلمة حق أُريد بها باطل كما وصفها عليّ رضي الله عنه إلا أنه تلقفها القرّاء الجهلة والأعراب وقتلة عثمان رضي الله عنه، وغيرهم[٥]، وكان هذا شعارهم الذي فارقوا به جماعة المسلمين، ونتج عنها التكفير بالمعاصي، وهي:

---

(١) مجموع الفتاوى ج٣ ص ٢٧٩، شرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى ج٢ ص ٤٠٥.

(٢) ينظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية ج٤ ص ٣٣٤.

(٣) في تفسير القرآن وفي الأحاديث الشريفة أيضاً لكننا نذكر المقصود بالبحث.

(٤) عروة بن جرير بن عامر بن عبد بن كعب بن ربيعة أوّل خارجي قال: لا حكم إلا لله يوم صفين، وقد تلقفها منه كثير من الجهلة فسُمّوا المحكمية، فبعث إليهم علي رضي الله عنه ابن عباس فناظرهم، فرجع أكثرهم، وبقي بقيتهم، فقاتلهم عليّ، ينظر: البداية والنهاية ج٧ ص٢٧٨، تاريخ ابن خلدون ج٢ ص٣٧٩.

(٥) ينظر: المدونة الكبرى لمالك بن أنس ج٣ ص ٤٩، السير لمحمد الشيباني ج١ ص ٢٢٨، ذم الكلام وأهله للهروي ج٤ ص ٢٤٩، فتح الباري ج١٢ ص ٢٨٨، الخوارج للعقل ص ٢٤، والأثر عن عليّ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الخوارج شر الخلق والخليقة ج٢ ص٧٥٠ برقم ١٠٦٦.

المسألة الثانية: التكفير:

تكفير علي ومعاوية والحكمين، ومن رَضِي بحكمهما، أخذاً بظاهر قوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٤٠]، [يوسف:٦٧]، ورتّبوا على ذلك جميع لوازم الكفر: من خلع بيعة الإمام، واستحلال دمه ومن وافقه، فكان منهم أن بايعوا عبد الله بن وهب الراسبي (ت:٣٧)[(١)] في ١٠/ ١٠/ ٣٧هـ وعلي معلن إماماً في الأمّة، وهذا أوّل افتراق كما سبق بيانه.

ويتضح من خلال المسألتين السابقتين الخلل في الاستدلال بالآية، لتوافق ما أرادوا من تكفير أهل التحكيم، وهذا تحريف في تفسير كتاب الله تعالى، وقد حدّد ابن عمر رضي الله عنهما (ت:٧٣) وجه هذا التحريف عندهم بقوله: (انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين)[(٢)]، ولهذا قال ابن حجر (ت:٨٥٢) عنهم: «ومن المعلوم أنهم لم يرتكبوا استحلال دماء المسلمين وأموالهم إلا بخطأ منهم فيما تأوّلوه من آي القرآن على غير المراد منه»[(٣)] وهذا هو التحريف بعينه.

فأوّل مقولة لهم في التحريف هي التكفير بالمعاصي[(٤)]، وإلحاق أهلها المسلمين بالكفار، قال ابن تيمية (ت:٧٢٨): «والخوارج هم أوّل من كفّر المسلمين، يُكفِّرون بالذنوب، ويُكفِّرون من خالفهم في بدعتهم، ويستحلون دمه وماله»[(٥)].

---

(١) عبد الله بن وهب الراسبي من بني راسب بن مالك بن أزد، من رؤوس الخوارج زائغ مبتدع هلك مع من هلك بالنهروان، ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج٥ ص ١٠٠، وله لسان الميزان ج٣ ص ٣٧٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، حديث الباب ج٦ ص ٢٥٣٩.

(٣) فتح الباري ج١٢ ص ٣٠٠.

(٤) وقد يكفّرونهم بما يرونه ذنباً وليس كذلك، ينظر: أمثلة تكفيرهم عند الفرق التي أفرزتها الخوارج مثل الإباضية والرافضة، من خلال تفسير هود الهواري، وتفسير الطباطبائي عند آية ٦، ٨، ١٩، ١٦٧، من سورة البقرة في القسم التطبيقي.

(٥) مجموع الفتاوى ج٣ ص ٢٧٩.

أبرز سماتهم ومعتقداتهم(١) :

١-التكفير بالمعاصي، أو بما يسمونه هم معصية، وإنكار الشفاعة.

٢-الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم، ومعاملتهم معاملة الكفار.

٣-صرف نصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى منازعة الأئمة وقتال المخالفين.

٤-ضعف الفقه في الدين، إذ إن أغلبهم من الجهلة والأعراب، وإن كان يظهر عليهم سيما الصالحين، كما وصفهم النبي ﷺ: (**يَحْقِر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم...الحديث**)(٢)، لكنهم يغلب عليهم الجهل والتعالم، وليس فيهم من الصحابة والعلماء وأهل الفقه في الدين أحد، كما قال ابن عباس (ت:٦٨): (وليس فيكم منهم أحد ـ يعني الصحابة ـ وهم أعلم بتأويله منكم)(٣).

٥-يُسيؤون فهم القرآن ولا يعملون بالسنة إذا خالفت أصولهم، وهم لا يستدلون بها، بل يقتصرون على القرآن غالباً، مع ما عندهم من خلل في فهمه.

٦-سرعة التقلب وتغيير الرأي، مما أحدث التنازع والتفرق بينهم.

٧-قُصر النظر والتعجل في إطلاق الأحكام والمواقف على المخالفين بلا تثبت، لأن أكثرهم من حدثاء الأسنان.

---

(١) ينظر: الشريعة للآجري ج١ ص ٣٦٣، التنبيه والرد للملطي ص ١٨٢، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة ج٣ ص ٢٠٠، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ج٨ ص ١٤٥٤، دلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص ١٨٧، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٢ ص ٣٥٨، منهاج السنة النبوية لابن تيمية ج٨ ص ٥٢٧، الخوارج للعقل ص ٣١.

(٢) في هذا الحديث إشارة لنسب الخوارج، حين قال ذو الخويصرة للنبي ﷺ اعدل في القسم، فقال النبي ﷺ نبوءته الصادقة بخروج الخوارج من نسب هذا الرجل وعقبه على الأوصاف التي ذكرها ﷺ والحديث في صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ج٣ ص ١٣٢١ برقم ٣٤١٤.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٢ ص ١٦٤ برقم ٢٦٥٦، البيهقي في السنن الكبرى ج٨ ص ١٧٩ برقم ١٦٥١٧، ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص ١٠٤.

٨-الحكم على القلوب واتهامها باللوازم والظنون.

٩-القوة والخشونة والغلظة والجفاء، لأن عامّتهم من الجهلة والأعراب.

ولم تكن الخوارج من الفرق الكلامية، ولكن مع اختلاط الفرق وتجاري الأهواء بهم ازدادت أصولهم، وتشعبت طرقهم، وتفرّعوا لفرق متعددة(١)، وتأثروا بالجهمية(٢)، والمعتزلة، ومتأخري الأشاعرة وغيرهم، حتى أصبحوا إحدى الفرق الكلامية، وهم أقرب لعقائد المعتزلة(٣)، ومن نتاجهم الذي وصل إلينا في تفسير كتاب الله تعالى، تفسير هود بن محكم الهواري (ت:٢٨٠) من الإباضية(٤) إحدى فرق الخوارج.

الشيعة:

الشيعة اسم يُطلق في بداية الأمر(٥) على من فَضَّلَ إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبنيه على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومن بعده من الأئمة، مع تفضيلهم إمامة أبي بكر الصديق

(١) عدّ أهل المقالات كبار فرق الخوارج سبع فرق وهي: المحكمة الأولى، والأزارقة، والنجدات، والثعالبة، والعجاردة، والأباضية، والصفرية، ولم تتجاوز أصولها الأولى مسائل معدودة مثل التكفير حتى تشعبت بهم الأهواء فبلغوا نحو عشرين فرقة، ينظر: مقالات الإسلاميين ص ١٢٧، الفرق بين الفرق ص ١٧.

(٢) الجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان المقتول سنة ١٢٨هـ على يد أمير خرسان؛ سلم بن أحوز، وقد ابتدع الإرجاء والجبر وتعطيل أسماء الله وصفاته، وجهم تلميذ الجعد بن درهم أول من ابتدع القول بخلق القرآن فقتله خالد القسري عام ١٢٤هـ، وأقوال الجهمية من أغلظ أقوال البدع، ينظر: الرد على الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل ص ٧، الرد على الجهمية للدارمي ص ٢١، سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٢ ص ١٢٩.

(٣) ينظر: البرهان للسكسكي ص ١٩، الموسوعة الميسرة ج٢ ص ١٠٥٣، الخوارج للعقل ص ٤٠.

(٤) ينظر: ترجمته والتعريف بالإباضية ص٢٩٦.

(٥) فرّق الذهبي في ميزانه بين التشيع في عهد السلف والتشيع عند المتأخرين، فعدّ الأول بدعة صغرى لا يرد معها الحديث،ولو رُدّ لذهب جملة من الآثار النبوية، وعدّ الثاني بدعة كبرى كالرفض والغلوَ فيه والحط على أبي بكر وعمر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وأصحاب هذه البدعة الكبرى لا يحتج بهم، ينظر: ميزان الاعتدال للذهبي ج١ ص ١١٨.

ﭬ، وعمر بن الخطاب ﭬ، إلى أن تدّخل بعض المتسترين بالإسلام من أمثال ابن سبأ اليهودي مؤجج نار الفتنة بين المسلمين، فأصبحت الاعتقادات الباطلة عند التشيع من الإمامة، والغلو في الأئمة، وادّعاء إمامة عليّ بعد النبي ﷺ، وتكفير غيره من الخلفاء الراشدين والصحابة المرضيين، وغيره من التحريفات علامة فارقة للشيعة عن غيرها من طوائف المسلمين، وكانوا ولا زالوا أسرع الفرق سعياً إلى الفتن في تأريخ الأمة قديماً وحديثاً، ولذلك انقسموا إلى فرق كثيرة،من أشهرها؛ الرافضة، والزيدية، والإسماعيلية، وغيرهم(١).

ولتمييز الشيعة المتأخرة الضالة عن الشيعة في الصدر الأول عدل السلف عن تسميتهم بالشيعة، وأطلقوا عليهم روافض(٢).

وحذر العلماء من هؤلاء الرافضة، وعدّوهم أخطر من الخوارج، قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «وهؤلاء الرافضة إن لم يكونوا شراً من الخوارج المنصوبين، فليسوا دونهم، فإن أولئك إنما كفّروا عثمان وعلياً، وأتباع عثمان وعلي فقط، دون من قعد عن القتال، أو مات قبل ذلك، والرافضة كفّرت أبا بكر وعمر وعثمان، وعامة المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان ﭫ، وكفّروا جماهير أمة محمد ﷺ، من المتقدمين والمتأخرين، فيكفّرون كل من اعتقد في أبي بكر وعمر والمهاجرين، والأنصار العدالة، أو ترضّى عنهم كما ﭫ، أو يستغفر لهم كما أمر الله بالاستغفار لهم، ولهذا يكفّرون أعلام الأمة... ويستحلّون دماء من خرج عنهم...»(٣).

---

(١) ينظر: فرق الشيعة للنوبختي ص ١١٢، الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني ص ٢٤١، منهاج السنة ج٢ ص٣٤، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لابن حجر الهيثمي ج٢ ص٣٨١، أصول مذهب الشيعة لناصر القفاري ج١ ص٥، الموسوعة الميسرة ج١ ص٥١.

(٢) ينظر: منهاج السنة ج١ ص ١٣.

(٣) مجموع الفتاوى ج٢٨ ص ٤٧٧.

وقال: «والرافضة أشد بدعة من الخوارج، وهم يكفّرون من لم تكن الخوارج تكفّره: كأبي بكر وعمر، ويكذّبون على النبي ﷺ والصحابة كذباً ما كَذَب أحد مثله...وهؤلاء أكذب وأجبن وأغدر وأذل»[١].

أوّل تحريف للرافضة:

كان أوّل تحريف لهم على يد الزنديق ابن سبأ اليهودي، لذا تجد تقارب بين عقائد اليهود والرافضة، ومما ابتدع لهم من اليهودية تحريف لمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥]، وفسّرها برجعة النبي ﷺ وعليّ بعد الموت[٢].

ونقل لهم من اليهودية أيضاً القول بالبداء[٣] وبعض الرافضة زادوا الطين بلة؛ فأجازوا النسيان على الله تعالى؛ ليُبَرّرُوا أخطاء أئمتهم الذين يكذبهم الواقع وهم

(١) منهاج السنة ج٥ ص ١٥٤.

(٢) ذكر هذا التحريف عن عبد الله بن سبأ، الطبري في تاريخه ج٢ ص ٦٤٧، والنوبختي في فرق الشيعة ص ٨٠، وابن الأثير في الكامل في التاريخ ج٣ ص ٤٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ج٢٩ ص ٢، وقد تناقلتها الرافضة وآمنوا بها، وإن كانوا قد تبرؤوا من عبد الله بن سبأ مؤخراً، ينظر: أصول مذهب الشيعة ج١ ص ١٦٨، ومن كتبهم ينظر: تفسير القُمي ج٢ ص ٧٦، تفسير العياشي ج١ ص ٢١٠، وقد ألّفوا في إثبات هذه العقيدة كتباً كثيرة في القديم والحديث، ينظر: بين الشيعة وأهل السنة لإحسان إلهي ظهير ص ١٤٥.

(٣) البداء عقيدة يهودية ادّعتها اليهود لإنكار رسالة النبي ﷺ، والقول بأنها ناسخة لشريعة موسى عليه السلام؛ لأنه يلزم منه البداء كما زعموا ويعنون بالبداء أن الله يظهر له مالم يكن يعلمه تعالى عما يقولون علواً كبيراً، ونقلها ابن سبأ وزادت عليه الرافضة جواز البداء على الله، ينظر: آية ١٠٦ من سورة البقرة في القسم التطبيقي، ومن كتبهم ينظر: الكافي للكليني ج١ ص ٣٢٧.

يدّعون أنهم يعلمون الغيب ويزعمون فيهم العصمة، ونقل لهم تَأْليه عليّ، مما دعا عليّ لقتله [١].

تحريف معاني القرآن:

يزعم غلاتهم أن القرآن الذي بين أيدينا محرّف [٢]، وهذا لا شك ردة كبرى، وابتدعوا مصحفاً يُسمّونه مصحف فاطمة [٣]، ومن لم يقل بالتحريف منهم سعى بالتحريف فيه، ووضع الروايات الباطلة في ذلك، وغير ذلك من منكرات الأفكار والعقائد التي وسّع بعض الرافضة بها الخرق على الأمة بعد الخوارج، وزادوا على الخروج على المسلمين وتكفيرهم أموراً أشد نكرا، أسهمت في تزايد التحريف، منها:

١ -لم تكتف غلاة الرافضة بالتأويل الباطل لبعض النصوص، كما هو عند الخوارج، بل زادت عليه بافتراء الكذب على الله ورسوله ﷺ، ونسبته لأئمتهم المزعومة، قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «ويكذبون على النبي ﷺ والصحابة كذباً ما كذب أحد مثله» [٤].

٢ - غَيّروا مصادر التلقي: الكتاب والسنة، بما يسمونه الأئمة المعصومة. والخوارج أسلم في مصادر التلقي، فأدلتهم من القرآن ولكنها محرّفة الفهم، واستدلالهم بالسنة ضعيف، ولكنهم لم يكذبوا على النبي ﷺ.

---

(١) درءاً للفتنة. ينظر: وقعة صفين ص ٢٣٤، خصائص عليّ ص ٥٧٣، الأنساب للسمعاني ج٣ ص ٢٠٩، الصواعق المحرقة ج١ ص ١٨٤، وينظر: ص٥٩.

(٢) ينظر: الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير ص٤٣، وينظر: من مراجعهم تفسير القمي ج١ ص٢٢، الكافي للكليني ج٢ ص ٦٣٤.

(٣) زعموا أنه نزل به جبريل عليه السلام بعد النبي ﷺ على فاطمة فكتبه عليّ رضي الله عنه، ينظر: أصول الشيعة ج١ ص ٢٨٣، الكافي ج١ ص ٢٤٠.

(٤) منهاج السنة ج٥ ص ١٥٤.

* وبالجملة فإن الرافضة كانوا عبر التأريخ أكثر ضرراً على المسلمين، وقد فتحوا باب التحريف في التفسير على مصراعيه، لمّا نهجوا في تفسير كتاب الله تعالى تلك العقائد، فأنتجوا تفاسير محرّفة مبنيّة على تلك العقائد المحرّفة.

وبدعة التحريف كغيرها من البدع أخذت تنمو وتتزايد، قال ابن تيمية: «فالبدع تكون في أولها شبراً، ثم تكثر في الأتباع، حتى تصير أذرعاً وأميالاً وفراسخ»(١)، فبعد خروج الخوارج والشيعة، وظهور مسألة التكفير ظهر بجانبها مسألة القدر، التي قال بها معبد الجهني (ت:٨٠)(٢) في آخر القرن الأول قرابة ٦٣هـ، وبدعتهم هذه في خلق الناس لأفعالهم، تلقفوها من بدع المجوس، ونقلوها بين المسلمين(٣).

وكثر الكلام حولها في آخر عهد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه (ت:٤٠)(٤). ثم ظهرت المرجئة في آخر القرن الأول كذلك، وقد أخرجوا العمل عن الإيمان وقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب(٥).

وفي أول القرن الثاني الهجري ظهر تعطيل أسماء الله وصفاته على يد الجعد بن درهم

---

(١) مجموع الفتاوى ج٧ ص ٣٨٥.

(٢) معبد بن خالد الجهني يكنى أبا روعة، ذكره الواقدي في الصحابة، وأنكر بعض المؤرخين أن يكون له صحبة، وقد اختلفوا في اسم أبيه أهو خالد أم غيره؟، ومعبد أول من تكلم بالقدر بالبصرة، نهى الحسن البصري عن مجالسته، وقال عنه: «ضال مضل»، ينظر: القدر للفرياني ص ١٦٥، أسد الغابة ج٥ ص٢٢٩، تهذيب الكمال للمزي ج١٨ ص٢١٣، المغني في الضعفاء للذهبي ج٢ ص٦٦٧، وينظر: الرد على بدعة القدر عند آية ٧، ٢٦ من سورة البقرة، وغيرهما في دراسة التحريفات.

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٩٨،٩٦، مجموع الفتاوى ج٧ ص ٣٨٤، ٣٨٦.

(٤) ينظر: الموسوعة الميسرة ج١ ص ٤٨.

(٥) ينظر: الملل والنحل ج١ ص ١٣٩، ١٤٤، وينظر: الرد عليهم في عدة آيات من القسم التطبيقي على التحريفات، آية ٣ من سورة البقرة على سبيل المثال.

(ت:١٢٤)[١] والجهم بن صفوان (ت:١٢٨)[٢]، ونادى هذا الأخير بالجبر في أول هذا القرن.

وفي طلائع المائة الثانية أيضاً، اعتزل واصل بن عطاء (ت:١٣١)[٣] بأفكاره الباطلة مجلس الحسن البصري، فكانت فرقة المعتزلة على يده.

(١) الجعد بن درهم مؤدِّب مروان هو أول من ابتدع أن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولا كلّم موسى عليه السلام، وأن ذلك لا يجوز على الله، قال المدائني: كان زنديقاً، وقد قال وهب: إني لأظنك من الهالكين لو لم يخبرنا الله أن له يداً وأن له عينا، ما قلنا ذلك. ثم لم يلبث الجعد أن صُلب. وهو ضال مضل، وله أخبار كثيرة في الزندقة. قال خالد بن عبد الله القسري وهو على المنبر يخطب الناس بواسط: أيها الناس ارجعوا فضحوا تقبل الله منكم إني مضح عنكم بالجعد بن درهم، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولا كلم موسى تكليما، وتعالى عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً، ثم نزل إليه فذبحه، ينظر: تهذيب الكمال ج٨ ص ١١٨، سير أعلام النبلاء ج٥ ص ٤٣٢ برقم ١٩٢، لسان الميزان ج٢ ص ١٠٥ برقم ٤٢٧، فتح الباري ج١٣ ص ٣٤٥.

(٢) الجهم بن صفوان ظهر بخرسان ودعا إلى تعطيل صفات الرب ﷻ والقول بخلق القرآن، وأصل هذه المقالة- مقالة التعطيل للصفات- إنما هو مأخوذ عن اليهود والمشركين وضُلاّل الصابئين، وأول من حُفِظَ عنه أنه قال هذه المقالات في الإسلام-مثل أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة، وأن استوى بمعنى استولى، ونحو ذلك هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجعد إليه. جاء في دواوين هشام بن عبد الملك إلى عامله بخرسان: أما بعد، فقد نجم قبلك رجل من الدهرية من الزنادقة يقال له: الجهم بن صفوان فإن ظفرت به فاقتله، وإلا فادسس إليه الرجال غيلة ليقتلوه. ينظر: تاريخ مدينة دمشق ج٥٣ ص ٢٧٢، مجموع الفتاوى ج٥ ص ٢٠، تذكرة الحفاظ ج١ ص ١٥٩، ١٦٠.

(٣) أبو حذيفة واصل بن عطاء المخزومي المعتزلي المعروف بالغزال أحد أئمة البلغاء المتكلمين في علم الكلام، بليغ أفوه وكان يلثغ بالراء غيناً، فلاقتداره على اللغة وتوسعه يتجنب الوقوع في لفظة فيها راء، عزله الحسن البصري عن مجلسه لمّا قال: مرتكب الكبيرة ليس مؤمنا ولا كافراً بل هو في منزلة بين المنزلتين، فسُمّي هو وأصحابه المعتزلة، وهذه الفرقة تعتد بالعقل وتقدمه على النقل، ينظر: الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ج٣ ص ١٨١، معجم الأدباء للحموي ج٥ ص ٥٦٧، سير أعلام النبلاء للذهبي ج٥ ص ٤٦٤.

وتعددت الفرق وأصبحت فرقاً متشعبة بتأثير ترجمة كتب الفلسفة اليونانية والهندية، ودخول الأعاجم في الإسلام[١]، وغيرها من الأسباب التي سيأتي بيانها في مبحث أسباب التحريف[٢].

وكردّة فعل ظهرت الأشاعرة والماتريدية[٣]، للتصدي للمعتزلة والردّ عليهم، ولكنهم استخدموا مناهج الفلاسفة والمتكلمين، مما كان له الأثر البالغ في أفكارهم وعقائدهم[٤].

وبتأمل هذه الفرق يعلم تحقق نبوءته ﷺ في افتراق الأمة بقوله: (**...وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة**)[٥]، وإن كان عدد الفرق يفوق ما ذكر في الحديث، إلا أن ما عناه النبي ﷺ عدد أصولهم، وتحته فرق كثيرة تفوق الاثنين والسبعين، وكل منهم يهذي ببدعة التحريف حتى كاد يكون في زمننا ظاهرة وسمة للمبتدعين[٦].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ج٧ ص ١١٩.

(٢) أسباب التحريف ص١٨٩.

(٣) فرقة كلامية تنسب إلى أبي منصور محمد الماتريدي الحنفي السمرقندي، و (ماتريد) محلة من سمرقند، وقد تأثر بالجهمية والمعتزلة والمرجئة، والماتريدية أقرب للأشاعرة في المعتقد، وقد خلّف أبو منصور تفسيره تأويلات أهل السنة المشمول بالبحث، ينظر: ترجمته والتعريف بمعتقده ج١ ص٢٧١، ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبد القادر بن أبي الوفاء ج١ ص٥٦٢.

(٤) ينظر: الموسوعة الميسرة ج١ ص ٤٨.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ج٣ ص ١٤٥ برقم ١٢٥٠١، ابن ماجه في سننه ج٢ ص ١٣٢٢ برقم ٣٩٩٣ واللفظ له، ابن أبي عاصم في السنة ج١ ص ٣٢ برقم ٦٣، أبو يعلى في مسنده ج٧ ص ٣٢ برقم ٣٩٣٨، الحاكم في مستدركه ج١ ص ٤٧ برقم ١٠، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ج٤ ص١٨٠ برقم ٤٠٤١: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات».

(٦) ينظر: تحريف المصطلحات ص ٢٠.

المبحث الثالث
جهود العلماء في كشف التحريف

تعهّد الله تعالى بحفظ كتابه فقال عزَّ شأنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩] ومن أصدق من الله قيلا، فقد أنجز وعده؛ وحفظ كتابه حتى وصل إلينا كما أنزل، رغم ما حاك له أعداء الدين منذ نزوله إلى يومنا هذا، وسيصل إلى من بعدنا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، محفوظاً بهذه المعجزة الإلهية الشاهدة على أن هذا القرآن من لدن عزيز حكيم، ومن مظاهر هذه المعجزة تسخير العلماء لخدمته بالحفظ والتصنيف بعلومه المختلفة، وتعليمه للناس على ما أراد الله ورسوله ﷺ، والتصدي لأعدائه من المحرفين أهل البدع والضلال، وتحذير الأمة منهم وكشف تحريفاتهم وإبطالها بالحجج الدامغة، وقد خاضوا هذه المعارك مع أهل التحريف متسلحين بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وهدي صحبه الكرام رضي الله عنهم وتابعيهم بإحسان، وهم في جهادهم هذا يمتثلون لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢] فعلموا أنه لا بد لهذا الدين من مجاهدين يذبون عنه بالكلمة، كما يذودون عنه بالسيف، بل نصّوا على أن جهاد العلماء أفضل الجهاد، قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «قيل للإمام أحمد بن حنبل: الرجل يصوم، ويصلي، ويعتكف أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: "إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين؛ وهذا أفضل"، فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لِدَفْع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً»[(١)].

---

(١) مجموع الفتاوى ج٢٨ ص ٢٣١.

فاستجاب العلماء لأمر الله تعالى في النفير للعلم وجهاد المخالفين، مقتدين بمعلم البشرية قدوة العلماء والمجاهدين، فقد سبق مرحلة الكشف عن التحريف بالتحذير منه في أحاديث كثيرة منها:

قوله ﷺ: **(من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)**[١]، وقوله ﷺ: **(من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)**[٢]، وحديث: **(من تَعَمَّدَ عليّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار)**[٣]، والكذب على النبي ﷺ كذب على الله تعالى.

وقوله ﷺ: **(إن أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان يجادل بالقرآن)**[٤]، وقال ﷺ: **(هلاك أمتي في الكتاب واللبن)** فقيل: يا رسول الله ما الكتاب واللبن؟ قال: **(يتعلمون القرآن ويتأوّلونه على غير ما أنزله الله ﷻ، ويُحِبون اللبن فَيَدَعُون الجماعات والجُمع ويُبْدُون)**[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ج٦ ص ١٣٦ برقم ٣٠١٠١، أحمد في مسنده، ج١ ص ٢٣٣ برقم ٢٠٦٩، الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ج٥ ص ١٩٩ برقم ٢٩٥٠، النسائي في السنن الكبرى ج٥ ص ٣٠ برقم ٨٠٨٤، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه أبوداود في سننه ج٣ ص ٣٢٠ برقم ٣٦٥٢، الترمذي في سننه ج٥ ص ٢٠٠ برقم ٢٩٥٢، أبو يعلى في مسنده ج٣ ص ٩٠ برقم ١٥٢٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ج١ ص٥٢ برقم ١٠٨.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ج١ ص ٢٢ برقم ١٤٣، الطبراني في الكبير ج١٨ ص ٢٣٧ برقم ٥٩٣، البيهقي في شعب الإيمان ج٢ ص ٢٨٤ برقم ١٧٧٧، ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص ١٩٣، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ج١ ص ٣٤٤، ٣٤٥ برقم ٢٣٥، وقال الهيثمي في المجمع ج١ ص ١٨٧: رواه الطبراني في الكبير والبزار ورجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٣٩.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ج٤ ص١٥٥ برقم ١٧٤٥١، وفي كتاب العلل ومعرفة الرجال ج٣ ص٤٥٢ برقم ٥٩١٨، وأخرجه أبو يعلى في مسنده ج٣ ص ٢٨٥ برقم ١٧٤٦، الطبراني في المعجم الكبير ج١٧ ص ٢٩٦ برقم ٨١٧، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٨ ص ١٠٤: «رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وهو لين وبقية رجاله ثقات»، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ج٦ ص ٢٨١.
ويبدون: أي يسكنون البادية، ينظر: كنز العمال لعلاء الدين الهندي ج١ ص ٣٠٨.

وقد أرسل الله تعالى رسوله بالهدى؛ القرآن الكريم وأمره بتبيينه للناس، قال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤] فأدّى ﷺ الأمانة، وبلّغ أمته، وحرص على تعليمهم ما أراده الله تعالى من كتابه وهدي نبيه ﷺ، فحَرَصَ على تقويم أيّ فهم خاطئ غير متعمّد عند بعض الصحابة لبعض الآيات، وفي ذلك عدة أحاديث منها:

توجيهه ﷺ لعدي بن حاتم رضي الله عنه (ت:٦٨) فيما رواه عدي بقوله: (لما نزلت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة:١٨٧] عَمِدّت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أَنْظُرُ في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: (**إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار**)[1]، ولمّا نزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]، شقّ ذلك على الصحابة حين فهموا من الظلم ما يعرفونه من لغتهم بمعناه العام، وقالوا: أَيُّنَا لم يَلْبِسْ إيمانه بظلم؟ فبيّن لهم معنى الآية على ما أراده الله تعالى منها بقوله: (**إنه ليس بذاك ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه**: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣])[2]،فأعادهم ﷺ للفهم الصحيح للآية، كما أراد الله تعالى.

وحاشا أن يكون هذا تحريفاً، بل هو تعليم الصحابة على يد نبي الأمة، فساروا على هديه من بعده وحذّروا من القول في كتاب الله تعالى بغير علم، وقد سبقوا أحداث التحريف في فهم كتاب الله تعالى بتلك التوجيهات، وتعدّدت الروايات عنهم في ذلك، قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «روى عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أنهم شَدَّدُوا في أن يُفسر القرآن بغير علم»[3]. فهذا أول الخلفاء أبو بكر الصديق

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ ج٢ ص٦٧٧ برقم ١٨١٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ج٤ ص ١٧٩٣ برقم ٤٤٩٨.

(٣) مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام تحقيق عدنان زرزور ص ٩٤.

ﷺ (ت:١٣) يقول حين سئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس:٣١]: (أيّ سماء تظلني وأيّ أرض تقلني إن قلت في كتاب الله ما لم أعلم)[(١)].

وقرأ الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ (ت:٢٣) ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس:٣١]، فقال: (ما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه، فقال: إنّ هذا لهو التكلف يا عمر)[(٢)].

وهذا محمول على أنهما م، إنما أرادا استكشاف ماهية الأبّ، وإلاّ فكون الأبّ من نبات الأرض فهو معلوم من قوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا﴾ [عبس:٢٧-٣٠][(٣)].

وقال عمر ﷺ: (إنما أخاف عليكم رجلين: رجل تأوّل القرآن على غير تأويله، ورجل ينافس الملك على أخيه)[(٤)].

وجاءت الروايات الكثيرة بمثل هذه التوجيهات عن الصحابة ﷺ، ولما نشبت الفتنة ونشأ عنها التحريف تبادرها الصحابة بالإنكار والتشنيع على أهلها، فهذا عبد الله بن عمر (ت:٧٣) م، يقول عن الخوارج أول الفرق المنحرفة: «انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين»[(٥)].

ولم يقتصروا على ذلك، بل ناقشوا أهل التحريف، ووضحوا لهم الحق، وبينوا الأدلة عليه لهم ولغيرهم، ومن ذلك مناظرة ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ﷺ (ت:٦٨)

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ج٢ ص ٢٥٣، البيهقي في شعب الإيمان ج٢ ص ٤٢٤ برقم ٢٢٧٨، الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ج٢ ص ١٩٣ برقم ١٥٨٥، ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص ٥٢.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره ج٢٤ ص ٢٢٩، البغوي في شرح السنة ج١ ص ٢٦٤، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ج٥ ص١٦٩، ابن كثير في تفسيره ج١ ص١٢، السيوطي في الدر المنثور ج٨ ص٤٢٢.

(٣) ينظر: مقدمة ابن تيمية تحقيق زرزور ص ٩٧.

(٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ج٢ ص ١٩٤ وقال: «رجال إسناده ثقات».

(٥) سبق تخريجه في نشأة التحريف ص٦٣.

لأولئك الخوارج، فلما اجتث تلك التأويلات الباطلة بالأدلة الدامغة رجع الكثير منهم[(١)].

فمنذ نشوء التحريف في التفسير؛ نشأت جهود العلماء من الصحابة رضي الله عنهم في كشفه، وعلى دربهم سار التابعون وتابعوهم بإحسان؛ أخرج ابن جرير (ت:٣١٠) في تفسيره عن عبيد الله بن عمر (ت:١٤٧)[(٢)] قال: «لقد أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليُغَلِّظون القول في التفسير»[(٣)]، وفي رواية ليُعَظِّمون.

وعن الشعبي (ت:١٠٩): «اتقوا التفسير، فإنما هو الرواية عن الله»[(٤)].

وورث هذا الهدي الأئمة الأعلام من أهل السنة والجماعة؛ خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم في أمته، والمحيون لما اندثر من سنته، فبهم قام الكتاب، وبه قاموا، وجاءت بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بدفاعهم عن الحق، وفضح أهل البدع، قال صلى الله عليه وسلم: **(يرث هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)**[(٥)]، ومنها ما

(١) ينظر: مناظرة ابن عباس لهم في المعرفة والتاريخ للفسوي ج١ ص ٢٨٦، جامع بيان العلم ج٢ ص ١٠٤، تلبيس إبليس ص ١١٢، شرح فتح القدير لكمال الدين السيواسي ج٦ ص ١٠١، الاعتصام للشاطبي ج٢ ص ١٨٨.

(٢) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب كنيته أبو عثمان، من الثقات الحفاظ، أحد أئمة أهل المدينة في الحديث أكثر روايته عن نافع مولى ابن عمر، وروى عن سالم بن عبد الله، والقاسم ابن محمد، وروى عنه الثوري، وشعبة، وزهير، وحماد بن سلمة، وحماد بن زياد، وخرّج عنه الأئمة: البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم، وعبيد الله ثقة وثّقه علماء الحديث ويشتبه اسمه مع أخيه عبد الله وهو ضعيف، ينظر: الجرح والتعديل لأبي حاتم الرازي ج٥ ص ٣٢٦، رجال صحيح البخاري لأحمد الكلاباذي ج١ ص٤٦٦، رجال صحيح مسلم لأبي بكر الأصبهاني ج٢ ص١٢.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ج١ ص٨٥، تفسير ابن كثير ج١ ص١٣، مجموع الفتاوى ج١٣ ص٣٧٣.

(٤) ينظر: فضائل القرآن للقاسم بن سلام ج٢ ص ٢٦٠، تفسير ابن كثير ج١ ص ١٣، الموافقات للشاطبي ج٣ ص ٤٢٣.

(٥) سبق تخريجه ص٢٠.

أخرجه البخاري (ت:٢٥٦) عن النبي ﷺ قال: (**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**)(١) وقد فسّره تبويبه لهذا الحديث بقوله: «وهم أهل العلم»، وعن أحمد بن حنبل (ت:٢٤١) إنهم أصحاب الحديث(٢).

وقال ﷺ: (**لا يزال الله ﷻ يَغْرس في هذا الدين بغرس يستعملهم في طاعته**)(٣).

ولا يزال العلماء في القديم والحديث في خدمة كتاب الله تعالى، وأثروا العالم الإسلامي بالمؤلفات والتصانيف المختلفة، التي تشهد على ذلك الجهاد بين أهل الحق ومخالفيهم، وكان اهتمامهم بتدوين إنكارهم على أهل البدع منذ ظهور تلك البدع، ولذلك يجدر بنا استعراض شيء من جهودهم في كشف التحريف من خلال مصنفاتهم، وأقوالهم، ومناظراتهم التي سطرها التاريخ، وأفحموا فيها الخصوم، ونمضي في استعراض لبعض تلك الجهود ابتداءً من القرن الأول، وانتهاءً بهذا القرن.

أولاً: القرون المفضلة:

وهي القرون الأولى المشهود لها بالخير والفضل؛ قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم، وقد جاءت الشهادة لهم بالخيرية على لسان سيد البشر ﷺ فقد قال: (**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...**) الحديث(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: (**لا تزال طائفة من أمتي على الحق**) وهم أهل العلم ج٦ ص ٢٦٦٧ برقم ٦٨٨١.

(٢) ويذكر عن علي بن المديني أيضاً قوله هم أهل الحديث والذين يتعاهدون مذاهب الرسول ﷺ ويذبون عن العلم، ينظر: شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص ١٠، ٢٧.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ج٤ ص ٢٠٠ برقم ١٧٨٢٢ واللفظ له، ابن ماجه في سننه ج١ ص ٥ برقم ٨، ابن حبان في الثقات ج٤ ص ٧٥ برقم ١٨٩٠، ابن عديّ في الكامل ج٢ ص ١٦١، الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ج٢ ص ١٣٧، ابن عبد البر في جامع البيان ج٢ ص ١٣٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ج٣ص١٣٣٥ برقم ٣٤٥١.

قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «واتفقت الروايات على ذكر الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهم القرون الثلاثة»[١].

والخيرية لهذه القرون على الأمم جميعاً، لما فيها من كثرة العلم والعلماء، فقد وجد أكثر العلماء في هذه القرون؛ وكثير من الأئمة الذين جعل الله لهم أثراً باقياً وقدم صدق في الأمة كانوا في هذه القرون؛ وأيضاً في هذه القرون تقل البدع، لشدة إنكارهم لها، بل ربّما قتلوا دعاة البدع والضلال[٢].

وأفضل هذه القرون؛ صحابة رسول الله ﷺ خير البشر بعد الأنبياء، وهم القدوة في جهاد أهل البدع والمحرّفين الغالين في الكتاب والسنة فقد ابتدروا البدع وأهلها فاقتلعوهم ولم يُبقوا لهم قراراً.

وأول هؤلاء العلماء المجاهدين بعد وفاة النبي ﷺ؛ أبو بكر الصديق (ت:١٣)، حين تصدى للذين منعوا الزكاة بتأويل باطل، ظنوا فيه أن الزكاة سقطت بموت النبي ﷺ، فوقف منهم موقفه الحاسم المشهور في حروب الردة، فقاتلهم حتى أتوا بها صاغرين، وأيّده على ذلك الصحابة بإجماع وناصروه، حتى قَبّل رأسه عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت:٢٣) وقال: (أنا فداؤك لولا أنت لهلكنا)[٣].

لأن هذا التأويل عند متأولي منع الزكاة أدى بكفر بعضهم وردتهم عن الإسلام[٤].

وثاني هؤلاء العلماء المجاهدين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل، فلما سمع قول بعض الخائضين في متشابه القرآن مثل القدر وغيره، أقام عمر رضي الله عنه معوج هذه الشبهة، وأدّب من خاض فيها مثل

(١) منهاج السنة ج٨ ص ٣٨٤.

(٢) ينظر: المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص ٢٧٠.

(٣) ينظر: الإمامية والسياسة لابن قتيبة ج١ ص٢٠، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ج٤ ص٨٧.

(٤) ينظر: المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٢٧١، بدائع الفوائد لابن القيم ج٣ ص ٦١٨.

صبيغ(١)، الذي ضربه حتى أَدْمى رأسه، وسالت الدماء على عقبيه، ونفاه من المدينة إلى البصرة، وأمر المسلمين بهجره، ونهاهم عن مجالسته، حتى انتهى عن ذلك(٢).

كما أدّب عمر الأمة كلها بقطع شجرة الحديبية لما بلغه أن الناس تبركوا بها، فخاف إن طال الزمان بالناس أن يعودوا إلى الشرك، فأمر بقطعها، ووافقه الصحابة على ذلك(٣).

وعثمان رضي الله عنه (ت:٣٥) لمّا خَشِيَ الفرقة والاختلاف جمع الأمة على مصحف واحد فشكر له علماء الأمة ذلك(٤).

وخلفهم عليّ رضي الله عنه (ت:٤٠) على هذا الجهاد والذب عن الدين، فقاتل الخوارج، وحَرّق غلاة الشيعة في النار، حينما علم أنهم يَغْلُون فيه ويُقَدسُونه، وأمر بجلد المفترية الذين فضّلوه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما(٥).

والذين تصدى لهم عليّ رضي الله عنه هم أوائل المحرّفة ظهوراً كما سبق، فقيّض الله لهم سائر الصحابة وعلى رأسهم؛ ابن عباس (ت:٦٨) وابن عمر (ت:٧٣) وغيرهم، فأقاموا عليهم الحجة، وبينوا لهم المحجة.

---

(١) هو صَبِيغ بن عِسْل بن سهل الحنظلي، ترجم له ابن حجر في الإصابة، كان يسأل عمر عن غريب القرآن ومتشابهه، فجلده وضربه حتى قال صبيغ: (حسبك يا أمير المؤمنين، قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي)، فلم يزل صبيغ وضيعاً في قومه بعد أن كان سيداً فيهم، ينظر: الأنساب للسمعاني ج١ ص ٤٥١، تاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص ٤٠٨، الوافي بالوفيات للصفدي ج١٦ ص ١٦٣، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج٣ ص ٤٥٨.

(٢) ينظر: البدع لأبي عبد الله المرواني ص ١٥٨، الشريعة للآجري ج١ ص ٤٨٣، ذم الكلام وأهله للهروي ج٤ ص ٢٤٢، الحسبة في الإسلام لابن تيمية ص ١٠٨.

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى لأبي عبد الله الزهري ج٢ ص ١٠٠، المنتظم ج٣ ص ٢٧٢، من حياة الخليفة عمر بن الخطاب لعبد الرحمن البكري ص ١٧٦.

(٤) ينظر: كتاب المصاحف للسجستاني ص٨٨، مقتل الشهيد عثمان ص ١٨٨، البرهان في علوم القرآن ج١ ص ٢١٨.

(٥) ينظر: أحوال الرجال للجوزجاني ص٣٨، الفصل في الملل ج٤ ص٣١، التمهيد لابن عبد البر ج٥ ص٣٠٥، منهاج السنة ج٧ ص٥١٠، مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب ص ٢٩٨.

وورث التابعون من الصحابة جهادهم لبيان الحق ونشر العلم وكشف تحريف المبتدعين، ومنهم:

مجدد القرن الأول الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز (ت:١٠١) الذي جمع المسلمين على منهج الصحابة رضي الله عنهم، وأصلح ما حدث بعدهم من انحرافات، وجدد السنة وهدم البدعة، فاستحق لقب المجدد والخليفة، وهو أوّل من أمر بتدوين السنة، ومنه بدأ علم الجرح والتعديل، وحسبك منه رضي الله عنه هذه الالتفاتة لأهمية هذا العلم في حفظ السنة، بعد أن رأى الفُرقة التي أصابت جماعة المسلمين، وما حدث لكثير من رواة الحديث من موت وقتل في الأحداث التي جرت في القرن الأول[(١)]، فبدأت قواعد علم الجرح والتعديل، الذي محّص الأحاديث وأسانيدها، وبيّن صحيحها من سقيمها.

وقد ناظر أهل البدع ودفع شبههم، ومن ذلك مناظرته لغيلان الدمشقي (ت:١٠٥)[(٢)] الذي أخذ مذهب معبد الجهني (ت:٨٠) في نفي القدر، فاستدعاه وحاجّه، فأعلن غيلان توبته، وأمر عُمّاله باستتابة القدرية، فإن تابوا خَلّوا سبيلهم، وإلا نَفَاهُم من ديار المسلمين، وكان يراسل عماله، ويُوصيهم بإتباع السنة، والحذر من البدعة[(٣)].

---

(١) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ج١ ص ١٧٧، معرفة السنن والآثار للبيهقي ج٣ ص ٢٢٤، قواعد التحديث للقاسمي ص ٧١، المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر لعبد المتعال الصعيدي ص ٥٧.

(٢) غيلان الدمشقي كان قبطياً قبل الإسلام، يكنى أبا مروان، وهو الرجل الثاني بعد معبد الجهني في بدعة القدرية، ولم يقتصر غيلان على نفي القدر، بل جمع بين أصول الجهمية والمعتزلة والمرجئة، وظهرت مقولاته بالشام، ودعا الناس إليها، فاستدعاه عمر بن عبد العزيز، فحجبه أياماً، ثم ناظره وهم بقتله إلا أنه أعلن توبته، فلما مات عمر، رجع، فصلبه الخليفة هشام بن عبد الملك بباب دمشق، وقيل: إن هذا بدعوة عمر بن عبد العزيز عليه، ينظر: المعارف لابن قتيبة ص ٤٨٤، المجروحين لابن حبان ج٢ ص ٢٠٠، تاريخ دمشق لابن عساكر ج٢٣ ص٣٣٦، البداية والنهاية ج٩ ص٤٢.

(٣) ينظر: الإبانة لابن بطة ج١ ص ١٤٦، الاستذكار لابن عبد البر ج٨ ص ٢٦٨، عمر بن عبد العزيز معالم الإصلاح والتجديد لعلي الصلابي ج٣ ص ٤٣٢.

ثم تَسلّم التابعون هذا الميراث الشرعي من الصحابة، وتنامت على أيديهم مدارس التفسير، التي ساروا فيها على السنة، وحذروا فيها من البدعة، وتعلم على أيديهم سلف صالح من علماء هذه الأمة، هم تلاميذ الصحابة والتابعين، حملوا عنهم لواء الجهاد والذب عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ومن أشهر تلك المدارس السلفية في تلك القرون المفضلة ثلاث مدارس هي:

أولا: مدرسة التفسير بمكة:

وقامت على معلمهم ترجمان القرآن ابن عباس (ت:٦٨) وحسبك به من مُعلم رضي الله عنهما، وتتلمذ عليه علماء أجلاء هم شيوخ أهل التفسير، ومنهم:

سعيد بن جبير بن هشام الأسدي (ت:٩٥) من كبار علماء التابعين، ناظر الحجاج في مناظرة ثبت فيها وقويت حجته على الحجاج، فقتله وهو صابر واثق بالله[1].

مجاهد بن جبر (ت:١٠٤): أوثق تلاميذ ابن عباس رواية عنه، لهذا اعتمد على تفسيره الشافعي (ت:٢٠٤)، والبخاري (ت:٢٥٦)، وغيرهما، وقد رُوي عن مجاهد محذراً من البدع قوله: «ما أدري أيّ النعمتين أعظم، أن هداني للإسلام، أو عافاني من هذه الأهواء»[2]، قال الذهبي (ت:٧٤٨): «قلت: مثل الرفض والقدر والتجهم»[3].

وقد رُوي عنه أيضاً أنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، وفي رواية ثلاث

---

(١) ينظر: تاريخ ابن معين ليحيى بن معين ج٣ ص ٤٤٨، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص ٣٠، طبقات المحدثين بأصبهان لعبد الله بن حيان الأنصاري ج١ ص ٣١٥، الأنساب للسمعاني ج٥ ص ٥٦٨، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ج١ ص ٢١٠، تهذيب الكمال للمزي ج١٠ ص ٣٦٢، تذكرة الحفاظ للذهبي ج١ ص ٧٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ج٤ ص ٤٥٤، ٤٥٥.

(٣) المرجع السابق ج٤ ص ٤٥٥.

عرضات، وقد وصل إلينا من تفسيره كتاب مطبوع باسم تفسير مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ[١].

- وغيرهما من تلاميذ هذه المدرسة مثل؛ عكرمة (ت:١٠٤) مولى ابن عباس، ورث العلم عن مولاه[٢].

- طاوس بن كيسان اليماني (ت:١٠٦) تابعي جليل على جانب من الفقه عالمٌ متقنٌ[٣].

- عطاء بن أبي رباح المكي القرشي مولاهم (ت:١١٤) ثقة، فقيهٌ، عالمٌ، انتهت إليه فتوى أهل مكة[٤]. وغيرهم كثير ساروا على درب الصحابة وتمسكوا بهديهم، وكان لهم مع أهل البدع مواقف مشهودة، أقاموا عليهم فيها الحجة.

ثانيا: مدرسة التفسير بالمدينة:

أكثر تلاميذها أخذوا عن أُبيّ بن كعب (ت:٢٢)، الذي له مكانته المعلومة والمشهودة في العلم بالقرآن وتعليمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتتلمذ عليه علماء أفذاذ تحملوا أمانة العلم والجهاد في سبيل الحق منهم:

- أبو العالية رفيع بن مهران الريّاحي مولاهم (ت:٩٠)، وقد روى أبو العالية نسخة كبيرة في التفسير عن أبيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥].

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص ٤٦٦، المعرفة والتاريخ ج١ ص ٤٠٢، الكنى والأسماء للدولابي ج٢ ص ٤٤٥، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم للدارقطني ج١ ص ٣٦٣، طبقات المفسرين للداودي ص ١١، معرفة القراء الكبار للذهبي ج١ ص ٦٦.

(٢) ينظر: معرفة الثقات لأبي الحسن العجلي ج٢ ص ١٤٥، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج٧ ص ٧، الثقات ج٤ ص ٣٤٢.

(٣) ينظر: تهذيب الكمال للمزي ج١٣ ص ٣٥٧، مغاني الأخيار للعيني ج٣ ص ١٥، طبقات المفسرين للداودي ص١٢.

(٤) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ج٣ص٢٦٢، طبقات الحفاظ للسيوطي ص٦.

(٥) ينظر: رجال صحيح البخاري للكلاباذي ج١ ص ٢٥٣، تاريخ أصبهان للأصبهاني ج١ ص ٣٦٩، ذخيرة الحفاظ لابن طاهر المقدسي ج٣ ص ١٢٦٩، طبقات المفسرين للداودي ص ٩.

– محمد بن كعب بن سليم القرظي، من كبار علماء التابعين، ولد في حياة النبي ﷺ وقيل رآه، اشتهر بكثرة العلم في القرآن والحديث، والورع والعدالة، قال ابن حبان (ت:٣٥٤): «كان من أفاضل أهل المدينة علماً وفقهاً»[١].

– زيد بن أسلم العدوي المدني (ت:١٣٦)[٢]، فقيه مفسّر، من كبار التابعين، عُرف بغزارة العلم، ذكر المترجمون له أن له تفسيراً، وأشهر من أخذ عنه التفسير إمام دار الهجرة مالك بن أنس (ت:١٧٩).

ثالثا: مدرسة التفسير بالعراق:

بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت:٢٣)، عبد الله بن مسعود (ت:٣٣) إلى العراق لتعليمهم، فقامت عليه مدرسة التفسير في الكوفة[٣]، وعلى يده نهض علماء كان لهم الصدى العظيم في بيان الحق ودفع الباطل، منهم:

– علقمة بن قيس النخعي الكوفي (ت:٦١)، كان أشهر الرواة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأعلمهم بعلمه، اشتهر بالصلاح والورع[٤]، قال عنه مرة الهمداني (ت:٧٦) وهو من تلاميذ عبد الله بن مسعود أيضاً: «كان علقمة من الربانيين»[٥].

– مسروق بن الأجدع الهمداني (ت:٦٣) من أعلم تلاميذ عبد الله رضي الله عنه[٦].

(١) الثقات ج٥ ص ٣٥١، وينظر: معرفة الثقات للعجلي ج ٢ ص ٢١٥، تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٩ ص ٣٧٣.

(٢) ينظر: العبر في خبر من غبر للذهبي ج١ ص ١٨٣، مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي ج١ ص٢٨٤، شذرات الذهب ج١ ص ١٩٤، هدية العارفين ج٥ ص ٣٧٦.

(٣) ينظر: التفسير والمفسرين للذهبي ج٣ ص ٣.

(٤) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٦ ص٩١، تاريخ بغداد ج١٢ ص٢٩٩، صفة الصفوة ج٣ ص٢٧، سير أعلام النبلاء ج٤ ص ٥٧.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ج٧ ص ١٥١، العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل ج١ ص ٤٤٦، معرفة الثقات ج٢ ص ١٤٧، الإصابة في تمييز الصحابة ج٥ ص ١٣٦.

(٦) ينظر: أسد الغابة لابن الأثير ج٥ ص ١٦٤، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ص ٤٠٦، الكاشف للذهبي ج٢ ص ٢٥٦.

- الأسود بن يزيد النخعي (ت:٧٤)[(١)].

- مرة بن شراحيل الهمداني (ت:٧٦)[(٢)].

ومن أشهر العلماء الذين حَمَوْا حوزة الدين في المائة الثانية على سبيل المثال لا الحصر:

عامر بن شراحيل الشعبي الحميري (ت: ١٠٩) شهد له العلماء بالعلم، وأفتى والصحابة متوافرون، وجلس له كثير من أهل العلم وهم كذلك[(٣)]، وله توجيهات جليلة في التحذير من تفسير كتاب الله تعالى بالرأي والهوى، ومنها قوله: «والله ما من آية إلا عنها، ولكنها الرواية عن الله»[(٤)].

الحسن بن يسار البصري (ت: ١١٠) شهد له بالعلم خلق كثير، وجمع معه الصلاح والورع، له مناظرات مع أهل البدع، أفحم فيها أهلها، وقمع بدهم بأقوى الحجج[(٥)]، ومما رُوي عنه قوله: «اتهموا أهواءكم ورأيكم على دين الله، وانتصحوا كتاب الله على أنفسكم ودينكم»[(٦)].

عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي (ت:١٥٧) إمام أهل الشام[(٧)]، ومن أقواله: «عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك ورأي الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول»[(٨)].

---

(١) ينظر: حلية الأولياء ج٢ ص ١٠٢، الشذا الفياح للأبناسي ج٢ ص ٦٩٣، الإصابة في تمييز الصحابة ج٧ ص ٣٠٠.

(٢) ينظر: صفوة الصفوة ج٣ ص٣٤، الكاشف للذهبي ج٢ ص٢٥٣، تقريب التهذيب ص٥٢٥.

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٢٤٦، أخبار القضاة لابن حيان ج٢ ص٤١٣، البداية والنهاية ج٩ ص٢٣٠.

(٤) تفسير الطبري ج ١ ص ٨٧، مجموع الفتاوى ج ١٣ ص ٣٧٤.

(٥) ينظر: التاريخ الكبير للبخاري ج٣ ص ٢٨٩، سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٥٦٣.

(٦) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي ص١٩٦، إيقاظ همم أولى الأبصار لصالح العمري ص٢٢.

(٧) ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ج٣٥ ص ١٤٧، سير أعلام النبلاء ج٧ ص ١٠٧، تهذيب التهذيب ج٦ ص ٢١٩.

(٨) لمعة الاعتقاد لابن قدامة ص ٧، وله المناظرة في القرآن ص ٤٥، العلو للعلي الغفار للذهبي ص١٣٧.

– شعبة بن الحجاج العتكي (ت:١٦٠)، أمير المؤمنين في الحديث، وهو أوّل من فتش عن الرجال بالعراق، وذب عن السنة، فهو إمام الجرح والتعديل[١]، ولا يخفى علاقة هذا العلم الذي حفظ السنة؛ الشارحة للقرآن، بكشف التحريف في تفسير القرآن الكريم.

– سفيان بن سعيد الثوري (ت:١٦١) ساد الناس بالعلم والورع في زمانه، وتصدى للقدرية والمرجئة والقائلين بخلق القرآن وغيرهم من أهل الأهواء، وكان يقول: «إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل»[٢]، توجيهاً للتمسك بالسنة، وللثوري تفسير مطبوع متداول.

–إمام دار الهجرة مالك بن أنس (ت:١٧٩)[٣]؛ قامع البدعة وناصر السنة، له ردود شافية في الرد على المبتدعين ووصايا في التحذير منهم، منها قوله للذي سأله عن كيفية الاستواء: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً»[٤]، ثم أمر به فأُخرج، وقال في القدرية: «رأيي فيهم أن يُستتابوا وإلا قُتلوا»[٥].

وقال ابن عبد البر (ت:٤٦٣): «قال مالك: ما رأيت أحداً من أهل القدر إلا أهل سخافة وطيش وخِفة»[٦].

وترك علماً عظيماً منه الموطأ.

---

(١) ينظر: مشاهير علماء الأمصار ص ٢٨٠، تهذيب الأسماء ج١ ص ٣٣٤، مغاني الأخيار ج٢ ص ٢٣، تذكرة الحفاظ للذهبي ج١ ص ١٩٣.

(٢) أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني ج١ ص١٠٩، الجامع لأخلاق الراوي ج١ ص ١٤٢.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ج٨ ص ٤٨، مرآة الجنان ج١ ص ٣٧٣، البداية والنهاية ج١٠ ص ١٧٤، شذرات الذهب ج١ ص ٢٨٩.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ج٣ ص ٣٩٨، الاعتقاد للبيهقي ص١١٦، شرح السنة للبغوي ج١ ص١٧١، إثبات صفة العلو لابن قدامة ص١١٩.

(٥) السنة لابن أبي عاصم ج١ ص ٨٧، ٨٨، حلية الأولياء ج ٦ ص ٣٢٦.

(٦) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبو حنيفة لابن عبد البر ص٣٤.

وغيرهم علماء كثير، تعلّموا على أصحاب رسول الله ﷺ، وهؤلاء الذين تتلمذوا على مدارس التفسير التي أسسها الصحابة رضي الله عنهم، هم أعلم الناس به ممن بعدهم، فهديهم أسلم وعن البدعة أبعد، قال ابن تيمية (ت:٧٢٨) في فضل هذه المدارس ورجالها: "وأما التفسير فأعلم الناس به أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم من أصحاب ابن عباس، كطاووس، وأبي الشعثاء[١]، وسعيد بن جبير، وأمثالهم، وكذلك أهل الكوفة، من أصحاب ابن مسعود، ومن ذلك ما تميّزوا به عن غيرهم، وعلماء أهل المدينة في التفسير، مثل زيد بن أسلم، الذي أخذ عنه مالك التفسير»[٢].

وما ذكرته من أمثلة لجهاد بعض العلماء في المائة الثانية هي على سبيل التمثيل لا الحصر[٣].

وفي بداية المائة الثالثة، ظهر مجدد لدين الله تعالى مصداقاً لقول النبي ﷺ: **(إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)**[٤]، فكان فقيه الملة الإمام محمد ابن إدريس الشافعي (ت:٢٠٤)[٥]، قال أحمد بن حنبل (ت:٢٤١): «إن الله يقيض

---

(١) هو جابر بن زيد الأزدي، ثم الجوفي، البصري، من ثقات التابعين، المشهورين بالأخذ عن ابن عباس، شهد له ابن عباس بأنه من العلماء بكتاب الله، توفى سنة ٩٣، ينظر: الكاشف للذهبي ج١ ص ٢٨٧، تقريب التهذيب ص ١٣٦.

(٢) شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية شرح مساعد الطيار ص ١٣١.

(٣) ومن هؤلاء العلماء المجاهدين: أبو حنيفة (ت:١٥٠)، حماد بن زياد (ت:١٧٩)، عبد الله بن المبارك (ت:١٨١)، وكيع بن الجراح (ت: ١٩٦)، سفيان بن عيينة (ت:١٩٨)

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ج٤ ص ١٠٩ برقم ٤٢٩١، الطبراني في المعجم الأوسط ج٦ ص ٣٢٤ برقم ٦٥٢٧، الحاكم في المستدرك ج٤ ص ٥٦٧ برقم ٨٥٩٢، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج٢ ص ٦٢.

(٥) ينظر: أنساب الأشراف لأحمد البلاذري ج٣ ص ٢٦٨، حلية الأولياء ج٩ ص ٦٣، مسألة الاحتجاج بالشافعي للخطيب البغدادي ص ٦٥، الانتقاء لابن عبد البر ص ٨ وما بعدها، سير أعلام النبلاء ج١٠ ص ٥.

للناس في رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن، وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب، فنظرنا فإذا في رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المائتين الشافعي»[١].

وقال عنه: «كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فهل لهذين من خلف؟ أو منهما عوض»[٢].

قال الأصبهاني (ت:٤٣٠) في حلية الأولياء حين ترجم للشافعي: «الإمام الكامل العالم العامل، ذو الشرف المنيف، والخلق الظريف، له السخاء والكرم، وهو الضياء في الظلم، أوضح المشكلات، وأفصح عن المعضلات، المنتشر علمه شرقاً وغرباً، المستفيض مذهبه براً وبحراً، المتبع لسنن الآثار، والمقتدي بما اجتمع عليه المهاجرين والأنصار، اقتبس عن الأئمة الأخيار، فحدث عنه الأئمة الأحبار، الحجازي المطلبي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي»[٣].

وقد وضع الشافعي منهجاً سار عليه وجعله قدوة لمن بعده، وهو قوله: «آمنت بالله، وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله، وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله»[٤].

وقد ناظر أهل البدع وأفحمهم وأغلظ عليهم وحذر منهم، وكانوا يخشون مناظرته[٥]، وقال عنهم: «حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد، ويُحملوا على الإبل، يُطاف بهم في العشائر، يُنادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام وأهله»[٦].

---

(١) تاريخ بغداد ج٢ ص ٦٢، المنتظم ج٥١ ص ٣٣٨، سير أعلام النبلاء ج١٠ ص ٤٦، تهذيب التهذيب ج٩ ص ٢٥.

(٢) تاريخ بغداد ج٢ ص٦٦، سير أعلام النبلاء ج١٠ ص٤٥.

(٣) حلية الأولياء ج٩ ص ٦٣.

(٤) ذم التأويل لابن قدامة ص ١١، مجموع الفتاوى ج٦ ص ٣٥٤.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء ج١٠ ص ٢٩، ٣٠.

(٦) شرف أصحاب الحديث ص٧٨، الانتقاء لابن عبدالبر ص٨٠، شرح السنة للبغوي ج١ ص٢١٨، تحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة ص ٤١، منهاج السنة ج٢ ص ١٣٨.

ويطول المقام باستعراض المواقف من علم هذا الإمام وجهاده في سبيل الحق، وقد ترك إرثاً عظيماً من بعده، وضع فيه قواعد في فهم الكتاب والسنة، منها: الرسالة، والأم، وأحكام القرآن، وغيرها.

ومن علماء المائة الثالثة، إمام السنة؛ أحمد بن حنبل (ت:٢٤١)[١] وهو إمام السنة في زمانه وما بعده، إذ شهد له كل من أتى بعده بإمامته في العلم، والجهاد في إثبات الحق والصبر عليه، كان صاعقة على أهل البدع فشدّد في هجرهم، وإهمالهم، وترك جدالهم، والتباعد عنهم، والتقرب إلى الله بذمهم ومقتهم، قال شيخ الإسلام: «ولما كان أحمد قد صار هو إمام السنة، كان من جاء بعده ممن ينتسب إلى السنة ينتحله إماماً»[٢].

وقال: «وجرت فتنة الجهمية، وامتُحِنت الأئمة، وأقام الله الإمام أحمد؛ إمام السنة، وصّديق الأمة في وقته، وخليفة المرسلين، ووارث النبيين، فثبت الله به الإسلام والقرآن، وحفظ به على الأمة العلم والإيمان، ودفع به أهل الكفر والنفاق والطغيان، الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض»[٣].

ويقول أبو الحسن الأشعري (ت:٣٢٤) في كتابه الإبانة الذي ألّفه بعد رجوعه لمذهب أهل السنة، يقول مُثنياً على الإمام أحمد: «قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله ربنا ﷻ، وبسنة نبينا محمد ﷺ، وما رُوي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته، قائلون، ولما خالف قوله

---

(١) هناك من يجعل نهاية القرون الثالثة المفضلة بعام ٢٢٠، لكن لا يمنع ذلك من اعتبار من مات بعد هذا التاريخ بفترة وجيزة، لكنه قضى جل حياته في تلك القرون لا يمنع اعتباره من القرون المفضلة، مثل؛ أحمد بن حنبل، والبخاري، ينظر: مجموع الفتاوى ج١٠ ص ٢٥٧، نيل الأوطار للشوكاني ج٩ ص ٢٠٩، القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين ج٢ ص ٣٢١.

(٢) مجموع الفتاوى ج١٢ ص ٣٦٣.

(٣) مجموع الفتاوى ج١٢ ص ٣٥٥، بتصريف يسير.

مخالفون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكّين، فرحمة الله عليه من إمام مُقدّم، وجليل مُعظّم، وكبير مُفهم»[(١)].

وفي جهود الإمام المبجل إمام السنة قد أُلِّفت مجلدات[(٢)]، منها ما خُصّ فقط بمحنته وصبره على التعذيب من مخالفيه ومن أيّدهم من سياسيين من أهل البدع[(٣)]، منها: (محنة أحمد) لعبد الغني المقدسي في ثلاثة أجزاء، وعذراً لهذا التقصير في ذكر مناقبه وجهاده في كشف البدعة، فإنه مقام يطول.

وقد ترك إرثاً عظيماً، هو مثال على جهاده للمخالفين، ومناظراته، وإفحامه لهم، وهي شيء مما بقي من علمه الغزير، منها:

- مسنده، وقد ضم أضخم عدد من الأحاديث، حيث بلغ عدد أحاديثه أربعين ألف حديث.

- الرد على الزنادقة والجهمية.

وذكر إسماعيل باشا في هدية العارفين أن له تفسيراً، وكتاباً في الناسخ والمنسوخ[(٤)].

ومن أئمة الهدى في المائة الثالثة من حفظ الله على يده الدين وأهله، فقيّضه الله تعالى للذبّ عن سنة نبيه ﷺ، ذاك هو الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦)، الحافظ الناقد، شيخ الإسلام، جبل الحفظ، وإمام الدنيا، شهدت له الأمة بالعلم والإمامة، وتلقت صحيحه بالقبول، فكان أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، حفظ الله به الدين، فأثنى العلماء عليه وعلى

---

(١) الإبانة لأبي حسن الأشعري ص ٢٠، ٢١.

(٢) مثل (مناقب الإمام أحمد) للهروي، وللبيهقي، وللأصبهاني، ولابن الجوزي.

(٣) كان للمعتزلة شوكة وتأييد من المأمون وغيره من الأمراء الذين امتحنوا الأئمة لقول المعتزلة، ينظر: معرفة الثقات لأحمد العجلي ج ١ ص١٨٢، حلية الأولياء للأصبهاني ج ٩ ص١٨١، تاريخ مدينة دمشق ج٥ ص٣١٨، آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص١٢٨، سير أعلام النبلاء ج١١ ص٢٣٦.

(٤) ينظر: هدية العارفين ج ٥ ص ٤٨.

صحيحه، قال تاج الدين السبكي (ت: ٧٧١): «هو إمام المسلمين، وقدوة الموحدين، وشيخ المؤمنين، والمعول عليه في أحاديث سيد المرسلين، وحافظ نظام الدين»[١].

ولا شك أن المنهج الذي اتبعه الإمام البخاري في صحيحه، من أعظم طرق كشف التحريف في السنة، وهي الشارحة للقرآن، ومناقب الإمام البخاري، وجهوده في الدفاع عن الدين، أعظم من أن تستوعب في مثل هذه العجالة، قد خصها العلماء بالتأليف، واستغرقت منهم مجلدات، ويكفي إيراد قول ابن حجر (ت: ٨٥٢) بعد ذكر ثناء العلماء عليه، حيث قال: «ولو فتحت باب ثناء الأئمة عليه ممن تأخر عن عصره لفني القرطاس، ونفدت الأنفاس، فذاك بحر لا ساحل له»[٢].

وترك للمسلمين صحيحه، وهو أصح الكتب بعد القرآن بشهادة الأئمة الأعلام، قال النووي (ت: ٦٧٦): «اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد الكتاب العزيز؛ الصحيحان؛ البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما، وأكثر فائدة»[٣].

وترك البخاري مؤلفات أخرى مثل؛ التاريخ والأدب المفرد، وله كتاب التفسير ضمن الصحيح.

وإذا ذُكر الإمام البخاري، جاء ذِكْرُ الإمام مسلم؛ وهو: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١)، فكتابه يأتي في الدرجة الثانية بعد صحيح البخاري، وقد سار على منهج الأئمة في النقد وكشف الدخيل على السنة، ويدل على ذلك قوله في مقدمة صحيحه: «واعلم وفقك الله تعالى أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات، وسقيمها، وثقات الناقلين لها من المتهمين، أن لا يروي منها إلا ما عُرِف صِحّةَ مَخَارِجِهِ، والسِّتَارَةَ في ناقليه، وأن ينفي منها ما كان منها عن أهل التهم،

---

(١) طبقات الشافعية ج ٢ ص ٢١٢.

(٢) هدي الساري مقدمة فتح الباري ج ٢ ص ٢٥٨.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ج ١ ص ١٤.

والمعاندين من أهل البدع»[١].

هذه القاعدة العظيمة التي نص عليها الإمام قد دلت على المنهج القويم، المعين على كشف التحريف الذي دعا إليه جميع الأئمة من علماء السنة رحمهم الله تعالى.

وهناك علماء أجلاء عاشوا في المائة الثالثة[٢]، فعمروها بقول الحق والدفاع عنه، وهنىء بهم الإسلام وأهله لا يمكن حصرهم في مثل هذه العجالة، فجزاهم الله عن الأمة خير الجزاء.

ثانياً: من القرن الرابع إلى القرن السابع:

القرن الرابع:

في طليعة القرن الرابع، وعلى رأسه إمام المفسرين، وشيخ الإسلام، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠)، جمع من العلوم ما رأس به أهل عصره، وكان إماماً في فنون كثيرة، له مصنفات عدة تدل على سعة علمه وفضله، وهو إمام المفسرين بلا منازع، ودرته (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) هو المرجع الأول للباحثين في معاني كتاب الله تعالى، وفيه كشف لأباطيل كثير من أهل البدع.

- و هو علاّمة في التاريخ وفيه صنف تاريخه المشهور.
- وله صريح السنة، أصّل فيه عقيدة أهل السنة، وردّ على المخالفين.

وغيرها من المصنفات الكثيرة التي أنار فيها للباحثين، وأقام فيها الحجة على المخالفين[٣]. وفي دراستي للألفاظ التي حُرّفت معانيها، رجعت لأقوال إمام المفسرين

---

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٨.

(٢) مثل: عبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١)، يحيى بن معين (ت: ٢٣٣)، علي بن المديني (ت: ٢٣٤)، إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه (ت: ٢٣٨)، أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي (ت:٢٦٤)، أبوداود (ت: ٢٧٥)، أبو حاتم الرازي محمد بن إدريس الحنظلي (ت: ٢٧٧)، أبوسعيد الدارمي (ت: ٢٨٠) وغيرهم كثير رحمهم الله تعالى.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد ج٢ ص١٦٢، طبقات الفقهاء للشيرازي ص١٠٢، معجم الأدباء ج٥ ص٢٤٢، سير أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٢٦٩.

كثيرا لما كان فيها من تحرير للخلاف، وبيان للحق، بأقوى حجة، وأوضح أدلة، وصدق الخطيب (ت: ٤٦٣) حين قال في ترجمته للطبري: «كان أحد أئمة العلماء، يُحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله... وله كتاب التفسير لم يُصنف مثله»[(١)]، ولذا عدّه العلماء أبا التفسير، كما عدّوه أبا التاريخ.

- ومن جهابذة القرن الرابع، العلامة الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت:٣١١)[(٢)]، اتفق أهل زمانه ومن جاء بعدهم على تسميته بإمام الأئمة، قال الذهبي (ت: ٧٤٨): «الحافظ الحجة الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمة... صاحب التصانيف، عَنِيَ في حداثته بالحديث والفقه، حتى صار يُضرب به المثل في سعة العلم والإتقان»[(٣)].

وقال السبكي (ت: ٧٧١): «المجتهد المطلق، البحر العجاج، والحبر الذي لا يخاير في الحجى، ولا يناظر في الحجاج، جمع أشتات العلوم، وارتفع مقداره، فتقاصرت عنه طوالع النجوم، وأقام بمدينة نيسابور إمامها حيث الضراغم مزدحمة، وفردها الذي رفع العلم بين الأفراد علمه، والوفود تَفِد على ربعه لا يتجنبه منهم إلا الأشقى، والفتاوى تحمل عنه براً وبحراً، وتشق الأرض شقا، وعلومه تسير فتهدي، في كل سوداء مدلهمة، وتمضي علماً تأتم الهداة به، وكيف لا وهو إمام الأئمة»[(٤)].

وأما عن جهاده، وبذله في طلب العلم يقول ابن كثير (ت: ٧٧٤) في البداية والنهاية: «الإمام أبو بكر بن خزيمة الملقب بإمام الأئمة، كان بحراً من بحور العلم، طاف البلاد، ورحل إلى الآفاق في الحديث، وطلب العلم، فكتب الكثير، وصنف وجمع كتابه

---

(١) تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٦٣.

(٢) ينظر: الثقات لابن حبان ج٩ ص١٥٦، الإرشاد في معرفة علماء الحديث لأبي يعلى القزويني ج٣ ص٨٣١، طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ١٠٩، البداية والنهاية ج ١١ ص ١٤٩.

(٣) السير ج ١٤ ص ٣٦٥.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ١٠٩.

الصحيح، من أنفع الكتب وأجلها، وهو من المجتهدين في دين الإسلام»[١]. وله غير الصحيح، كتاب التوحيد، أقرّ فيه عقيدة السلف، وكشف تحريف المخالفين وشدّد عليهم، وقال فيمن أنكر العلو والاستواء[٢]: «من لم يُقرّ بأن الله على عرشه فوق سبع سماواته فهو كافر بربه، حلال الدم يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وألقي على بعض المزابل حتى لا يتأذى به المسلمون ولا المعاهدون بنتن رائحة جيفته، وكان ماله فيئاً، ولا يرثه أحد من المسلمين، إذ المسلم لا يرث الكافر، ولا الكافر يرث المسلم»[٣].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١) في نونيته:

وبأنه سبحانه حقا على الـ ... ـعرش الرفيع فجلّ ذو السلطان
وهو الذي شجّع ابن خزيمة ... إذ سل سيف الحق والعرفان
وقضى بقتل المنكرين علوّه ... بعد استتابتهم من الكفران
وبأنهم يُلقون بعد القتل فو ... ق مزابل الميتات والأنتان
فشفى الإمام الحبر الذي ... يدعى إمام أئمة الأزمان[٤]

- ومن أعيان القرن الرابع، الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧)[٥] صاحب التفسير، وكتاب الجرح والتعديل، أخذ علمه عن أبيه أبي حاتم الرازي (ت: ٢٧٧) وغيره من العلماء، صنف كثيراً من التصانيف مثل: الرد على

---

(١) البداية والنهاية ج ١١ ص ١٤٩.

(٢) ينظر: الرد على من حرّف الاستواء والعلو عند آية ٢٩، ٢٥٥ من سورة البقرة.

(٣) إثبات صفة العلو ص ١٢٧، مجموع الفتاوى ج ٦ ص ١٧٠، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم ص ١٥٥

(٤) شرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن عيسى ج ١ ص ٤٥٢.

(٥) ينظر: طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى ج ٢ ص ٥٥، تاريخ مدينة دمشق ج ٣٥ ص ٣٥٧، طبقات المفسرين للسيوطي ص ٦٢.

الجهمية، مناقب الإمام أحمد، السنة[١]، وغيرها، أخذ من علم أبي زرعة (ت: ٢٦٤) وتتلمذ عليه، فجمعه إلى علم أبيه فكان بحراً من العلوم[٢].

وتفسيره مسند، يُعد تراثاً في علم التفسير.

وغيرهم من العلماء الذين عاشوا في القرن الرابع[٣] كثير، فكانوا نوراً يهتدي بهم الناس.

القرن الخامس:

- هو كسابقه من القرون، في حفظ الله لدينه وتقييض العلماء لخدمته، والدفاع عنه، فاشتهر فيه من العلماء من كشف الله بهم الحق، ودحض الباطل، ومنهم:

أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣)[٤]، من حفاظ الحديث وضابطيه المتقنين، أفنى عمره في الطلب، فكان له تلك التصانيف المنتشرة، وهي تربو على الستين مصنفاً[٥]، وقيل: به خُتم ديوان المحدثين[٦].

---

(١) ينظر: طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٥٥.

(٢) طبقات المفسرين للسيوطي ص ٦٢.

(٣) مثل: النسائي أحمد بن شعيب (ت: ٣٠٣)، أبوداود السجستاني (ت: ٣١٦)، أبو جعفر الطحاوي (ت: ٣٢١) ابن مجاهد (ت: ٣٢٤)، أبو الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤) فقد ناظر أهل البدع مناظرة الخبير حين ترك مذاهبهم ورجع لمذهب السنة، محمد بن حبان التميمي البستي (ت: ٣٥٤)، أبوفرج الأصبهاني (ت: ٣٥٦)، أبو بكر الآجري (ت: ٣٦٠)، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت:٣٦٧)، عبد الله بن محمد الأصبهاني (ت: ٣٦٩)، أبو الحسن الملطي (ت: ٣٧٧)، ابن بطة العكبري (ت: ٣٨٧)، علي بن عمر الدارقطني (ت: ٣٨٥)، محمد بن إسحاق بن منده (ت:٣٩٥)، وغيرهم من العلماء رحمهم الله.

(٤) ينظر: معجم الأدباء ج ١ ص٤٩٧، طبقات الشافعية الكبرى ج ٤ ص٢٩، طبقات الشافعية ج ١ ص٢٤٠.

(٥) ينظر: معجم الأدباء ج ١ ص ٤٩٧.

(٦) ينظر: طبقات الشافعية ج ١ ص ٢٤٠.

ومن مصنفات الخطيب البغدادي الكثيرة النفع: تاريخ بغداد، غنية الملتمس في إيضاح الملتبس، اقتضاء العلم العمل، تقييد العلم، حديث الستة من التابعين وذكر طرقه واختلاف وجوهه، شرف أصحاب الحديث، الرحلة في طلب العلم، وغيرها كثير.

- ومنهم: الإمام الحافظ الكبير أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي الخَسْرُوجَرْدي (ت: ٤٥٨)[(١)]، قال الذهبي (ت: ٧٤٨) في تذكرة الحفاظ: «بورك له في علمه لحسن قصده، وقوة فهمه وحفظه، وعمل كتباً لم يسبق على تحريرها، منها الأسماء والصفات وهو مجلدان، والسنن الكبير عشر مجلدات، والسنن والآثار أربع مجلدات، وشعب الإيمان مجلدان، ودلائل النبوة ثلاث مجلدات، والسنن الصغير مجلدان، والزهد مجلد، والبعث مجلد، والمعتقد مجلد، والآداب مجلد، ونصوص الشافعي ثلاث مجلدات، والمدخل مجلد، والدعوات مجلد، والترغيب والترهيب مجلد، وكتاب الخلافيات مجلدان، والأربعون الكبرى، والأربعون الصغرى، وجزء في الرؤية، ومناقب الشافعي مجلد، وكتاب الأسرى، وكتب عديدة لا أذكرها»[(٢)].

وهذه المصنفات خير شاهد على خدمته للدين وبذل العمر في ذلك.

ومنهم: حافظ المغرب، وشيخ الإسلام، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبدالبر النمري الأندلسي القرطبي (ت: ٤٦٣)[(٣)] أثنى عليه العلماء، وتوافد عليه طلبة العلم، وقد جمع فنوناً كثيرة، فهو مقرئ، فقيه، عالم بالحديث والتفسير، وفنون شتى، فبلغ رتبة الأئمة المجتهدين، وابن عبد البر صاحب سنة واتباع، رد على المبتدعين، وحذر منهم، وأقام عليهم الحجة، يقول الذهبي مثنياً عليه: «أدرك الكبار، وطال عمره، وعلا

---

(١) ينظر: وفيات الأعيان ج ١ ص٧٥، تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٣٢، طبقات الشافعية ج ١ ص٢٢٠.

(٢) تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١١٣٢، ١١٣٣.

(٣) ينظر: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، لعلي بن هبة الله بن ماكولا ج ١ ص ٥٨٠، سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ١٥٣.

سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنف، ووثق وضعف، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان»[(١)].

ومن مصنفاته الفائقة: الاستذكار، التمهيد، جامع بيان العلم وفضله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، الدرر، الكافي.

وغير ما ذكرت من علماء القرن الخامس أئمة أعلام لا يمكن حصرهم، ذادوا عن حياض الكتاب والسنة، وساروا على نهج السلف الصالح، ودلّوا الناس عليه رحمهم الله جميعاً[(٢)].

القرن السادس:

ممن اشتهر بخدمته للكتاب والسنة في هذا القرن مُحْيي السنة، ناصر الدين، ركن الدين، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦)[(٣)]، مُحَدِّث، فقيه، مُفسّر، إمام، عالم، علاّمة، بُورك له في تصانيفه، ورُزق فيها القبول، وتنافس العلماء في تحصيلها، والاعتناء بها، كان ينافح في مؤلفاته عن منهج السلف، ويشنع على المبتدعة، فهو أثري، دعا إلى السنة، وسار عليها، من إرثه العظيم تفسيره، معالم التنزيل، شرح السنة، وهو عظيم في بابه لا يستغني عنه طالب العلم، وله المصابيح، والتهذيب في فقه الشافعية، والجمع بين الصحيحين، وكتاب الأربعين حديثاً، وغيرها.

ومنهم من قد حاز قصب السبق في الدعوة والتصنيف، والتعلم والتعليم، وهو الشيخ الإمام، العلامة الحافظ، المفسّر، المحدّث، المؤرّخ، شيخ الإسلام، عالم العراق، أبو الفرج

---

(١) السير ج ١٨ ص ١٥٤.

(٢) منهم: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥)، أبو بكر الأصبهاني (ت: ٤٠٦)، هبة الله اللالكائي (ت: ٤١٨)، أبو نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠)، المقرئ أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤)، ابن حزم الظاهري (ت: ٤٥٦)، أبو المظفر السمعاني (ت: ٤٨٩)، أبو إسماعيل الهروي (ت: ٤٨١) أبومظفر الإسفراييني (ت: ٤٧١).

(٣) ينظر: البداية والنهاية ج ١٢ ص١٩٣، طبقات الشافعية ج ١ ص٢٨١، طبقات المفسرين للسيوطي ص ٤٩.

عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت: ٥٩٧)[١]، كتب بخطه كثيراً من كتبه إلى أن مات، وقال: «كتبت بيدي ألف مجلد»[٢]، كان ذا حظ عظيم في الوعظ، والدعوة إلى الله، يحضر مجالسه الملوك، والوزراء وبعض الخلفاء، والأئمة الكبراء، ويقول رحمه الله: «تاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألفاً»[٣].

وأثرى الإمام ابن الجوزي مكتبات المسلمين بمصنفات، نافعة، ظريفة، جميلة العبارة، غزيرة العلم، قوية الحجة، منها:

- تفسيره؛ زاد المسير، المغني في علوم القرآن، صيد الخاطر، التبصرة، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الناسخ والمنسوخ، غريب الحديث، كشف المشكل، التحقيق في أحاديث الخلاف، الضعفاء والمتروكين، تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، تلبيس إبليس، تذكرة الأريب في تفسير الغريب، وغيرها من المصنفات الكثير، تشهد لهذا العَلَم بخدمته للعلم والعلماء ودين الإسلام فجزاه الله عنه خيراً.

وغيرهما من علماء القرن السادس[٤] الذين جنّدوا أنفسهم، للذبّ عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

القرن السابع:

من المبرّزين في هذا القرن في تصديهم لأعداء السنة، وإقامة الحجة عليهم، وبيان الحق للناس، الإمام القدوة، العّلامة، المجتهد، شيخ الإسلام، موفّق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠)[٥]، كان من بحور العلم، وأذكياء العالم، كان

---

(١) ينظر: وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٤٠، سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٣٦٥، الوافي بالوفيات ج١١ ص ١٧٢، ذيل طبقات الحنابلة ص ١٦٩، طبقات المفسرين للسيوطي ص ٦١.

(٢) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المشايخ لعبد الحي الكتاني ج ١ ص ٣٠٩.

(٣) المرجع السابق.

(٤) منهم: ابن طاهر المقدسي (ت: ٥٠٧).

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء ج٢٢ ص١٦٥، فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي ج١ ص٥٢٠، البداية والنهاية ج١٣ ص٩٩، معجم الكتب ليوسف عبد الهادي ص٩٠٩، الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٦٧.

عالم أهل الشام في زمانه، نفع الله بعلمه فصار إمام الأئمة، على مذهب السلف، وصنف في اتّباعه والتحذير من الابتداع تصانيف مشهورة هي مرجع في الرد على المخالفين، مثل: إثبات صفة العلو، ذم التأويل، لمعة الاعتقاد، تحريم النظر في كتب أهل الكلام، وغيرها.

وَبَرَعَ في الفقه وأصوله، وصنف فيه المغني، وهو فريد في فنه، لا غنى لطلبة العلم عنه، وله الكافي في فقه الإمام أحمد، والمقنع، والعمدة، وروضة الناظر، وغيرها من المصنفات التي تدل على فضل ابن قدامة رحمه الله تعالى، وقد تصدّى للمخالفين وناظرهم وقطع حجتهم، فهو من الأئمة الذين حملوا لواء جهاد أعداء الدين من أهل البدع والزندقة.

ومنهم: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي فرح القرطبي (ت: ٦٧١)(١) كان رحمه الله عالماً كبيراً، منقطعاً إلى العلم، منصرفاً عن الدنيا، فترك ثروة علمية تقدر بثلاثة عشر كتاباً ما بين مطبوع ومخطوط، أبرزها تفسيره الكبير، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ومن مصنفاته: التذكرة لأحوال الموتى، أمور الآخرة، التذكار في أفضل الأذكار، التقريب لكتاب التمهيد، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن الإسلام.

ومنهم: محيي الدين، شيخ الإسلام يحيى بن شرف بن مرّي بن النووي (ت: ٦٧٦)(٢) الإمام العلاّمة، فاق علماء زمانه، وحاز قصب السبق في العلم والعمل، وهو أشهر من أن يُترجم له، فالصغير قبل الكبير يعرفه، فإن أحاديثه الأربعين، ورياض الصالحين دخلت بيت كل مسلم، وتعلّمه صغارهم قبل كبارهم، فبارك الله في علمه وتصانيفه، وعُرف رحمه الله بأمره بالمعروف والنهي عن المنكر، ومناظرة أهل البدع.

---

(١) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري ج ١٨ ص ١٥٩، تاريخ الإسلام ج ٥٠ ص ٧٥، الوافي بالوفيات ج ٢ ص ٨٧، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون اليعمري المالكي ص ٣١٧، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد المقرئ التلمساني ج ٢ ص ٢١١، طبقات المفسرين للداودي ص ٢٤٦.

(٢) ينظر: تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي لابن العطار ص ٣ وما بعدها، تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٧٠، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني ص ١٥٨، المنهل العذب الروي للسخاوي ص ١، أسماء الكتب لعبد اللطيف زادة ص ٢٩.

قال السيوطي (ت: ٩١١): «إمام أهل عصره علما وعبادة، وسيد أوانه ورعاً وسيادة، العلم الفرد، فدونه واسطة الدرع والجوهر، السراج الوهاج، فعنده يخفى الكوكب الأزهر، عابد العلماء، وعالم العباد، وزاهد المحققين ومحقق الزهاد، لم تسمع بعد التابعين بمثله أذن، ولم تر ما يدانيه عين، وجمع له في العلم والعبادة، محكم النوعين، راقب الله في سره وجهره، ولم يبرح طرفه عين عن امتثال أمره، ولم يضيع من عمره ساعة في غير طاعة مولاه، إلى أن صار قطب عصره، وحوى من الفضل ما حواه، وبلغ ما نواه، فتشرفت به نواة، ولم يكن له من ناواه»[١].

وأمّا عن أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فيقول السيوطي (ت: ٩١١) أيضاً: «كان إماماً بارعاً، حافظاً، متقناً، أتقن علوم شتى، وبارك الله في علمه وتصانيفه لحسن قصده، وكان شديد الورع والزهد، أماراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، تهابه الملوك، تاركاً لجميع ملاذ الدنيا»[٢].

وله مع أهل البدع صولات، بيّن فيها الحق، ودفع أباطيلهم، في غير موضع من شرحه على صحيح مسلم[٣]، وغيره من تصانيفه التي جاءت في فنون مختلفة مثل: شرح الأربعين النووية، رياض الصالحين، الأذكار، التقريب، روضة الطالبين، دقائق المنهاج، المجموع، التبيان في آداب حملة القرآن، آداب الفتوى، تهذيب الأسماء، وغيرها.

وما ذكرته من علماء في هذا القرن، إنما هي أمثلة على من وجد فيه من العلماء، وغيرهم كثير[٤]، رحمهم الله جميعاً.

ثالثاً: من القرن الثامن إلى القرن الرابع عشر:

القرن الثامن:

في طليعة القرن الثامن برز مجدد الإسلام، وإمام العلماء المجاهدين، أبو العباس، أحمد

---

(١) المنهاج السوّي في ترجمة الإمام النووي للسيوطي ص ٥.

(٢) طبقات الحفاظ ص ٥١٣.

(٣) ينظر: شرحه على صحيح مسلم ج ١ ص١٤٧، ج ٢ ص١٣٢، ج ٣ ص١٥، ج ٦ ص١٥٤، وغيرها.

(٤) منهم: عبد الغني المقدسي (ت: ٦٠٠).

ابن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨)[1]، العالم، المفسّر، الفقيه، الحافظ، المجتهد، المحدّث، ذو التصانيف الباهرة، نادرة عصره، الملقب بتقي الدين، إن أطلق شيخ الإسلام، انصرف الذهن لاسمه.

وإن كان الذهبي (ت: ٧٤٨) يقول حين ترجم له: «وأنا أقل من أن يُنبّه على قدره كَلِمي، أو أن يُوضّح نبأه قلمي، فأصحابه وأعداؤه خاضعون لعلمه»[2].

إن كان هذا قول العالم الناقد الذهبي، فماذا عساي أن أذكر في بيان جهاده، وتصديه لأهل البدع والإلحاد، جاهد بلسانه ويده، وخاص مع العدو المعارك بالسيف والقلم، وقد وصلنا من جهاده لهم، مئات المصنفات وعناوينها تدل على ما حوت من مناظرة للمخالفين وإثبات لعقيدة أهل السنة والجماعة، مثل: منهاج السنة النبوية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، بيان تلبيس الجهمية، الرد عل المنطقيين، درء تعارض العقل والنقل، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، العقيدة الواسطية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

ولما كانت كتبه رَحِمَهُ اللَّهُ، واضحة الدليل، قوية الحجة، ناصعة البيان، واضحة الدلالة في تقرير مذهب الحق، والرد على جميع المبطلين، أفاد منها العلماء بعده، وكل من برز من العلماء في قرنه إلى وقتنا هذا، فإن كتب شيخ الإسلام على طليعة مراجعه، وأقواله من أهم ما يستدل بها الباحثون، لذا فإنني قد نقلت كثيراً منها في هذا البحث؛ لأنه رَحِمَهُ اللَّهُ قد

---

(١) ينظر: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية لعمر البزار ص ١ وما بعدها، أسماء مؤلفات شيخ الإسلام لابن القيم ص ١ وما بعدها، الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ص ١٩، الوافي بالوفيات، البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٠٩، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ص ٣٤٤، طبقات الحفاظ ص٥٢٠، الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية لمرعي الكرمي ص ٣٨.

(٢) ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام ابن تيمية والحافظ علم الدين البرزالي والحافظ جمال الدين المزي للذهبي ص ٢٥.

تخصص في قمع البدعة، وكشف التحريف، ومصنفاته جامعة لشتى الفنون، حرَّرَ فيها كثير من مسائل العقائد، وغيرها من الفقه، والتفسير، والحديث، والأخلاق، والآداب، وغيرها من الفنون، ومن تلك المصنفات: فتاويه التي جمعت في مجموع الفتاوى، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جامع الرسائل، الباعث الحثيث، أمراض القلوب، قاعدة في المحبة، الاستقامة، رسالة في التوبة، رسالة في تحقيق التوكل، رسالة في تحقيق الشكر، الكلم الطيب، رسالة في لفظ القرآن.

ومن أقواله رَحِمَهُ اللَّهُ في جهاد أهل البدع والضلال قوله: «ومثل أئمة أهل البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم، واجب باتفاق المسلمين... فهو من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله، ودينه، ومنهاجه، وشرعته، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك؛ واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يُفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فهم يُفسدون القلوب ابتداءاً»[(١)].

وقال في موضع آخر: «أهل البدع شر من أهل المعاصي الشهوانية بالسنة والإجماع، فإن النبي ﷺ أمر بقتال الخوارج، ونهى عن قتال أئمة الظلم، وقال في الذي يشرب الخمر: (**لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله**)[(٢)]، وقال في ذي الخويصرة: (**يخرج من ضئضيء هذا أقوام يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين – وفي رواية من الإسلام – كما يمرق السهم من الرّمية، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه**

---

(١) مجموع الفتاوى ج ٢٨ ص ٢٣٢، بتصرف.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ج ٩ ص ٢٤٦ برقم ١٧٠٨٢، البزار في مسنده ج ١ ص ٣٩٣ برقم ٢٦٩، أبو يعلى في مسنده ج ١ ص ١٦١ برقم ١٧٦، الطبراني في المعجم الكبير ج ٩ ص ١٣٢ برقم ٨٦٥٧، البيهقي في السنن الكبرى ج ٩ ص ١٠٣.

مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قلتهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة)[١]... ثم إن أهل المعاصي ذنوبهم فعل بعض ما نهوا عنه من سرقة، أو زنا، أو شرب خمر، أو أكل مال بالباطل، وأهل البدع ذنوبهم ترك ما أمروا به من اتباع السنة وجماعة المؤمنين»[٢].

فكان رحمه الله بجهاده لأعداء الإسلام؛ من أصحاب الملل والمذاهب الباطلة والبدع، كالطود الشامخ، حتى حُورب، وطُورد وأُوذي، وسُجن مرات في سبيل الله، وقد وافته منيته في سجن القلعة بدمشق، صامداً صابراً أمام المبتدعين، ولكن ردوده على المبطلين، لا تزال سلاحاً فعّالاً، لأنها إنما تستند إلى الكتاب والسنة، وهدي السلف الصالح، مع قوة الاستنباط، وقوة الاستدلال، ومن كبير فضل هذا العالم أن تتلمذ عليه أئمة أعلام، ساروا على نهجه، فكانوا من سيوف الله المسلولة على أعداء الحق منهم:

شمس الدين الحافظ الناقد محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨)[٣] المحدّث الكبير، المؤرّخ، المقرئ، المنقطع النظير في أسماء الرجال، عالم يصح إلى الذهب نسبته وانتماؤه، له الفضل في إزالة الإيهام في تراجم الناس ليتسنى لطالب العلم أن يأخذ العلم من أهله، وللذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ دُربة في معرفة أقوال السلف وتمييز أقوالهم من أقوال أهل البدع، لا يتعدّى في تصانيفه الأحاديث حتى يبين ما فيها من ضعف في السند أو المتن.

---

(١) سبق تخريجه ص٦١.

(٢) الحسنة والسيئة لابن تيمية ص ٤٧، مجموع الفتاوى ج ٢٠ ص ١٠٣.

(٣) ينظر: المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي ج ٢ ص ٦٣، تاريخ ابن الوردي لزين الدين بن المظفر الشهير بابن الوردي ج ٢ ص ٣٣٧، الوافي بالوفيات ج ٢ ص ١١٤، ذيل تذكرة الحفاظ لأبي المحاسن الحسيني ص ٣٤، طبقات الشافعية الكبرى ج ٩ ص ١٠٠، ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد لأبي الطيب محمد المكي ج ١ ص ٥٣، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ص ٣٠٩.

وقد ترك هذه الثروة العلمية ينهل منها العلماء من بعده، في مئات المصنفات هي من أجل الكتب نفعاً وأكثرها بركةً، منها: تاريخ الإسلام، سير أعلام النبلاء، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، المعين في طبقات المحدثين، معجم المحدثين، تذكرة الحفاظ، المغني في الضعفاء، ميزان الاعتدال في نقد الرجال.

ولا يخفى أهمية كتب الذهبي رحمه الله في الجرح والتعديل، الذي حفظ الله به على الأمة دينها، أمّا عن جهاده لبيان الحق وكشف التحريف، فله فيها مصنفات فائقة، منها:

جزء في التمسك في السنن، العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام الرفض والاعتزال، زغل العلم، وغيرها من المصنفات الفائقة التي لابد لطالب العلم منها، فجزاه الله عن الإسلام خيراً.

ومن تلاميذ شيخ الإسلام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١)[١] وقلّما يذكر شيخ الإسلام إلا ويقرن اسمه باسم تلميذه، فينصرف الذهن إلى ابن القيم، الفقيه، الأصولي، المفسّر، النحوي، الحبر الواعي لجميع الفنون، انكبّ على طلب العلم حتى صار من أئمة الهدى الذين يقتدى بهم، في طلب العلم والجهاد في بيان الحق، فهو رحمه الله سيف مسلول على أهل البدع، ناظرهم وقطع عليهم بالحجج الناصعة، فلم يبق لهم في مناظرته أي متمسك، ولذا فإنك تجد كتبه مليئة بالردود المفحمة لهؤلاء المبتدعة، وعناوينها تحمل معنى جهاد المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة مثل:

---

(١) ينظر: الوافي بالوفيات ج ٢ ص١٩٦، البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢٣٤، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ج١ ص ٦٥، النجوم الزاهـــرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين الأتابكي ج ١٠ ص ٢٤٩، المقصد الأرشد في أصحاب الإمام أحمد لبرهان الدين ابن مفلح ج ٢ ص ٥٧، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ج ١ ص ٦٢، الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ج ٢ ص ٧٠.

اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، وله مصنفات في التفسير وعلوم القرآن عظيمة النفع مثل: التبيان في أقسام القرآن، وقد بَرَعَ في الفقه وأصوله، وله فيه:

إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحفة المولود، أحكام أهل الذمة، وله مجموعة رائعة، فائقة في الأخلاق والسلوك مثل: مفتاح دار السعادة، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، حادي الأرواح، الفوائد، وغيرها مما يضيق المقام عن حصره، وله في السيرة دُرّته زاد المعاد في هدي خير العباد، وغيره من المؤلفات التي تقر بها أعين طلاب العلم.

ويلحق بهما في خدمة كتاب الله تعالى وتأصيل مذهب السلف الصالح في تفسيره، الحافظ، العالم الجليل، المحدّث، المؤرّخ، المفسّر أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤)[1] مؤلف تفسير القرآن العظيم الذي يُعدّ من أنفع التفاسير، وأشهرها، وأقربها لطبلة العلم، وقد سار فيه المؤلف على هدي السلف الصالح، ومنهج شيخه ابن تيمية في الرد على المخالفين من أهل البدع والإلحاد، وبارك الله تعالى في علمه ومصنفاته واقتناها العلماء واهتموا بها، وانتفعوا، ومن مصنفاته رحمه الله:

تفسير القرآن العظيم، فضائل القرآن، وفي علوم الحديث كوكبة زاهرة من درر المحدث ابن كثير مثل:

تحفة الطالب، وغيرها، وفي التاريخ البداية والنهاية، قصص الأنبياء، وغيرها من مصنفاته جليلة النفع، رحمه الله تعالى.

---

(١) ينظر: المعجم المختص بالمحدثين للذهبي ص ٧٤، بأبناء الغمر بأنباء العمر لابن حجر ج١ ص٤٥، وله الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج ١ ص ٤٤٥، ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٦١، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى الرومي ج ١ ص ١٩ أسماء الكتب ص ٦٨، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ج ١ ص ١٥٣، طبقات المفسرين للداودي ص ٢٦٠.

وفي هذا القرن تحاشد زمرة من الأئمة العلماء الذين كشفوا بدع المحرّفين، وليس ما ذكرته إلا نماذج، رحمهم الله جميعاً[1].

القرن التاسع:

ولا تخلو القرون بتتابعها، من مجدّد للسنة، وقامع للبدعة، يحيي الله به خلقاً كثيراً، فيخرجهم على يده من الظلمات إلى النور، فكان نور هذا القرن، وداعي الحق فيه العالم المتبحر حافظ عصره، قاضي القضاة، شهاب الدين، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢)[2] هو قدوة المحدثين، ونادرة الدهر، برع بجميع العلوم، وشفى الصدور بمئات المصنفات التي عظم قدرها بعظيم ما اشتملت عليه من نفع، ولا يختلف اثنان أن شرحه لصحيح البخاري الفتح، أعجوبة الزمان، ومفخرة العلماء، لا يدانيه شرح ولا فتح بعده، وله مصنفات أخرى عظيمة لا يتسع المجال لحصرها، منها:

نخبة الفكر، القول المسدد في الذبّ عن مسند أحمد، نزهة السامعين في رواية الصحابة عن التابعين، الراية في تخريج أحاديث الهداية، تغليق التعليق، لسان الميزان، طبقات المدلسين، تقريب التهذيب، الإصابة في تمييز الصحابة، وله جهود عظيمة في التفسير فإنه قد صنف تجريد التفسير من صحيح البخاري[3]، وغيرها من المصنفات التي تدل على تبحر هذا العلم الذي فاق أقران عصره، وقطع حجج المبتدعين بمناظراته لهم، فحاز الحافظ قصب السبق في هذا القرن، ودان له بالفضل من عاصره من العلماء، أحلّهم الله دار السلام.

---

(١) منهم: ابن دقيق العيد (ت: ٧٠٢)، أبو محمد البرزالي (ت: ٧٣٩)، محمد بن أحمد الكلبي (ت:٧٤١)، أبو الحجاج المزّي (ت: ٧٤٢)، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان (ت: ٧٤٥)، جمال الدين الزيلعي (ت: ٧٦٢)، إبراهيم بن موسى اللخمي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠)، ابن أبي العز الحنفي (ت: ٧٩٢)، بدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤)، الحافظ ابن رجب (ت: ٧٩٥)، وغيرهم من الأعلام النبلاء رحمهم الله جميعاً.

(٢) طبقات صلحاء اليمن لعبد الوهاب البريهي ص ٣٣٩، كشف الظنون ج ١ ص ٥٤٧، طبقات المفسرين للداودي ص ٣٣٠، الأعلام للزركلي ج ١ ص ١٧٨.

(٣) ينظر: طبقات المفسرين للداودي ص ٣٣٠.

القرن العاشر:

كـان سيد هـذا العـصر الإمـام، المتفـنن، طويـل البـاع في فنـون العلـم عامـة، وفي علـوم القرآن والتفسير خاصة، فهو بحره المحيط، المُجمع على جلالتـه وتفانيـه بخدمـة كتـاب الله وسنة رسوله ﷺ بمئات المؤلفات الجامعة النافعة، ذاك هو العلامة المحقّق المدقّق الهُمام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر محمد السيوطي (ت:٩١١)[(١)]، والباحثون في علوم القرآن والتفسير اعترفوا بجلالة قدر هذا العالم، وفضله على طلبة العلم عامة بتلك المؤلفات؛ الحافلة الكثيرة، الكاملة، وشهرتها تغني عن التعريف بها، والسيوطي رحمه الله آية من آيات الله في سرعة الكتابة والتأليف، فجاوزت مؤلفاته الستمائة مؤلف، كان للقرآن وعلومه النصيب الكبير منها، وبالإضافة إلى الاهتمام بالمصنفات في علوم القرآن، والسنة، فقد كان جلال الدين رحمه الله أديباً، مؤرخاً، نفع الله به الإسلام والمسلمين، وترك لهم منه إرثاً عظيماً في شتى الفنون، ففي التفسير وعلوم القرآن على سبيل المثال:

التفسير المسند إلى رسول الله ﷺ المسمى بالدر المنثور، الإتقان في علوم القرآن، أسرار ترتيب القرآن، لباب النقول، مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، المهذّب في ما وقع في القرآن من المعرب.

كما أن له في علوم الحديث، تصانيف كثيرة، نافعة منها:

تدريب الراوي، أسماء المدلسين، مفتاح الجنة، التطريف في التصحيف، أسباب ورود الحديث، تذكرة المؤتسي، الفتح الكبير، لباب الحديث، جامع الأحاديث، شرح سنن النسائي، الديباج على مسلم، وغيرها مما لا يسع استيعابه في مثل هذا المقام.

---

(١) ينظر: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان لشمس الدين ابن طولون الصالحي ص ٢٣٨، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة لنجم الدين الغزي ص ١٤٢، أبجد العلوم الوشي المرقوم في فنون العلوم لصديق القنوجي، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة لمحمد الكتاني، مناهل العرفان للزرقاني ج٢ ص٢٣، الأعلام ج٣ ص٣٠١، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لإدورد فنديك ص٧٥.

وله في المعاني، واللغة، والأدب، مصنفات رائعة وكذلك في التراجم والتاريخ[(١)]، والسيوطي رحمه الله من الأئمة المجتهدين، الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، وصنف في ذلك، وناظر، ورد على المخالفين ومن تصانيفه:

تنزيه الاعتقاد عن الحلول والاتحاد، تنبيه الغبي بتبرئة ابن العربي[(٢)]، بزوغ الهلال في الخصال الموجبة للظلال، صفة صاحب الذوق السليم.

وغيرها من كتبه التي لا غنى للعالم قبل طلبة العلم عنها.

وعاش في هذا القرن من العلماء أمثال السيوطي الكثير، ممن جعلهم الله نجوماً يهتدي بهم الناس، فكانوا جنوداً للدين، اصطفاهم الله تعالى لحماية كتابه وسنة نبيه ﷺ، رحمهم الله تعالى.

القرن الحادي عشر:

برز فيه أئمة أعلام، تضافرت جهودهم لخدمة كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وأثروا مكتبات العالم الإسلامي بالمؤلفات في شتى الفنون، أقاموا فيها الحجج والبراهين على المخالفين، وبينوا فيها طريق الحق والسبيل القويم منهم:

العلاّمة نور الدين أبو الحسن علي بن سلطان محمد القاري الهروي المعروف (بملا علي القاري) (ت:١٠١٤)[(٣)]، له مؤلفات كثيرة نافعة، تناول فيها شتى الفنون، فله في الرد على المخالفين من أهل البدع:

الرد على القائلين بوحدة الوجود، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، وله مصنفات متنوعة في مختلف الفنون، وله تفسير في أربع مجلدات[(٤)]... ومنهم:

---

(١) ينظر: كشف الظنون ج٢ ص ٤٩٤.

(٢) ينظر: شذرات الذهب ج٥ ص ١٩١.

(٣) ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ج٣ ص١٨٥، الأعلام ج٥ ص١٣، البدر الطالع ج١ ص٤٤٥، هدية العارفين ج٥ ص٧٥١، معجم المؤلفين لعمر كحالة ج٧ ص١٠٠.

(٤) ينظر: كشف الظنون ج١ ص ٤٥٤.

العلامة زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي (ت:١٠٣٣)[١] ومن مصنفاته في الردود على المخالفين: أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، رفع الشبه والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، وله مصنفات في شتى الفنون، ففي علوم القرآن: وفي علوم الحديث: الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة، وفي الفقه: دليل الطالب على مذهب الإمام المبجّل أحمد بن حنبل، وله البرهان في تفسير القرآن، وغيرها من المصنفات النافعة.

وفي عصره علماء لهم فضلهم على الدين وأهله، لم يجعلوا لمبتدع يلتمس طريقاً إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ إلاّ قطعوه عليه، فجزاهم الله عن الإسلام خيراً.

القرن الثاني عشر:

سطع في هذا القرن نجم العلاّمة، الحبر، الفهّامة، الشيخ الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني اليماني (ت:١١٨٢)[٢]، كان من العلماء المجاهدين، ودعا أهل اليمن خاصة، والمسلمين إلى التوحيد، وإخلاصه لله تعالى، والبعد عن الشركيات التي انتشرت في ذلك الوقت؛ مثل التوسل بقبور الصالحين، والنذر والنحر لغير الله، وغيرها.

وكان رحمه الله من أبرز من حمل لواء الدعوة إلى إخلاص التوحيد لله، ونبذ البدع والضلالات، والشرك، والخرافات في القرن الثاني عشر وله في ذلك مصنفات مشتهرة عظيمة النفع منها:

تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد، الإنصاف في حقيقة الأولياء، وغيرها.

كما أن العلامة الصنعاني حارب أهل الكلام وبين فساد منهج المتكلمين، وله في ذلك كتابه الرائع؛ إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة، وفي كتابه جمع الشتيت شرح أبيات التثبيت، تعقب فيه متؤولة صفات الله تعالى من أهل البدع، ورد عليهم ردوداً مفحمة في أكثر من موضع.

---

(١) ينظر: نفحة الريّحانة ورشحة طلاء الحانة للمحبي ج٢ ص ١٣٢، وله خلاصة الأثر ج٤ ص ٣٥٨، الأعلام ج٧ ص ٢٠٣، معجم المؤلفين ج١٢ ص ٢١٨، طبقات النسابين لبكر أبو زيد ص ٢٩.

(٢) ينظر: الأعلام ج٤ ص ١٣١، معجم المؤلفين ج٩ ص ٥٦.

ومن هذا المنبر العظيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجمع الناس على سنة رسول الله ﷺ ونبذ البدعة، انطلق الصنعاني رحمه الله في علومه ومؤلفاته، فعاش محارباً في بلده، وبين قومه لما هم عليه من التشيع والرفض، فمن تتبع حالة الزيدية خاصة في البيئة التي نشأ فيها الصنعاني، والمجتمع الإسلامي عامة بما وصل إليه من خرافات وشركيات في زمن الصنعاني، تظهر له مكانة هذا العالم الجليل وجهوده في بيان الحق للمسلمين، وقد كان لمجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب (ت:١٢٠٦) أثر كبير على العلماء الذين عاصروه، مثل الصنعاني والشوكاني (ت:١٢٥٠) كما سيأتي بيانه في القرن التالي.

وللصنعاني رحمه الله مصنفات لا يتسع المقام لحصرها، تناول فيها شتى الفنون، منها:

رفع الأستار، افتراق الأمة، إجابة السائل شرح بغية الآمل، ثمرات النظر في علم الأثر، وغيرها كثير قد بارك الله فيه، ونفع به طلبة العلم.

وحَمِل همّ هذه الدعوة مع الصنعاني، علماء أجلاّء[1] لهم الفضل في تبصير أمة الإسلام بما وقع من ضلال وبدع في ذلك الزمان، والتصدي لأعداء الدين من أهل البدع والملحدين.

القرن الثالث عشر:

تفشت العامّية في القرن الثاني عشر والثالث عشر، وظهر فيهما الشرك والابتداع في الدين، ومن تسخير الله تعالى لحفظ دينه أن قيض له من يبعث للمسلمين فقههم من جديد، فكان مجدد القرن الثاني عشر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ت:١٢٠٦)[2]

---

(١) منهم: محمد أمين المحبي (ت:١١١١)، شهاب الدين أحمد الدمياطي (ت:١١١٧)، محمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت:١١٢٢)، عبد الرحمن بن عبد الله أبابطين (ت:١١٢١)، أحمد بن مانع بن إبراهيم بن شبرمة الوهيبي (ت:١١٨٦)، عبد الله بن إبراهيم بن سيف (ت:١١٤٠).

(٢) ينظر: أبجد العلوم ج٣ ص ١٩٤، الأعلام ج٦ ص ٢٥٧، الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته لعبد الله الشبل ص ٢٢، محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه لمسعود الندوي ص ١٧٩، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي لمحمد السلمان ص ٣٥.

فقام بدعوة إصلاحية عظيمة أعادت للإسلام قوته، وصفاءه، ونفوذه، وطهّر الله به الجزيرة من الشرك والبدع، وامتدّت آثار هذه الدعوة المباركة إلى أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي، وتأثر بها عدد من العلماء والمصلحين فيه.

فكان الإمام محمد بن عبد الوهاب من الأئمة المجاهدين المجددين الذين حملوا لواء الدعوة السلفية، أشهر حسامه فيها فكان قائدها الأول، وسار في ركبه العلماء الأثريين الذين أعجبهم، وقوف الإمام أمام المبتدعة وتصديه لهم.

قال الزركلي (ت:١٣٩٦) في الأعلام: «وكانت دعوته الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله، تأثر بها رجال الإصلاح في الهند ومصر، والعراق والشام وغيرها...»[١]، وقال عبدالكريم الخطيب: «والذي لا شك فيه أن الدعوة الوهابية[٢] كانت أشبه بالقذيفة الصارخة، تتفجر في جوف الليل والناس نيام، كانت صوتاً قوياً راعداً، أيقظ المجتمع الإسلامي كله، وأزعج طائر النوم المحوّم على أوطانهم منذ أمدٍ بعيد»[٣].

وللشيخ الإمام المجدد، مؤلفات رائعة، سطّرت شيئاً من تلك الجهود العظيمة في خدمة كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، بورك للأئمة فيها، وعمّ نفعها، منها في الردود على أهل البدع وجهاد المخالفين:

---

(١) الأعلام ج١ ص ٢٥٧.

(٢) الأفضل تحاشي هذا اللقب (الوهابية) واجتناب ذكره، فإن الكثير من خصوم الإمام والمناوئين له أطلقوا هذا اللقب على أتباع الدعوة السلفية، ويريدون بذلك توهيم الناس أن الوهابية مذهب جديد، أو أنها دعوة مستقلة عن سائر المذاهب الإسلامية، ولكن الله تعالى عاملهم بنقيض قصدهم، فهم قصدوا بهذا اللقب ذمّهم، واتهامهم بالبدعة، ولكن هذا اللقب صار علماً على كل من يدعو إلى الكتاب والسنة، وإلى الأخذ بالدليل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة البدع، والخرافات، والتمسك بمنهج السلف الصالح، ينظر: أصول الإيمان للإمام محمد بن عبدالوهاب تحقيق باسم الجوابرة ص٢٠، دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لعبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف ص ٨٩، مباحث في العقيدة لناصر العقل ص٦٣.

(٣) الشيخ محمد بن عبد الوهاب لابن حجر آل بوطامي ص ١٠٢، ١٠٧.

كتاب التوحيد، الذي اهتم العلماء بشرحه وتدريسه لطلبة العلم، ثلاثة الأصول، وقد أولاها العلماء وطلبة العلم عناية فائقة، بحفظها، وفهم معانيها، ومن كتبه أيضاً:

عقيدة الفرقة الناجية، أصول الإيمان، مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، كشف الشبهات، أحاديث في الفتن والحوادث، معنى لا إله إلا الله، مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية، رسالة في الرد على الرافضة.

وله في الفقه وأصوله:

الفتاوى، مختصر الإنصاف والشرح الكبير، أربع قواعد تدور الأحكام عليها، مبحث الاجتهاد والخلاف.

وله في التفسير وعلوم القرآن: فضائل القرآن، مختصر تفسير سورة الأنفال، تفسير آيات من القرآن الكريم.

وله مؤلفات في فنون أخرى عمّ نفعها، وصارت إرثاً عظيماً خلّفه للعلماء وطلبة العلم من بعده.

وتأثر بدعوة الإمام علماء أفذاذ، أسهموا في تجديد الدين في هذا القرن والتصدي لتلك البدع المنتشرة بين أهله، مما كان لهذه الدعوة الأثر الكبير، والفضل العظيم على المسلمين، إذ رجع إليهم دينهم نقياً سليماً من الشركيات التي طمّت بلواها سنين عدة، حتى قيض الله لها تلك النخبة ابتداء بالإمام وانتهاء بمن تأثر به إلى عصرنا هذا، ومنهم في القرن الثالث عشر: ابناه؛ حسين بن محمد بن عبد الوهاب (ت:١٢٢٤)، وعبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب (ت:١٢٤٢)[١] وقد سارا على نهج والدهم في الدعوة والجهاد في بيان الحق والتصنيف في ذلك.

حفيد الإمام محمد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت:١٢٣٣)[٢] وله تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لجده المجدد رحمه الله.

(١) ينظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ج١ ص ٢٣.

(٢) المرجع السابق ج١ ص ٢٤.

ومنهم الشيخ محمد بن علي بن غريب (ت:١٢٠٩)[١]، أحد كبار علما نجد، وتلاميذ الإمام المجدد، وقد تزوج بنت شيخه محمد بن عبد الوهاب، ومنهم: الشيخ حمد بن ناصر ابن عثمان آل معمر (ت:١٢٢٥)[٢] صاحب كتاب: الفواكه العذاب في الرد على من لم يُحكم السنة والكتاب.

ومن العلماء الذين اشتهروا بخدمة كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، والذبّ عنهما العلاّمة محمد بن علي الشوكاني (ت:١٢٥٠)[٣] من العلماء المبرزين في اليمن، ومن الذين أُعجبوا بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ودعا الناس إليها، ودافع عن الإمام، ورثاه حين نُعي له.

وللشوكاني جهوده في خدمة الدين، التي لا تخفى على طلاب العلم الذين انتفعوا بكتبه الفائقة، مثل:

تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، الدراري المضيّة شرح الدرر البهية، وله في الدعوة إلى عقيدة السلف والرد على المخالفين أهل البدع مصنفات كثيرة، منها:

التحف في مذاهب السلف، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع، الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد، وغيرها.

وعاش في هذا القرن كثير من العلماء الذين أسهموا في نشر التوحيد، وقمع البدع، يطول المقام بذكرهم[٤]، رحمهم الله جميعاً.

---

(١) ينظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٧٠.

(٢) ينظر: مشاهير علماء نجد ج٢ ص ٤٧.

(٣) ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لابن البيطار ج٢ ص ٤٧، فهرس الفهارس ج٢ص١٠٨٧، الأعلام ج٥ ص١٧، معجم المؤلفين ج١١ ص٥٣.

(٤) منهم: محمد الزبيدي (ت:١٢٠٥)، حسن العطار (ت:١٢٥٠)، شهاب الدين الألوسي (ت:١٢٧٠)، محمد الطاهر بن عاشور (ت:١٢٨٤)، عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين (ت:١٢٨٢)، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت:١٢٨٥)، وغيرهم أجزل الله لهم المثوبة.

القرن الرابع عشر:

منّ الله على المسلمين في هذا القرن بعلماء سخّرهم لحفظ كتابه، فأفنوا أعمارهم في خدمته، والدفاع عنه وعن سنة رسول الهدى ﷺ، وتصدوا لمن أراد النيل منهما من أهل البدع والإلحاد، وممن اشتهر اسمه وعلا صيته في هذا القرن بخدمته للكتاب والسنة:

علامة الشام أبو الفرج محمد جمال الدين بن محمد القاسمي (ت:١٣٣٢)[١] إمام الشام في عصره، كان محدثاً، فقيهاً، مفسّراً، مصلحاً، أديباً، وقّافاً على أقوال السلف الصالح، نشأ في ظروف انتشرت فيها البدع والفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، وعلى رأسها الصوفية، فكان له معهم جهاده المعروف لبيان الحق، حتى دبّروا له مكيدة، فحّبس فترة ثم خُلِّي عنه، فانقطع في منزله للتصنيف، وإلقاء الدروس في كل فن، ونَشَر بحوثاً كثيرة في المجلات والصحف، ومن ثمرات جهوده المباركة:

درته؛ محاسن التأويل، تفسير كامل للقرآن الكريم ومنها:

دلائل التوحيد، إصلاح المساجد من البدع والعوائد، رسالة الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس، ميزان الجرح والتعديل، موعظة المؤمنين في إحياء علوم الدين، وغيرها من الكتب، والرسائل، والمقالات.

ومن نجباء هذا القرن العلاّمة عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت:١٣٧٦)[٢] برع رحمه الله في فنون شتى، فكان عالماً بالأصول، والتوحيد، والتفسير، واللغة، وغيرها من العلوم النافعة، وله مكانة مرموقة في علم التفسير، يدل على ذلك تفسيره القيم، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، وكان ذا عناية بالغة بالتأليف، وشارك في كثير من فنون العلم، فألّف في التوحيد، والفقه، والحديث، والآداب، والأصول، وغيرها، وبارك الله في هذه المؤلفات، وعظم نفعها، وأغلبها مطبوع، ومنها:

---

(١) ينظر: الأعلام ج٢ ص ١٣٥، معجم المؤلفين ج٣ ص ١٥٨، مجلة البيان العدد ٢٢ ج٢٢ ص ٤١.

(٢) ينظر: معجم المؤلفين ج١٣ ص ٣٩٦، مشاهير علماء نجد وغيرهم ج٣ ص ٢٠، علماء نجد خلال ستة قرون لعبد الله البسام ج٢ ص ٤٢٢.

الأدلة والقواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، الإرشاد إلى معرفة الأحكام، انتصار الحق، الجهاد في سبيل الله، سؤال وجواب في أهم المهمات، القول السديد في مقاصد التوحيد، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، وغيرها من الكتب النافعة.

ومن النجوم الذين يهتدى بهم في هذا القرن، العالم الكبير محمد بن محمد المختار الشنقيطي (ت:١٣٩٣)[(١)]، ذلك الإمام الفذّ، والعلاّمة المحرّر، كان على علم غزير في التفسير، والعقيدة، والفقه وأصوله، واللغة وغيرها، نال تقدير وإعجاب أهل عصره، ومن بعدهم، له جهود عظيمة في تقرير عقيدة السلف، وتفنيد أقوال المخالفين والردّ عليهم، فهو من الأئمة المجتهدين المجاهدين، وهذا واضح بيّن في مؤلفاته، مثل:

تفسيره، عظيم النفع، أضواء البيان في تفسير القرآن، دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، آيات الأسماء والصفات، منع المجاز في المنزّل للتعبد والإعجاز، مذكرة الأصول على روضة الناظر، آداب البحث والمناظرة، وغيرها من الكتب والمحاضرات التي عم نفعها، وذاع صيتها، من هذا العالم الفاضل رحمه الله.

وبرز مع هذه الأسماء اللامعة في هذا القرن علماء نبلاء لهم الفضل العظيم على الدين وأهله، رحمهم الله جميعاً[(٢)].

وأردت باستعراض خاطف لتلك القرون، التعرض لشيء من فضل الله تعالى على هذه الأمة، بحفظ دينها، وتسخير العلماء لخدمة كتابه المجيد، فمنذ نزوله في خير قرن، ووصولاً إلى قرننا هذا، ينتقل الدين عهدة ثمينة، بأيدي أمينة من علماء الأمة الأعلام، فلم يخل قرن من القرون من أمثال هذه الثلة العظيمة، فأنجز الله وعده بحفظ كتابه،

---

(١) ينظر: ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لعبد الرحمن السديس ص ١ وما بعدها، مقدمة أضواء البيان من ترجمته بقلم تلميذه عطية سالم، علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ص ١٧١.

(٢) منهم: رحمة الله الهندي (ت:١٣٠٦)، أحمد بن إبراهيم بن عيسى (ت:١٣٢٩)، عبد الرزاق بن البيطار (ت:١٣٣٥)، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت:١٣٦٧)، حافظ بن أحمد الحكمي (ت:١٣٧٧)، أحمد بن محمد شاكر (ت:١٣٧٧)، محمد فؤاد عبد الباقي (ت:١٣٨٨)، محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ت:١٣٨٩)، عبد الرحمن المعلمي (ت:١٣٨٦)، محمد حسين الذهبي (ت:١٣٩٨).

ووقعت نبوءة نبيه ﷺ في وجود المجدِّدين، العلماء الربانيين في كل قرن، يجدّدون لهذه الأمة دينها بالدعوة، والتعليم، وحسن القدوة، ينفون عن القرآن والسنة، تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فالحمد لله الذي جعل في كل زمانٍ فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم، يَدْعون من ضل إلى الهدى، ويُبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، هم ورثة الأنبياء، وسادة الأولياء، بهم تصلح الديار، ويُكْبَت الأشرار، هم أنصار الملة، وأطباء العلة، وهم خلفاء الرسول، يدركون الحِيَل، ولا تختلط عليهم السُّبُل، يكشف الله بهم تلبيس إبليس، ويدفع الله بهم كل دجّال خسيس، فما أحسن أثرهم على الناس، فجزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء، وأسكنهم مع الأنبياء، والصديقين، والشهداء[(١)].

وفي هذا القرن الذي نعيش فيه تحمّل هذه الأمانة عن سلف الأمة علماء نبلاء جهابذة موسوعيون في كافة الفنون، أناروا الطريق للأجيال، فكانوا كالطود والبنيان المرصوص في الدفاع عن القرآن وسنة المصطفى ﷺ، ونهج صحبه وأتباعهم بإحسان، فمن هؤلاء العلماء من قضى إلى ربه وقد أفنى عمره في هذا المنبر العظيم، ومنهم:

الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت:١٤٢٠)[(٢)] علاّمة العصر، إمام المجتهدين، لا يخفى على أحد من أهل عصره علمه، وجلالة قدره، اشتهرت جهوده وتفانيه في البذل لهذا الدين، ونشاطاته تدين بفضلها أصقاع الأرض، فمنها فتاوى، وشروح، وخطب، وبحوث، والمؤلفات خُصّت بها مؤلفات مستقلة، منها رسالة ماجستير[(٣)] في جهوده في

---

(١) مقتبسة من خطبة الإمام أحمد في مقدمة كتابه الرد على الزنادقة والجهمية ص ٢.

(٢) ينظر: جوانب من سيرة ابن باز لمحمد الحمد ص ١ وما بعدها، الشيخ عبد العزيز بن باز نموذج من الرعيل الأول محاضرة مسجلة لعبد المحسن البدر ألقيت في مسجد الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من شهر صفر عام ١٤٢٠هـ، الشيخ ابن باز بقية السلف وإمام الخلف إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إمام العصر لناصر الزهراني ص ١ وما بعدها.

(٣) نوقشت هذه الرسالة عام ١٤٢٩هـ وهي للباحثة في قسم القرآن وعلومه في جامعة الإمام، دانة الدوسري.

التفسير، وغيرها من المؤلفات، التي عنيت بإرثه العظيم، ومن مؤلفاته:

مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، الفوائد الجلية في المباحث الفرضية، الدروس المهمة لعامة الأمة، توضيح المناسك، رسائل في الصلاة، والزكاة، والصيام، وله في مجال الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مؤلفات تدل على جهوده في بيان الحق منها:

التحذير من البدع، العقيدة الصحيحة وما يضادها، وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها، الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه، حكم السفور والحجاب ونكاح الشغار، نقد القومية العربية، حكم الإسلام فيمن طعن في القرآن أو في رسول الله ﷺ، إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدّق الكهنة والعرافين، وغيرها من كتبه المشتهرة النافعة، رحمه الله تعالى.

ومن علماء هذا القرن العلاّمة، المحرّر، المجتهد، الفقيه، الأصولي، المفسّر؛ محمد بن صالح بن عثيمين (ت: ١٤٢١)(١) العالم الجليل المربي، القدوة في العلم والخلق، أخذ من العلم بحظ وافر، وبذل جهوداً عظيمة في نشره، وإفادة طلاب العلم، وتعقب أعداء الإسلام من المبتدعين والملحدين بكشف أباطيلهم، ودحضها بالقول الحق من الكتاب والسنة وأقوال السلف، فهو رحمه الله متجرد للدليل الصحيح، حذّر من التعصب والتقليد الأعمى، وهذا المنهج السليم يتضح في مؤلفاته الرائدة المشتهرة، المليئة بالدرر والفوائد القيمة، وهي أكثر من أن تحصر في مثل هذه العجالة، منها:

عقيدة أهل السنة والجماعة، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، وله في التفسير وعلوم القرآن:

تفسير القرآن الكريم، شرح مقدمة التفسير وغيرها.

---

(١) ينظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد لناصر الزهراني، الدرّ الثمين في ترجمة العلامة ابن عثيمين لمجموعة مشايخ، الشيخ محمد بن عثيمين من العلماء الربّانيّين محاضرة مسجلة ألقاها عبد المحسن البدر في مسجد الجامعة الإسلامية بالمدينة في ٢٤/ ١٠/ ١٤٢١هـ.

وله في الفقه: الشرح الممتع، مجموع فتاوى ورسائل، وفي العقيدة: فتح رب البرية بتلخيص الحموية، شرح لمعة الاعتقاد، وغيرها من آثار الشيخ المتنوعة ما بين شروح، ودروس، وخطب، ومحاضرات، ورسائل، وفتاوى عمّ نفعها، وأبقت للشيخ مكانة عظيمة في نفوس المسلمين عامة، وطلبة العلم خاصة، رحمه الله وجزاه عن الإسلام خيراً.

وفي طليعة المحدّثين في هذا العصر العلاّمة المحدّث، حافظ عصره، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت:١٤٢١)(١) اعتنى بالحديث النبوي الشريف عناية فائقة، وقام على خدمة سنة رسول الله ﷺ، فقدّم أعمالاً جليلة، وترك ثروة علمية كبيرة، ومضى عليه أكثر من خمسين عاماً وهو في هذا العمل الجليل، دراسة، وتدريساً، وتأليفاً، وتحقيقاً، وعملاً، ودعوة، فمنّ الله تعالى على العلماء، وطلبة العلم، والعالم الإسلامي، بتحقيقاته، وتخريجاته، للأحاديث، والحكم عليها، بفتوحاته التي لم يسبق إليها، كما شهد له بذلك شانئوه قبل محبيه، ومن نفائس ثروته الضخمة التي لا يستغني عنها باحث:

إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، سلسلة الأحاديث الصحيحة، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، مشكاة المصابيح، حكم تارك الصلاة، دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، فتنة التكفير، الاحتجاج بالقدر، وغيرها من مئات الكتب في خدمة السنة، التي بذل حياته رحمه الله في الذبّ عنها ونال على ذلك جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية لعام ١٤١٩هـ، وموضوعها (الجهود العلمية التي عُنيت بالحديث النبوي تحقيقاً وتخريجاً ودراسة) تقديراً لجهوده القيّمة في خدمة الحديث النبوي، وذلك في كتبه التي تربو على المائة، بالإضافة إلى الدروس، والخطب، والمحاضرات.

---

(١) ينظر: المنهج السلفي عند الشيخ ناصر الدين الألباني لعمرو سليم ص ١ وما بعدها، محدّث العصر الإمام محمد ناصر الدين الألباني لعصام هادي، صفحات بيضاء من حياة الإمام محمد ناصر الدين الألباني لعطية صديقي سالم، دور العلامة الألباني وتميزه في علم الحديث والدعوة السلفية لإبراهيم الهاشمي، الإمام المجدد العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني لعمر أبي بكر.

وكشف التحريفات التي تقع في السنة، شديدة الصلة بكشف التحريف في فهم كتاب الله تعالى، فالسنة شارحة للقرآن.

وحَظِي المسلمون في هذا القرن بكوكبة من العلماء الذين أسهموا في الدفاع عن القرآن والسنة، ويطول بنا المقام، ونحن نتتبع تلك الصفحات البيضاء من بذلهم وعطائهم(١)، فجزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء، وأسكنهم بحبوحة جنته، وسدّد الله العلماء العاملين وأنار الله بهم للأمة، وبارك لها فيهم، فهم حجة الله في أرضه على الخلق، ولن يخلي الله عباده منهم، فبهم يُحفظ الدين، وهذا ما يخفف ألم فقد أحد منهم، قال ابن القيم (ت:٧٥١): «...لمّا كان صلاح الوجود بالعلماء، ولولاهم كان الناسُ كالبهائم، بل أسوأ حالاً، كان موت العالم مصيبة لا يجبرها إلا خلف غيره له، وأيضاً فإن العلماء هم الذين يسُوسُون العباد والبلاد والممالك، فموتهم فسادٌ لنظام العالم، ولهذا لا يزال اللهُ يغرسُ في هذا الدين منهم خالفاً عن سالف، ويحفظ بهم دينَه، وكتابَه، وعباده»(٢).

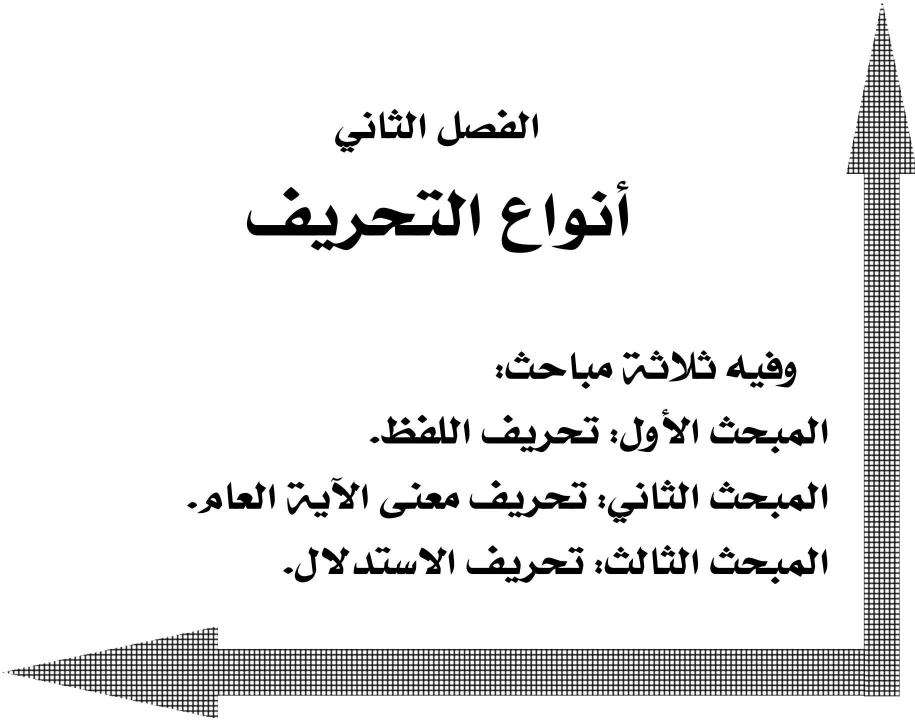
ومن الدراسات الحديثة في بيان التحريف وكشفه والرد على أهله، منها:

تحريف النصوص من مآخذ آهل الأهواء في الاستدلال للعلاّمة بكر أبوزيد (ت:١٤٢٩)، الانحراف الفكري في التفسير المعاصر رسالة دكتوراة من جامعة الإمام ليحيى شطناوي، المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف لصالح الغامدي، جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية لمحمد أحمد لوح، أسباب الخطأ في التفسير الأقوال الشاذة في التفسير لعبد الرحمن الدهش، تحريف المصطحات القرآنية وأثره في انحراف التفسير في القرن الرابع عشر لفهد الرومي.

---

(١) منهم: عبد الله بن محمد ابن حميد (ت:١٤٠٢)، عبد الفتاح القاضي (ت:١٤٠٣)، إحسان إلهي ظهير (ت:١٤٠٧)، أبو الحسن الندوي (ت:١٤٠٨)، صالح بن إبراهيم البليهي (ت:١٤١٠)، حمود عبد الله التويجري (ت:١٤١٣)، عبد الرزاق عفيفي (ت:١٤١٥)، عبد القادر الأرناؤوط (ت:١٤١٥)، محمود محمد شاكر (ت:١٤١٨)، علي الطنطاوي (ت:١٤٢٠)، عبد الله البسام (ت:١٤٢٤)، بكر أبو زيد (ت:١٤٢٩).

(٢) مفتاح دار السعادة ص ٧٤.



الفصل الثاني

أنواع التحريف

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تحريف اللفظ.

المبحث الثاني: تحريف معنى الآية العام.

المبحث الثالث: تحريف الاستدلال.

المبحث الأول
تحريف مبنى ومعنى اللفظ

وفيه مطلبان:

المطلب الأول
تحريف مبنى اللفظ

الألفاظ في اللغة:

الألفاظ مصدر مُفرده لفظ من لَفِظَ، يَلْفَظُ، مثل: سَمِعَ يَسْمَعُ(١).

و(اللام والفاء والظاء)، كلمة صحيحة تدل على طَرْح الشيء، وغالب ذلك يكون من الفم، واللفظ بالكلام النطق به(٢)، ولَفِظَ بالشيء يَلْفَظُ لَفْظاً؛ تكلم به، وفي التنزيل ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨](٣).

وفي جمهرة اللغة: «اللفظ: معروف، لفظ لفظاً، وهو الكلام بعينه... ولا تلتفت إلى قول العامّة: لَفِظت الشيء، فهو خطأ، إنما يقال: لَفَظْته لَفْظاً»(٤).

الألفاظ في الاصطلاح:

ما يتلفظ به الإنسان، فهي الكلام بعينه(٥).

ويكون التحريف في مبنى اللفظ، أو في معناه(٦)، ولكن تحريف المباني لا مجال له في كتاب الله، إذ التحريف لا يتطرق للفظه ألبته، فإن الله تعالى تكفل بحفظه، وتولى حفظه

---

(١) ينظر: كتاب العين ج٨ ص١٩٥، المحيط في اللغة للطالقاني ج١٠ ص٢٩، تاج العروس ج٢٠ ص٢٧٤.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة ج٥ ص ٢٥٩، لسان العرب ج٧ ص ٤٦١.

(٣) ينظر: أساس البلاغة ص ٥٦٨.

(٤) ينظر: جمهرة اللغة ج١ ص ٤٠٩.

(٥) ينظر: التعريفات للجرجاني ص٢٤٧، معجم مقاليد العلوم للسيوطي، التعاريف للمناوي ص٦٢٣.

(٦) ينظر: أحكام القرآن للجصاص ج٤ ص ٤١، الصواعق المرسلة ج١ ص ٢١٥، تحريف النصوص لبكر أبو زيد ص ٣٧.

بنفسه، فأنجز وعده، وبَقِيَ كتابه معجزة خالدة، وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والتحريف في مبنى اللفظ قد وقع في كتب أهل الكتاب، لمّا أوكل الله تعالى حفظ كتبهم إليهم قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، لكنّ فريقاً منهم خانوا الأمانة، وحرّفوا كتبهم التي أنزل الله عليهم مبنى ومعنى، فهم شيوخ المحرّفين، وخصّهم الله به، وذمّهم عليه في كتابه المجيد، قال الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦]، وقال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة:٤١]، ومن أمثلة تحريف اليهود للتوراة، ما جاء به الخبر عن الصادق المصدوق، فيما رواه الشيخان، عن أبي هريرة رضي الله عنه (ت:٥٧) في تفسير النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة:٥٨-٥٩]، بقوله عليه السلام: **(قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً، وقولوا: حطة، فبدّلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة)**[1].

ومن تحريف اليهود لمباني ألفاظ التوراة، تحريفهم لنعت النبي ﷺ الوارد في التوراة[2].

---

(١) سبق تخريجه ص٢١.

(٢) ينظر: دلائل النبوة للبيهقي ج٢ ص ٥٣٧، دلائل النبوة لإسماعيل الأصبهاني ج١ ص ١٥٣، تفسير البغوي ج١ ص ٨٨، تفسير القرطبي ج١٦ ص ١٩١، هداية الحيارى ص ١١٥.

والنصارى وقعوا فيما وقع فيه اليهود، فحرّفوا الإنجيل، وتعدد النسخ التي بين أيديهم تدل على ذلك[١].

فأصبحت الكتب التي بين أيديهم، مليئة بالتحريف، ولا يوثق بشيء منها، ولا تنفع للاستدلال منها بشيء؛ إلا ما وافق الدليل من القرآن والسنة، قال ابن عباس رضي الله عنهما (ت:٦٨): «يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء؛ وكتابكم الذي أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث أخبار الله، تعرفونه غضاً، محضاً، لم يَشُب، وقد حدَّثكم الله أنّ أهل الكتاب قد بَدّلوا كتاب الله، وغَيّروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم، ولا والله ما رأينا منهم أحداً قط سألكم عن الذي أنزل إليكم»[٢].

فعاش الناس على فترة من الرسل قد بُدِّلت ما بين أيديهم من كتب سماوية، يتخبطون في ظلمات الجهل، حتى أنزل الله تعالى النور المبين الذي أرسل به نبيه صلى الله عليه وسلم فنسخ كل الشرائع قبله، وختم به الرسالات، فتكفّل بحفظ هذا القرآن المجيد من التبديل، ليبقى لهم دستوراً إلى قيام الساعة، وكما أن التحريف بدعة يهودية الأصل، فإن أوّل من حَرّضَ على إدخاله على كتاب الله اليهودي عبد الله بن سبأ الذي تسبب بأوّل افتراق في الأمة، وأوّل تحريف في فهم كتاب الله تعالى[٣].

لكن أهل التحريف جميعاً، لّما رأوا منعة كتاب الله تعالى عليهم، لجؤوا للتحريف في معاني ألفاظه، إذ لم يتمكنوا من تحريف مبناها، ومن هذا الباب دخل أعداء الدين، وتلاميذ اليهود، من أهل البدع والإلحاد، ولا يعني ذلك أنهم نالوا مآربهم في كتاب الله

---

(١) ينظر: الفصل في الملل ج٢ ص ٩، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد للقرطبي ص ١٧٣، هداية الحيارى ج١ ص ٤٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء**) ج٦ ص ٢٦٧٩ برقم ٦٩٢٩.

(٣) ينظر: تفصيل ذلك في مبحث نشأة التحريف من هذه الرسالة ص ٤٦.

تعالى، بل إن ما أرادوا دسّه في كتاب الله، من بدع وإلحاد، قيّض الله له خَدَمَة كتابه من أئمة العلماء، فصاحوا بهم، وحذّروا الأمة منهم، وَرَمَوْهم بالبدعة والزندقة، وصاروا في قائمة الفرق الضالة المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، أو المارقة من الإسلام والعياذ بالله، فلم تطرأ لمبتدع نية في تحريف إلا ويقيّض له من يكشفه ويتصدى لفضحه ولله الحمد والمنة.

المطلب الثاني
تحريف معنى اللفظ

المعنى في اللغة:

المعنى من عَنِيَ بالقول كذا، أي: أراد وقصد، ومنه معنى الكلام، ومَعْنِيّتُه بكسر النون مع تشديد الياء ومَعْنَاتُه ومَعْنِيّتُه واحد، ويُجمع المعنى على مَعَاني[(١)].

والمعنى حالة الألفاظ التي تصير إليها، والعين والنون يدلاّن على ظهور الشيء، من قولهم: عَنَتْ الأرض بالنبات أي: أَظْهَرَتْهُ حَسَناً، وعَنَتْ القربة أيّ: أَظْهَرَتْ ماءها ومنه عُنوان الكتاب[(٢)].

ومعنى الشيء، وفَحْوَاه، ومُقْتَضَاه، ومَضْمُونُه، وقَصْدُه، وتَفْسِيره، كله ممّا يدل عليه اللفظ، وهو حاله التي يصير إليها[(٣)].

والمعنى يقارب التفسير؛ وإن كان بينهما فرق؛ فالتفسير هو الكشف والإيضاح[(٤)]، والمعنى يطلق على مدلول الألفاظ، وبه يُقابل اللفظ.

المعنى في الاصطلاح:

«المعاني هي الصور الذهنية من حيث وُضع بإزائها الألفاظ، والصورة الحاصلة من حيث إنها تُقصد باللفظ تُسمى معنى»[(٥)].

---

(١) ينظر: مختار الصحاح ص ١٩٢، لسان العرب ج١٥ ص ١٠٦.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة ج٤ ص ١٩.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة ج١٢ ص ٢٧٨، جمهرة اللغة ج٢ ص ٧١٨، تاج العروس ج٣٩ ص ١٢٢.

(٤) ينظر: معجم الفروقات اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٩١، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني ص ٣٥٠، التعريفات للجرجاني ص ١٧٥، مفهوم التفسير والتأويل ص ٥٣.

(٥) ينظر: التعريفات للجرجاني ص ١٧٥.

أو يقال: المعنى «إظهار ما تضمنه اللفظ»[١].

وما نحن بصدد معناه في هذا البحث: ألفاظ القرآن الكريم.

وألفاظ القرآن وإن كانت من لغة العرب، إلا أن الشارع جعل لبعضها في القرآن الكريم عُرفاً خاصاً، واستعملها للدلالة على معاني خاصة، فصار له مصطلحاته الخاصة التي لم يستعملها العرب من قبل[٢]، مثل الصلاة فإن العرب تطلقها على الدعاء[٣]، واستخدمها الشرع بالإضافة لهذا المعنى ليُعبّر بها عن تلك الشعيرة العظيمة وبمراعاة السياق يمكننا معرفة المراد من المعنيين، كذلك الإيمان، فإن العرب تريد به التصديق فقط[٤]، وفي القرآن والسنة، هو التصديق بالقلب بما أخبر به الله ﷻ على لسان رسوله ﷺ، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان[٥].

يقول ابن القيم (ت:٧٥١): «للقرآن عُرْف خاص، ومعانٍ معهودة، لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عُرفه، والمعهود من معانيه»[٦].

ومراعاة هذا العُرف من ضمن الضوابط التي يجب مراعاتها عند تفسير كتاب الله تعالى، وسيأتي بسطها في الفصل الرابع بإذن الله.

والتحريف الواقع على معاني ألفاظ القرآن المجيد يأتي بسبب التفريط بتلك الضوابط، أو بشيء منها.

---

(١) ينظر: المفردات للراغب ص ٣٥٠.

(٢) للدكتور فهد الرومي بحث بعنوان تحريف المصطلحات القرآنية في قرابة ٩٠ ورقة، وهو مطبوع.

(٣) ينظر: مختار الصحاح ص ٣١١، تاج العروس ج٣٨ ص ٤٤١.

(٤) ينظر: كتاب العين باب النون والميم ج٨ ص ٣٨٩، تفسير الطبري ج١ ص ٢٣٥.

(٥) ينظر: الشريعة للآجري ج٢ ص ٦٣٧، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ١٨١، تم بسط مسألة تحريف الإيمان والرد عليه في القسم التطبيقي عند آية ٣ من سورة البقرة.

(٦) بدائع الفوائد ج٣ ص ٢٧، ٢٨.

قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «ولا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يُعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يُفهم كلامه، فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدّعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك، ويجعلون هذه الدَّلاَلَةَ حقيقة وهذه مجازاً، كما أخطأ المرجئة في اسم (الإيمان)؛ جعلوا لفظ (الإيمان) حقيقة في مجرد التصديق، وتناوُلِهِ للأعمال مجازاً»[١].

وبناءً على كلام شيخ الإسلام يمكننا تقسيم التحريف بالنسبة لمعاني الألفاظ في كتاب الله تعالى إلى ثلاثة أنواع، ذكر شيخ الإسلام اثنين منها في كلامه، وهي:

[١] التحريف في معنى اللفظ.

وهذا ما حذّر شيخ الإسلام منه بقوله: «ولا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يُعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ»[٢]، ومعنى التحريف في معنى اللفظ، أي: يقع التحريف على معنى اللفظ مباشرة، فيبدل المحرّف معناه إلى معنى لم يرده الله ﷻ، وقد خُصّ هذا القسم بالدراسة في هذه الرسالة، وجميع الأمثلة في القسم التطبيقي على هذا القسم من التحريفات، ومثاله:

تحريف المبتدعة من الجهمية، والمعتزلة، و بعض الرافضة، وجمهور الأشاعرة، وغيرهم[٣]، للفظ الاستواء من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [يونس: ٣]، وأمثالها من الآيات التي تثبت استواء الله تعالى على عرشه استواءً يليق بجلاله، فهم حرّفوا المعنى الصحيح للاستواء، الذي فسّره به علماء التفسير من سلف هذه الأمة، وهو: علا وارتفع[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى ج٧ ص ١١٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ينظر: الفصل في الملل ج٢ ص ٩٧، بيان تلبيس الجهمية ج٢ ص ٣٣٥، العلو للذهبي ص٢٣١.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ج١ ص٤٣٠، مجموع الفتاوى ج٥ ص٢٨، اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٩٢.

وقالت متأولة الباطل: إن الاستواء هو الاستيلاء، هروباً منهم عن إثبات المكان العليّ الذي أثبته الله لنفسه، وزعموا أنهم ينزهونه عن مشابهة خلقه بوجوده في مكان وجهة، وهذه بدعة سعوا لإثباتها بتحريف ما أراده الله تعالى من لفظ استوى[١].

ومثاله: تحريفهم للفظ ﴿ٱلْعَرْش﴾ في مواضعه من القرآن، وصرفه عن معناه الذي أراده الله تعالى ورسوله ﷺ منه في كثير من الآيات والأحاديث، من أنه أعظم المخلوقات، قد استوى الله تبارك وتعالى عليه استواءً يليق بجلاله[٢]، وبدّلوه بمعنى غير صحيح وهو الملك[٣]، هروباً من إثبات الاستواء، وهذا تحريف لمعنى اللفظ.

ومثاله أيضاً: تحريفات بعض الرافضة لكثير من الألفاظ في القرآن الكريم وتطويعها لمعتقداتهم الباطلة، مثل تفسيرهم للصراط المستقيم، من قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]، بعليّ رضي الله عنه (ت:٤٠)[٤]، وهذا كذب وافتراء، حرّفوا به المعنى المراد من هذا اللفظ ليوافق افتراءاتهم على عليّ رضي الله عنه.

ومن طامّاتهم في النيل من الصحابة، تنزيلهم للفظ البقرة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧]، على أم المؤمنين الطاهرة المطهرة من فوق سبع سموات بنت الصديق، عائشة رضي الله عنها، وأرضاها، ولا شك أن هذا تحريف لمعنى اللفظ لا يخفى، وهو من التحريفات الكثيرة المنكرة عند غلاة الرافضة في الطعن بالصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) تمت دراسة هذا التحريف بتوسع في القسم التطبيقي عند آية ٢٩ من سورة البقرة.

(٢) قال ﷺ: (...**والعرش لا يُقدّر قَدْره إلا الله**).

(٣) ينظر: التفسير الكبير ج٣ ص ٢٩٢، تفسير البيضاوي ج٥ ص ٤٧٤، البحر المحيط ج٤ ص ٣١٠، روح المعاني ج٢ ص ٥٩٣، وتمت دراسة هذا التحريف بشئ من التفصيل عند آية الكرسي في القسم التطبيقي.

(٤) ينظر: تفسير القميّ ج١ ص ٤٦، الميزان للطباطبائي ج١ ص ٤١، وقد تمت دراسة هذا التحريف في القسم التطبيقي.

ومن أمثلة تحريف معنى اللفظ، تحريف معنى الملائكة، بينما ورد في القرآن، أنها مخلوقات كريمة، ذكرت أوصافها في الكتاب والسنة، وجعل الإيمان بها من الإيمان بالغيب الذي امتدح الله عباده به، بدّل المحرّفون معناها إلى دوافع الخير والشر في نفس الإنسان أو القوى اللاّحسية من الخير والشر، وهذا تحريف لمعنى اللفظ سببه تحكيم العقل في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ[(١)].

وشبيه بهذا التحريف، تحريفهم لمعنى الجنّ، حيث ورد هذا اللفظ في القرآن، وتفسيره بالميكروبات والجراثيم[(٢)].

وقد يلجأ المحُرّف إلى نوع آخر من أنواع التحريف، فلا يُباشر تحريف معنى اللفظ ولكن يأتي بتحريف من القسمين الآخرين من أقسام تحريف معاني الألفاظ، وهما:

[٢] تحريف الاستدلال بهذه الألفاظ:

وهو ما عناه شيخ الإسلام بقوله: «وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإن عامّة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب»[(٣)].

[٣] تحريف معنى الآية العام:

وفي هذين النوعين المبحثان القادمان من الرسالة، وبالله التوفيق.

والتحريف بأنواعه الثلاثة له جهتان يُصدر منهما المُحرِّف تحريفه، وهما جهتان للتحريف في تفسير كتاب الله تعالى، لا يخرج عنهما مُحرِّف، وفيما يلي بيانهما:

---

(١) ينظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج١ ص ٢٦٧، ٢٦٨، وينظر: الرد على هذا التحريف عند آية ٣٠ من سورة البقرة في القسم التطبيقي من هذه الرسالة.

(٢) المرجع السابق ج٣ ص ٩٦، وينظر: الرد على هذا التحريف عند آية ٢٧٥ في القسم التطبيقي من هذا الكتاب.

(٣) مجموع الفتاوى ج٧ ص ١١٦.

المبحث الثاني
تحريف معنى الآية العام

الآية في اللغة:

اشتقاق (الآية) إما من (أيٍّ)؛ فإنها التي تبيّن أيًّا من أيٍّ (أيْ شيء من شيء)[(١)]، وإمّا أن يكون اشتقاقها من (التأيّي)، الذي هو التثبت والإقامة على الشيء، وهي أقرب الأقوال إلى الصواب، وذكر أهل اللغة غير هذه الاشتقاقات[(٢)].

وتُجمع آية على آي، وآيات، وأياء[(٣)].

وآية على وزن (فَعَلَة)، أو (فَاعِلة)، وقيل غير ذلك[(٤)].

وتطلق الآية في اللغة على ثلاثة معانٍ: العلامة، والأمر العجيب، والجماعة.

فأمّا العلامة، فمنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ [البقرة:٢٤٨]، وأمّا الأمر العجيب، فمنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون:٥٠]، وهي الولادة دون الأب، وكل المعجزات التي أنزلها الله تعالى هي برهان ودليل وآيات، أي: أمور عجيبة أنزلها الله تعالى حججاً على عباده.

وأما الجماعة، فتقول: خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم، ومنه آية القرآن؛ لأنها جماعة الحروف[(٥)].

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٣، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي ج٢ ص ٦٣، لسان العرب (أيا) ج١٤ ص ٥٦.

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز ج٢ ص ٦٣.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة ج١ ص ١٦٨، لسان العرب ج١٤ ص ٥٦.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة ج١ ص١٦٨، المحيط في اللغة لابن عباد ج١٠ ص٤٧٢، لسان العرب ج١٤ ص٥٦.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة ج١ ص ١٦٨.

وقال آخرون: إن الآية من القرآن بمعنى العلامة؛ لأنها علامة على انقطاع ما قبلها من الكلام منها، وانقطاعها ممّا بعدها، وقيل: علامة على صدق من أتى بها، وقيل غير ذلك[١].

الآية في الاصطلاح:

الآية في القرآن هي: طائفة من القرآن منقطعة عمّا قبلها وعمّا بعدها، ولها مبدأ ومقطع، بحسب الوقوف عنده[٢].

وتحريف معنى الآية الإجمالي نوع من أنواع التحريف، التي قد يَسْلكها المحرّف في تفسير كتاب الله تعالى؛ فيُبقي على المعنى الصحيح للألفاظ، لكنه يفسّر المعنى الإجمالي على غير مراد الله تعالى، وتحريف معنى الآية العام وإن كان نتيجة لتحريف معاني ألفاظها وبينهما تداخل، إلاّ أن المُحَرّف قد لا يسعفه تغيير معنى اللفظ لوضوحه في اللغة، فيلجأ إلى التحريف العام لمعنى الآية، وقد يفسّر الألفاظ بمعنى صحيح، ويناقضه بالمعنى الباطل الذي فسّر به الآية إجمالاً، فإنّ تفسير الألفاظ بالمعنى الصحيح يُوصل إلى المعنى الإجمالي الصحيح، لكن أهل التحريف يتسم منهجهم بالتناقض، وتجاهل الأدلة والبراهين الصريحة.

صور تحريف معنى الآية العام[٣]:

لتحريف معنى الآية صور يقع فيها أهل التحريف، منها:

[١] ادّعاء المجاز في الآية:

اختلف العلماء في وقوع المجاز[٤] في اللغة والقرآن، ولست بصدد ذكر خلاف العلماء،

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن ج١ ص ٢٦٦، الإتقان في علوم القرآن ج١ ص ١٨٠، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد التهانوي ج١ ص ١٠٥.

(٢) ينظر: المراجع السابقة.

(٣) قد يقع بعض هذه الصور على تحريف معنى اللفظ، مثل: ادّعاء المجاز، والعلم الباطن، ومعظمها في تحريف معنى الآية خاصة.

(٤) المجاز يسمى تمثيلاً أيضاً، ينظر: الكشاف ج٤ ص ١٩٤.

وشروط جوازه[(١)]، وإنما المقصود من البحث التذرّع بالمجاز هروباً من المعنى الحق، الذي أراده الله تعالى من الآية؛ لتقرير المعنى الباطل الذي أراده المُحرِّف، لكنه لمّا لم يسعفه تحريف اللفظ ولا إنكاره، ادّعى المجاز، وهو من أسهل الطرق التي يلجأ إليها أهل التحريف لتقرير بدعهم والرد على المخالفين.

لذا وصف ابن القيم (ت:٧٥١) المجاز بالطاغوت، وقال في استعمال أهل البدع له: «هذا الطاغوت لهج به المتأخرون، والتجأ إليه المعطّلون، وجعلوه جُنَّة يتترسون بها من سهام الراشقين، ويصدون عن حقائق الوحي المبين...»[(٢)].

ولعب المجاز دوراً هاماً عند المعتزلة[(٣)]، إذ اعتمدت عليه في تقرير كثير من مبتدعاتها، يقول شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): في معرض إنكاره للمجاز[(٤)]: «والغالب أنه من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين، فإنه لم يوجد هذا في كلام أحد من أهل الفقه، والأصول، والتفسير، والحديث ونحوهم من السلف...»[(٥)].

مثال تحريف الآية بادّعاء المجاز فيها:

من الآيات التي صرفوها عن حقيقتها وحملوها على المجاز قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١].

---

(١) العلماء المحققون على إنكار القول بالمجاز، ولم يُعرف عند سلف الأمة، بل كان خروجه بعد القرون المفضلة، في القرن الثالث ونشأ القول به لخدمة مذاهب الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، والمرجئة، ومن نحا نحوهم، ينظر: مجموع الفتاوى ج٧ ص ٨٨، الصواعق المرسلة ج٤ ص ١٥١٠، الأقوال الشاذة في التفسير ١٦٩.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة لمحمد الموصلي ج٢ ص ٢٣١.

(٣) ولا تعدمه عند غيرهم من أهل البدع متى احتاجوا له.

(٤) شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم ممن يمنع المجاز مطلقاً، ينظر: الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله تعالى لابن تيمية كل الرسالة في تقرير منع المجاز، الصواعق المرسلة ج٤ ص ١٥١٠.

(٥) مجموع الفتاوى ج٧ ص ٨٨.

أوّل المعتزلة وبعض المعاصرين[١] الآية على المجاز والتمثيل، قال القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت:٤١٤)[٢]: «فالمراد أنه أراد منهما الانقياد لما يريده فاستجابتا...»[٣].

وفسّرها الزمخشري (ت:٥٣٨)[٤]: «وهو من المجاز الذي يُسمى التمثيل، ويجوز أن يكون تخييلاً، ويُبنى الأمر فيه على أن الله تعالى كلّم السماء والأرض، وقال لهما: ائتيا، شئتما ذلك أم أبيتماه، فقالتا، أتينا على الطوع لا على الكره، والغرض تصوير أثر قدرته في المقدورات لا غير، من غير أن يحقق شيء من الخطاب والجواب»[٥].

والآية على حقيقتها، لا دليل على التعسفات التي تصرفها عن ذلك، قال القرطبي (ت:٦٧١): «وقال أكثر أهل العلم: بل خلق الله فيهما الكلام فتكلمتا كما أراد تعالى»[٦].

وعلى ذلك سار أئمة التفسير من السلف الصالح على أن الآية على الحقيقة، كلّم الله تعالى السماء والأرض، وأجابتاه[٧].

وسار كثير من رجال المدرسة العقلية على منهج المعتزلة في تعطيل حقائق الآيات بدعوى المجاز وتحريف المعنى الحق، ومنها ادعاء محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤) وأستاذه محمد عبده (ت:١٣٢٣) دعوى التمثيل في كثير من قصص القرآن، ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ

---

(١) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني ص ١١٧.

(٢) هو عبد الجبار بن أحمد أبو الحسن الهمداني، قاضي قضاة الريّ، وشيخ الاعتزال، صاحب التصانيف المشهورة في الاعتزال، وهو من كبار فقهاء الشافعية، ينظر: تاريخ بغداد ج١١ ص ١١٣، سير أعلام النبلاء ج١٧ ص ٢٤٤.

(٣) تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار ص ٣٧٠.

(٤) أكثر من القول بالمجاز في كتاب الله تعالى، وصرّح بأن حل النصوص المشتبهات القول بالمجاز، ولم يقبل الحقائق التي يفسّرها بها أهل السنة، ينظر: الكشاف ج٤ ص ١٤٦.

(٥) الكشاف ج٤ ص ١٩٤.

(٦) تفسير القرطبي ج١٥ ص ٣٤٤.

(٧) ينظر: تفسير الطبري ج٢١ ص٤٣٤، تفسير البغوي ج٧ ص١٦٥، تفسير ابن كثير ج٧ ص١٦٥.

خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَـٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣] قال محمد رشيد (ت:١٣٥٤): «ولا يشترط أن تكون القصة في مثل هذا التعبير واقعة، بل يصح مثله في القصص التمثيلية، إذ يراد أن من شأن مثلها في وضوحه أن يكون معلوماً حتى كأنه مرئي بالعينين»(١).

وقد لزم من تحريفه لمعنى الآية العام تحريفه بعض ألفاظ الآية، مثل: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ فقال في معنى ﴿مُوتُوا﴾: «أي أن العدو نكّل بهم»(٢).

وقد اتخذ المبتدعة القول بالمجاز مطيّة لتحريف كثير من النصوص الشرعية الثابتة، ومن أشنعها تفاسير الفلاسفة المنكرة، التي أبطلت الشرائع وإرسال الرسل، وادّعت أن كل نصوص الشرع تمثيل لا حقيقة له، فأنكروا آيات الوعد والوعيد، والجنة والنار، ويوم المعاد، وإرسال الرسالات، ومن أشهر مفسّريهم ابن سينا (ت:٤٢٨)(٣) الذي أتى بتفاسير ساقطة محرّفة.

[٢] ادّعاء معنى باطن للآية وتحريف ظاهرها المراد:

ادّعاء علم باطن للآية على قسمين:

١ -ألاّ يخالف ظاهر الآية، وقاد إليه الدليل، قال ابن جرير (ت:٣١٠): «وغير جائز إحالة ظاهر التنزيل إلى باطن من التأويل، لا دلالة عليه من نص كتاب، ولا خبر لرسول الله ﷺ، ولا إجماع من الأمة، ولا دلالة من بعض هذه الوجوه»(٤).

---

(١) تفسير المنار ج٢ ص ٤٥٧.

(٢) المرجع السابق ج٢ ص ٤٥٧، ينظر: تفصيل ذلك في القسم التطبيقي من هذه الرسالة.

(٣) هو الفيلسوف الشهير، ورأس الفلاسفة؛ الحسين بن عبد الله بن الحسن بن سينا، المعروف بالشيخ الرئيس، له تصانيف مشهورة في الطب والفلسفة، والمنطق، ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لموفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي ج١ ص٤٣٧، سير أعلام النبلاء ج١٧ ص٥٣١.

(٤) تفسير الطبري ج١٠ ص ١٢.

فللقول بالمعنى الباطن للآية شروط وضعها العلماء، يصح معها أن يكون للآية معنى باطن مقبول[(١)].

أهم هذه الشروط ما يلي:

١- أن لا يناقض معنى الآية.

٢- أن يكون معنى صحيحاً في نفسه.

٣- أن يدل عليه دليل صحيح.

٤- أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، ويجري على المقاصد العربية.

٥- أن تحتمله الآية.

وقبل هذا كله لابد من اعتماد ظاهر الآية إذ هو الأصل في المعنى، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨): «فمن سمع قول الله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الوقعة: ٧٩]، وقال: إنه اللوح المحفوظ، أو المصحف، فقال: كما أن اللوح المحفوظ الذي كُتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر، فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة، وهي قلوب المتقين، كان هذا معنى صحيحاً واعتباراً صحيحاً ولهذا يُروي هذا عن طائفة من السلف، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١-٢]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وقال: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٦]، وأمثال ذلك»[(٢)].

١- والقول بالباطن كغيره من أقوال العلماء فيه الصحيح والضعيف، بل والباطل والمردود، وليس حكراً على طائفة دون أخرى، بل هو مجال رحب لكل من تدبر وتأمل

---

(١) للاستزادة ينظر: مجموع الفتاوى ج٥ ص١٧٠، التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص٥٠، الموافقات للشاطبي ج٣ ص ٣٩٤.

(٢) مجموع الفتاوى ج ١٣ ص ٢٤٢.

القرآن الكريم، وهو موجود في كلام الصحابة، والسلف الصالح، ولا يلزم أن يُسمّوه بهذا الاسم[١].

٢-أن يكون المعنى الباطن مخالفاً لظاهر الآية، تكلّفه المفسّر بلا دليل، وهذا باطل، ومدَّعيه إمّا ملحد زنديق يريد هدم الدين، أو جاهل ضال، وهو مثل ما يدّعيه الباطنية[٢]؛ من الإسماعيلية والنُصيرية، ومن وافقهم من بعض الرافضة[٣]، والفلاسفة، والمتكلمين، وغلاة الصوفية، وفتحوا من هذا الافتراء الباطل وهو ادّعاء الباطن الباب لتحريفات في تفسير آيات القرآن أدت لتعطيل كثير من نصوصه، وحشو مكتبة التفسير بهذه الأقوال الباطلة المحسوبة على تفاسير كتاب الله، وليست إلا تحريف وضلال.

أمثلة تحريف الآية بمعنى باطن مُدّعى:

من أمثلة تحريفات الباطنية عند بعض الرافضة، تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف:٣١]، بالغُسل عند لقاء كل إمام[٤]، وهذا تحريف للآية ظاهر البطلان، والآية كما بيّنها علماء التفسير في لباس الثياب وستر العورة عند الطواف أو الصلاة، وقد نزلت في طواف المشركين عراة حول البيت الحرام[٥].

ومن أمثلة تحريفهم للآية بادعاء معنى باطل تحريفهم لقوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [البقرة:٢١٠]،

---

(١) الأقوال الشاذة ص ٤٢.

(٢) تجدر الإشارة إلى أن كتب الفرق والملل والنحل، وإن ذكرت أن المؤسس لطائفة الباطنية وهو ميمون ابن ديصان، المعروف بالقداح، الذي أبطن الزندقة، وأظهر التشيع، وإن ذكرت كتب الفرق ذلك؛ إلا أن لقب الباطنية لقب اصطلاحي، تندرج تحته فرق شتى، تجمعها صفة واحدة، هي تأويل النص الظاهر إلى رموز باطنية، ينظر: الفرق بين الفرق ص٢٦٦، مجموع الفتاوى ج١٣ ص٢٣٦.

(٣) بين الرافضة والباطنية تشابه كبير، فهما وجهان لعملة واحدة، ينظر: الأقوال الشاذة في التفسير ص٤٥.

(٤) ينظر: تفسير الميزان للطباطبائي ج٨ ص ٩٥.

(٥) ينظر: تفسير البغوي ج٣ ص٢٢٥، تفسير القرطبي ج٧ ص١٨٨، تفسير ابن كثير ج٣ ص٤٠٥.

حيث فسّرها بعضهم بالرجعة بعد الموت على ما تعتقده بعض الرافضة من رجعة الأموات إلى الدنيا قبل القيامة، وبعضهم فسّرها بظهور المهدي(١).

وهذه المعتقدات الباطلة عند هؤلاء الروافض، لا يُمكن قبولها في عقيدة المسلمين، فضلاً عن تفسير كتاب الله بها، وليس في الآية شيء منها، بل هو افتراء، وقول على الله بغير علم، والآية في إنذار المخالفين لأمر الله تعالى، ووعيدهم بأن يأتيهم الله تعالى وملائكته في ظلل من الغمام مجيئاً يليق بجلاله، فيقضي في أمرهم ما هو قاض(٢).

أمثلة تحريف الآية بالمعنى الباطن عند الصوفية:

أغلب تفاسير الصوفية مليئة بإشارات يدّعون أنها معانٍ باطنة للآية، وأغلب ما يدّعونه باطل لا دليل له، ومن أمثلة ذلك:

تحريف السُّلمي (ت:٤١٢) لمعنى قوله تعالى: ﴿هَل يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة:٢١٠]، بقوله: «إقبال الله عليهم بالعصمة والتوفيق»(٣) والآية سبق تفسيرها، وليس فيها مكان لما ادّعاه السُّلمي، بل إن العصمة التي تزعمها الصوفية في شيوخها من المعتقدات الباطلة التي لا تقبل في تفسير ولا غيره.

ومن أمثلة التحريف بادّعاء المعنى الباطن تحريفهم لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية:١٧-١٩]، بقولهم: «الآيات تشير للتفكير في قلوب الأولياء والعارفين(٤)، وأنكر ظاهرها؛ وهو التفكير في السماء والجبال تلك المخلوقات العظيمة من مخلوقات الله تعالى».

---

(١) ينظر: الرد على أمثال هذا التحريف عند آية ٦ من سورة الفاتحة وآية ٣ من سورة البقرة، في القسم التطبيقي من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج٤ ص ٢٦٦.

(٣) ينظر: حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السُّلمي ج١ ص ٧٢.

(٤) ينظر: المرجع السابق ج٢ ص ٣٩٢.

ويعد التحريف بادّعاء المعنى الباطن؛ وتعطيل ظاهر النص؛ من أخطر الأبواب التي فتحها أهل التحريف على كتاب الله تعالى، فدخل من خلاله أعداء الدين، وأنكروا كثيراً من نصوص الشرع بدعوى أنها غير مرادة في ظاهرها، بل لها معنى باطل، فحولوا تفسير الآيات إلى ألغاز وتخمينات.

قال البغدادي (ت:٤٢٩) في كتابه الفَرْق بين الفِرَق: «اعلموا – أسعدكم الله – أن ضَرَرَ الباطنية على فِرقِ المسلمين أعظمُ من ضَرَرِ اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظمُ من مَضَرَّة الدّهْرِية[١]، وسائر أصْنافِ الكفرة عليهم...؛ لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يَضِلون بالدّجال في وقت ظهوره؛ لأن فتنة الدّجال لا تزيدُ مدتها على أربعين يوماً، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرّمل والقَطْر»[٢].

وتأكيداً على ما سبق، فإن استنباط المعاني المحتملة للآية، هو دَأْب علماء التفسير، وقد اهتموا باستنتاج المعاني الخفية التي لا تعود على الآية بشيء من التحريف، وقد جعلوا لقبول مثل هذه المعاني شروطاً وقواعد، للسلامة من القول على الله بغير علم.

[٣] اقتطاع الآية من سِيَاقها، وتفسيرها بمعنى يناقض ذلك السياق:

مراعاة السِّياق قاعدة مهمة لا بد من مراعاتها عند تفسير كلام الله تعالى، والسياق يراد به: ما قبل الكلام وما بعده، أي: السِّباق واللحاق[٣]، والاعتناء بالسّياق يُعين على فهم كتاب الله تعالى، ويعطي دلالة صحيحة للمعنى، وانتزاع الآية منه، ربَّما أدّى إلى تحريفها.

وقد استفاض عن الصحابة فمن بعدهم الاهتمام بهذه القاعدة، وسبق قول التابعي

(١) هم الذين يعتقدون أن الدهر هو المُتصرف في العالم، ينظر: تلبيس إبليس ص ٥٥.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٦٥.

(٣) ينظر: قواعد التفسير جمعاً ودراسة لخالد السبت ج٢ ص ٦٥٣.

الجليل مسلم بن يسار البصري (ت:١٠٠)[١]، وهو من أقدم من نص على هذه القاعدة، حين قال: «إذا حدثت عن الله حديثاً فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده»[٢].

ويقول ابن القيم (ت:٧٥١) في أهمية مراعاة السياق: «السِّياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غَلِط في نظره، وغالط في مناظرته»[٣].

وكما أن مراعاة السياق سبب لترجيح القول الصواب، فإن إهماله سبب لتحريف معنى الآية، وهو من عمل أهل البدع والإلحاد منذ خروجهم، قال محمد بن كعب القرظي (ت:١٢٠): «لا تخاصموا هؤلاء القدرية، ولا تجالسوهم، والذي نفسي بيده لا يجالسهم رجلٌ لم يجعل الله ﷻ له فقهاً في دينه، وعلماً في كتابه إلا أمرضوه، والذي نفس محمد بيده لوَددت أنّ يميني تقطع على كبر سني، وأنهم أتمُّوا آية من كتاب الله ﷻ، ولكنهم يأخذون بأوّلها ويتركون آخرها، ويأخذون بآخرها ويتركون أوّلها»[٤].

ومن أقدم الأمثلة على تحريف معنى الآية بانتزاعها من سياقها، احتجاج غيلان الدمشقي (ت:١٠٥) أمام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (ت:١٠١) على القدر بقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣] قال له عمر: (اقرأ آخر السورة:

---

(١) هو مسلم بن يسار البصري من كبار التابعين، يكنى أبو عبد الله، فقيه ثقة، ويعد خامس خمسة من فقهاء أهل البصرة، ينظر: الجرح والتعديل ج٨ ص ١٩٨، رجال صحيح مسلم لأبي بكر الأصبهاني ج٢ ص ٢٣٩، لسان الميزان ج٧ ص ٣٨٦.

(٢) ذكره أبو عبيد بن سلام في فضائل القرآن ج٢ ص ٢٦١، ابن أبي شيبة في مصنفه ج٧ ص ٢٣١، الأصبهاني في حلية الأولياء ج٢ ص ٢٩٢، الهروي في ذم الكلام وأهله ج٥ ص ٣٤.

(٣) ينظر: بدائع الفوائد ج٤ ص ٨١٥.

(٤) ينظر: الشريعة ج٢ ص ٨٩٩، الإبانة ج٢ ص ٢١١.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:٣٠])[1]، وفي إتمام السياق رد مفحم للقدرية.

ومن الأمثلة أيضاً: تحريف السُّلمي (ت:٤١٢) لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةًۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [النساء:٧٧]، بقوله: «قَصِّروا أيديكم عن تناول الشهوات»[2]، وسياق الآيات في القتال، والآية في جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يلقون من المشركين أذىً كثيراً قبل أن يهاجروا، فاستأذنوا النبي ﷺ في قتالهم، فأمرهم بكف أيديهم لأنه لم يؤمر بقتالهم[3].

وقد جمع السُّلمي في تحريفه لهذه الآية صوراً شتى من التحريف، فقد اقتطعها من سياقها، وأغفل سبب النزول، وتأولها من غير دليل.

[٤] ادّعاء النسخ في الآية المُحْكَمة:

معرفة الناسخ والمنسوخ قاعدة مهمة، وشرط لا بد من توافره في المفسر، بل إنه من الخطورة بمكان، فهو من المباحث المشتركة بين علوم الشريعة، وبه يُعرف ما بقي من شرع الله تعالى فيعمل به، أو رفع فيوقف عنه[4].

---

(١) القدر للفاريابي ص ٢٨٥، الشريعة ج٢ ص ٩١٩، التنبيه والرد ص ١٦٨، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج٤ ص ٧١٤.

(٢) تفسير السُّلمي ج١ ص ١٥٥.

(٣) ينظر: تفسير السمرقندي ج١ ص٣٤٤، تفسير ابن أبي زمنين ج١ ص٣٨٨، تفسير البغوي ج٢ ص٢٥١.

(٤) ينظر: النسخ في القرآن لمصطفى زيد ج١ ص ٦.

قال ابن جرير (ت:٣١٠): «...غير جائز أن يحكم بحكم قد نزل به القرآن أنه منسوخ، إلا بحجة يجب التسليم لها...»[(١)].

وقال ابن حزم الظاهري (ت:٤٥٦): «ولا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول في شيء من القرآن والسنة: هذا منسوخ إلا بيقين يقطع به...»[(٢)].

الأمثلة:

ادعاء بعضهم[(٣)] نسخ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة:١٥٨]، والناسخ هو قوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠] قالوا: والسعي بين الصفا والمروة من ملة إبراهيم، وهذا على أنّ معنى الآية: فلا جناح عليه أن لا يطّوف بهما.

وفي جواب عائشة رضي الله عنها (ت:٥٨) على الإشكال الذي سأله عنها التابعي عروة بن الزبير ابن العوام (ت:٩٤) رد على ادعاء النسخ، فيقول رضي الله عنه: (قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأنا يومئذ حديث السن: أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فما أرى على أحدٍ شيئاً أن لا يطوف بهما؟)

فقالت عائشة رضي الله عنها: (كلا، لو كانت كما تقول كانت: (فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما)، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يُهلون لمناة، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرّجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

(١) تفسير الطبري ج١ ص ١٣، ولمعرفة شروط النسخ ينظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي ص ٢٣، الإحكام للآمدي ج٣ ص ١٢٦.

(٢) المحلى لابن حزم ج٩ ص ٤٧٦.

(٣) ذكر هذا الادّعاء ابن الجوزي في نواسخ القرآن، ص٥٤، ينظر: الأقوال الشاذة في التفسير ص٢٦٣.

ذلـك، فـأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[(١)].

ورد عائشة رضي الله عنها يبين أن الجُناح المنفي هو السّعي في موضع معظم في الجاهلية، وأن السّعي من تمام الحج والعمرة[(٢)].

ومن ادعى النسخ في الآية يقلب مراد الشارع، فإنه يفسر الكلام المثبت بالنفي[(٣)].

ويكفي في الحكم على القول بنسخ الآية؛ أنه تحريف؛ استشهاد النبي ﷺ بها، وقراءتها على الصفا[(٤)].

[٥] إخراج الآية عن نظائرها:

أفضل طريقة للتفسير؛ تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير الآية بمعنى مستقل عن نظائرها ينتج عنه تناقض وتحريف.

أمثلة تحريف الآية ومخالفة نظائرها:

ذهب كثير من أهل البدع؛ من المعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية وغيرهم إلى إنكار المعنى الذي يشير إلى أكل آدم عليه السلام من الشجرة، وهم في ذلك ينزعون إلى معتقد مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة في عصمة الأنبياء؛ فأهل السنة والجماعة وسط بين الغالين والجافين، فيرون عصمة الأنبياء من الكبائر، وعصمتهم من الإقرار على الصغائر، لا عصمتهم من الصغائر مطلقاً، وهذا ما يدل عليه ظاهر القرآن في عتابه لعدد من الأنبياء[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ ج٤ ص ١٦٣٥ برقم ٤٢٢٥.

(٢) ينظر: الأقوال الشاذة ص ٢٦٤.

(٣) ينظر: المرجع السابق.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ ج٢ ص ٨٨٨ برقم ١٢١٨.

(٥) ينظر: دراسة هذا التحريف في القسم التطبيقي عند آية ٣٥ من سورة البقرة.

وقد حرّف كثير منهم معنى قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥] بينما هناك عدد من الآيات في القرآن تذكر هذه المعصية ضمن قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وتُفصّل ما أُجمل في موضع آخر، وقد فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧] بقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، لكن هناك من المفسرين من حرّف الآيات في أكل آدم من الشجرة في سورة البقرة، وقد تكررت في أكثر من موضع في القرآن، ومن المفسرين الذين حاولوا تغيير هذا المعنى:

أبو منصور محمد الماتريدي (ت:٣٣٣) فقد حاول تطويع الآية لتوافق معتقده في عصمة الأنبياء مطلقاً، فقال في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٩]: «الظلم يقع على الضرر كقوله تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ [الكهف:٣٣]، ولم تنقص منه، والنقصان نفس الضرر»[(١)].

فهو يحاول تفسير الظلم بالنقصان، لذلك تجده يقول في موضع آخر: «...ويحتمل النهي عن التناول من الشيء لداء يكون فيه لما يخاف الضرر به..»[(٢)].

والماتريدي قد فسر الظلم بالآية بمعنى منحرف لا يتفق مع نظائر الآية الآخرى التي تدل على وقوع المعصية من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [لأعراف:٢٣].

وبجمع كل الآيات الواردة في قصة أكل أبوينا عليهما السلام من الشجرة يتضح جليًّا تعنت بعض المفسرين الذين حاولوا تطويع النصوص للمعتقدات الباطلة التي تناقض ما تعاضدت عليه آيات الكتاب العزيز، ففي سورة البقرة قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ

---

(١) تفسير الماتريدي ج١ ص ١٠٨.

(٢) المرجع السابق.

أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥]، وفي سورة الأعراف تبين الآيات وسوسة الشيطان لآدم عليه السلام بهذه المعصية، قال تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:١٩ – ٢٣].

وفي سورة طه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه:١١٥ – ١٢٢].

وغيرها من الآيات التي يجب مراعاتها عند تفسير نظائرها وضم بعضها إلى بعض حتى لا ينشأ عن إخراجها عنها تفسير محرّف متناقض.

ومن الأمثلة على تفسير الآية بمعنى منحرف عن نظائرها، تحريف معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٨٨]، فإن الجوهري قد حرّف معناها، وفسّرها بخلاف ما يدل عليه القرآن، وخالف إجماع المفسرين فيها، ولوعاً بالتفسير العلمي، وتطويعاً للآيات، لتدل على ما يراه، فهو يزعم أن الآية في دوران الأرض حول الشمس، ورفض

قول جمهور المفسرين على أن حركة الجبال المذكورة في الآية في يوم القيامة، وادّعى أن يوم القيامة تخريب للعالم لا يتناسب مع الإتقان المذكور في الآية، وهو قوله تعالى: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍ﴾[(١)].

أولاً قبل الحديث عن نظائر هذه الآية، التي تدلل على أن حركة الجبال يوم القيامة، فإن سياق الآية يدل على عدم صحة ما ذهب إليه الجوهري، فقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ﴾ معطوف على قوله: ﴿فَفَزِعَ﴾، وذلك المعطوف مرتب بالفاء على قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل:٧٨]، والشنقيطي في تفسيره الذي اعتنى فيه بتفسير الآيات بنظائرها، قد تعقب هذا التحريف بقوله: «ويوم ينفخ في الصور، فيفزع من في السماوات، وترى الجبال، فدلت هذه القرينة القرآنية الواضحة على أن مرّ الجبال مرّ السحاب كائن يوم ينفخ في الصور لا الآن»[(٢)].

وقال عن نظائر هذه الآية: «وكون هذا المعنى هو الغالب في القرآن فواضح، لأن جميع الآيات التي فيها حركة الجبال كلها في يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا﴾ [الطور:٩-١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ﴾ [الكهف:٤٧]، وقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا﴾ [النبأ:٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾ [التكوير:٣]»[(٣)].

فالآيات بنظائرها في القرآن على أن سير الجبال في يوم القيامة، وتفسير الآية بمعنى يخالف نظيراتها من الآيات ينتج عنه تناقض وتحريف.

[٦] تقدير ما لا تحتاجه الآية:

يلجأ أهل التحريف إلى تقدير ما لا تحتاجه الآية التي لا يجدون مفرّ عن دلالتها الواضحة إلا بهذا التفسير المتكلف المنحرف، وكأن المحرِّف قد وقف محتاراً أمام ألفاظ

---

(١) تفسير الجوهري ج١٣ ص ٢٥٢.

(٢) أضواء البيان ج٦ ص ١٤٤، ١٤٥.

(٣) المرجع السابق ج٦ ص ١٤٥.

القرآن التي لا يعتريها التحريف بحفظ الله تعالى له، ولم يخدم معناها معتقده الباطل، فتكلف ذلك التقدير وأقحمه الآية دون أن تحتاجه.

مثاله: تحريف الزمخشري (ت:٥٣٨) لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:٣٠] بتقديره ما لا تحتاجه، حين قال: «﴿وَمَا﴾ الطاعة ﴿تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ بقسرهم عليها»[1].

وقوله تحريف للآية بلا دليل، وإنما ألجأه لذلك التقدير معتقده الباطل، فالقدرية يزعمون أن العباد يخلقون أفعالهم استقلالاً من دون الله تعالى[2].

وقد ركب الزمخشري مركباً صعباً في تقدير ما لا تحتاجه الآية أيضاً عند قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢] ففي هذه الآية أغلب المفسرين على أن الله تعالى أقسم بحياة محمد ﷺ تشريفاً له: أن قومه من قريش في حيرتهم وضلالهم يترددون[3]، ولكن الزمخشري تعنت تقديراً في الآية لا دليل عليه، فقال: «﴿لَعَمْرُكَ﴾ على إرادة القول، أيْ: قالت الملائكة للوط عليه السلام: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ﴾ أي: غوايتهم التي أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هُمْ عليه، وبين الصواب الذي تُشِير به عليهم من ترك البَنِين إلى البنات»[4]. ولا حاجة لهذا التقدير في الآية.

قال ابن القيم (ت:٧٥١): «أكثر المفسرين من السلف والخلف، بل لا يُعرف عن السلف فيه نزاع، أنّ هذا قسم من الله بحياة رسول الله ﷺ، وهذا من أعظم فضائله أن يقسم الرَّبُّ عز وجل بحياته، وهذه مزية لا تُعرف لغيره، ولم يُوافق الزمخشري على ذلك، فصرف القسم إلى أنه بحياة لوط، وأنه من قول الملائكة، فقال: هو على إرادة القولِ، أي:

---

(١) الكشاف ج٤ ص ٦٧٦.

(٢) للاستزادة ينظر: تفصيل هذا التحريف في القسم التطبيقي عند آية ٧ من سورة البقرة، وغيرها من الآيات.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ج١٧ ص ١١٨، تفسير القرطبي ج١٠ ص٣٩، تفسير ابن كثير ج٤ ص٥٤٢،

(٤) الكشاف ج٢ ص ٥٤٧.

قالت الملائكة للوط عليه السلام: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، وليس في هذا اللفظ ما يدل على واحد من الأمرين، بل ظاهر اللفظ وسياقه إنّما يدل على ما فهمه السلف، لا أهل التعطيل والاعتزال»[١].

ولو جاز ارتكاب مثل هذا التقادير التي لا يدل عليها دليل، لأمكن إخراج كل نص عن معناه بتقدير، فيرتفع الوثوق بمعاني النصوص، وقد جوّز أهل التحريف لأنفسهم هذا التعسف في تفسير نصوص القرآن الكريم لتأييد ما يريدون من بدعة[٢].

[٧] إغفال سبب النزول:

معرفة سبب النزول من القواعد المهمة في فهم الآية، ولا يجوز لجاهل بهذا العلم الخوض في كتاب الله تعالى، وقد اهتم علماء التفسير به ليتضح لهم مراد الله تعالى من كلامه، يقول شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورثُ العلم بالمسبب»[٣].

وتفسير الآية بمنأى عنه يغالط ما أراده الله تعالى مما أنزله.

مثال تحريف معنى الآية بإغفال سبب نزولها:

قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال:١١]، فالآية الكريمة نازلة في وصف حال الصحابة في غزوة بدر، فكان إنزال المطر أمنة من الله للصحابة رضي الله عنهم، ومن ثمارِه أن لبَّد الأرض فتحركوا فوقها دون أن تسوخ أقدامهم وحوافر دوابهم، وما جاء في السيرة عن أحداث الغزوة يوضح الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما (ت:٦٨): (أمطر الله عليهم مطراً شديداً، فشرب المسلمون، وتطهروا، وثبت الرّمل حين أصابه المطر، ومشى الناس عليه والدّواب)[٤].

(١) التبيان في أقسام القرآن ص ٢٧٣.

(٢) ينظر: الأقوال الشاذة ص ١٥٠.

(٣) مجموع الفتاوى ج١٣ ص ٣٣٩.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ج١٣ ص ٤٢٤.

وبرغم ما اتضح من السلف الصالح في معنى الآية إلا أن أبا عبيدة (ت:٢١٠) جعل الآية من قبيل المجاز، فقال: «﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ مجازه: يُفرِغُ عليهم الصبر، وينزله عليهم، فيثبتون لعدوهم»(١).

قال الزمخشري (ت:٥٣٨): «والضمير في ﴿بِهِ﴾ للماء، ويجوز أن يكون للربط؛ لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبتت القدم في مواطن القتال»(٢).

ولإمام المفسرين ابن جرير (ت:٣١٠) رد شافٍ على هذا القول، فقد تعقبه بقوله: «وذلك قول خلاف لقول جميع أهل التأويل من الصحابة والتابعين، وحَسْبُ قول خطأً أن يكون خلافا لقول من ذكرنا، وقد بيّنا أقوالهم فيه، وأن معناه: ويثبت أقدام المؤمنين بتلبيد المطرُ الرّملَ حتى لا تسوخ فيه أقدام وحوافر دوابهم»(٣).

ومن الأمثلة أيضاً الغفلة عن سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨]، وقد تقدم بيانه في الصورة الرابعة.

[٨] **تحريف الآية وتطويعها لنظريات علمية لا صلة لها بها:**

أصبحت ظاهرة التفسير العلمي المتعنتة من الظواهر الخطيرة التي أدخلت تحريفات واسعة على كتاب الله تعالى، قال الشنقيطي (ت:١٣٩٣): في رده على بعض التفاسير العلمية الخاطئة:

«واعلم وفقني الله وإياك أن التلاعب بكتاب الله جل وعلا وتفسيره بغير معناه لمحاولة توفيقية مع آراء كفرة الإفرنج ليس فيه شيء ألبتة من مصلحة الدنيا ولا الآخرة، وإنما فيه فساد الدارين، ونحن إذ نمنع التلاعب بكتاب الله وتفسيره بغير معناه نحض جميع المسلمين على بذل الوسع في تعليم ما ينفعهم من هذه العلوم الدنيوية مع تمسكهم بدينهم»(٤).

---

(١) مجاز القرآن ص ٤٣.

(٢) الكشاف ج٢ ص ١٩٤.

(٣) تفسير الطبري ج١٣ ص ٤٢٤.

(٤) أضواء البيان ج٢ ص ٢٦٥.

وقد نتج عن هذا الاقتحام العلمي في التفسير؛ تفاسير مُحرّفة تذهب ببهاء القرآن، والأكثر نكارة أن يُنكر أقوال أئمة التفسير ويُخَطِّأَهم لتمرير تلك النظريات العلمية.

مثال تحريف معنى الآية بالتفسير العلمي:

من أخطر التفاسير التي غَلَتْ في التفسير العلمي؛ تفسير الجواهر لطنطاوي جوهري (ت:١٣٥٨) وقد حشاه بالتحريفات التي يُنزه القرآن عنها، وهو من التفاسير المشمولة بالبحث، وفيه أمثلة كثيرة على التحريفات بالتفسير العلمي الغالي، ومنها:

تحريفه لقوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ [التكوير: ٣]، فكلّها في حركة الجبال يوم القيامة(١)،كما سبق بيانه في الصورة الخامسة، وفي القسم التطبيقي مزيداً من الأمثلة على هذه التحريفات عند الجوهري.

[٩] تفسير الآية بالأحاديث الموضوعة والإسرائيليات والظنون والحكايات:

لا شك أن السنة ثاني المصادر في تفسير كتاب الله تعالى، وما ثبت عن النبي ﷺ في تفسير القرآن يُكتفى به، ولا يُلجأ إلى غيره، لكن ما دبّ إلى هذه السنة الشريفة من أحاديث موضوعة، يوجب على المفسر صيانة تفسيره عن مثل هذه الروايات المكذوبة، كما تصدى علماء السنة للأحاديث بالتمحيص، وبيان صحيحها من سقيمها، والتفريط بهذا الشرط المهم في تفسير كتاب الله تعالى بالثابت من السنة؛ قد أدخل على كتاب الله تعالى معاني محرّفة، مصدرها تلك الأحاديث الموضوعة، وقلما تجد تفسيراً يسلم من إيرادها، لكنهم بين مقل ومستكثر.

وأهل التحريف مولعون بإيراد الأحاديث الموضوعة في تفاسيرهم لنصرة أهوائهم، ومن الأمثلة على تحريفهم الآية بالأحاديث الموضوعة، ما تناقله مفسرو الرافضة في

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج٢٢ ص٤٦١، تفسير البغوي ج٥ ص١٧٥، تفسير القرطبي ج١٠ ص٤١٦، فتح القدير ج٣ ص ٢٩١.

تفاسيرهم، عند تفسير قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢] من أن المراد بها: أذن عليّ، فقد رووا: أن النبي ﷺ لما نزلت الآية أخذ بأذنه، وقال: (**هي أذنك يا عليّ**)، وفي رواية: (**اللهم اجعلها أذن عليّ**)، وهما موضوعان كما نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨)، وغيره من الأئمة(١).

ويتضح منه اختلاق الرافضة لهذه الرواية لما يعتقدونه في عليّ رضي الله عنه من الإمامة والعصمة، من معتقداتهم الباطلة. ومعنى الآية الصحيح بعيد عمّا وضعوه، فإنها عامّة في كل من يتذكر(٢).

ومن الأمثلة: ما جمع بين الأحاديث الموضوعة، والإسرائيليات في موضع واحد، ومثاله، ما نسب إلى النبي ﷺ في سفينة نوح والخوض في أوصافها، ومنه ما نسب لابن عباس (ت: ٦٨) م عن النبي ﷺ، قال: (**كانت سفينة نوح عليه السلام لها أجنحة، وتحت الأجنحة إيوان**)(٣).

قال محمد أبو شهبة معلقاً على هذه الرواية: «قبح الله من نسب مثل هذا إلى النبي ﷺ»(٤).

ومن الأمثلة أيضاً: قصة الغرانيق، وما يفترى على النبي ﷺ في قصة زواجه من زينب بنت جحش رضي الله عنها (ت: ٥٣)(٥).

والعلماء متفقون على أنه لا يجوز رواية الحديث الموضوع لأحد من الناس، فضلاً عن

---

(١) ينظر: منهاج السنة النبوية ج٧ ص ١٧٢، الأقوال الشاذة ص ٣٣٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج٨ ص ٢٠٩.

(٣) ذكره ابن عدي في الكامل ج٧ ص٢٢، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة النضر بن عبدالرحمن ج٧ ص٣٢، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ج٤ ص٤١٩ إلى أبي الشيخ وابن مردويه، والإيوان الصُّفَّةُ العظيمة ومنه إيوان كسرى، ينظر: لسان العرب ج١٣ ص٣٨.

(٤) الإسرائيليات والموضوعات ص ٢١٦.

(٥) ينظر: المرجع السابق ص ٣١٤، ٣٢١، أسباب الخطأ ج١ ص ١٤٨.

المفسرين مع العلم بوضعه، إلا مقروناً بالإعلام بأنه موضوع، أو على سبيل القدح فيه، ليحذره من يغتر به من الجهلة والعوام، ومن رواه من غير بيان وضعه فقد حشر نفسه في عداد الكذابين[1]، بحكم سيد المرسلين، قال ﷺ: **(من حدّث عني بحديث يَرى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين)**[2].

والتفسير بالإسرائيليات لا يقل خطورة عن تلك الأحاديث المكذوبة، خاصة ما كان في تلك الإسرائيليات من أباطيل ومنكرات تخالف الشرع، ولست بصدد الحديث عن أقسام الإسرائيليات التي ذكرها العلماء، وتحدثوا عن جواز روايتها من عدمها، بل ما يتصل بالتحريف هو ما يورده المفسرون من إسرائيليات منكرة، تعارض شرعنا، وجعلها تفسيراً للآية أشد أنواع التحريف بالإسرائيليات.

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤): «وما شهد له شرعنا منها بالبطلان فذاك مردود لا يجوز حكايته إلا على سبيل الإنكار والإبطال، فإذا كان الله سبحانه وله الحمد، قد أغنانا برسولنا محمد ﷺ عن سائر الشرائع، وبكتابه عن سائر الكتب، فلسنا نترامى على ما بين أيديهم مما وقع فيه خبط وخلط، وكذب ووضع، وتحريف وتبديل، وبعد ذلك كله نسخ وتغيير»[3].

وإن كان ما يُروى عن أهل الكتاب يوافق شرعنا، فإن فيما جاءنا من رسالة النبي ﷺ التي نسخت جميع الرسالات غنية عن النقل منهم.

وأما ما سكت شرعنا عن تصديقه أو تكذيبه فهو المقصود في حديث النبي ﷺ **(حدثوا**

---

(١) ينظر: الباعث الحثيث لابن كثير ج١ ص٢٤٠، تنزيه الشريعة لأبي الحسن الكناني، تحقيق: الغماري ج١ ص٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب وجوب الرواية عن الثقات ج١ ص ٨، والكاذبين بكسر الباء على الجمع وفتحها على التثنية، كلاهما يجوز، ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ج١ ص ٦٥، عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ج٢ ص ١٤٩.

(٣) البداية والنهاية ج١ ص ٧.

عن بني إسرائيل ولا حرج...) الحديث[١]، ولا ثقة لنا بها، لقوله ﷺ: **(لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم...الحديث)**[٢]، لكن كثيراً من العلماء يرى أن إيرادها في تفسير كتاب الله تعالى تصديق لها، قال أحمد شاكر (ت: ١٣٧٧): «إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه شيء، وذكر ذلك في تفسير القرآن، وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يعين فيها، أو في تفصيل ما أجمل فيها، شيء آخر؛ لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله سبحانه، ومفصل لما أجمل فيه، وحاشا لله ولكتابه من ذلك، وإن رسول ﷺ إذ أذن بالتحدث عنهم، أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم، فأي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟! اللهم غفراً»[٣].

وبهذا يتبين أن الإسرائيليات المسكوت عنها قد يدخل معها تحريف للآية، أما الباطلة فلا شك في أنها تحريف لكتاب الله تعالى، ومثالها:

الإسرائيليات التي تُخل بمقام الأنبياء عليهم السلام، وتنافي عصمتهم، وتَأبَاهَا الفطر السليمة، ومثالها:

الإسرائيليات في قصة يوسف عليه السلام وامرأة العزيز، وقصة داود عليه السلام مع الملكين، وسليمان عليه السلام مع الجسد[٤]، وغيرها.

ومنها أيضاً ما نال من عباد الله المكرمين؛ الملائكة، كما في قصة كوكب الزهرة، والافتراء على الملكين هاروت وماروت[٥]، وأمثال هذه الإسرائيليات وإن تناقلها بعض

---

(١) أخرجه الشافعي في مسنده ص ٢٤٠، الحميدي في مسنده ج٢ ص ٤٩١ برقم ١١٦٥، ابن أبي شيبة في مصنفه ج٥ ص ٣١٨ برقم ٢٦٤٨٥، أحمد في مسنده ج٢ ص ٤٧٤ برقم ١٠١٣٤، أبو داود في سننه ج٣ ص ٣٢٢ برقم ٣٦٦٢، النسائي في الكبرى ج٣ ص ٤٣١ برقم ٥٨٤٨، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ج٦ ص ٤٢٥ برقم ٢٩٢٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ج٦ ص ٢٦٧٩ برقم ٦٩٢٨.

(٣) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير اختصار وتحقيق أحمد شاكر ج١ ص ١٥.

(٤) ينظر: الإسرائيليات والموضوعات ص ٢١٩، ٢٦٤، ٢٧٠.

(٥) ينظر: المرجع السابق ص ١٥٩.

المفسرين الموثوق بهم إلا أنها مما ينكره العقل والنقل وما ثبت من نزاهة الأنبياء والملائكة عن ذلك، فهي مما تقشعر منه الأبدان، وتأباه النفوس السليمة أن ينقل شيء منه في تفسير كتاب الله تعالى.

وقد تجرأ بعض المفسرين على أن يستدل بتحريفه على تلك الإسرائيليات؛ مثل استدلال محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤) على تحريفه لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [البقرة: ٦٧]، حين قال: إن الآية في بيان نوع من التشريع الموجود عند بني إسرائيل للفصل في الدماء عند التنازع في القاتل، واستدل على هذا التحريف الذي ينقله عن أستاذه محمد عبده (ت: ١٣٢٣) بنصوص التوراة المحرفة، فيقول: «وإن ما أشار إليه الأستاذ من حكم التوراة المتعلق بقتل البقرة هو في أول الفصل الحادي والعشرين من سفر تثنية الاشتراع..»(١)، ثم ذكر النص نقلاً من ذلك السفر المحرّف.

وقد تم الرد على هذا التحريف في القسم التطبيقي عند هذه الآية، لأن الأستاذين وقعا في تحريف معاني ألفاظ الآية، في قصة قتيل بني إسرائيل الذي كان إحياؤه معجزة دلّ الله تعالى بها على القاتل، وعلى هذا جمهور المفسرين(٢).

وإيراد الإسرائيليات لا يكاد يخلو منه تفسير، وهو من سوء حظ المسلمين الذين ابتلوا بها حتى في أفضل التفاسير التي ألّفها فرسان هذا الميدان، وقد تنبه لها ولله الحمد كثير من العلماء وطلبة العلم وحَذروا منها..

ويلحق بالأحاديث الموضوعة والإسرائيليات؛ الظنون والحكايات؛ وهي الأخبار، والقصص، والأساطير، والمنامات المخترعة المسوقة في تفسير آية من آيات القرآن الكريم، مما لا أصل لها من الكتاب، أو السنة الصحيحة، أو إجماع الأمة، ولا سند لها صحيح يعتمد عليه(٣).

---

(١) تفسير المنار ج١ ص ٣٤٧، ٣٤٨.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج٢ ص ٨٢، تفسير البغوي ج١ ص١٠٥، تفسير القرطبي ج١ ص٤٤٤، تفسير ابن كثير ج١ ص ٢٩٤.

(٣) ينظر: أسباب الخطأ ج١ ص ١٩٦.

وما أكثر هذه الظنون والحكايات في تفاسير أهل التحريف من الملحدين والمبتدعين، فقد هجروا اليقين والنور المبين، وساروا وراء الظن والتخمين.

ومثاله حكاية مصحف فاطمة الذي افتراها بعض الرافضة، وادّعوا أنه أكمل من القرآن الكريم، الذي نسبوا له النقص والتحريف بهتاناً وزوراً.

وفي هذه الحكاية الباطلة يزعم غلاة الشيعة أن فاطمة رضي الله عنها (ت:١١) قد اشتد حزنها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم، فنزل عليها جبريل عليه السلام لمواساتها، فقرأ عليها ما زعموه من باطل، وادّعوا أن علياً كان يكتبه، وسمّوه مصحف فاطمة[١].

وبطلان هذه الحكاية معلوم بالضرورة من دين الإسلام، إذ فيه إنكار ختم الرسالات بدين الإسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت معجزته القرآن الكريم آخر وحي السماء.

وفي الحكاية تحريف لآيات القرآن بل إنكار لها.

وتفاسيرهم مليئة بأمثال هذه الحكايات المنكرة، التي لا يشك أدنى من له علم ببطلانها، وقد أكثروا من نسج هذه الحكايات وافترائها على عليّ رضي الله عنه وعلى الأئمة الذين زعموا فيهم العصمة والإمامة.

ومثاله: ما جاء في تفسير العياشي (ت:٣٢٠) وتناقله كثير من مفسري الشيعة عن الأصبغ بن نباتة[٢]، قال: كنت واقفاً مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٣] يوم الجمل فجاء رجل حتى وقف بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين كبر القوم وكبرنا، وهلل القوم وهللنا، وصلى القوم وصلينا، فعلى ما نقاتلهم؟! فقال رضي الله عنه: على هذه الآية: ﴿تِلْكَ

---

(١) ينظر: أصول مذهب الشيعة للقفاري ج١ ص٢٨٣، ومن مراجعهم الكافي للكليني ج١ ص٢٤٠.

(٢) هو الأصبغ بن نباتة بن الحارث بن عمرو بن التميمي ثم الحنظلي، أبو القاسم الكوفي روى عن عليّ وكان من أصحابه، لكنه كان شيعيًّا يقول بالرجعة، وسُئِل عنه يحيى بن معين، فقال: ليس بشيء، وقال: ابن عدي: بيِّن الضعف، وكذا علماء الجرح والتعديل على تضعيفه، ينظر: المجروحين لابن حبان ج١ ص ١٧٤، ميزان الاعتدال ج١ ص ٢٧١.

(٣) عليّ رضي الله عنه على رأس الأئمة الذين غلت فيهم جماهير الرافضة، وزعموا فيهم العصمة، والنبوة، ومن غلاة الرافضة من رفعهم فوق الأنبياء.

ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ – فنحن الذين من بعدهم– ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فنحن الذين ءامنا وهم الذين كفروا، فقال الرجل: كفر القوم ورب الكعبة، ثم حمل فقاتل حتى قتل رحمه الله»(١).

فهذه القصة الباطلة التي يظهر فيها الوضع جليًّا قد استعملت في تحريف معنى الآية والاستدلال بها على معنى باطل، وجمهور المفسرين على أن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي: من بعد الرسل، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ أي، الأمم اختلفوا بعد الرسل، فمنهم من ثبت على إيمانه، ومنهم من كفر(٢).

وقد جاءت قصة ثابتة عن عليّ رضي الله عنه بخلاف هذه القصة، تدل على أنها من افتراءات الرافضة، الذين تطاولوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطعن فيهم وتكفيرهم، وفي القصة الثابتة عن عليّ رضي الله عنه لما قتل الحرورية سُئل عنهم أكفارٌ هم؟ قال: من الكفر فرّوا، قيل: فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، وهؤلاء يذكرون الله كثيراً، قيل: فما هم، قال: هم قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصمّوا(٣).

وفي هذه الرواية الثابتة لم يكفر عليّ رضي الله عنه الخوارج على خلاف تلك الرواية المكذوبة.

---

(١) تفسير الطباطبائي ج٢ ص ٣٢٣، وقد نقلها عن العياشي والمفيد والقميّ وغيرهم.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج٥ ص ٣٧٨، تفسير البغوي ج١ ص ٣٠٨، زاد المسير ج١ ص ٣٠١، فتح القدير ج١ ص ٢٦٨.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ج١٠ ص١٥٠ برقم ١٨٦٥٦، جامع الأحاديث للسيوطي ج١٦ ص١٧٣ برقم ٧٥٤٥، وما اشتهر عند بعض الفضلاء أن علياً رضي الله عنه وصف الخوارج بقوله: (إخواننا بغوا علينا) غير صحيح، فإن هذا وصف لأهل الجمل، ينظر: مصنف ابن أبي شيبة ج٧ ص ٥٣٥، سنن البيهقي الكبرى ج٨ ص١٧٣، أمّا الخوارج فغاية ما جاء عنهم، وصفهم بقول عليّ رضي الله عنه: (قوم بغوا علينا) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة ج٧ ص٥٦٣، تعظيم قدر الصلاة للمروزي ج٢ ص ٥٤٣، سنن البيهقي الكبرى ج٨ص ١٧٤، وقد أشار لنحو هذا التفريق ابن تيمية في الفتاوى ج٢٨ ص٥١٦.

ومن القصص الباطلة التي تُحرّف معنى الآية؛ حكاية رواها القاضي عياض (ت:٥٤٤) في كتابه الشفا، حكم عليها الأئمة بالوضع، ونصها: «ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ، فقال مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله أدّب قوماً فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾، ومدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾، وذمّ قوماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾، وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً، فاستكان لها أبو جعفر فقال: يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو؟ أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾»[1].

وهذه الحكاية الباطلة طار بها أهل البدعة والتحريف فرحاً، وفسروا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤]، بمعنى باطل، دعوا فيه إلى التوسل والسؤال من النبي ﷺ والصالحين بعد مماتهم، وقد ردّ شيخ الإسلام (ت:٧٢٨) على هذه الحكاية الباطلة ردًّا شافياً، سنداً ومتناً، فقال: «...من نقل عن مالك أنه جوّز سؤال الرسول ﷺ، أو غيره بعد موتهم، أو نقل ذلك عن إمام من أئمة المسلمين –غير مالك– كالشافعي وأحمد وغيرهما فقد كذب عليهم، ولكن بعض الجهال ينقل هذا عن مالك ويستند إلى حكاية مكذوبة عن مالك، ولو كانت صحيحة لم يكن التوسل الذي فيها هو هذا، بل هو التوسل بشفاعته يوم القيامة»[2].

---

(١) كتاب الشفا ج٢ ص ٣٥.

(٢) ينظر: التوسل والوسيلة ص ٦٧، توحيد الألوهية ص ٢٢٨، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ٣٩٥، كلها لابن تيمية.

وقد تعقبها غيره من العلماء وبينوا نكارتها وبطلانها(١).

[١٠] **تفسير الآية بالقراءات الموضوعة:**

دأب كثير من أهل التحريف على تتبع ما ينصر مذهبهم من القراءات الموضوعة، ولا يتورع غلاتهم عن اختراع قراءات بالرأي والاجتهاد لتسويغ آراءهم وعقائدهم، وهذا ما صرح به القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه الانتصار بقوله: «قال قوم من المتكلمين: إنه يسوغ إعمال الرأي في إثبات قراءة، وأوجه، وأحرف، إذا كانت تلك الأوجه صواباً في اللغة العربية، وإن لم يثبت أن النبي ﷺ قرأها، بخلاف رأي القياسيين، واجتهاد المجتهدين، وأبى ذلك أهل الحق وأنكروه، وخطأوا من قال بذلك وصار إليه»(٢).

ومن الأمثلة على تحريف معنى الآية بالقراءة الموضوعة:

القراءة الموضوعة التي تُحرِّف معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]، فإن نصب لفظ الجلالة وفع كلمة العلماء قراءة أجمع عليها القراء، فكون الخشية من العلماء لله تعالى محل إجماع، لكن عَمَدَ بعضهم إلى تحريف معنى الآية بسبب قراءة موضوعة، وهي: رفع لفظ الجلالة، ونصب كلمة العلماء، وحاول الزمخشري تصحيح هذه القراءة بتكلف، فقال: «فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ إنما يخشى الله من عباده العلماء، وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن أبي حنيفة؟ قلت: الخشية في هذه

(١) ينظر: الصارم المنكي في الرد على السبكي لمحمد بن عبد الهادي ص ٣٤٥، شرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى ج٢ ص ١٥٩.

(٢) نقله عنه الزركشي في البرهان ج٢ ص ١٢٦، والسيوطي في الإتقان ج١ ص ٢١٠، والزرقاني في مناهل العرفان ج١ ص ٣٠٠.

القراءة استعارة، والمعنى إنما يجلهم ويعظمهم، كما يجل المهيب المخشى من الرجال بين الناس من بين جميع عباده»[١].

قال ابن الجزري (ت:٨٣٣) في حكمه على هذه القراءة الموضوعة: «لا أصل لها...وإن أبا حنيفة لبريء منها»[٢]، وعمر بن عبد العزيز بريء أيضاً من هذه القراءة وهي مكذوبة عليه[٣].

وبعد فإن معظم هذه الصور يستعملها أهل التحريف في تحريف معنى الآية العام، وقد سبق التنبيه على أن أنواع التحريف، تحريف معنى اللفظ، وتحريف معنى الآية العام، وتحريف الاستدلال بينهما تداخل وترابط.

---

(١) الكشاف ج٣ ص ٦٢٠.

(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج١ ص ٢٧.

(٣) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ج ٧ ص ٢٩٨.

المبحث الثالث
تحريف الاستدلال

معنى الاستدلال في اللغة:

الاستدلال لغةً: استفعال من طلب الدليل والطريق المرشد إلى المطلوب، والدَّلِيل: ما يُسْتَدَلُّ به، والدليل: الدالُّ، وقد دَلَّهُ على الطريق يَدُلُّهُ دَلالَةً ودِلالَةً ودُلولَةً ودَلولةً، والفتح أعلى، والدَّلِّيلي: الذي يَدُلُّك(١).

الاستدلال اصطلاحاً:

إقامة الدليل الموصل إلى الحكم الشرعي، سواء كان الدليل نصًّا (من الكتاب أو السنة) أو إجماعاً مبنياً عليهما، أو قياساً، أو غيرها من الأدلة العقلية(٢).

التعريف السابق للاستدلال، هو على منهج أهل السنة والجماعة، وفيه مصادر الاستدلال التي سار عليها السلف الصالح، وهي:

١-القرآن الكريم.
٢-السنة النبوية.
٣-الإجماع المبني عليهما.
٤-الأدلة العقلية، وهي تابعة للأدلة النقلية.

والمنهج الذي سار عليه السلف الصالح وثبت عليه تابعوهم بإحسان؛ قد تميّز بميزات وخصائص جعلتهم ينجون من الحيرة والتناقض والاضطراب، الذي وقع فيه أهل البدع، ويمكن أن نوازن بين منهجهم في الاستدلال ومنهج أهل التحريف في تلك المصادر:

أولاً: القرآن الكريم والسنة النبوية:

تميز أهل السنة والجماعة بتعظيمهم نصوص الكتاب والسنة، والوقوف عندها في التشريع والاستدلال، وعدم تعديها للآراء والاجتهادات.

---

(١) ينظر: مختار الصحاح للرازي مادة (دلل) ج١ ص ٢١١، لسان العرب مادة (دلل) ج١١ ص ٢٤٧، تاج العروس مادة (دلل) ج٢٨ ص ٤٩٨.

(٢) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج٤ ص ١٢٥، التقرير والتحبير في علم الأصول لابن أمير الحاج ج٣ ص ٣٨٠، إرشاد الفحول للشوكاني ص ٣٩٥.

ولهذا تظافرت أقوال السلف في لزوم الكتاب والسنة واعتبارهما الأصل الذي يعتمد عليه، فما وافقه كان حقًّا، وما خالفه كان باطلاً.

يقول ابن حزم (ت:٤٥٦): «فلم يسع مسلماً يقر بالتوحيد أن يرجع عند التنازع إلى غير القرآن والخبر عن رسول الله ﷺ، ولا أن يأبى عما وجد فيهما، فإن فعل ذلك بعد قيام الحجة عليه فهو فاسق، وأما من فعله مستحلاً للخروج عن أمرهما، وموجباً لطاعة أحد دونهما، فهو كافر، لا شك عندنا في ذلك»(١).

وقال ابن أبي العز (ت:٧٩٢) في شرحه للعقيدة الطحاوية: «فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقّي خبره بالقبول والتصديق دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولاً، أو يُحمِّله شبهة، أو شكاً، أو يُقدِّم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان»(٢).

ومن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن منزل من عند الله، وأنه محفوظ من الزيادة والنقصان، بحفظ الله له، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، ومن لوازم حفظه؛ حفظ السنة الشارحة له، وهي المصدر الثاني في التشريع، وهذا الأمر مُسَلَّم لدى المسلمين جميعاً، ولا مجال للتشكيك فيه، إلا أن أهل التحريف قد خالفوا في ذلك إجماع الأمة، في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولهم فيهما عدة شبه، منها:

١- زعم بعض المنتسبين للإسلام أن القرآن أصابه تحريف من زيادة أو نقصان، وهؤلاء هم غلاة الرافضة(٣).

---

(١) الإحكام لابن حزم ص ٩٥.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٧.

(٣) وللرافضة كتب أُلفت لإثبات تحريف القرآن، مثل (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) لحسين النوري الطبرسي، ينظر: أصول مذهب الشيعة ج١ ص ٢٤٥، وقد حاول بعض الشيعة المتأخرين التبرؤ من هذه الفرية إما تقية وإما إنكاراً لها بالفعل، والله أعلم.

ولكن أمر أولئك الذين ينتسبون إلى الإسلام ممن يطعن في القرآن ويزعم فيه التحريف لا يشكل كثيراً، لفحشه، وظهور بطلانه، وندرة من قال به، وكفر قائله ومعتقده، يقول ابن حزم: «ولا خلاف بين أحد من الفرق المنتمية إلى المسلمين من أهل السنة، والمعتزلة، والخوارج، والمرجئة، والزيدية في وجوب الأخذ بما في القرآن، وأنه هو المتلو عندنا نفسه، وإنما خالف في ذلك قوم من غلاة الروافض، هم كفار بذلك، مشركون عند جميع أهل الإسلام»(١).

٢-البقية من أهل التحريف الذين لا يقولون بوقوع التحريف في القرآن، لا يرون قطعية ثبوت شيء من دلالة نصوص الكتاب والسنة، بل دلالتها عندهم كلها ظنية.

ويوضح شيخ الإسلام (ت:٧٢٨) هذه الشبهة بقوله: «يزعم كثير من القدرية والمعتزلة أنه لا يصح الاستدلال بالقرآن على حكمة الله وعدله، وأنه خالق كل شيء، وقادر على كل شيء، وتزعم الجهمية من هؤلاء ومن اتبعهم من بعض الأشعرية وغيرهم: أنه لا يصح الاستدلال بذلك على علم الله وقدرته وعبادته، وأنه مستوٍ على العرش، ويزعم قوم من غالية أهل البدع: أنه لا يصح الاستدلال بالقرآن والحديث على المسائل القطعية مطلقاً، بناء على أن الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين بما زعموا، ويزعم كثير من أهل البدع أنه لا يستدل بالأحاديث المتلقاة بالقبول على مسائل الصفات والقدر، ونحوهما، مما يطلب فيه القطع واليقين»(٢).

وهذا القول الذي ابتدعه أهل التحريف من أعظم أنواع السفسطة(٣)، وهي من طرقهم في الهروب من مواجهة الأدلة، ومن المعلوم أن بني آدم يتخاطبون، ويكلم بعضهم

(١) الإحكام ص ٩٢.

(٢) مجموع الفتاوى ج١١ ص ٣٣٧.

(٣) السفسطة: قيل: إنها معربة، وأصلها من اليونان؛ (سوفسقيا) ومعناها الحكمة الموهمة، ينظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ج٢ ص ٥٥٨، التعريفات للجورجاني ص ٣٣٣، وينظر ص ٣١٢ من القسم التطبيقي في هذه الرسالة حيث تم التفصيل في معناها.

بعضا، ويفهم بعضهم مراد بعض، علماً ضرورياً أعظم من علمهم بالعلوم النظرية، ومعرفتهم مراد المتكلم لهم بكلامه أتم وأقوى من معرفتهم بتلك القوانين التي وضعها أربابها للقدح في إفادة الخطاب اليقين، فالقول بأن دلالة الألفاظ غير قطعية قدح في أظهر صفات الإنسان التي تميز بينه وبين البهائم، وهو النطق، ولظهور ذلك قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات:٢٣]، بل إن ذلك القول قدح في العلوم الضرورية التي اشترك الناس في العلم بها، ثم إن سائر بني آدم يخاطب بعضهم بعضاً، ويفهم مرادهم من غير احتياج إلى شيء من ادعاءات المتكلمين، والأدلة اللفظية يعرفها الناس، بخلاف الأدلة العقلية.

والأدلة اللفظية هي أصل التعريف بالأدلة العقلية، فإذا كانت لا تفيد العلم فمن باب أولى أن يكون مدلولها- وهي الأدلة العقلية- لا تفيد العلم[1].

وهذه البدعة الخطيرة التي تتضمن إهمال نصوص الكتاب والسنة في التشريع والاستدلال، ندرك من خلالها فساد المنهج الذي سار عليه أهل البدع والإلحاد في فهم مراد الله ورسوله ﷺ، وصدهم كثيراً من الناس عن ابتغاء الهدى منهما، وتكذيبهم للقرآن والسنة.

ويتضح مما سبق أن أهل التحريف لم يكونوا معتمدين في استدلالهم لا على كتاب الله، ولا على سنة رسوله ﷺ، بل حرصوا على مخالفتهما.

والأمثلة على تحريفهم لمعاني الآيات بحجة أن الدلالة فيها غير قطعية كثيرة، منها:

تحريفهم لمعنى الاستواء، ورؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، وغيرها من الأمور التي دلّ عليها ظاهر القرآن والسنة دلالة قطعية[2]، واجهها أهل التحريف بالإنكار إما بالفعل الصريح أو بالحيل، يقول الدارمي (ت:٢٨٠) في رده على من أنكر دلالة القرآن على

---

(١) ينظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية ج٥ ص ٢٠٣.

(٢) تكرر الرد على أمثال هذه التحريفات في أكثر من موضع من هذه الرسالة.

استواء الله ﷻ على عرشه: «فمن آمن بهذا القرآن الذي احتججنا منه بهذه الآيات، وصدّق هذا الرسول الذي روينا عنه هذه الروايات، لزمه الإقرار بأن الله بكماله فوق عرشه، فوق سماواته، وإلا فليحتمل قرآناً غير هذا، فإنه غير مؤمن بهذا»(١).

وسلفنا الصالح قد تصدّوا لهؤلاء الذين شكّكُوا بثوابت الدين، وردوا عليهم ويظهر من كتبهم رحمهم الله استدلالهم بالقرآن والسنة والرد عليهم بهما أيضاً، وكانوا ينكرون على من يعارض هذه الأدلة، أو يشكك في دلالتها.

٣-ومن شبه المحرِّفين إنكار حُجِّية السنة النبوية، والسنة محفوظة بحفظ الله تعالى للذكر، وهذا يقتضي الإيمان بها، واتباعها، والاحتجاج والاستدلال بها، وعلى هذا أدلة كثيرة، ومتنوعة، من القرآن والسنة والإجماع؛ فمن القرآن قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، فطاعة الرسول ﷺ من طاعة الله وقرن طاعته بطاعة رسوله ﷺ، فقال عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، وأمر بمتابعته والأخذ عنه فيما يأمر به وينهى عنه، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، ومن السنة قوله ﷺ: **(لا ألفين أحدكم مُتَّكِئاً على أَرِيكَتِهِ، يأتيه الأمر مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله، اتبعناه)**(٢).

وفي الحديث تحذير صريح من النبي ﷺ من مخالفة سنته، وفي غيره من الأحاديث الصحيحة التي أَوْصى فيها عليه الصلاة والسلام بالتمسك بسنته.

---

(١) الرد على الجهمية ص ٧٠.

(٢) أخرجه الشافعي في مسنده ص ١٥١، الحميدي في مسنده ج١ ص ٢٥٢ برقم ٥٥١، أبو داود في سننه ج٤ ص٢٠٠ برقم ٤٦٠٥، ابن ماجه في سننه ج١ ص٦ برقم ١٣، الترمذي في سننه ج٥ ص٣٧ برقم ٧١٦، الطبراني في المعجم الأوسط ج٨ ص٢٩٢ برقم ٨٦٧١، الحاكم في المستدرك ج١ ص١٩٠ برقم ٣٦٨، وصححه ابن حزم في الإحكام ج٢ ص٢١٠ والألباني في مشكاة المصابيح ج١ ص ٣٥ برقم ١٦٢، وألفين وردت بضم الألف وفتحها.

وقد نص الأئمة الأعلام على الإجماع على حجية السنة النبوية، قال الشافعي (ت:٢٠٤): «ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحداً أخبر عن رسول الله ﷺ إلا قُبِل خبره، وانتهى إليه، وأثبت ذلك سنة...وصنع ذلك الذين بعد التابعين، والذين لقيناهم كلهم يثبت الأخبار ويجعلها سنة، يُحمد من تبعها، ويُعاب من خالفها، فمن فارق هذا المذهب كان عندنا مفارقاً سبيل أصحاب رسول الله ﷺ وأهل العلم بعدهم إلى اليوم، وكان من أهل الجهالة»(١).

وقال الشوكاني (ت:١٢٥٠): «اعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام...»(٢)، ثم قال: «...إن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام، ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام»(٣).

والسنة النبوية ثاني مصادر التفسير بعد القرآن، فهي شارحة له، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

لكن أهل التحريف قد عمد كثير منهم إلى تجاهل السنة الشريفة في تفسير كتاب الله تعالى، وأنكروا أحاديث صحيحة ثابتة، ولم يلتفتوا إليها، فأنتجوا تلك التفاسير البدعية المحرّفة، وأيّاً كانت شبه هؤلاء في إنكار حجية السنة، فإن قولهم باطل، ومردود لمصادمته القرآن والسنة والإجماع، فإنكار هذا القول معلوم بالاضطرار من دين الإسلام.

وقد ظهرت بوادر إنكار حجية السنة النبوية في زمن مبكر من تاريخ الإسلام، مع بداية ظهور الفرق(٤)، ولا زالت توجد في عصرنا الحاضر، سواء على مستوى أفراد من

(١) اختلاف الحديث للشافعي ص ٤٨٠ ينظر: مفتاح الجنة للسيوطي ص١٣٥.

(٢) إرشاد الفحول ص ٦٨.

(٣) إرشاد الفحول ص ٦٨.

(٤) راجع تاريخ ظهورها في مبحث نشأة التحريف من هذه الرسالة ص ٤٦.

الكتاب والمفكرين، أو على مستوى جماعة تتبنى هذا الرأي، كما هي الحال فيمن يُسمَّون بـ(القرآنيين) أي: الذين يزعمون أنهم لا يأخذون إلا بالقرآن وحده دون السنة، وهم وإن تسموا بهذا الاسم إلا أنهم في الحقيقة يَرُدّون نصوص القرآن نفسه ومن أهمها الأمر باتباع سنة المصطفى ﷺ (١).

ولهم في إنكار حجية السنة تعليلات واهية ومتعنتة، أظهرت اضطرابهم وتناقضهم.

ومن الأمثلة على إنكار أهل التحريف لبعض الأحاديث المتواترة التي فسر بها أهل السنة آيات من كتاب الله تعالى؛ أحاديث الشفاعة، فإن أهل السنة والجماعة يؤمنون بخروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة، كما ورد ذلك في أحاديث كثيرة متواترة، ومنها قوله ﷺ: **(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)**(٢).

وقد نص العلماء على أن أحاديث الشفاعة متواترة(٣). ورغم ذلك نجد أن أهل الكلام - من المعتزلة ومن وافقهم مثل الخوارج وبعض الرافضة، أطبقوا على نفي الشفاعة لأهل الكبائر، وتخليد أهلها من الموحدين في النار، وحرّفوا آيات من كتاب الله ﷻ تدل على ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٨١]، فقد حرّفها الزمخشري (ت:٥٣٨) بقوله: «﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ يعني كبيرة من الكبائر...وقيل في الإحاطة: كان ذنبه أغلب من طاعته»(٤).

---

(١) ينظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم بخش ص ٨، ٩، موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ج١ ص ١٢٦، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ج١ ص ١١٠.

(٢) أخرجه الطيالسي في مسنده ص ٢٣٣ برقم ١٦٦٩، أحمد في المسند ج٣ ص ٢١٣ برقم ١٣٢٤٥، أبوداود ج٤ ص ٢٣٦ برقم ٤٧٣٩، الترمذي في سننه ج٤ ص ٦٢٥ برقم ٢٤٣٥، ابن حبان في صحيحه ج١٤ ص ٣٨٦ برقم ٦٤٦٧، الطبراني في المعجم الصغير ج١ ص ٢٧٢ برقم ٤٤٨، ابن عديّ في الكامل ج١ ص ٤٣٢ برقم ٢٤٢، وصححه على شرط الشيخين الحافظ ابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٤٨٨ كما نقل تصحيح الترمذي له، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ج٣ ص ٢١٦ برقم ٥٥٩٨.

(٣) راجع تفصيل ذلك في الرد على هذا التحريف في القسم التطبيقي عند آية ٤٨ من سورة البقرة.

(٤) الكشاف ج١ ص ١٨٥.

فالزمخشري يفسر السيئة بالكبيرة لتنطبق الآية على مذهب المعتزلة؛ وهو تخليد أصحاب الكبائر الموحدين في النار، بينما أجمع السلف الصالح على أن السيئة بمعنى الشرك[١]، وقال الزمخشري في معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥]: «وهذا دليل بيّن على تخليد الفساق»[٢]، وردّ عليه أهل السنة بأنه طول المكث بدلالة أحاديث عدم تخليد عصاة الموحدين في النار[٣].

وقد خالفوا في معتقدهم هذا الأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ في ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر الموحدين، وقد صرح القاضي عبد الجبار (ت:٤١٤) بتكذيب هذه الأحاديث، فقال عن حديث: (**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**)[٤]: «إن هذا الخبر لم تثبت صحته أولاً، ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد[٥] عن النبي، ومسألتنا طريقها العلم فلا يصح الاحتجاج به»[٦].

وقال معتزلي آخر: «فلا يغتر مغتر، ولا يتكل متكل، على قول من يقول الكاذبون على الله ورسوله – صلوات الله عليه وعلى أهله –: إن قوماً يخرجون من النار بعدما يدخلونها،

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج٢ ص ٢٨١، تفسير البغوي ج١ ص ١١٦، تفسير القرطبي ج٢ ص١٢، تفسير ابن كثير ج١ ص ٣١٥.

(٢) الكشاف ج١ ص ٣٤٨، وقد وافق المعتزلةَ كثيرٌ من الفرق، مثل الخوارج وجمهور الرافضة وكثيرٌ، من رجال المدرسة العقلية.

(٣) ينظر: الرد على هذا التحريف بشيء من التفصيل عند آية ٨١ و ٢٧٥ من سورة البقرة في القسم التطبيقي من هذه الرسالة.

(٤) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٥) أنكر المبتدعة كثيراً من الأحاديث وقابلوها بالرد بدعوى أنها خبر آحاد لم يصل لحد التواتر، وهذه دعوى كاذبة فهم قد ردوا المتواتر أيضاً، ينظر: الرد على المنطقيين لابن تيمية ص ٣٧.

(٦) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي ص ٦٩٠.

يعذبون بقدر ذنوبهم، هيهات، أبى الله جلّ ثناؤه ذلك»[١].

وهكذا يصرح المعتزلة بكذب أحاديث الشفاعة لأهل الكبائر، والتي بلغت مبلغ التواتر، وإذا أرادوا أن يلطفوا العبارة قالوا: إنها آحاد لا يؤخذ بها في العقائد، أو إنها معارضة بأخبار الوعيد، أو إن المقصود بها الشفاعة للتائبين، وغير ذلك من التأويلات البعيدة[٢].

وهذا المثال مظهر من مظاهر إنكار حجية السنة النبوية؛ التي شرحت آيات القرآن الكريم، وتفسيره بغيرها يعد تحريفاً لها.

والعجيب أن هؤلاء الذين تجرؤوا على تكذيب الأحاديث المتواترة وما أجمع العلماء على قبوله، لم يتورعوا عن وضع ما ينصر مذاهبهم من الروايات المختلقة وتفسير كتاب الله تعالى بها، وهم ينسبونها للنبي ﷺ[٣]، وهذا يدل على تناقضهم وكذبهم في دعواهم فإن مرجعهم في قبول الحديث ورده ليس إلا مذاهبهم الباطلة، وإلا فإن أهل التحريف أبعد عن معرفة الحديث والعلم بكتاب الله تعالى، يقول شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «ومن المعلوم أن المعظمين للفلسفة والكلام[٤]، المعتقدين لمضمونها هم أبعد عن معرفة الحديث، وأبعد عن اتباعه من هؤلاء[٥]، وهذا أمر محسوس، بل إذا كشفت أحوالهم وجدتهم من أجهل الناس بأقواله ﷺ وأحواله، وبواطن أموره، وظواهرها، حتى لتجد كثيراً من العامة أعلم بذلك منهم، ولتجدهم لا يميزون بين ما قاله الرسول وما لم يقله، بل قد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه، وحديث مكذوب موضوع عليه...وحتى تجد في

(١) العدل والتوحيد، للقاسم الرسي ص ٢٨٤ ضمن رسائل العدل والتوحيد، وينظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ج١ ص ١٣٦، ١٣٧.

(٢) موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ج١ ص ١٣٧.

(٣) سبق التمثيل لذلك في تحريف معنى الآية بالأحاديث الموضوعة ج١ ص ١٢٦.

(٤) كثير من الفرق الضالة يعتنون بالفلسفة وعلم المنطق.

(٥) يشير إلى أهل السنة والجماعة.

أئمة علماء هؤلاء من لا يميّز بين القرآن وغيره، بل ربما ذكرت عنده آية فقال: لا نسلّم صحة الحديث، وربما قال لقوله ﷺ كذا، وتكون آية من كتاب الله، وقد بلغنا من ذلك عجائب، وما لم يبلغنا أكثر»[(١)].

ثانيا: الإجماع:

الإجماع لغة: مصدر أجمع، فيقال: أَجْمَع، يُجْمِع، إجماعاً فهو مجمع[(٢)]، ويطلق ويراد به أحد معنيين:

الأول: العزم المؤكد، فيقال: أجمع فلان على السفر، إذا عزم عليه، وأحكم النية، وفي التنزيل، قوله تعالى: ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ [يونس:٧١] أي: اعزموا أمركم[(٣)].

الثاني: الإتفاق، فيقال: أجمع المسلمون على كذا، أي: اتفقوا عليه، ومنه قوله ﷺ: (**إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة**)[(٤)] أي: لا يجعلهم يتفقون على الضلالة[(٥)].

والثاني: هو المناسب للمعنى الاصطلاحي.

الإجماع في الاصطلاح: اختلف الأصوليون في تعريفه، والتعريف المختار الذي تقل عليه الاعتراضات[(٦)] هو: «اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته، في عصر من

---

(١) مجموع الفتاوى ج٤ ص ٩٥، باختصار.

(٢) ينظر: الأفعال لأبي القاسم علي السعدي ج١ ص ١٥١، لسان العرب مادة (جمع) ج٨ ص ٥٦.

(٣) ينظر: القاموس المحيط ص٩١٧، المصباح المنير ص٦١ مادة (جمع)، المفردات للراغب ص٩٧.

(٤) أخرجه الترمذي ج٤ ص ٤٦٦ برقم ٢١٦٧، الحاكم في المستدرك ج١ ص٢٠١ برقم ٣٩٧، البغوي في شرح السنة ج١ ص ٢١٥، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ج٥ ص ١٦٧ برقم ٢١٦٧.

(٥) ينظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ج١ ص ١٣٣.

(٦) التعريف المختار هو على مذهب أهل السنة والجماعة وإن حصل بعض الخلاف في تفاصيله بين العلماء لكنهم متفقون على حجيته.

العصور، على الحكم الشرعي»[١].

ذهب جماهير العلماء من أهل السنة والجماعة على أن الإجماع حجة شرعية، وحكى بعضهم الاتفاق، ولم يعبأ بالمخالفين، واستدلوا على حجيته بالكتاب والسنة والمعقول[٢].

فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

وهذه الآية من أقوى الأدلة القرآنية على حجية الإجماع، ووجه الدلالة: أن الله تعالى جمع بين مشاقّة الرسول ﷺ وبين مخالفة سبيل المؤمنين في الوعيد، فلو كان اتباع غير سبيل المؤمنين مباحاً لما جمع بينه وبين المحظور؛ ومتابعة غير سبيلهم تقع بمخالفة أقوالهم أو أفعالهم[٣].

ومن الأدلة على حجية الإجماع من السنة قوله ﷺ: **(إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد الله مع الجماعة)**[٤]، إلى غير ذلك من الأحاديث التي تأمر بلزوم الجماعة، وتحذر من الفرقة.

وقد دل العقل على حجية الإجماع، فإنه قد ثبت قطعياً أن نبينا ﷺ خاتم الأنبياء، وأن شريعته دائمة إلى قيام الساعة، ثم وقعت حوادث ليس فيها نص قاطع من كتاب أو

---

(١) ينظر: روضة الناظر وجنة المناظر ص ١٣٠، الإحكام لابن حزم ج١ ص ٢٥٣، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه لعلاء الدين المرداوي ج٤ ص ١٥٢٢، غاية الوصول شرح لب الأصول لأبي يحيى زكريا الأنصاري ص ١٨٩، شرح الكوكب المنير (المسمى بمختصر التحرير) لابن النجار ج٢ ص ٢١١، إرشاد الفحول ص ١٣٢.

(٢) ينظر: المراجع السابقة.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ج١٩ ص ١٧٩، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ج١ ص ١٣٧.

(٤) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

سنة، لكن أجمعت الأمة على حكمها، فلو قلنا: إن إجماعهم ليس بحجة، وإن الحق قد خرج عنهم، أو أنهم أجمعوا على الخطأ، للزم أن تكون شريعته غير دائمة؛ فيؤدي ذلك إلى الخلف في أخبار الشارع، أو أن يكون إجماعهم حجة مثبتاً للحق، لئلا يؤدي إلى المحال، وهو انقطاع الشريعة، وعدم بقائها واستمرارها(١).

وقد أنكر حجية الإجماع طائفة من أهل البدع، مثل الخوارج، وجماهير الرافضة، وغيرهم(٢)، ونتج عنه أقوال بدعية مخالفة لإجماع الأمة، وملأ بها أهل التحريف تفاسيرهم الشاذة. وغالب تحريفاتهم في التفسير قد خالفوا فيها إجماع العلماء، ومن الأمثلة على ذلك:

تحريفات بعض الرافضة، والصوفية، وغيرها من الفرق الضالة التي لا تعتمد في تفسير كتاب الله أي دليل صحيح ولا تبالي بإجماع علماء التفسير من السلف الصالح، ومن الأمثلة على ذلك:

تحريف الطباطبائي (ت:١٤٠٤) لمعنى كلمات في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧] حين قال: «سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين»(٣).

ففي هذا التحريف المتعنت المخالف لأقوال السلف الصالح يظهر منه التعصب العقدي جلياً عند المؤلف وقد تم الرد عليه بالتفصيل في القسم التطبيقي عند نفس الآية، وهذا الادعاء ينزه عنه الأنبياء فضلاً عن أن تُفسّر به الآية، وأهل العلم بالتفسير على أن الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام هي: التوبة وقد جاءت في قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]، وهو قول جمع من

(١) ينظر: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام ج٣ ص ٣٣٧، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ج١ ص ١٣٩، ١٤٠.

(٢) منهج الاستدلال ج١ ص ١٤٠.

(٣) تفسير الميزان ج١ ص ١٤٨.

المفسرين[١]، وما ذكر من أقوال أخرى فهي في معنى التوبة وطلب المغفرة.

وقد ملأت طوائف غالية من الروافض تفاسيرهم الشاذة المخالفة لإجماع السلف الصالح بأمثال هذا التحريف، وتكلّفوا بتنزيل آيات القرآن الكريم على أئمتهم المزعومة.

وفي القسم التطبيقي أمثلة كثيرة على ذلك.

ومن أمثلة مخالفة إجماع المفسرين تحريف السُّلمي (ت:٤١٢) لقوله تعالى: ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ [البقرة:٧١]، فقد غيّر معنى ﴿ذَلُولٌ﴾ و﴿شِيَةَ﴾ عن المعنى الذي ذكره المفسرون، وأتى بتحريف لم يُسبق إليه، فقال في معنى ﴿ذَلُول﴾: «لا يصلح لكرامتي وإظهار ولايتي عليه إلا من لم يذلل نفسه بالسكون إلى شيء من الأكوان»[٢]، وقال في ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾: «لا أثر عليه لأحد بالسكون والاعتماد عليه، فهو القائم بي، والناظر إليّ، والمعتمد عليّ»[٣]، إلى غير ذلك من التحريفات التي لا معنى لها. وفضلاً عن كون تفسيره لا معنى له، فإنه مخالف لأقوال المفسرين في أن ﴿لَّا ذَلُولٌ﴾ و﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ هي أوصاف للبقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها لإحياء قتيلهم، معجزة من الله ﷻ، فقوله تعالى: ﴿لَّا ذَلُولٌ﴾: أي لم تذلل للعمل، وقوله: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ أي: ليس فيها لون يفارق سائر لونها[٤]، وأقوال المفسرين متقاربة في ذلك، لكنهم مجمعون على أنها أوصاف للبقرة، فلا مكان فيها لإشارات السُّلمي.

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل ج١ ص ٤٣، تفسير الطبري ج١ ص ٥٤١، تفسير ابن أبي حاتم ج١ ص ٩٢، تفسير السمرقندي ج١ ص ٧٣، تفسير الواحدي ج١ ص ١٠١، تفسير البغوي ج١ ص ٦٥، الكشاف ج١ ص ١٥٧، زاد المسير ج١ ص ٧٠، التبصرة لابن الجوزي ج١ ص ١٧، تفسير العز بن عبد السلام ج١ ص ١٢٠، الدر المنثور ج١ ص ١٥٢.

(٢) تفسير السُّلمي ج١ ص ٦١.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ج٢ ص ٢١٣، الكشاف ج١ ص ١٧٩، زاد المسير ج١ ص ٩٩.

ومن تحريفاته التي خالف فيها إجماع المفسرين تحريفه لمعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥]، فقد زعم أن المقصود بـ﴿الْبَيْتَ﴾ هنا محمد ﷺ[(١)]، وأورد في ذلك رواية مكذوبة[(٢)]، وقد أجمع علماء التفسير قاطبة على أن البيت في الآية؛ هو البيت الحرام[(٣)]، و شذ السُّلمي بهذا القول الساقط، ولم يوافقه عليه أحد.

والتحريف في معنى الآية لا بد أن يكون مخالفاً لإجماع المفسرين، فكونه تحريف للآية فإن علماء التفسير المعتبرين وإن لم يصدر عنهم إجماع في معنى الآية لكنهم مجمعون على إنكار تحريفات هؤلاء المبتدعة، التي لم يردها الله ﷻ في كتابه.

ثالثاً: الأدلة العقلية[(٤)]:

لقد كرم الإسلام العقل تكريماً لم تهتد إليه حضارة من الحضارات[(٥)]، واهتم به الشارع في نصوص الكتاب والسنة، فجعله مناط التكليف، وفضل الله به بني آدم عليه السلام على كثير ممن خلق، واعتنى به حين وجهه إلى النظر والتفكير، وقد خصّ سبحانه وتعالى أصحاب العقول بالانتفاع بالذكر والموعظة، قال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:٢٦٩]، ويكفي

---

(١) تفسير السُّلمي ج١ ص ٦٥.

(٢) ينظر: تفصيل ذلك في القسم التطبيقي.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ج٣ ص ٢٥، تفسير ابن كثير ج١ ص ٤١٢، الدر المنثور ج١ ص ٢٨٩.

(٤) تشمل: العقل وكل ما يرجع إليه في الاستدلال، مثل: القياس وغيره.

(٥) حاربت الديانات المحرّفة النتاج العقلي، والتفكير في الملكوت، وعدته ضرباً من الزندقة، وخروج على سلطة الكنيسة، حتى نشأ النزاع المشهور بين الدين (المحرّف)، وبين العلم، فكانت بداية فصل الدين عن الدولة، وهي ما يُسمونه بالعلمانية والأجدر أن تسمى اللادينية، وانتشرت هذه الحركة في أوربا، ثم انتقلت العدوى إلى بلاد المسلمين، من غير مبرر لذلك، إلا التبعية والتقليد الأعمى، ينظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ج ١ ص ١٦٥.

في تكريم الإسلام للعقل أن جعل فيه الدية كاملة في الاعتداء على العقل، وتضييع منفعته بضرب ونحوه(١)، قال ابن قدامة (ت:٦٢٠): «لا نعلم فيه خلافاً»(٢).

ومن صور حفظ الإسلام للعقل وتكريمه له؛ أن الله تعالى لم يقم الحجة على الخليقة إلا ببعثة الرسل ونزول الكتب، لأن العقل قاصر عن تحصيل المعرفة الدينية استقلالاً(٣)، لكنه لا يعارضها، فمتى حصّلها كان موافقاً وتابعاً لها إلا ذوي العقول السقيمة، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «... العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلاً بذلك، لكنه غريزة في النفس، وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها، وإن عزل بالكلية، كانت الأقوال والأفعال مع عدمه: أموراً حيوانية، قد يكون فيها محبة، ووجد، وذوق، كما يحصل للبهيمة، فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة...لكنِ المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها لحجج عقلية -بزعمهم- اعتقدوها حقاً وهي باطل، وعارضوا بها النبوات وما جاءت به، والمعرضون عنه صّدقوا بأشياء باطلة، ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة، وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم على غيرهم»(٤).

وما أشار إليه شيخ الإسلام في تبعية العقل لنصوص الوحيين وعدم استقلاله بالتشريع والاستدلال هو كما سبق منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع العقل، وقد

---

(١) ينظر: المدونة الكبرى لمالك بن أنس ج١٦ ص٣١٣، مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه عبدالله ص٤١٧، الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي للماوردي ج١٢ ص ٢٤٦، المغني لابن قدامة ج٨ ص ٣٦٣.

(٢) المغني ج٨ ص ٣٦٣.

(٣) ينظر: منهج الاستدلال ج١ ص ١٨٠.

(٤) مجموع الفتاوى ج٣ ص ٣٣٨.

خالف هذا المنهج السليم كثير من الفرق المخالفة المتأثرة بفلسفة الديانات الأخرى، وأُعجبوا بتقديس الفلاسفة للعقل، فاتخذوه محوراً للمعرفة، وسبيل وصول إلى الحقائق، دون اعتبار لنصوص الوحي، وعند تعارضهما مع عقولهم فهو المقدم عندهم [١]، فأحدثوا في دين الله من البدع والتحريف ما لم يكن أحد يتصوره، وقد اصطلح على تسمية هذه الطائفة بالمتكلمين، الذين جعلوا أصل علمهم العقل؛ لأنهم يرون قطعية الأدلة العقلية؛ أمّا نصوص الوحيين فهي ظنية الدلالة بزعمهم تابعة له، وفي المقابل ظهرت المتصوفة؛ الذين يذمّون العقل ويعيبونه، فقرروا من الأباطيل ما يكذبه العقل الصريح، ويمدحون الجنون والأحوال التي لا تكون إلا مع زوال العقل. فمنهم من جعل معرفة الحق والصواب فيما تشرق به نفسه وتفيض به روحه[٢].

فكل المتكلمين والفلاسفة والمتصوفة على طرفي نقيض؛ وأهل السنة والجماعة هُدوا إلى الوسطية؛ وسطية الإسلام الذي أشار للاهتمام بالعقل وعدم إهماله، ولكنه راعى اختلافها وقصورها عن بلوغ المعارف الدينية، فلم تجعله يستقل بوضع الأحكام، بل أرشد الله العقول للحق وجعلها تابعة له، فالوحي جاء بالأدلة صافية من كل كدر، وما على العقل إلا الإيمان بها.

ولكنْ للعقل علوم ضرورية، لا ينكرها إلا مكابر أو جاهل لا يتصور ما يقول، وقد جادل الإسلام بها أصحاب العقائد الفاسدة، وحاكمهم إليها، لأنها قوانين فطرية، فكثيرة هي النصوص التي تذكرهم دائماً بتحكيم العقل، والبعد عن الهوى؛ فيلجئهم إلى موقف حرج مع أنفسهم؛ حتى يظهر لهم التناقض والتنافر بين ما يعتقدونه من عقائد، وبين القوانين العقلية التي يستوي فيها كل الناس[٣].

---

(١) ليس في القرآن والسنة شيء يخالف العقل الصريح، لأن ما خالف العقل الصريح باطل، وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل، لكنه التناقض والفهم السقيم، ينظر: الصواعق المرسلة ج٣ ص ٨٣٠.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ج٣ ص ٣٣٨، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ج١ ص ١٦٧.

(٣) ينظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ج١ ص ١٧٧.

وأمثلة اعتماد العقل وتقديمه على الشرع عند أهل التحريف كثيرة جداً وربما كانت جميع تحريفاتهم كذلك، فإن أكثر ما ضل به هؤلاء هو تحكيمهم لعقولهم الناقصة والتعصب لنصرة معتقداتهم، ومن الأمثلة على ذلك:

قياسهم لصفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة على صفات المخلوقين، مثل:

السمع، والبصر، واليد، والوجه، وغيرها، وأملت لهم عقولهم أن إثباتها له تشبيه له بخلقه، فنفوا عنه ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، وادّعوا تنزيهه عن مبتدعات ما أنزل الله بها من سلطان[(١)]، وأدى بهم ذلك إلى تحريف كثير من نصوص الكتاب والسنة، وصرفها عن حقائقها التي أرادها الله منها، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها على سبيل المثال:

نفي صفة الحياء عن الله ﷻ، وقد أثبتها لنفسه، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا﴾ [البقرة:٢٦]، ويُدلل على تحكيم أهل البدع لعقولهم قول الرازي (ت:٦٠٦) في تفسيره للآية: «اعلم أن الحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم...وإذا ثبت استحال الحياء على الله تعالى؛ لأنه تغير يلحق البدن، وذلك لا يعقل إلا في حق الجسم»[(٢)] وتأول صفة الحياء بترك الفعل[(٣)].

فانظر كيف حكّم الرازي العقل في تحريفه لصفة الحياء، وقدّم العقل على نصوص الكتاب والسنة، فإنه قد ورد عن النبي ﷺ أحاديث صحيحة، قد صرح فيها النبي ﷺ في إثبات الصفة لله ﷻ، مثل: قوله ﷺ: (**إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً**)[(٤)].

---

(١) مثل الجهة، والتحيز، والجسمية وغيرها، وقد تم التعريف بها والرد عليها في القسم التطبيقي، عند آية ٢٩، ٣٠ من سورة البقرة.

(٢) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) ج١ ص ١٤٤.

(٣) المرجع السابق.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الدعاء ج٢ ص ٢٥١ برقم ٣٢٥٠، أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الدعاء ج٢ ص ٧٨ برقم ١٤٨٨، الترمذي في سننه، كتاب الدعوات عن النبي ﷺ ج٥ ص ٥٥٦ برقم ٣٥٥٦، ابن حبان في صحيحه، كتاب الأدعية، ذكر الأخبار عما يستحب للمرء عند إرادة الدعاء رفع اليدين ج٣ ص ١٦٠ برقم ٨٧٦، ونقل الزيلعي تحسين الترمذي له في نصب الراية ج ٣ ص ٥٢.

وبمثل هذه التحريفات قد جرت عادة أهل البدع والإلحاد؛ في أسماء الله وصفاته، وكتبهم مليئة بأمثال هذا التحريف، واشتهرت المعتزلة بتقديمها للعقل واعتماده دون نصوص الوحيين، وتأثر بهم من المتأخرين رجال المدرسة العقلية أمثال محمد عبده (ت:١٣٢٣)، وتلميذه محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤)، وأكثر ما يجمع بينهما اتفاقهم على تقديم العقل، وفي تفسيره المنار[1] أمثلة لذلك تم إيراد الكثير منها في القسم التطبيقي، ومنها على سبيل المثال:

تحريفه لمعنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥]، فقال في معنى المسّ: «هو من الأمراض العصبية وسببها بإذن الله تلك الجراثيم التي تدخل جسم الإنسان»[2].

وإليك قول الزمخشري (ت:٥٣٨) ليتضح القرب بين الطائفتين، فقال في تفسيره للآية: «وتخبط الشيطان من زعمات العرب، يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع، والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء، فورد على ما كانوا يعتقدون، والمس الجنون، ورجل ممسوس، وهذا أيضاً من زعماتهم، وأن الجني يمسه، فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن، ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب وإنكاره عندهم كإنكار المشاهدات»[3].

فمحمد رشيد قد فسرها بما أملى عليه عقله، وناسب عصره الذي يتحدث عن الجراثيم وغيرها، وكذلك الزمخشري ربطها بما يعلمه من واقعه، فزعم أنها من زعمات العرب.

والأمثلة واضحة وكثيرة في تحكيم العقل عند أهل التحريف، وهذا أول أسباب انحرافهم؛ اتباعهم للهوى، والبعد عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

---

(١) تفسير المنار من التفاسير المشمولة بالبحث.

(٢) تفسير المنار ج٣ ص ٩٦.

(٣) الكشاف ج١ ص ٣٤٧.

وبعد فإن أهل التحريف قد نهجوا في استدلالهم في التفسير وغيره، منهجاً منحرفاً تميّز بالحيرة والاضطراب، ونتج عنه كثير من البدع والتحريف في القرآن والسنة، وتأثر به كثير من الجهلة والعوام، ويمكن أن نلخص هذا المنهج بالأمور التالية:

١-البعد عن الكتاب والسنة، والجهل بهما.

٢-تقديم العقل على الشرع.

٣-الاقتباس من الديانات الأخرى وفلافستهم، والتأثر بهم.

٤-قلة الورع والجرأة على الابتداع في الدين والقول على الله بغير علم.

٥-ليّ أعناق النصوص لتوافق ما أرادوه من باطل، وهذا ما وصف به عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (ت:٧٣) الخوارج بقوله: (انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)[١].

وقال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «ولا بد في التفسير والحديث من معرفة دلالة الألفاظ على المعاني فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يّدعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك»[٢].

٦-الاضطراب والحيرة، ويُدلل عليه التناقض في أقوالهم المتكلفة.

جهتا التحريف:

العلم إمّا نقل مُصدّق، أو استدلال مُحقّق، وباعتبار هذين القسمين يمكننا تحديد جهتين لمصادر التحريف وهما:

أولاً: التحريف من جهة النقل.

---

(١) سبق تخريجه ص٦١.

(٢) مجموع الفتاوى ج٧ ص ١١٦، باختصار.

ثانياً: التحريف من جهة الاستدلال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت:٧٢٨) في مقدمته: «والاختلاف في التفسير على نوعين: منه ما مستنده النقل فقط، ومنه ما يعلم بغير ذلك، إذ العلم إما نقل مصدّق، وإما استدلال محقّق»(١).

ومن هاتين الجهتين دخل التحريف في التفسير أيضاً.

أولا: التحريف من جهة النقل:

والنقل في التفسير (التفسير المأثور)(٢)، وهو تفسير القرآن بالقرآن، والصحيح من السنة، وأقوال الصحابة والتابعين(٣)، وهذا التفسير وصل إلينا بأسانيد محّصها علماء الأمة، فاعتنوا بالصحيح منها، وطرحوا السقيم، وهو ما تميّزت به هذه الأمة التي حفظ الله دينها من التحريف، فيجب الأخذ به، لأنه طريق المعرفة الصحيح وسبيل آمن من الزلل في كتاب الله.

وتفسير القرآن بالقرآن هو أولها وأحسنها، قال تعالى:﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[القيامة:١٩].

قال الشنقيطي (ت:١٣٩٣) في تفسيره: «...أجمع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله -جل وعلا- من الله جل وعلا»(٤).

والنبي ﷺ أوّل مفسّر للقرآن الذي أُنزل عليه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤].

---

(١) مقدمة في أصول التفسير تحقيق عدنان زرزور ص ٤٥.

(٢) سيأتي مزيد من التفصيل للتفسير المأثور في فصل ضوابط التفسير ص ٢٣٠.

(٣) مذهب الجمهور أن تفسير التابعين من التفسير المأثور، ينظر: التفسير والمفسرين ج٣ ص ١٢، مفهوم التفسير والتأويل لمساعد الطيار ص ٢٢.

(٤) أضواء البيان ج١ ص ٣٥.

ولمّا أوكل الله ﷻ تفسير القرآن لنبيه ﷺ لَزِمَنا أن نرجع إلى تفسيره، وسنته بمنزلة القرآن في الاستدلال، قال رسول الله ﷺ: **(ألا إني أُوتيت القرآن ومثله معه)**(١).

قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «ومما ينبغي أن يُعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عُرف تفسيرها، أو ما أُريد بها من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم»(٢).

وحكى ابن الوزير (ت:٨٤٠) الإجماع على وجوب قبول تفسير النبي ﷺ(٣).

وصحابة النبي ﷺ لهم منزلتهم العظمى في الإسلام، ويكفيهم شرفاً أنهم لقوا رسول الله ﷺ، وتعلّموا منه القرآن، وعليه يكون تفسيرهم مصدراً ثالثاً في التفسير، ومقدماً على تفسير غيرهم، قال الشافعي (ت:٢٠٤): «وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل... وهم فوقنا في كل علم، واجتهاد، وورع، وعقل، وآراؤهم لنا أحمد، وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند من حديث المقداد بن معدي كرب الكندي ج٤ ص ١٣٠ برقم ١٧٢١٣، أبوداود في سننه، كتاب السنة، باب لزوم السنة ج٤ ص ٢٠٠ برقم ٤٦٠٤ واللفظ له، الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ ج٥ ص ٣٨ برقم ٢٦٦٤، وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه»، وابن ماجه في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه ج١ ص ٦ برقم ١٣، الدارمي في مقدمة سننه، باب السنة قاضية على كتاب الله ج١ ص ١٤٧ برقم ٥٩٧، الحاكم في مستدركه ج١ ص ١٩٠، وذكره الألباني في صحيح الجامع ج١٠ ص ٣٦٩، كلهم بألفاظ متقاربة.

(٢) مجموع الفتاوى ج١٣ ص ٢٧.

(٣) ينظر: إيثار الحق على الخلق في ردّ الخلاف إلى المذهب الحق من أصول التوحيد لابن الوزير أبي عبدالله مرضي اليماني ص ١٥٢.

(٤) ذكره البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى ص١١٠ برقم ٣٧، وذكره عن الشافعي ابن القيم في إعلام الموقعين ج٢ ص ٢٦١، ولم أجده في كتب الشافعي لأن البيهقي وابن القيم نصا على أن قول الشافعي في الرسالة القديمة، لكن لا يعني هذا أنه تراجع عنه.

والتابعون تَلَقّوا تفاسيرهم من الصحابة ﵃، وهم من القرون المشهود لها بالخير والفضل، ورجع لتفسيرهم أئمة الهدى من عدول الأمة، قال ابن رجب (ت:٧٩٥): «فأفضل العلوم في تفسير القرآن، ومعاني الحديث، والكلام في الحلال والحرام؛ ما كان مأثوراً عن الصحابة والتابعين، وتابعيهم إلى أن ينتهي إلى زمن أئمة الإسلام المشهورين المقتدى بهم...»(١).

والعدول عن تفسير الصحابة والتابعين إلى ما يخالفه بدعة، قال ابن تيمية (ت:٧٢٨): «من عَدَل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم، إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً، بل مبتدعاً...»(٢).

بل إنه حكم على التفسير المخالف لتفسيرهم بالتحريف، فقال: «من فسّر القرآن أو الحديث، وتأوّله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين، فهو مُفْترٍ على الله، ملحد في آيات الله، مُحرِّف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام»(٣).

ومن جهة التفريط بهذا المنقول من تفسير القرآن بالقرآن، والصحيح من سنة النبي ﷺ، وأقوال الصحابة ﵃ والتابعين رحمهم الله تعالى؛ دخل التحريف في تفسير كتاب الله ﷻ، وأهله صنفان أمام هذا المنقول:

-قوم ردّوه وأهملوه، وفسّروا آيات كتاب الله ﷻ بخلافه.

-قوم لم يكتفوا بردّه، بل وضعوا أحاديث تعارضه وتؤيد مبتدعاتهم الباطلة.

وقد ذكر شيخ الإسلام في مقدمته: صنفان(٤) لأهل الوضع في التفسير:

(١) فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب الحنبلي ص ١٠٠.

(٢) مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير تحقيق عدنان زرزور ص ٨٠.

(٣) مجموع الفتاوى ج١٣ ص ٢٤٣.

(٤) مقدمة ابن تيمية تحقيق الزرزور ص ٦٥.

١-أهل البدع والغلو، كالرافضة.

٢-بعض أهل الزهد الذين وضعوا أحاديث في فضائل بعض السور والأعمال[١].

ثانياً: التحريف من جهة الاستدلال:

يسلك أهل التحريف في هذه الجهة طريقين:

١-اعتقاد معاني وحمل الآيات في كتاب الله ﷻ على هذه المعاني، دون نظر لمراد الله ﷻ منها، فهم راعوا ما أرادوه فقط[٢].

وهم حتى يسلم لهم تحريفهم يقومون بأمرين:

(أ) يسلبون الألفاظ معانيها الصحيحة لتعطيل الاستدلال بها.

(ب) يُحمّلونها معاني ارتضوها لا يحتملها اللفظ ولم يردها الله تعالى في كتابه.

٢-الاكتفاء باللغة العربية في تفسير كتاب الله تعالى، والتعامل مع ألفاظه كالألفاظ في أيّ نص عربي، دون مراعاة لضوابط التفسير الأخرى[٣]، وهؤلاء راعوا اللفظ دون المعنى الذي أراده الله في كتابه.

---

(١) عمد بعض أهل الزهد والجهل إلى وضع أحاديث في فضائل السور والأعمال للترغيب والترهيب، وأهل البدع وضعوا أحاديث لترويج مذاهبهم الباطلة، والثناء على أئمتهم المزعومة عند بعضهم، والذي يهمنا منه ما كان له تأثير مباشر في التفسير، وهؤلاء الوضاعون أجرأ على كتاب الله ﷻ من غيرهم، وإن كانوا في التحريف سواء، والوضع في التفسير يحتاج لدراسة مستقلة تبحث أسبابه وآثاره، ينظر: المرجع السابق.

(٢) ينظر: شرح مقدمة شيخ الإسلام لمساعد الطيار ص ١٣٩، أصول التفسير وقواعده لخالد العك ص ٢٢٧، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها لمحمد الذهبي ص ١٨.

(٣) اللغة مصدر هام في تفسير كتاب الله ﷻ، وبها نزل، لكنها لا تستقل به، فللتفسير ضوابط أخرى لا بد من مراعاتها، وسيأتي بيانها في فصل مستقل من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى، وهناك من يدعو لقراءة القرآن كأيّ نص عربي وهذه الدعوة من أهل التحريف لها دعاتها قديماً وحديثاً، ينظر: على سبيل المثال التفسير نشأته..تدرجه..تطوره لأمين الخولي ص ٧٨.

مثال تطبيقي على سلوك أهل التحريف هذه الطرق:

اشتمل القسم التطبيقي من هذه الرسالة على مائة وثمانية تحريفاً للألفاظ في كتاب الله تعالى تبين منهج أهل التحريف واتباعهم الطرق السابقة في ليّ نصوص الكتاب لتوافق هوى متبعاً، وأكتفي هنا بإيراد مثال سلك فيه أهل التحريف أغلب الطرق السابقة في جهتي التحريف؛ وهو تحريف معنى قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، فهذه من أصرح الآيات في إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وهو محل إجماع علماء السلف، أهل السنة والجماعة، وأتباعهم بإحسان، مستدلين بآيات من كتاب الله ﷻ وأحاديث صحيحة متواترة عن النبي ﷺ رواها نحو ثلاثين صحابياً رضوان الله عليهم[1]، إلاّ أن أهل البدع؛ من الجهمية، والمعتزلة، والخوارج، والرافضة وغيرهم، رجعوا إلى عقولهم القاصرة فأوهمت لهم من الرؤية أموراً أرادوا تنزيه الله تعالى عنها[2]، لم ينزل الله بها من سلطان، ولم يكن لهم من سلف صالح سبقهم لمثل هذه البدعة التي أنكروا من أجلها الرؤية وحرّفوا النصوص التي تدل عليها، ومنها هذه الآية، فسلكوا في تحريفها الطرق التالية:

١-تجاهلوا الأحاديث الصحيحة[3] في إثبات الرؤية، وأقوال الصحابة والتابعين في تفسير الآية بذلك.

٢-سلبوا لفظ ﴿نَاظِرَةٌ﴾ معناه الصحيح، وهو النظر إلى الله سبحانه وتعالى[4]، وفسّروه بمجرد ما ساغ لهم من اللغة، فقالوا: ناظرة، أيّ: تنتظر وتتوقع الثواب[5].

---

(١) ينظر: شرح الطحاوية تحقيق أحمد شاكر ج١ ص ٤٠٢، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج٣ص٤٦٤، قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر لمحمد صديق حسن ص ١١٤.

(٢) مثل الجسمية، التحيز، التشبيه وقد تم تفصيله في القسم التطبيقي عند آية ٢٩، ٣٠ من سورة البقرة.

(٣) تواترت أحاديث النبي ﷺ في إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، ينظر: تفصيل ذلك عند آية ٥٥ من سورة البقرة في القسم التطبيقي من هذه الرسالة.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ج١٢ ص١٤، تفسير البغوي ج٨ ص٢٨٤، تفسير ابن كثير ج٨ ص٢٧٩.

(٥) ينظر: الكشاف ج٤ ص ٦٣٣، تفسير البيضاوي ج٥ ص ٤٢٣.

٣-استدلوا عل نفي الرؤية بآيات لا تدل على ما أرادوا؛ إذ النفي فيها للرؤية في الدنيا، لكنهم طوّعوا الآيات للاستدلال بها على معاني محرّفة، وهذا تحريف للاستدلال.

ومما استدلوا به قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:١٤٣].

وإنما تنفي هذه الآيات رؤية الله تعالى في الدنيا(١).

ولا يُستبعد ممّن طوّعت له نفسه ردّ أحاديث النبي ﷺ أن يضع روايات باطلة في نفي الرؤية، وهم قد وضعوها في كثير من الآيات.

أمثلة لوضع الروايات الباطلة في تفسير كتاب الله تعالى:

مثاله ما أصّله شيخ الرافضة وعالمها محمد بن الحسن بن علي أبو جعفر الطوسي (ت:٤٦٠)(٢) لأصحابه في تفسيره، حيث يقول: «واعلم أن الرّواية ظاهرة في أخبار أصحابنا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي ﷺ، وعن الأئمة-عليهم السلام- الذين قولهم حجة كقول النبي ﷺ»(٣).

فانظر إليهم كيف جعلوا أئمتهم بمنزلة النبي ﷺ في التشريع(٤) ليُروّجوا أباطيلهم التي يفترونها وينسبونها إليهم، وأعظم به من تحريف.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج١٢ ص ١٣.

(٢) هو محمد بن الحسن بن علي، أبو جعفر الطوسي، لازم المفيد الرافضي مدّة فتحول رافضياً، له تفسير كبير، والطوسي من أهم مرجعيات الرافضة، توفى في الكوفة، ينظر: طبقات الشافعية ج٤ ص ١٢٦، طبقات المفسرين للسيوطي ص ٩٣.

(٣) التبيان في تفسير القرآن للطوسي ج١ ص ٤.

(٤) والغالون منهم يجعلون أئمتهم فوق الأنبياء في منزلة لم يبلغها ملك مقرب ولا نبي مرسل كما زعموا.

وأكثر ما يستعملون هذه الروايات في تعظيم أئمتهم، والطعن في الصحابة رضي الله عنهم جازاهم الله بما يستحقون، ومن أمثلة رواياتهم الباطلة؛ تحريفهم الصراط المستقيم من قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]، ففي تفسير القُمّي (ت:٣٢٩)[١]: «عن أبي عبد الله[٢]، قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ هو أمير المؤمنين، ومعرفة الإمام»[٣].

وهذا مثال للافتراء على الله تعالى ورسوله ﷺ في معاني ألفاظ القرآن الكريم لتعظيم الأئمة، وأما ما وضعوه من الروايات في النيل من الصحابة رضي الله عنهم فمثاله:

ما رواه الكُليني (ت:٣٢٩)[٤] عن أبي عبد الله جعفر الصادق في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [آل عمران:٩٠]، وأشباهها من الآيات، أنها في الخلفاء الثلاثة؛ أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم[٥]، وهو ينسب هذه الجريمة الكبرى لرجل صالح من آل البيت؛ وهو بريء مما يفترون.

وفي القسم التطبيقي من الأمثلة على هذه التحريفات بأنواعها ما يغني عن تكراره هنا.

وهاتان جهتان للتحريف في تفسير القرآن الكريم (النقل والاستدلال) لا يخرج عنها مُحرِّف، سلكها أهل التحريف في تفسيرهم لكتاب الله ﷻ، ولهم في ترويج تحريفاتهم طرقٌ متعددة، فيما يلي ذكر شيء منها:

---

(١) علي بن إبراهيم، أبو الحسن، قال عنه الذهبي: «رافضي جلد، له تفسير فيه مصائب»، ينظر: ميزان الاعتدال ج٥ ص ١٣٧، لسان الميزان ج٤ ص ١٩١.

(٢) هو الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) تفسير القمّي ج١ ص ٤٦.

(٤) هو أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، الرافضي الإمامي، ألّف كتاب الكافي من الأصول، وهو الكتاب الحديثي الأول عند الرافضة، ونظرتهم له تفوق نظرة أهل السنة للصحيحين، ينظر: لسان الميزان ج٥ ص ٤٣٣، الكليني وتأويلاته الباطلة للآيات القرآنية في كتابه أصول الكافي لصلاح الخالدي ص ٨.

(٥) الكافي من الأصول للكليني ج١ ص ٤٢٠.

طرق التحريف:

إنّ التحريف بأنواعه، وفروعه، وطرقه يتميز بعلامات عدة، يُعارض بها الحق، ويؤيد بها الباطل، أبرزها ستة أمور وهي كالتالي(١):

١-لبس الحق بالباطل، وهو خلطه به، بحيث لا يتميز الحق من الباطل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [آل عمران:٧١].

قال الشوكاني (ت:١٢٥٠): «ولبس الحق بالباطل خلطه بما يتعمدونه من التحريف»(٢).

وقال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨) عند حديثه عن تفسير الكشاف للزمخشري (ت:٥٣٨): «يدس البدع في كلامه وأكثر الناس لا يعلمون كصاحب الكشاف ونحوه حتى إنه يروج على خلق كثير ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله!»(٣)، والأمثلة كثيرة منها قوله في مقدمة تفسيره الكشاف: «الحمد لله الذي جعل القرآن كلاماً مؤلَّفاً منظَّماً»(٤)، وهذه العبارة سليمة في ظاهرها، لكن معتقد المعتزلة في أن المتصف بهذه الأوصاف هو المحُدث، لذا فهذه الأوصاف تعبر عن مُراده بأن القرآن مخلوق(٥)، دون أن يقول الحمد لله الذي خلق القرآن، وهذا لبس للحق بالباطل، وكثيراً ما يلجأ إليه المحرفة في إثبات تحريفهم.

---

(١) ينظر: هداية الحيارى لابن القيم ج١ ص ٤٩.

(٢) فتح القدير للشوكاني ج١ ص ٣٥١.

(٣) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية شرح مساعد الطيار ص ١٤٣.

(٤) الكشاف للزمخشري ج١ ص ٤١.

(٥) مذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن منزل غير مخلوق، وخالفتهم الفرق الضالة مثل؛ الجهمية، والمعتزلة، وطوائف من الشيعة، وغيرهم، والقول بخلق القرآن نتيجة لنفيهم أسماء الله وصفاته، ومنها صفة الكلام التي تدل على أن القرآن كلام الله مُنزل غير مخلوق، ومسألة خلق القرآن أعظم المسائل الكلامية التي أكثر فيها أهل الجدل، وقد أُمتحن بسببها جمع من أئمة العلم لما كان للمعتزلة من مكانة سياسية في عصر المأمون، ينظر: مقالات الإسلاميين ص٢٧٠، التنبيه والرد ص٣٥.

٢-كتمان الحق، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧١].

٣-إخفاؤه وهو قريب من كتمانه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة:١٥].

وهو في تحريف اليهود والنصارى لكتبهم، وسبق التمثيل لكتمانهم وإخفائهم لآيات في كتاب الله ﷻ، وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ معجزة خالدة لا يستطيع أحد إخفاءها، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصف:٩].

وقد يّعبر عن الإخفاء والكتمان في كتاب الله ﷻ بجحود المعنى الصحيح، وادّعاء معنىً باطلاً، كما هو في تفاسير أهل البدع، وأمّا كتمان ألفاظ القرآن فلا أحد يستطيعه فلجؤوا إلى جحد معانيه لما عزّ عليهم جحد لفظه.

٤-ليُّ اللسان به، ليُلبِس على السامع اللفظ بغيره، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٨].

قال كثير من المفسرين(١): ليُّ اللسان بالكتاب أي: تحريفه.

٥-افتراء الكذب على الله ﷻ وعلى نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨]، والكذب على رسول الله ﷺ، كذب على الله ﷻ، وهو

---

(١) ينظر: تفسير مجاهد ج١ ص١٢٩، بحر العلوم للسمرقندي ج١ ص٢٥٠، تفسير البغوي ج١ ص٣٢٠.

من كبائر الذنوب(١)، لما تواتر عنه ﷺ قوله: **(من تعمّد عليّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار)**(٢)، ومن كذب على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ فكيف يسلم تفسيره من التحريف؟!

وسبق مثاله في تحريف معنى الألفاظ من جهة نقل الروايات الموضوعة في التفسير.

٦-زخرفة الباطل قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢]، قال السعدي (ت:١٣٧٦): «يُزيّن بعضهم لبعض، الأمر الذي يدعون إليه، من الباطل، ويزخرفون لـه العبارات، حتى يجعلوه في أحسن صورة، ليغتر به السفهاء، وينقاد له الأغبياء، الذين لا يفهمون الحقائق، ولا يفقهون المعاني، بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة، والعبارات المموّهة، فيعتقدون الحق باطلا والباطل حقا»(٣)، ومثاله: نزع حجاب المرأة بدعوى تحريرها وتحريف أدلة الحجاب الدالة على وجوب التمسك به، ومحاربة الحدود في الشريعة بدعوى حرية الإنسان، وتعطيل أدلة تطبيق الحدود بتمييعها وتحريف معناه وغيرها من أمثلة تحريف الحق بزخرف القول(٤).

وإذا تأملت هذه الطرق، رأيتها تنـزع من قوس واحدة؛ هو التحريف، وترجع إليـه(٥).

---

(١) أهل العلم على أن الكذب على الله ورسوله في تحليل الحرام وتحريم الحلال كفر مخرج من الملة، وما سواه كبيرة من كبائر الذنوب، يراجع الكبائر للذهبي ص ٧٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ج١ ص٥٢ برقم ١٠٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٢٦٩.

(٤) للاطلاع على بعض هذه التحريفات وغيرها، والقائلين بها راجع الانحراف الفكري في التفسير المعاصر رسالة دكتوراه ليحيى شطناوي ج٢ ص ٣٤٨، ٤٢٠، الأقوال الشاذة ص ٢٤٨.

(٥) ينظر: تحريف النصوص لبكر أبو زيد ص ٤٥.



الفصل الثالث

أسباب التحريف وآثاره وأحكامه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسباب التحريف.

المبحث الثاني: آثار التحريف.

المبحث الثالث: أحكام التحريف.

المبحث الأول
أسباب التحريف

أسباب التحريف من الموضوعات المهمة ذات الأولوية؛ فهو يستحق الإفراد بالبحث، وقد درست مواضيع قريبة منه، مثل أسباب الخطأ في التفسير لطاهر يعقوب، ولكن الخطأ أعم من التحريف، وللتحريف أسباب كثيرة ومتشعبة، وهي بحسب الباعث على التحريف، ولا يتسع لمثل هذه العجالة إلا الإشارة لأبرز تلك الأسباب، ومنها:

أولاً: الكيد للإسلام، والتخطيط لبث الزندقة والإلحاد فيه:

وكثير من هؤلاء القائمين بذلك يتستر بإظهار الإسلام، والانتماء لإحدى الفرق المفارقة لمنهج أهل السنة والجماعة[1]؛ وهم يبطنون الكفر والحقد للإسلام وأهله، وقد غاظهم انتشاره، وكثرة الداخلين فيه، ومثال ذلك مكائد عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أبطن اليهودية، وأظهر الإسلام، وتستر بزي التشيع وحب آل البيت، ليدخل من خلاله الفرقة والتحزب بين المسلمين، وقد تعرض لكثير من الآيات بالتحريف، وإدخال عقائد اليهود المحرّفة عليها، مثل تحريفه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥].

حين قال: «العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى»[2] فوضع لهم أساس رجعة الأئمة بذلك، وهو الذي وضع لهم أساس الوصية. وأن عليًّا خاتم الأوصياء، كما أن محمداً خاتم الأنبياء، وكان يقول: «إنه كان

---

(١) لا يستطيع أحد بث سمومه إلا عن طريق هذه الفرق المنحرفة، أما الانتماء لمنهج أهل السنة والجماعة فهو المحجة البيضاء، التي لا يستطيع أحد الابتداع من خلاله وإن أراد شيئاً من الكيد فضحه الله، وأكثر ما يتستر الأعداء بزي التشيع، فهو بوابة الانحراف التي أدخل الأعداء من خلالها على المسلمين أشد التحريف وأنكره.

(٢) سبق تخريج قوله ص٦٧.

ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد ﷺ، فمحمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء»[١].

وقد مُني الإسلام منذ زمن بعيد بأناس يكيدون له، ويعملون على هدمه بكل ما يستطيعون من وسائل الكيد، وطرق الهدم، وكان من أهم الأبواب التي طرقوها ليصلوا منها إلى نواياهم السيئة تأويلهم للقرآن الكريم على وجوه محرّفة.

مُني الإسلام بهذا من أيامه الأولى، ومُني بمثل هذا في أحدث عصوره، فظهر في هذا العصر أشخاص يتأوّلون القرآن على غير تأويله، ويلوونه إلى ما يوافق شهواتهم، ويقضي حاجات في نفوسهم، فأدخلوا في تفسير القرآن آراء سخيفة، ومزاعم منبوذة، تقبلها بعض المخدوعين من العامة وأشباههم، ورفضها بكل إباء من حفظ الله عليهم دينهم وعقولهم[٢].

ثانيا. التأثر بالديانات الأخرى:

كان لهذا التأثر عوامل عديدة أسهمت فيه، ومنها:

(أ) اتساع رقعة الإسلام وكثرة الداخلين فيه من سائر الأديان[٣]:

توسعت فتوحات المسلمين منذ عصر الخلفاء الراشدين، وبدؤوا يزيحون عروش الكفار، ويضعون راية الإسلام في كل بلد يفتحونه، فبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، وكثر الداخلون في دين الإسلام.

ولا شك أنه كان من بين تلك الجموع أناس لم ترسخ العقيدة في قلوبهم، ولم يتمكن الإسلام من نفوسهم، فدخلوه وهم يحملون رواسب دياناتهم السابقة، مما كان له الأثر في إثارة بعض المسائل البدعية، كما أن اختلاط المسلمين باليهود والنصارى ممن بقي على دينه

---

(١) ينظر: الفتنة ووقعة الجمل ص ٤٨، تاريخ الطبري ج٢ ص ٦٤٧، الشريعة للآجري ج٤ ص ١٩٨٥، تاريخ مدينة دمشق ج ٤ ص ٢٩، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ج٤ ص ٢٠٣، البداية والنهاية ج٧ ص ١٦٨.

(٢) ينظر: التفسير والمفسرون ج٢ ص ٥٧٣، أسباب الخطأ ج٢ ص ٦٨٨.

(٣) ينظر: موقف المتكلمين ج١ ص ٤٦.

من أهل تلك الديار المفتوحة؛ كان له أثر أيضاً فيما بعد على ضعاف النفوس وحديثي الإسلام، وإثارة بعض المسائل التي لا طائل تحتها[١].

قال الأوزاعي (ت:١٥٧): «وأول من نطق في القدر رجل من أهل العراق، يقال له: سوسن كان نصرانياً فأسلم،ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد»[٢].

وأما الذين غاظهم انتشار الإسلام ممن بقوا على كفرهم، أخذوا يكيدون له المكائد ويخططون لإفساده، كما في السبب الأول.

(ب) حركة الترجمة:

لقد كانت الترجمة من أهم العوامل في التقاء أهل البدع والتحريف بالديانات الأخرى، وذلك لما أثارته وأفرزته ونشرته من المصطلحات، والمباحث الفلسفية البعيدة عن القرآن والسنة ومنهج سلف الأمة.

وقد جرّت ترجمة كتب الفلسفة والمنطق ويلات كثيرة على المسلمين، وفرّقت كلمتهم، وأفسدت عقائدهم، خاصة إذا علمنا أن أكثر المترجمين كانوا منحرفي العقيدة؛ فهم ما بين زنديق حاقد، ونصراني متربّص، ومرتزق متهالك، ومن نظر في أسمائهم وسيرهم تبين له حقيقة أمرهم[٣].

وفي الحقيقة أن هناك أسباباً حملت من حملت على ترجمة كتب اليونان ونحوهم من الأمم الأخرى، ويمكن إيجازها بما يلي[٤]:

---

(١) ينظر: درء التعارض ج ٧ ص ٩٤.

(٢) ذكره الفريابي في القدر ص٢٤٠، الآجري في الشريعة ج٢ ص٩٥٩، ابن بطة في الإبانة ج٢ ص٢٩٨، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج٤ ص٧٥٠، وينظر: تاريخ مدنية دمشق ج ٥٩ ص٣١٩، تهذيب الكمال ج ٢٨ ص٢٤٤ - ٢٤٥، سير أعلام النبلاء ج ٤ ص١٨٦-١٨٧.

(٣) ينظر: فهرست ابن نديم ص ٤٨٤، الصواعق المرسلة ج٣ ص ١٠٧٢.

(٤) ينظر: موقف المتكلمين ج١ ص ٥١.

١-النظر إلى حضارات وثقافات الأمم الأخرى بعين الإكبار والإعجاب، وقلة الوثوق بالكتاب والسنة والبعد عنهما، بل واتهامهما بالغموض واحتياجها للأدلة العقلية، وأهل الكلام والمنطق، كما يدعيه أكثر الفلاسفة، ومن تأثر بهم من الفرق الكلامية، مثل المعتزلة وغيرها.

٢-كثرة الجدل والتناظر بين المسلمين من جهة، وغيرهم من اليهود والنصارى من جهة أخرى، فقد حملهم هذا على ترجمته كتب القوم؛ ليعرفوا طريقتهم في الجدال والحجاج، وكيفية ترتيب البراهين، لكن قصور أهل البدع في مناظرتهم جعلهم يردّون الباطل بباطل، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «وأكثر المتكلمين يردّون باطلاً بباطل، وبدعة ببدعة، لكن قد يردّون باطل الكفار من المشركين وأهل الكتاب بباطل المسلمين، فيصير الكافر مسلماً مبتدعاً»[(١)].

وهناك أيضاً سبب ثالث مهم أدّى للتأثر بالديانات المحرّفة بالإضافة إلى اتساع رقعة الإسلام وحركة الترجمة، وهو:

(ج) البعد عن الكتاب والسنة والجهل بهما:

شكّل بعض المنتسبين إلى الإسلام أرضاً خصبة لظهور البدع والتحريفات في دين الإسلام، وذلك ببعدهم عن الكتاب والسنة والجهل بهما، فأسهموا بأنفسهم بإدخال تلك البدع، وساعدوا الأعداء على ذلك.

فلم يكن السبب خارجياً من الأعداء فقط، بل واجه عوامل داخلية ساعدته من ضعف الإيمان والبعد عن الكتاب والسنة عند بعض المسلمين، والمستعرض لسِيَر كثير من مبتدعة المسلمين يجد عندهم من الأهواء، والشهوات، والانحراف الخلقي، والعقدي، ومعارضة النصوص الشرعية الشيء الكثير[(٢)]، وهذا يكشف حقيقة أهل التحريف وسبب انحرافهم[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى ج١٣ ص ٩٧.

(٢) ينظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٧، الفرق بين الفرق ص ١٣١، ١٣٤.

(٣) ينظر: موقف المتكلمين ج١ ص ٥٦.

ثالثا: اتباع الهوى:

ذم الله ﷻ في أكثر من موضع في كتابه اتباع الهوى، وحذّر منه، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٩] ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ [الفرقان:٤٣] ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

والهوى يطلق في اللغة على عدة معانٍ منها: السقوط، واشتهاء النفس، ومحبة الشيء وغلبته على القلب، وميل الطبع إلى ما يلائمه، والميل عن الحق[(١)]، وكل هذه الأمور إذا وجد واحد منها فيمن يفسر شيئاً من نصوص الكتاب والسنة وقع في التحريف ولا بد، قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من المنسوبين إلى العلماء والعباد يُجعل من أهل الأهواء، كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواء، وذلك أن كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه، والعلم بالدين لا يكون إلا بهدى الله الذي بعث به رسوله ﷺ»[(٢)].

وقد عرّف الشاطبي (ت:٧٩٠) البدعة بأنها: «اتباع للهوى؛ لأن العقل إذا لم يكن متبعاً للشرع لم يبق له إلا الهوى والشهوة، وأنت تعلم ما في اتباع الهوى، وأنه ضلال مبين»[(٣)].

ويوصي الله تعالى عباده بقوله عزّ من قائل: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

قال ابن عطية (ت:٥٤٦) في تفسيره الآية: «الإشارة هي إلى الشرع الذي جاء به محمد ﷺ...وهذه (السبل تعم اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، وسائر أهل الملل وأهل

---

(١) ينظر: لسان العرب ج١٥ ص٣٧١، المعجم الوسيط لمجموعة من العلماء ج٢ ص١٠٠١، مادة (هوى).

(٢) الاستقامة لابن تيمية ج٢ ص ٢٢٤.

(٣) الاعتصام للشاطبي ج١ ص ٥١.

البدع والضلالات من) أهل الأهواء والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد»[١].

وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٥٠]، قال ابن القيم (ت:٧٥١) بعد إيراده هذه الآية: «فقسم الأمر إلى قسمين لا ثالث لهما، إما الاستجابة لله والرسول ﷺ وما جاء به، وإما اتباع الهوى، فكل ما لم يأت به الرسول ﷺ فهو من الهوى»[٢].

وقد ذم الله اليهود لاتباعهم لأهوائهم الذي قادهم إلى تحريف كتب الله وتبديلها، والكفر بالرسول ﷺ، وما جاء به، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧].

وقد اقتفى مبتدعة هذه الأمة آثار أهل التحريف من اليهود والنصارى، فاتبعوا أهواءهم في فهم القرآن والسنة، وأنتجوا أقوالاً باطلة، مما كان له آثاره السيئة ونتائجه الخطيرة في فهم القرآن وتفسيره.

يقول محمد شلتوت: «ومتابعة الهوى أصل الزيغ عن صراط الله المستقيم...والواقع أنه بمتابعة الهوى تكتسح الأديان، ويقتل كل خير، والابتداع بالهوى أشد أنواع الابتداع إثماً عند الله، وأعظم جُرماً على الحق، فكم حرّف الهوى من شرائع، وبدّل من ديانات، وأوقع الإنسان في ضلال مبين»[٣].

---

(١) المحرر الوجيز ج٢ ص٣٦٤، وما بين القوسين نقله عنه الشوكاني في تفسيره فتح القدير ج٢ ص١٧٨.

(٢) إعلام الموقعين ج١ ص٤٧، وينظر: أسباب الخطأ ج١ ص٣٣٣.

(٣) البدعة أسبابها ومضارها لمحمد شلتوت ص٣٠، بتصرف، وينظر: أسباب الخطأ ج١ ص٣٣٧.

وغالب ما أوردته من أمثلة في القسم التطبيقي من تحريفات وغيرها من فصول هذه الرسالة يتجلى فيها اتّباع المحرّف لهواه، فإنه غير معذور في تحريفه، كما هو المجتهد إذا أخطأ، لأن هذا الأخير يتّبع في نظره واجتهاده القواعد العلمية لكل علم، أما المحرّف فإنه يخالفها ويتملص من الأدلة، ويلوي أعناق النصوص.

رابعاً: قلة تعظيم النصوص الشرعية:

ولقلة تعظيم النصوص الشرعية عند أهل التحريف صور شتى، بعدد ما يحرّفون من النصوص، ومنها:

١-ليّ أعناق النصوص، وصرفها عمّا أراده الشارع، فالمحرّف يقدم على تفسير النصوص وفي ذهنه معتقد يريد تأييده، فيطوّع النصوص، ويحرّف معناها، لتوافق ما يريد[(١)].

٢-معارضتها بأوهام العقول، والزعم بأنها لا تفيد اليقين، كما سبق بيانه في الفصل السابق، وسيأتي له مزيد توضيح في تقديم العقل.

٣-كراهيتهم للآيات والأحاديث التي تعارض مذهبهم وتفضح أباطيلهم، وقد أفصحوا عن كراهيتهم لها في مواقف كثيرة، ومن ذلك ما رواه البخاري (ت:٢٥٦) في كتابه (خلق أفعال العباد) عن بعض شناعات الجهم بن صفوان (ت:١٢٨)، ومما ذكره الرواية التالية: «كان رجل من أهل مرو صديقاً للجهم، ثم قطعه وجفاه، فقيل له: لم جفوته؟ فقال: جاء منه ما لا يحتمل، قرأت يوماً آية كذا وكذا... فقال، ما كان أظرف محمداً! فاحتملتها، ثم قرأ سورة طه، فلما قال: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، قال: أَمَا والله لو وجدت سبيلاً إلى حكها لحككتها من المصحف، فاحتملتها.

ثم قرأ سورة القصص، فلما انتهى إلى ذكر موسى، قال: ما هذا؟ ذكر قصة في موضع فلم يتمها، ثم ذكر ههنا فلم يتمها! ثم رمى بالمصحف من حجره برجليه فوثب عليه»[(٢)].

---

(١) سيأتي قريباً التمثيل لذلك في التعصب عند أهل البدع والتحريف، ص ٢٠٨.

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص ٣٨، عبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة ج١ ص ١٦٧، وصحح إسناده الألباني في مختصر العلو ص ٧٥.

وهذا مثال لما تُكِنّه صدور أهل التحريف من معاداة النصوص المخالفة لآرائهم، وقد كان للسنة من عدائهم نصيب كبير، فأنكروا الأحاديث المتواترات، وتجرؤوا على وضع الروايات المكذوبة(١).

٤-جرأتهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والقول فيهما بغير علم، والتحريف نتيجة متوقعة لهذه الجرأة، وكثير من أهل التحريف تناولوا تفسير كتاب الله تعالى، وقد تجاهلوا الضوابط والشروط التي يجب مراعاتها لمن يفسر كتاب الله تعالى.

وتجد كثيراً من المبتدعة الذين يحرّفون مراد الله في كتابه، قليل البضاعة في الحديث، قليل العلم بلغة العرب، وغير ذلك من مقاصد الشريعة والفهم الرباني للنصوص، التي لا يوفق إليه إلا الراسخون في العلم.

وقد سبق قول شيخ الإسلام (ت:٧٢٨) في جهل أهل الأهواء بعلم الحديث، حين قال: «ومن المعلوم أن المعظمين للفلسفة والكلام، المعتقدين لمضمونها، هم أبعد عن معرفة الحديث، وأبعد عن اتباعه من هؤلاء "يريد أهل السنة والجماعة"، وهذا أمر محسوس، بل إذا كشفت أحوالهم وجدتهم من أجهل الناس بأقواله ﷺ وأحواله، وبواطن أموره، وظواهرها، حتى لتجد كثيراً من العامة أعلم بذلك منهم، ولتجدهم لا يميزون بين ما قاله الرسول وما لم يقله، بل قد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه، وحديث مكذوب موضوع عليه...» (٢).

وممن ذكره شيخ الإسلام من رؤوس الفرق الكلامية الذين أسهموا بوجود كثير من التحريفات في كتاب الله ﷻ، أبو حامد الغزالي (ت:٥٠٥)، والرازي (ت:٦٠٦).

وأما الأمثلة عليهم في عصرنا هذا فهي أكثر، فكلُ يُسَوِّغ لنفسه تفسير كتاب الله ﷻ، ونقد الأئمة الذين لهم قدم راسخة فيه، وأكتفي بإيراد اعتراف محمد رشيد رضا

---

(١) تقدم بيان ذلك في إنكار حجية السنة في الفصل السابق، ص ١٣٧.

(٢) مجموع الفتاوى ج٤ ص ٩٥.

(ت:١٣٥٤) في وصف قلة علم شيخه محمد عبده (ت:١٣٢٣) حين قال: «كان مقصراً في علوم الحديث من حيث الحفظ والجرح والتعديل»(١).

وبعد هذا الاعتراف فلا عجب من صدور تلك الأقوال الباطلة، والاستدراكات الشاذة على أرباب ذلك العلم، منهم.

٥- الأخذ ببعض النصوص وترك البعض الآخر، وهذه الصورة من صور قلة تعظيم النصوص، قد ذمّ الله تعالى اليهود عليها، بقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٨٥]، وهي من طرق المحرفين في استدلالاتهم، وتقرير أقوالهم الباطلة، ومثاله:

أخذهم بنصوص الوعيد، وطرحهم لنصوص الوعد، وقد نتج عنه بدعتهم في تخليد أهل الكبائر الموحدين في النار، ونفيهم عنهم الشفاعة، وعلى ذلك حرّفوا آيات من كتاب الله ﷻ في إثبات الشفاعة لهم، وردوا الأحاديث المتواترة في ذلك، وتمسكوا بنصوص الوعيد، مثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣].

والذي عليه أهل السنة والجماعة؛ أهل الحق أن الخلود يُفسر بطول المكث(٢)، ثم يخرجون منها إلى الجنة، وذلك ردًّا لنصوص الوعيد إلى نصوص الوعد، التي تثبت الشفاعة لهم وعدم خلودهم في النار، وهي متواترة، ومنها حديث الشفاعة الطويل، وقوله ﷺ: (**يدخل الله**

(١) تاريخ الأستاذ الإمام لمحمد رشيد رضا ج١ ص ٥.

(٢) ينظر: تفصيل الرد على هذا التحريف في القسم التطبيقي عند آية الربا من سورة البقرة.

أهل الجنة الجنة؛ يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه...) الحديث)[1].

ومن الأمثلة على التحريف عند المبتدعة بسبب الأخذ ببعض النصوص دون البعض الآخر؛ مزاعم الصوفية الباطلة في عبادة الله بالحب وحده من غير خوف أو رجاء، فهم يزعمون أنهم لا يخافون عقابه ولا يرجون ثوابه[2]، وهذا التحريف يتضح منه التفريق بين نصوص الشرع وعدم الجمع بينها، فإن نصوص الوحيين تتظافر في الدلالة على أن الله تعالى يعبد بالحب، والخوف، والرجاء، وهذا معتقد السلف الصالح الذين يردّون النصوص بعضها لبعض، ومنهجهم السليم دلّهم على معتقدات بعيدة عن التناقض، دلّ عليها صريح الكتاب والسنة الصحيحة، ومن أدلة القرآن الكريم على عبادة الله بالخوف والرجاء بالإضافة إلى الحب؛ قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة:١٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]، وغيرها من الآيات الكثيرة التي تحفز المؤمنين للجنة، وترهبهم من النار، ومن السنة قوله ﷺ: **(أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر...)** الحديث [3].

والأدلة على هذا المعنى كثيرة جداً، فإن الصوفية قد نقضوا أصلاً عظيماً قامت عليه نصوص الشرع، وهو الترغيب والترهيب، والصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الله ﷻ يعبد بالحب والخوف والرجاء، لأنهم يأخذون بجميع نصوص الشرع، وعقيدتهم أن يعبد الله تعالى بالحب والخوف، والرجاء[4].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ج١ ص ١٧٢ برقم ١٨٤.

(٢) تم بسط هذا التحريف والرد عليه عند آية ٣ من سورة الفاتحة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة ج٣ ص ١١٨٥ برقم ٣٠٧٢، ومسلم رقم ٢٨٢٤.

(٤) ينظر: تفصيله في القسم التطبيقي من هذه الرسالة، عند آية ٥ من سورة الفاتحة.

خامساً: تقديم العقل على النقل:

وهو أهم الأسباب ويرجع إليه معظم التحريفات، وأكثر غلط أهل البدع من هذا الجانب[١]، وقد تجرؤوا بوصف دلالة نصوص القرآن والسنة بأنها ظنية ولا تفيد اليقين، أمّا ما تدل عليه عقولهم فهو قطعي الدلالة، كما زعموا، لذلك هو مقدم عندهم على نصوص الكتاب والسنة، وعلى هذا سار أهل البدع في تحريفهم المعاني في كتاب الله تعالى، فحرّفوا أسماء الله وصفاته، وعطّلوها عن حقائقها، لأن عقولهم ألزمتهم بالتشبيه بين صفات الخالق وصفات المخلوقين، فأنكروا استواءه على عرشه، وعلوه فوق مخلوقاته، ونفوا عنه ما أثبته لنفسه في كتابه وسنة نبيه ﷺ من الأسماء والصفات.

وقد وضع أهل العلوم العقلية، والفنون النظرية قاعدة عامة سموها (قانوناً) يرجع إليه في جميع أمور الدين ومسائله، ومنها علم التفسير، وهذه القاعدة منشأ تحريفهم وانحرافهم، وسبب تقديمهم العقل على النقل، ووسيلة لرد النصوص القرآنية، وتأويل معانيها تأويلاً باطلاً[٢].

فقالوا: «إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية، أو النقل والعقل، فإمّا أن يُجمع بينهما وهو محال؛ لأن العقل أصل النقل، فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحاً في العقل الذي هو أصل النقل، والقدح في أصل الشيء قدح فيه، فكان تقديم النقل قدحاً في النقل والعقل جميعاً، فوجب تقديم العقل، ثم النقل إمّا أن يقال بعدم صحته، وإمّا أن يتأول أو يفوض»[٣].

فحكموا على نصوص النقل بالتحريف لأجل عقولهم القاصرة، وقد تصدى علماء السلف الصالح للرد على هذا القانون وهدمه من أساسه ونقضه من أصله، وفي ذلك ألّف شيخ الإسلام (ت:٧٢٨) درته العظيمة في الرد على أهل الكلام والفلسفة، ومقدمي العقل على النقل، وهو كتابه (درء تعارض العقل والنقل) وكل العلماء عيال

---

(١) ينظر: درء التعارض ج١ ص ١٤٤.

(٢) ينظر: أسباب الخطأ ج١ ص ٣٠٥.

(٣) ينظر: درء التعارض ج١ ص ٤.

عليه في ذلك، وقد لخصه تلميذه ابن القيم (ت:٧٥١) في كتابه النافع (الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة).

ومن المفسرين قديماً وحديثاً طائفة قدمت العقل في تقرير المعاني الباطلة في فهم كتاب الله تعالى، فكان سبباً لانتشار كثير من التفاسير المحرّفة، وكانت المعتزلة من أشهر الفرق التي أعطت العقل حقاً أكثر من طاقته وإدراكه، وجعلت له سلطاناً على الكتاب والسنة، وفي ذلك يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت:٤١٤): «فاعلم أن الدلالة أربعة: حجة العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع، ومعرفة الله تعالى لا تنال إلا بحجة العقل»(١).

وقال الزمخشري (ت:٥٣٨) في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف:١١١]: «يحتاج إليه في الدين؛ لأنه القانون الذي تستند إليه السنة والإجماع والقياس بعد أدلة العقل»(٢).

وتبعهم من المتأخرين طائفة، سُمّوا باتباعهم لعقولهم (المدرسة العقلية)، ومنهم محمد عبده (ت:١٣٢٣) وبعض أصحابه وتلاميذه، وقد صرح محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤): «إن الدليل العقلي القطعي إذا كان في ظاهر الشرع ما يخالفه فالعمل بالدليل العقلي متعين»(٣).

والأمثلة كثيرة على اتباع الزمخشري ومحمد رشيد هذا المنهج في تفسيريهما(٤).

سادساً: الخوض فيما استأثر الله بعلمه:

خاض أهل التحريف في آيات من كتاب الله ﷻ، لا ينبغي للمؤمن الخوض فيها، لأن الله تعالى قد استأثر بعلمها، وقد حذَّر السلف الصالح من الخوض في المغيبات التي لا يمكن للعقل إدراكها، ومن أهمها موضوع الأسماء والصفات، فقد حارت فيه عقول أهل البدع

---

(١) الأصول الخمسة ص ٨٨.

(٢) الكشاف ج٢ ص ٤٨١.

(٣) ينظر: أسباب الخطأ ج١ ص ٣٠٨.

(٤) ينظر: الأمثلة في القسم التطبيقي.

وتشتت؛ حين أقحموها فيما لا قدرة لها على إدراكه مما غيبه الله عنها من كيفية أسمائه وصفاته، فزلت أقدامهم، وانحرفت أقوالهم، نتيجة بعدهم عن منهج السلف الصالح، الذي لا غموض ولا إبهام فيه، ولا تحريف، فهم يمرون نصوصها كما جاءت دون خوض في كيفيتها التي استأثر الله بعلمها؛ فيثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وينفون ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ، قال الشافعي (ت:٢٠٤) في تحريم الخوض في أسماء الله وصفاته: «حرام على العقول أن تمثل الله تعالى، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الضمائر أن تعمق، وعلى الخواطر أن تحيط، وعلى العقول أن تعقل، إلا ما وصف به نفسه، أو على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام»[(١)].

وقال الشوكاني (ت:١٢٥٠): «اعلم أن الكلام في الآيات والأحاديث الواردة في الصفات قد طالت ذيوله، وتشعبت أطرافه، وتناسبت فيه المذاهب، وتفاوتت فيه الطرائق، وتخالفت فيه النحل، وسبب هذا عدم وقوف المنتسبين إلى العلم حيث أوقفهم الله، ودخولهم في أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها، ومحاولتهم لعلم شيء استأثر الله بعلمه حتى تفرقوا فرقاً، وتشعبوا شعباً، وصاروا أحزاباً...»[(٢)].

وأكثر ما جمعته من تحريف هو في معاني أسماء الله وصفاته، وقد تكرر التمثيل له في أكثر من موضع.

سابعاً: الإعراض عن منهج السلف الصالح وأقوالهم في التفسير:

دلت أدلة كثيرة من الكتاب والسنة والإجماع على أهمية التمسك بمنهج السلف الصالح وأتباعهم في الاعتقاد والسلوك وفي فهم الدين، ولزوم منهجهم يعصم من البدع والتفرق والاختلاف، ومجانبته من أعظم أسباب الانحراف، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ

---

(١) ذكره ابن قدامة في ذم التأويل ص ٢٣، ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج٤ ص ٦، الذهبي في تذكرة الحفاظ ج٣ ص ٨١٣، السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ج٩ ص ٤٠.

(٢) التحف في مذاهب السلف ص ٥٧.

ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]، والله تعالى يثني في الآية على من اتبع الأولين، والرضوان عمن اتبعهم دليل على أن اتباعهم هو الحق[١]، فيجب اتباعه.

قال الشوكاني عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ﴾: «الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهم المتأخرون عنهم من الصحابة فمن بعدهم إلى يوم القيامة، وليس المراد بهم التابعين اصطلاحاً...بل هم جملة من يدخل تحت الآية...ويكون المراد بالتابعين من بعدهم من الأمة إلى يوم القيامة»[٢].

وقال ﷺ: (**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...**)[٣].

وهذه الخيرية؛ خيرية دين وعلم وفضل، يقول ابن القيم (ت:٧٥١) في الاستدلال بهذا الحديث على وجوب اتباع الصحابة: «فأخبر النبي ﷺ أن خير القرون قرنه مطلقاً، وذلك يقتضي تقديمهم في كل باب من أبواب الخير..»[٤].

وباب علم التفسير من أشرف أبواب الخير، وفهمهم للقرآن أصح وأسلم من الخطأ، فمن خالفهم فهو مبتدع[٥]، قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «فإن الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في تفسير الآية قول، وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه، وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان، صاروا مشاركين للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا.

---

(١) ينظر: أسباب الخطأ ج١ ص ٩٤٨.

(٢) فتح القدير ج٢ ص ٣٩٨.

(٣) سبق تخريجه ص٧٧.

(٤) إعلام الموقعين ج٤ ص ١٣٦.

(٥) ينظر: أسباب الخطأ ج٣ ص ٩٥٠.

وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك، بل مبتدعاً...»[(١)].

وقال في موضع آخر: بعد أن تكلم عن تفاسير بعض المبتدعة البعيدة عن منهج السلف الصالح: «وقد تبين بذلك أن من فسر القرآن أو الحديث، وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله، ملحد في آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام»[(٢)].

ومن تأمل التفاسير المحرّفة قديماً وحديثاً التي أنتجها المبتدعة المخالفون لمنهج السلف لم يشك في أن مخالفتهم لهم من أهم أسباب انحرافهم.

ثامناً: الاعتماد على الأحاديث الموضوعة:

تكرر في أكثر من موضع أثر الحديث الموضوع في تحريف الآية، وتم التمثيل له بأكثر من مثال[(٣)]، ولا شك أن اعتماد الموضوعات كان من طرق أهل التحريف لخدمة معتقداتهم الباطلة، وربما تعمد بعضهم وضع ما يحتاجه من روايات لنصرة مذهبه، وقد سبق تفصيله بما يغني عن إعادته.

تاسعاً: الاعتماد على مجرد اللغة العربية وتقديمها على الأثر الصحيح:

مما لا شك فيه أن العلم بأصول اللغة العربية ومعرفة فروعها ذو أهميّة بالغة في فهم القرآن وتفسيره، والعلم بها من شروط المفسر، ومراعاتها من ضوابط التفسير.

فاللغة العربية هي أحد العوامل المهمة التي تعين على فهم القرآن الكريم لكنها لا تستقل به، ولا يعتمدها المفسر دون غيرها من الأدلة.

فإن وجد ما يغني عن البحث في اللغة من تفسير للنبي ﷺ أو الصحابة أو من بعدهم من السلف الصالح مما صح ثبوته، وصرحت دلالته فإنه لا تقدم عليه أقوال أهل

---

(١) مجموع الفتاوى ج١٣ ص ٣٦١.

(٢) المرجع السابق ج١٣ ص ٢٤٣.

(٣) ينظر: تحريف معنى الآية العام ص ١٢٥.

اللغة ولا غيرهم، وإذا اختلفت الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية، في تفسير كلام الله تعالى قدمت الشرعية؛ لأن القرآن نزل لبيان الشرع لا لبيان اللغة، إلا أن يكون هناك دليل يترجح به المعنى اللغوي فيؤخذ به(١).

كما أن تفسير القرآن بخلاف اللسان العربي تحريف لمعانيه، لأنه إنما نزل بها، فكل تفسير ليس له أصل في لغة العرب فهو مردود، وهذا الضابط يَرُدُّ كثيراً من التفاسير المبنية على المصطلحات الحادثة، أيّا كانت، وممن كانت؛ كتفاسير الرافضة، وتفاسير الصوفية، وتفاسير الباطنية، وتفاسير الفلاسفة، والتفاسير الغالية في إخضاع الآيات للنظريات العلمية(٢).

يقول شيخ الإسلام (ت:٧٢٨) عمن اعتمد مجرد اللغة في تفسيره: "فسَّروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه، والمخاطب به، فراعوا مجرد اللفظ، وما يجوز عندهم أن يريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به، ولسياق الكلام»(٣).

وقال: «وأما تفسير القرآن بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه فهذا منشأ الغلط من الغالطين، لاسيما كثير ممن يتكلم فيه بالاحتمالات اللغوية. فإن هؤلاء أكثر غلطاً من المفسرين المشهورين، فإنهم لا يقصدون معرفة معناه، كما يقصد ذلك المفسرون»(٤).

وفي المقابل فقد نبّه العلماء على أهمية اللغة، وفي ذلك يقول الشاطبي (ت:٧٩٠): «فمن أراد تفهم القرآن فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة»(٥).

---

(١) ينظر: التفسير اللغوي ص ٦٣٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص ٦١٨.

(٣) مجموع الفتاوى ج١٣ ص ٣٥٥.

(٤) المرجع السابق ج١٥ ص ٩٤.

(٥) الموافقات ج٢ ص ٦٤.

وقال: «كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء، لا مما يستفاد منه، ولا ما يستفاد به، ومن ادعى فيه ذلك فهو في دعواه مبطل»[(١)].

ومن الأمثلة على اعتماد مجرد اللغة في تحريف معاني الآيات:

في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الكهف:٩٩].

ذهب أبو عبيدة (ت:٢٠٩) في مجاز القرآن إلى أن الصُّورَ: جمع صُورةٍ[(٢)].

وهذا فيه إنكار لتفسير الرسول ﷺ الذي فَسَّرَ الصُّورَ بأنه: البوق، أيّ: القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، كما ورد عنه ﷺ في عدة أحاديث رواها عنه أهل الحديث، منها قوله ﷺ: **(كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يُؤمر بالنفخ فَينفُخُ؟)** فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ، فقال لهم: **(قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا)**[(٣)].

وقد فسّر السلف الصالح الآيات الواردة في الصور والناقور بهذا القرن[(٤)].

وهذا المثال يشمل وجهين من التحريف، إذ إن فيه اعتماد على مجرد اللغة، وأيضاً أخطأ في استدلاله بها، وقد أنكر عليه علماء اللغة ما قاله وخطؤوه، ومن ذلك رد أبي الهيثم

---

(١) الموافقات ج٣ ص ٣٩١.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ١٠٥.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد ج١ ص ٥٥٧ برقم ١٥٩٧، الحميدي في مسنده ج٢ ص ٣٣٢ برقم ٧٥٤، نعيم في الفتن ج٢ ص ٦٣٦ برقم ١٧٧٨، ابن أبي شيبة في مصنفه ج٦ ص ٧٦ برقم ٢٩٥٨٧، ابن راهوية في مسنده ج١ ص٤٦٣ برقم ٥٣٨، أحمد في المسند ج١ ص ٣٢٦ برقم ٣٠١٠، الترمذي في سننه ج٤ ص٦٢٠ برقم ٢٤٣١، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ج٣ ص٦٦ برقم ١٠٧٩.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ج١١ ص ٤٦٢، تفسير ابن أبي حاتم ج٩ ص ٢٩٢٩، تفسير القرطبي ج١٣ ص ٢٤٠.

(ت:٢٧٦)[(١)]: «اعترض قوم فأنكروا أن يكون الصُّورُ قَرْناً، كما أنكروا العَرْشَ والميزان والصراط، وادعوا أن الصُّورَ: جمع الصُّورةِ، كما أن الصُّوفَ جمع الصُّوفَةِ، والثوم جمع الثُّومَةِ، ورَوَوا ذلك عن أبي عبيدة»[(٢)]، وقال: «وهذا خطأ فاحش وتحريف لِكَلِم الله عن مواضعها؛ لأن الله جلّ وعزّ قال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤] بفتح الواو، ولا نعلمُ أحداً من القرّاء قرأها: فأحسن صُوْرَكم وكذلك قال الله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الكهف:٩٩] وغيرها، فمن قرأها: ونُفِخَ في الصُّوَرِ، أو قرأ: فأحسن صُوْرَكم، فقدِ افترى الكذبَ وبدَّل كتابَ الله، وكان أبو عبيدة صاحب أخبار وغريب، ولم يكن له معرفة بالنحو»[(٣)].

ففي هذا المثال تراهم جعلوا الصُّورَ جمعاً مُفْرَدُهُ الصُّورَةُ، والصحيح أنه اسم مفرد للقَرْنِ الذي ينفَخُ فيه، لا جمعاً للصورة التي يأتي جمعها متحرك الواو، فيقال الصُّوَر[(٤)]. ثم لو صح أن الصُّوْر جمع صُورَةٍ، وأن فتح الواوِ فيه سُهِّل إلى السكون، فإن ذلك مخالف لمعناه المراد في النصوص، ولذا لا يصح حمل هذا المعنى على هذه الآيات الواردة في الصور[(٥)].

لكن قد يُعتذر لأبي عبيدة بأنه لم يعلم بالحديث والله تعالى أعلم.

---

(١) هو أبو الهيثم الرازي اللغوي، أحد أئمة العربية، كان دقيق النظر ورعاً صاحب سنة، نقل عنه أهل اللغة أمثال الأزهري في التهذيب ومن بعده، وقد اشتهر بكنيته ولم أجد لاسمه ذكر عند من ترجم له، ومن مؤلفاته: الشامل في اللغة، وكتاب زيادات معاني القرآن، وغيرها، ينظر: الفهرست ص ١١٦، تاريخ الإسلام ج٢٠ ص ٤٩٩.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ج١٢ ص ١٦٠.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ينظر: التفسير اللغوي ص ٥٣٦.

(٥) المرجع السابق.

عاشراً: عدم مراعاة ضوابط التفسير وشروط المفسر:

هناك شروط وضوابط لا بد من مراعاتها عند تفسير كتاب الله تعالى، منها ما يتعلق بقواعد هذا العلم، فإن لكل فن من الفنون قواعد وضوابط لا بد من مراعاتها قبل الخوض فيه، وقد اصطلح علماء التفسير على قواعد كلية لهذا العلم، وسيأتي لها مزيد من التوضيح في الفصل القادم.

ومن هذه الشروط ما يتعلق بأوصاف المفسّر، فلا بد أن تتوافر فيه من الشروط ما يؤهله للقول في كتاب الله تعالى، وهذه الشروط مشمولة أيضاً بالبحث مع ضوابط التفسير. ومن تجرأ على كتاب الله تعالى وقال فيه وهو غير عالم بتلك الضوابط، أولم تتوفر فيه الأهلية، فإنه يقول على الله بغير علم، وهذا متوعد بالعقوبة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

والنصوص من القرآن، والسنة، وأقوال السلف الصالح كثيرة ومتنوعة في ذم القول في دين الله بغير علم، ويتأكد ذلك في كتاب الله تعالى، وقد جاءت الآثار بتخصيص من خاض فيه بغير علم بالذم والوعيد.

قال ﷺ: (**من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**) [١]، وفي رواية: (**من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**)[٢].

---

(١) سبق تخريجه ص٧٣.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ج٣ ص ٣٢٠ برقم ٣٦٥٢، الترمذي في سننه ج٥ ص ٢٠٠ برقم ٢٩٥٢، النسائي في فضائل القرآن ص ١٣٥ برقم ١١١، أبو يعلى في مسنده ج٣ ص ٩٠ برقم ١٥٢٠، الطبراني في المعجم الأوسط ج٥ ص ٢٠٨ برقم ٥١٠١، وفي الكبير ج ٢ ص ١٦٣ برقم ١٦٧٢، ابن عدي في الكامل ج٣ ص ٤٥٠، البيهقي في شعب الإيمان ج٢ ص ٤٢٣ برقم ٢٢٧٧.

ولما سُئِل الصديق أبو بكر رضي الله عنه (ت:١٣) عن الأبّ في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس:٣١] قال: (أيّ سماء تظلني؟ وأيّ أرض تقلني؟ إذا قلت في كلام الله ما لا أعلم)(١).

ويقول إمام المفسرين ابن جرير الطبري (ت:٣١٠) بعد إيراد النصوص التي تتوعد من قال في القرآن بغير علم: «وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا من أن ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بنصبه الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه، بل القائل في ذلك برأيه -وإن أصاب الحق فيه- فمخطئ فيما كان من فعله، بقيله فيه برأيه، لأن إصابته ليست إصابة موقن أنه محق، وإنما هي إصابة خارص وظان، والقائل في دين الله بالظن، قائل على الله ما لا يعلم، وقد حرّم الله جل ثناؤه ذلك في كتابه على عباده، فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣].

فالقائل في تأويل كتاب الله، الذي لا يدرك علمه إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي جعل إليه بيانه؛ قائل بما لا يعلم، وإن وافق قيله ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه، لأن القائل فيه بغير علم قائل على الله ما لا علم له به»(٢).

الحادي عشر: إخضاع الآية للتعصبات المذهبية وغيرها:

من الرزايا التي ابُتليت بها الأمة الإسلامية واستشرت فيها؛ داءُ التعصب المذهبي، سواء في ذلك التعصب المذهبي العقدي أو الفقهي، ولا ريب أن التعصب يلزم منه رد ما خالف المذهب، ولو كان ذلك المردود هو الحق الموافق للدليل(٣)، بل لجأ بعضهم لإخضاع الآيات لما يراه وإن كان باطلاً.

(١) سبق تخريجه ص٧٥.

(٢) تفسير الطبري ج١ ص ٧٨.

(٣) الأقوال الشاذة ص ٢٢٣.

وكان للتعصب أثره البالغ، في حصول الفرقة والاختلاف بين المسلمين، وقد نعى كثير من العلماء الغَيورِين على الأمة الإسلامية هذا التعصب المذهبي، وذكروا كثيرا من أضراره، ومن أعظمها تحريف معاني النصوص للاستدلال بها على المذهب، وقد فتح هذا باباً لحمل النصوص على الأهواء والآراء الباطلة، فإنك لا ترى فرقة من الفرق الضالة، ولا أحداً من المختلفين في الأحكام لا الفرعية، ولا الأصولية يعجز عن الاستدلال على مذهبه بظواهر من الأدلة بل قد استدل بعض النصارى على صحة ما هم عليه الآن بالقرآن(١).

وللتعصب مجالات متعددة منها:

(١) التعصب العقدي:

من أوسع مجالات الاختلاف بين أهل القبلة الخلاف العقدي، وتتَّسِعُ فجوة الخلاف بحسب القضية العقدية التي وقع الخلاف فيها.

وبالجملة فالخلاف العقدي مظنة للتعصب أكثر من غيره من أبواب الخلاف. وباعتبار أن العقيدة سابقة على الاستدلال في أفهام كثير من المكلفين خلافاً لما هو الواجب في مثل هذا؛ وهو أن يسبق الاستدلال الاعتقاد جرى توظيف النصوص لخدمة المعتقد(٢).

وتفاقم الأمر حتى وظفت الفرق الضالة الآيات في كتاب الله لخدمة المذهب؛ فلا غرابة أن تجد تفسيراً كاملا أُلّف لهذا الغرض.

ومن أشهرها؛ تفسير الزمخشري (ت:٥٣٨) المسمى (الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، فقد أفصح في مقدمة التفسير أنه إنما ألفه إجابة لطلب بعض معتزلة عصره، الذين وصفهم بأنهم من أفاضل الفئة الناجية العدْلية(٣).

ويضاف إلى تقرير معتقده الباطل في تفسيره؛ هجومه على أهل السنة والجماعة ونبزهم بما هم بريئون منه من الألقاب التنفيرية(٤).

---

(١) ينظر: الموافقات ج٣ ص ٧٧، الأقوال الشاذة ص ٢٢٤.

(٢) الأقوال الشاذة ص ٢٢٥.

(٣) ينظر: الكشاف ج١ ص ٤٣.

(٤) مثل الحشوية والمجسمة وغيرها، ينظر: الكشاف ج٢ ص٣٣١، ج٤ ص١٥٦، ج٤ ص٧١٦.

وعموماً فإنه لا تخلو فرقة مخالفة لنهج السلف من وضع تفسير ينصر مزاعمها الباطلة، وإذا كان هناك تفاسير مخصصة لخدمة معتقدات أهل التحريف، فإن الأمثلة على تحريف الآيات لنصرة المعتقد الضال ملأ تلك التفاسير، ومنها:

تحريف معنى آيات الشفاعة، حتى لا تشمل أهل الكبائر الموحدين(١).

تحريف معنى الآيات التي تثبت رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة(٢).

تحريف معنى الآيات التي تشمل أسماء الله وصفاته(٣).

تنزيل بعض الرافضة الآيات في كتاب الله تعالى على ما يريدون من الثناء على الأئمة، وذم مخالفيهم(٤).

ادعاء الباطنية والفلاسفة والصوفية إشارات ومعانٍ باطنة للآيات ما أنزل الله بها من سلطان(٥).

استغلال المرجئة للآيات التي ذكرت الإيمان، والعمل الصالح معاً للاستدلال على عدم اشتراط العمل الصالح في الإيمان؛ وأهل التكفير من الخوارج وبعض الرافضة والمعتزلة استغلوا آيات الخلود في النار لأصحاب الذنوب من أهل القبلة(٦).

تكلف كل من القدرية والمجبرة الضالين في قضاء الله وقدره تطويع الآيات لتوافق خلق العباد لأفعالهم عند القدرية، وإجبار الله تعالى العباد عليها عند المجبرة(٧).

---

(١) ينظر: الرد على هذا التحريف عند آية ٤٨ من سورة البقرة في القسم التطبيقي وغيرها من الآيات.

(٢) ينظر: آية ٥٥ من سورة البقرة في القسم التطبيقي.

(٣) ينظر: آية ٣، ٧ من سورة الفاتحة، آية ١٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ١٦٥، ٢١٠، ٢٥٥ من سورة البقرة، وغيرها في القسم التطبيقي.

(٤) ينظر: آية ٦ من سورة الفاتحة، ٣ من سورة البقرة وغيرها، في القسم التطبيقي.

(٥) ينظر: تحريفات السُّلمي في القسم التطبيقي وهي كثيرة ومتنوعة كأمثلة على الإشارات الباطلة.

(٦) ينظر: آية ٣، ٢٥، من سورة البقرة في القسم التطبيقي.

(٧) سيأتي التمثيل له قريباً وينظر: أيضاً آية ٧ من سورة البقرة في القسم التطبيقي وغيرها.

تحريف مسمى الإيمان والإسلام والكفر والنفاق عند كل فرقة منحرفة مفارقة لمنهج أهل السنة والجماعة[١].

محاولات أهل الغلو في الرسل والصالحين والأولياء لتذليل الآيات لذلك المعتقد الباطل[٢].

إنكار الماديين لكثير من آيات الإيمان بالغيب، مثل: اليوم الآخر وعرصاته، الجنة والنار، الملائكة، والجن، وإنكارهم لهذه وغيرها جعلهم يحرفون معانيها أو يعطلونها بأقصر طريق، وهو طاغوت التمثيل والمجاز[٣].

إلى آخره من الانحرافات العقدية التي لا يمكن حصرها وفي القسم التطبيقي أمثلة كثيرة على ما سبق من الانحرافات العقدية وغيرها.

وسأذكر مثالاً يبيّن تطويع الآية للتعصب العقدي وتحريفها لأجله، وتنازع الفرق الضالة فيها:

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة:٢١٢].

قال الزمخشري (ت:٥٣٨): «المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في أعينهم بوساوسه، وحببها إليهم فلا يريدون غيرها، ويجوز أن الله قد زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها وأحبوها...»[٤].

وقال ابن المنيّر (ت:٦٨٣) في الإنصاف: «وردت إضافة التزيين إلى الله تعالى، وإضافته إلى غيره في مواضع من الكتاب العزيز، وهذه الآية تتحمل الوجهين، لكن الإضافة إلى

---

(١) ينظر: آية ٣، ٨، ٢٥، ٦٢ من سورة البقرة في القسم التطبيقي.

(٢) ينظر: آية ٣٥، ٣٦، ٣٧، من سورة البقرة في القسم التطبيقي كمثال للغلو في الرسل ولمثال الغلو في الأولياء ينظر: آية ٦ من سورة الفاتحة، ٣ من سورة البقرة.

(٣) ينظر: آية ٣٠، ٢٧٥، من سورة البقرة في القسم التطبيقي.

(٤) الكشاف ج١ ص ٢٨٢.

قدرة الله تعالى حقيقة، والإضافة إلى غيره مجاز، على قواعد السنة، والزمخشري يعمل على عكس هذا، فإن أضاف لله فعلاً من أفعاله إلى قدرته جعله مجازاً، وإن أضافه إلى بعض مخلوقاته جعله حقيقة، وسبب هذا هو التعكيس باتباع الهوى في القواعد الفاسدة»[١].

ففي هذا المثال وقف الزمخشري وابن المنيّر على طرفي نقيض، وكل منهما يتبع عقيدته في أفعال المخلوقات، فالزمخشري يرى أن أفعالهم حقيقة في حقهم، مجاز في حق الله، باعتبار أنهم الخالقون لأفعالهم استقلالاً، وليس لقدرة الله، ومشيئته دخل في ذلك، وهذه قاعدة المعتزلة في أفعال المخلوقات[٢].

وابن المنيّر يرى أن أفعالهم مضافة إليهم على طريق المجاز، أما إضافتها إلى الله فهي الحقيقة بعينها، باعتبار أن الفاعل الحقيقي لها هو الله سبحانه، أما المخلوق ففعله لها إنما يتم بطريق الاقتران بخلق الله، وهذه هي مسألة الكسب التي ابتدعتها جمهور الأشاعرة التي ينسب إليها ابن المنير، ويطوع الآيات لها، حيث قالوا: إن قدرة العبد لا تأثير لها في حدوث مقدورها، ولا صفة من صفاتها، وأن الله أجرى العادة بخلق مقدورها مقارناً لها، فيكون الفعل خلقاً من الله، وكسباً من العبد، فليس هو الفاعل له حقيقة، وإنما هو كاسب له، والفاعل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى[٣].

ومع ذلك يقولون: إنا لا نقول بالجبر المحض، والحقيقة أن معتقدهم عين الجبر، وإنما استحدثوا الكسب بدلاً من الجبر[٤].

---

(١) الانتصاف على هامش الكشاف ج١ ص ٢٥٢.

(٢) ينظر: الإبانة لابن بطة ج١ ص ١٤٥، الإنصاف للباقلاني ص ٢٠١، الفرق بين الفرق ص ١٤٢، المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لصالح الغامدي ج١ ص ٢٤٢، ٢٤٣.

(٣) ينظر: الملل والنحل ج١ ص ٩٧، مجموع الفتاوى ج٨ ص ١١٨.

(٤) ينظر: المسائل الاعتزالية ج١ ص ٢٤٣.

ولا شك أن كلاً من رأي الزمخشري وابن المنير خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة؛ وهو أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وقد جعل الله له قدرة واختياراً لفعله؛ هي مناط التكليف لكن هذه القدرة وهذا الاختيار، ليس خارجاً عن قدرة الله ولا عن مشيئته، بل كل ما يحدث في الكون فإنه بمشيئة الله وقدرته، وعلى هذا دلت النصوص من الكتاب والسنة، وفي قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨، ٢٩]، رد على القدرية والجبرية، فقد دلت على أن للعباد قدرة على أعمالهم، ولهم مشيئة واختياراً، وإن كان ذلك لا يتم إلا بإذن الله ومشيئته.

وقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [البقرة:٢١٢].

لم ترد نسبة التزيين فيها لأحد بعينه، لكن ورد في آيات أخرى نسبة التزيين إلى الله، كما في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [النمل:٤].

وورد في آيات أخرى نسبة التزيين إلى الشيطان، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام:٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡ﴾ [الأنفال:٤٨].

نسبة التزيين في كل واحدة من هذه الآيات حقيقة فيمن نسب إليه، فإن النسبة إلى الله غير النسبة إلى الشيطان، فالتزيين من الله للكافرين حقيقة واقعة منه على سبيل المعاقبة لهم على غفلتهم، وإعراضهم، ومعناه خلق الدواعي لتلك الأفعال، وإيجادها في قلوبهم، وهو أمر لا يقدر عليه إلا هو وحده لا شريك له[1].

---

(١) ينظر: المسائل الاعتزالية ج١ ص ٢٤٣.

والتزيين من الشيطان حقيقة، ومعناه الوسوسة في الصدر، والإغراء بالفعل، والحض عليه، وكل ذلك منه بمشيئة الله تعالى، وإرادته، وسابق علمه، وهو الذي أقدره على ذلك، وهيأ له الأسباب والدواعي.

وهكذا يتبين في هذا المثال كيف حاول كل مفسر الانتصار لمعتقده بتحريف معنى الآية، وعلى هذا سار أهل التحريف في تفاسيرهم، وقد يكون هذا السبب أكثر ما يقود المحرّف لتحريف معنى الآية، وأكثر ما جمعته من الألفاظ؛ كان في مجال العقيدة.

(٢) التعصب الفقهي:

التعصب لمذهب معين في مسائل الفقه وأصوله، ظاهرة خطيرة؛ وليدة من التمسك بالتقليد الأعمى، وأثر سيء من آثار تقديس آراء الرجال.

ويظهر التعصب المذهبي بكل جلاء ووضوح عند إهمال التمسك بالكتاب والسنة، والإعراض عن الأدلة الصحيحة، والتغافل عنها، فكم من نص من الكتاب والسنة أُوّل وحُرّفت معانيه إرغاماً للخصم، وانتصاراً لقول الإمام، وتعصباً للمذهب؟ وما أخطر قول أحد المتعصبين: «نحن ندعي أنه يجب على كافة العاقلين وعامة المسلمين شرقاً وغرباً، بعداً وقرباً، انتحال مذهب الشافعي. ويجب على العوام الطغام والجهال الأنذال أيضاً انتحال مذهبه بحيث لا يبغون عنه حولاً، ولا يريدون به بدلاً»[1].

والدخول على تفسير كتاب الله تعالى بهذه العصبية، ينتج عنه تحريف ما خالف المذهب ومحاولة تطويعه له وإن كان المذهب باطلاً، وما خالفه حقاً، وقد أدى بهم التعصب إلى رمي المخالفين بما لا يليق بتفسير كتاب الله تعالى من الألفاظ الشنيعة.

وأدرك علماء السلف الصالح خطورة بدعة التقليد الأعمى والتعصب لآراء الرجال، فحذروا الأمة من التقليد وألزموهم اتباع الكتاب والسنة، وتقديمهما على كل قول يخالفهما، حتى الأئمة المتبوعون قد حذروا أتباعهم من الغلو فيهم.

---

(١) قائله هو إمام الحرمين الجويني الشافعي (ت:٤٧٨) ينظر: إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد للصنعاني ص١٧.

مثال تحريف معنى الآية بسبب التعصب الفقهي:

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [البقرة:١٨٧].

حاول الجصاص (ت:٣٧٠) في أحكام القرآن تطويع الآية لتدلل على وجوب إتمام صوم التطوع، وقد نسب هذا القول لأبي حنيفة (ت:١٥٠) وأصحابه(١).

واحتج الجصاص بعموم الآية في إتمام كل صيام، وقال: «ومن أفسده لزمه قضاؤه كسائر الواجبات»(٢).

وما ذهب إليه الجصاص، قولٌ معارض للسنة الثابتة في ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها (ت:٥٧) قالت: (دخل عليّ النبي ﷺ ذات يوم، فقال: (**هل عندكم شيء؟**)، قلنا: لا، قال: (**فإني إذاً صائم**)، ثم أتانا يوماً آخر فقلنا أُهدِي لنا حَيْسٌ(٣)، فقال: (**أَرِينِيه؛ فلقد أصبحت صائماً**) فأكل(٤).

وقوله ﷺ: (**الصائم المتطوع أمير نفسه: إن شاء صام، وإن شاء أفطر**)(٥).

وغير ذلك من الأدلة الصريحة، وهي قوية الدلالة على بطلان ما قاله الجصاص، ولو أنه اعتمد تلك الأدلة لكان أولى من تقديم الآراء والمذاهب(٦).

---

(١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص ج١ ص ٢٩١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الحيْس: هو التمر مع السمن والإقط ينظر: الصحاح في اللغة للجوهري ج ٤ ص ٥٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب جواز صوم النافلة بنيةٍ من النهار قبل الزوال وجواز فطر الصائم نفلاً من غير عذر ج٢ ص٨٠٩ برقم ١١٥٤.

(٥) أخرجه الطيالسي في مسنده ص٢٢٥ برقم ١٦١٨، أحمد في المسند ج٦ ص٣٤١ برقم ٢٦٩٣٧، الترمذي في سننه ج٣ ص١١٠ برقم ٧٣٢، النسائي في السنن الكبرى ج٢ ص٢٤٩ برقم ٣٣٠٢، الحاكم في المستدرك ج١ ص٦٠٤ برقم ١٥٩٩، البيهقي في معرفة السنن والآثار ج٣ ص٤٢٠ برقم ٢٥٦٣، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ج٢ ص٢٣٢ برقم ٧٣٢.

(٦) ينظر: الأقوال الشاذة ص ٢٣٨.

وأمّا ما أورده من أحاديث فإنها لا تشهد له، وهي غير صريحة فيما ذكره[(١)].

وهناك مجالات أخرى يتعصب لها أهل البدع، ويسعون للاستدلال لها من كتاب الله تعالى، وإن أدى ذلك إلى تحريف الآيات، ومن مجالات التعصب بالإضافة إلى العقيدة والفقه؛ التعصب السياسي، والتعصب للأحزاب القومية وغيرها[(٢)].

الثاني عشر: الغلو:

الإسلام هو دين الوسطية، وقد جعل الله هذه الأمة؛ أمة وسطاً بين الأمم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

وأمر الله تعالى في كتابه بهذه الوسطية والاعتدال في المنهج؛ ومنه تعليم المسلمين السلامة من منهج الأمم الغالية المنحرفة، قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

وقد نهى الله تعالى عن الغلو في الدين، ووجه الخطاب لأهل الكتاب خاصة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:١٧١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧].

«والغلو في النصارى كثير، فإنهم غلوا في عيسى فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله، يعبدونه كما يعبدون الله»[(٣)].

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ج١ ص ٢٩١.

(٢) ينظر: أسباب الخطأ ج٢ ص ٦٧٤.

(٣) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ص٢٤٤.

ومن هذا الغلو جاءت معظم الانحرافات في الديانة النصرانية.

ومن ذلك غلوهم بابتداع رهبانية تعبدوا الله بها، وهي لم تكتب عليهم، ولم يؤمروا بها: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد:٢٧].

ولم يكن الغلو قاصراً على النصارى، بل هو موجود في اليهود، ولكن الخطاب في الآيتين قصد به النصارى خاصة؛ والسياق يدل على ذلك، قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «والنصارى أكثر غلواً في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾»[1].

وهذه النصوص وإن تعلقت بأهل الكتاب ابتداءً، فإن المراد منها موعظة هذه الأمة لتجتنب الأسباب التي أوجبت غضب الله على الأمم السابقة[2]، وقد نهى الرسول ﷺ عن الغلو، وبيّن عواقبه وآثاره، قال ﷺ: (...**إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**)[3].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ومتنوعة، ولكن من نبوءاته ﷺ أن تتبع هذه الأمة سنن من كان قبلها، فقد دبّ الغلو في نفوس طائفة من المنتسبين للإسلام المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة، فنشأت ظاهرة الغلو في هذه الأمة قديماً، ولا زالت ذا كيان، يرجع إليها كثير من جراحات المسلمين من سفك الدماء وقيام الحروب، ولكن من أهم آثار الغلو التعرض لنصوص كتاب الله تعالى بتحريف معانيه، نتيجة لذلك الغلو في نفس

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ٣٢٩.

(٢) الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة لعبد الرحمن اللويحق ص ٦٧.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ج١ ص ٢١٥ برقم ١٨٥١، ابن ماجة في سننه ج٢ ص ١٠٠٨ برقم ٣٠٢٩، النسائي في سننه الكبرى ج٢ ص ٤٣٥ برقم ٤٠٦٣، أبو يعلى في مسنده ج٤ ص ٣١٦ برقم ٢٤٢٧، ابن خزيمة في صحيحه ج٤ ص٢٧٤ برقم ٢٨٦٧، ابن حبان في صحيحه ج٩ ص١٨٣ برقم ٣٨٧١، الطبراني في المعجم الكبير ج١٢ ص١٥٧ برقم ١٢٧٤٧، الحاكم في المستدرك ج١ ص ٦٣٧ برقم ١٧١١، البيهقي في السنن الكبرى ج٥ ص ١٢٧ برقم ٩٣١٧.

المفسر على اختلاف مجالاته؛ سواء كانت عقدية، مثل: الغلو في الرسل والأولياء والصالحين، كما هو حال بعض الرافضة الغالية في أئمتها المزعومة، أو الصوفية في شيوخها وغيرهم. أو الغلو في أئمة المذاهب الأربعة مما نتج عنه التعصب الفقهي، أو الغلو في العلوم التجريبية وتطويع الآيات لها، وغير ذلك مما لا يمكن حصره، فإن مجالات الغلو واسعة، وترجع إلي أسباب كثيرة.

ومثال تحريف الآية بسبب الغلو في الأئمة عند بعض الرافضة:

تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]، بأنه عليّ(١).

والأمثلة على تحريفات بعض الرافضة للآيات وتنزيلها على أئمتهم المزعومة لا تحصر، ولا ينقضي منها عجبك.

ومن أمثلة الغلو في استنباط العلوم التجريبية من كتاب الله تعالى، استدلال طنطاوي جوهري على تحضير الأرواح بقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة:٧٢].

واستدلاله على علم التشريح بقوله تعالى: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة:٢٥٩]، ولا يخفى ما في هذين المثالين من غلو، وتفسيره الجواهر مثالاً لهذا الغلو، الذي لا يليق ببهاء القرآن وعظمته.

الثالث عشر: حب الشهرة:

حب الشهرة شهوة خفية قد لا يجد من يريدها طريقاً لها إلا من طريق: المخالفة، فيأتي بقول شاذ يلفت إليه الآخرين، وإن كان ثمن ذلك التطاول على نصوص الشرع عند

---

(١) ينظر: تفصيله في القسم التطبيقي عند آية ٦ من سورة الفاتحة.

بعض المبتدعة، فأفرزت تلك الشهوة عند ضعاف النفوس تفاسير منحرفة كان لها أثر سيئ وخطير على فهم كتاب الله تعالى.

وتتعجب ممن جعل الكتاب والسنة سلماً يصل من خلالهما لأهدافه الدنيوية. وتجد كثيراً ممن يريد الشهرة يعيب غيره من المفسرين، وينتقد أئمة هذا العلم، ويخالف إجماعهم بأقواله الشاذة الساقطة، والغريب أنك تجد من جهلة المسلمين، أو أعداء الدين من الأتباع من يتبنى أفكار هؤلاء.

ويصعب التمثيل لهذا السبب لأنه من التحكم على نوايا الخلق وهذا مرده إلى الله تعالى.

الرابع عشر: التملص من التكاليف الشرعية بدعاوى زائفة:

يصعب على ضعاف الإيمان من أهل البدع التمسك بأوامر الكتاب والسنة، وهذه حال كثير منهم كما سبق بيانه، ولأن طبعهم اتباع الهوى والتحايل على الشرع، يلجؤون للتأويل الباطل لاستحلال الحرام، أو تحريم الحلال، وقد يُلجئهم لذلك المداهنة ومجاراة الحكام والأتباع، فيُرضونهم بسخط الله تعالى، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها:

[١] إباحة كشف المرأة وجهها بدعوى الحرية:

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور:٣١].

حاول كثير من أدعياء الحرية تحريف معنى الزينة، فمثلاً في كتاب محمد شحرور (الكتاب والقرآن) يجعل الزينة ما أخفاه الله في بنية المرأة الداخلية، وليست هي الجسد الخارجي للمرأة، وعليه فيجوز كشفه[١].

وفي كتاب (امرأتنا في الشريعة والمجتمع)[٢] للطاهر حدّاد يقول في معنى الآية: «إن الإبهام في قوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ دون أن يعين موقعه من ذات المرأة هو اعتبار لأعراف الناس، ومراعاة لأطوار الحياة»[٣].

---

(١) ينظر: الكتاب والقرآن ص ٦٠٦، تحريف المصطلحات القرآنية ص ٧١.

(٢) نُشر هذا الكتاب في تونس، وأحدث ضجة كالضجة التي أحدثها كتاب قاسم أمين (تحرير المرأة) ينظر: اتجاهات التفسير ج٣ ص ١٠٧٤، الأقوال الشاذة ص ٣٤٩.

(٣) المرجع السابق.

وتحريف معنى الآية لدى هذين وغيرهما؛ واضح بيّن، فإنهم قد جانبوا الحق في الآية، والتحريف الذي ذكراه لم يسبقهما إليه أحد من السلف الصالح، وحاشاهم أن يُؤثر عنهم مثل هذا التفسير.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ كالحُلي وجميع البدن فإنه من الزينة، ولمّا كانت الثياب الظاهرة لا بد لها منها، قال: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أي: الثياب الظاهرة، التي جرت العادة بلبسها إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها[1]، وإن كان في تفسير الآية خلاف بين العلماء.

وحجاب المرأة من أهم القضايا التي تقض مضاجع أعداء الإسلام، ويمكرون لنزعه الليل والنهار، وأسهم معهم ضعاف الإيمان من المسلمين، فأخذوا يحملون ألوية الأعداء بين صفوف المسلمين، وإنك لتجد لهم آثاراً سيئة في كل بلد إسلامي، وحققوا مرامي أعداء الأمة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

[٢] استحلال الربا في المعاملات العصرية:

استدل بعضهم[2] بقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوٰٓا أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ [آل عمران:١٣٠]، وزعم أن الربا المحرم في الآية ما كان مضاعفاً على وجه الاستغلال فقط، بحيث تجاوز به النصف، وهو ربا الجاهلية، وحللوا ما دون ذلك مغفلين النصوص الصريحة المحكمة من القرآن والسنة، وإجماع الأمة.

وهم بتحريفهم معنى الآية، خالفوا الفقهاء والمفسرين وجميع الأمة على تحريمهم الربا بأنواعه قليلة وكثيرة، والوصف الذي في قوله تعالى: ﴿أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ إنما هو حكاية

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج١٩ ص ١٥٥، تفسير البغوي ج٦ ص ٣٣، تفسير القرطبي ج١٢ ص ٢٢٦، تفسير ابن كثير ج٦ ص ٤٤، تفسير السعدي ص ٥٦٦.

(٢) ينظر: تفسير المنار ج٤ ص ١٢٣، المدرسة العقلية ج١ ص ٣٨٠.

لواقع الجاهلية في أكلهم الربا[١]، وليست شرطاً أو قيداً لتحريمه، والآية واحدة من عشرات النصوص التي غض المحرّفون الطرف عنها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٧٨].

[٣] التملص من أحكام الشرع والمداهنة فيه:

ومن الأمثلة أيضاً على التملص من أحكام الشرع والمداهنة فيه، تحريف معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، حيث قال بعضهم: الآية لا تتناول إلا من أنكر بقلبه، وجحد بلسانه، أما من عرف بقلبه أن هذا الحكم حكم الله، وأقرّ بلسانه أنه حكم الله، ثم أتى بما يضاده؛ فإنه على ذلك حاكم بما أنزل الله!!

والحامل لهذا القول أن ينفي عن الأمة حرجاً لا قِبَل لها به، ويبُرر لبعض حُكّام البلاد الإسلامية اليوم بأنهم في حالة ضرورة![٢].

الخامس عشر: الانهزامية أمام الغزو الفكري:

حمل الغزو الفكري إلى بلاد المسلمين لواء التغريب، واستطاع بث أفكاره المسمومة بين أفراد الأمة، وكان تأثيره بليغاً، نظراً لغياب الفكر الإسلامي عن الساحة، ونظراً لاختلاط الحضارات بعضها ببعض واتصالها المباشر، فقد تأثر بعض المفسرين المعاصرين بذلك، وحاولوا تقريب وجهات النظر بين القيم الإسلامية والحضارة الغربية، لإظهار عدم التعارض بين الجانبين، وإثبات أن الإسلام يستوعب مستجدات تلك الحضارة[٣].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ج٢ ص ١١٧، وللرد على هذا التحريف ينظر: المدرسة العقلية ج١ ص ٤٤٢، الانحراف الفكري ج١ ص ٣٨٩.

(٢) ينظر: اتجاهات التفسير ج٣ ص ١٠٦٥، الأقوال الشاذة ص ٣٤٨، ٣٤٩.

(٣) ينظر: الانحراف الفكري في التفسير المعاصر ج١ ص ١١٨.

وإنه لشيء جميل أن يسعى المفسر المعاصر لإعمال عقله بهدف إدراك طبيعة العلاقة بين الآية القرآنية والحقيقة العلمية، فإنه من البديهي أن العلاقة بين معطيات القرآن ومعطيات العلم تقوم على التكامل، ولا تضاد بينهما، فمصدرهما واحد، وهو الله سبحانه.

لكن التفريط في هذا التوفيق عند بعض المفسرين حَدَا بهم إلى إخراج تفسير القرآن عن مقاصده، وتطويعه لنظريات علمية قابلة للتغيير، وقد أوقعهم ذلك في تحريف معاني الآيات، وجر عليهم اتهاماً بعقدة النقص والانهزامية أمام الحضارة الغربية[(١)].

ومن أشهر التفاسير التي تُخضع آيات كتاب الله لتلك الحقائق والنظريات؛ تفسير الجواهر لطنطاوي جوهري، فهو لا يدع فرصة تمر دون إلقاء اللوم على المسلمين النائمين المتخلفين عن ركب الحضارة، الذين لم يُعملوا عقولهم في الآيات الكونية، واكتفوا بالبحث في آيات الفقه[(٢)]، بل إنه عدّ كتب التوحيد أول مصيبة حلت بالأمة الإسلامية، لأنها بزعمه لا تعطي اليقين ولا ترقى بالعلوم[(٣)]، وقد سبق التمثيل لتلك النزعة عند الجوهري في الغلو عند المفسرين.

وكثير من تفاسير المدرسة العقلية تجد عنده هذه الروح الانهزامية أمام حضارة الغرب، ومحاولة تطويع الآيات لعلوم تلك الحضارة[(٤)] ففي تفسير المنار الذي ينقل مؤلفه محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤) عن شيخه محمد عبده (ت: ١٣٢٣) كثيراً من أقواله التي تدل على إعجابه بالحضارة الغربية، أمثلة كثيرة منها:

١ - تعطيله لحقائق القصص القرآنية، وجعلها من قبيل التمثيل، لئلا تتصادم مع وقائع التاريخ، فلا يجد لها تفسيراً أمام أهل الديانات المحرّفة، كما صرح بذلك[(٥)].

---

(١) ينظر: الانحراف الفكري في التفسير المعاصر ج١ ص ١١٨.

(٢) ينظر: تفسير الجواهر ج٤ ص ٦٥.

(٣) المرجع السابق ج٧ ص ٦٦، وينظر: الانحراف الفكري ج١ ص ١٢٢.

(٤) ينظر: اتجاهات التفسير في العصر الراهن لعبد المجيد المحتسب ص ١٦٠.

(٥) ينظر: التفصيل في هذا التحريف عند آية ٣٥، ٦٧، ٢٤٣، من سورة البقرة في القسم التطبيقي.

٢- تأويل الملائكة بقوى مؤثرة بدلاً من الإيمان بها كمخلوقات غيبية، أمر الله ﷻ بالإيمان بها، وقد جاءت أوصافها في الكتاب والسنة(١)، لأن الإيمان بها كمخلوقات غيبية لا يستطيعه إلا أهل الإيمان لا الماديون؛ أصحاب الحضارات الغربية الزائلة.

٣- تأويل كثير من معجزات الأنبياء لإقناع الماديين ممن لا يؤمنون بالكتاب والسنة أصلاً بقبولها، ومثاله تأويل إحياء قتيل بني إسرائيل بقتل البقرة، وتأويل ولادة عيسى بدون أب وغيرها(٢) مما يعد تحريفاً في فهم كتاب الله تعالى، سببه الانهزامية، وعدم الثقة بقيمة تلك النصوص.

السادس عشر: ضعف الإيمان وقلة الورع:

جميع ما سبق من الأسباب لا يمكن الحكم عليها بأنها اجتهاد خاطئ؛ بل هي منهج متبع يسير عليه المحرفّ ولا يتنازل عنه، وهو في هذا المنهج مخالف لشروط الاجتهاد التي يعذر المخطئ غير المتعمد حين يتمسك بها، وبالتالي فإن خطأ هذا العالم المجتهد من النوادر المغمورة له في كثير حسناته، بخلاف المحرف الذي قاده لتلك الأسباب في تحريف كتاب الله تعالى وآثارها السيئة قلة الورع والجرأة على كتاب الله تعالى؛ إمّا بعلم أو بغير علم، والمؤلم أن مصيبة التحريف لم تكن أسبابها خارجية على أيدي الأعداء فقط، بل ساعدتها عوامل داخلية من قبل ضعاف الإيمان؛ الجهلة والمبتدعه، فكانوا معول هدم بأيدي الأعداء، يخربون عقول المسلمين بأيديهم.

وما ذكرته أهم أسباب التحريف، وإلا فهي عديدة متنوعة باختلاف مشارب أهل التحريف ونواياهم.

---

(١) ينظر: تفصيل هذا التحريف والرد عليه عند آية ٣٠ من سورة البقرة في القسم التطبيقي.

(٢) للتفصيل ينظر: المدرسة العقلية ج٢ ص ٥٤٥، الانحراف الفكري ج١ ص ١٤٣.

المبحث الثاني
آثار التحريف

الحديث عن الآثار السيئة للتحريف لا يقل أهمية عن الأسباب؛ بل هو الهدف الأول من دراسة التحريف وأسبابه، إذ إن له من الآثار الوخيمة التي فتكت بالأمة، وفرّقت جمعها، ما جعل العلماء يبحثون عن منشأ هذا التحريف والداعي له؛ لمعالجة آثاره التي كان لها النصيب الأكبر في قلب المفاهيم في حياة المسلمين، يقول محمد قطب: «لقد حدثت انحرافات كثيرة في حياة المسلمين في مسيرتهم الطويلة خلال التاريخ، وكل انحراف وقع في حياتهم عن المنهج الرباني كانت له ولا شك عاقبته البطيئة أو السريعة، حسب نوع الانحراف، ودرجة تفشيه، وموقف الأمة منه بحكامها وعلمائها وعامتها، حتى إذا وصل الانحراف إلى حدِّه الأقصى كانت عاقبته ما نراه اليوم من ضعف ومذلّة وخوف، بدلاً من الاستخلاف والتمكين والتأمين»(١).

وقد دَفَعَتِ الأمة ثمن هذا التحريف غالياً، ويكفي في بيان ذلك النظر في بعض آثاره السيئة، ولا يسعنا هنا سوى الحديث عن أهمها، فإن موضوع آثار التحريف حريٌّ بالدراسة المستقلة.

أولاً: آثار التحريف على أهله:

[١] التعرض للوعيد الشديد:

توعد الله ﷻ المحرفين للكلم عن مواضعه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ بأشد أنواع العقوبة، فالمحرّف معتدٍ ليس له أجر الاجتهاد لمخالفته شروطه واتباعه هواه، قال تعالى في أهل التحريف من اليهود: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥]، وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن

---

(١) مفاهيم ينبغي أن تصحح لمحمد قطب ص ١١.

لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٤٦]، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:١٣]، والخطاب وإن ذم الله فيه اليهود فإنه عام، وتدخل هذه الأمة في التحذير منه، قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤].

وقال ﷺ: **(من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)**(١).

وقد يخرج التحريف أهله من دائرة الإسلام، فيصبح من أهل الكفر المخلدين في نار جهنم، وسيأتي تفصيل ذلك في حكم التحريف.

[٢] الوقوع في الشك والحيرة:

حيرة أهل التحريف وتناقضهم نتيجة متوقعة لمجانبة الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟

وكثير منهم يعترف بهذه الحيرة التي يتخبطون بها، وتكون تلك الاعترافات بعد التوبة في الغالب، ومنهم من يعد من أئمة علم الجدل والكلام واعتماد العقل؛ وهذا أهم أسباب التحريف، ومنهم أبو الحسن الأشعري (ت:٣٢٤) الذي نشأ في الاعتزال أربعين عاماً، يناظر عليه، ثم رجع عن ذلك، وصرح بتضليل المعتزلة، وبالغ في الرد عليهم(٢)، وذلك واضح في كتبه التي ألفها في آخر حياته مثل (الإبانة).

وهذا الشهرستاني (ت:٥٤٨) ينشد في كتابه (الملل والنحل) ما يدل على حيرة أهل الجدل والتحريف.

---

(١) سبق تخريجه ص٧٣.

(٢) ينظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ج١ ص ١٠٣.

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرَ إلا واضعاً كف حائر على ذقنٍ أو قارعاً سنَّ نادمِ[(١)]

وإذا انتقلنا إلى الرازي (ت:٦٠٦) الذي يعد من أعظم المتكلمين شأناً، وأطولهم باعاً في هذا المجال، وقد جمعت له كثيرا من التحريفات في هذا البحث، تجده يتراجع عن كتاباته ويوصي في آخر عمره وصية تدل على ندمه عليها؛ فيقول في بعض وصاياه: «...ولقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة، والمناهج الخفية، فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده، ووحدته، وبراءته عن الشركاء، كما في القدم والأزلية والتدبير والفعالية، فذلك هو الذي أقول به، وألقى الله به، وأما ما انتهى الأمر فيه إلى الدقة والغموض، فكل ما ورد في القرآن والصحاح المتبعين للمعنى الواحد، فهو كما هو...وأقول ديني متابعة الرسول ﷺ، وتعويلي في طلب الدين عليهما...وأما الكتب التي صنفتها واستكثرت فيها من إيراد السؤالات، فليذكرني من نظر فيها بصالح دعائه على سبيل التفضيل والإنعام، وإلا فليحذف السيئ، فإني ما أردت إلا تكثير البحث وشحذ الخاطر...»[(٢)].

وتجده ينشد في بيان تلك الحيرة والضلال الذي يعيشه أهل التحريف، فيقول:

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

---

(١) الملل والنحل ص ١٧٣.

(٢) وردت هذه الوصية في عدة كتب منها: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن خليفة السعدي الخزرجي ص ٤٦٧، الرد على المنطقيين ص ٣٢١، سير أعلام النبلاء ج٢١ ص ٥٠١، تاريخ الإسلام ج٤٣ ص ٢٢١، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ج١ ص ٤٥، طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص ٩١، البداية والنهاية ج١٣ ص ٥٦.

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذىً ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[(١)]

ثم قال: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن...ومن جرّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»[(٢)].

وبنفس النتيجة التي وصل إليها الرازي يعترف أجل تلامذته الخَسْرُوشَاهي (ت:٦٥٢)[(٣)] فيقول لبعض الفضلاء ودخل عليه يوماً: ما تعتقده؟ قال: ما يعتقده المسلمون، فقال: وأنت منشرح لذلك مستيقن به؟!- أو كما قال- فقال: نعم، فقال: اشكر الله على هذه النعمة، ولكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، وبكى حتى أخضل لحيته[(٤)].

وفي حيرة أهل البدع والتحريف يقول شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «إنك تجدهم أعظم الناس شكاً واضطراباً، وأضعف الناس علماً ويقيناً، وهذا أمر يجدونه في أنفسهم،

---

(١) نسب كثير من العلماء المحققين هذه الأبيات للرازي، منهم: ابن خليفة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٤٦٨، ابن خلكان في وفيات الأعيان ج٤ ص ٢٥٠، ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج٤ ص ٧٣، الذهبي في تاريخ الإسلام ج٤٣ ص ٢١٧، وغيرهم.

(٢) ذكر قوله ابن تيمية في درء التعارض ج١ ص ١٦٠، منهاج السنة ج٥ ص ٢٧١، بيان تلبيس الجهمية ج١ ص ١٢٩، عبد الهادي في العقود الدرية ص ٩٠، الذهبي في السير ج٢١ ص ٥٠١، ابن القيم في إغاثة اللهفان ج١ ص ٤٥، الصواعق المرسلةج٢ ص ٦٦٥.

(٣) هو أبو محمد شمس الدين؛ عبد الحميد بن عيسى بن عمُّويه، وخسروشاهي نسبة إلى خسروشاه، من قرى تبريز، كان من علماء الكلام، تقدم في علم الأصول والعقليات والفقه، ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٦٤٨، فهرسة اللبلي أحمد بن يوسف الفهري ص ١٢٣، تاريخ الإسلام ج٤٨ ص ١٢٥.

(٤) الفتاوى الكبرى ج٥ ص ٢٤٠.

ويشهده الناس منهم...وما زال أئمتهم يخبرون بعدم الأدلة والهدى في طريقهم...حتى قال أبو حامد الغزالي: «أكثر الناس شكاً عند الموت أهل الكلام»(١).

[٣] مفارقة أهل السنة والجماعة، ومفارقة الحق الذي هم عليه:

قال ﷺ: (**ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار، إلا ملة واحدة**)، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: (**ما أنا عليه وأصحابي**)(٢).

والذين وصفهم النبي ﷺ بأنهم على ما هو عليه هو وأصحابه؛ هم أهل السنة والجماعة؛ وهم الفرقة الناجية المنصورة، ومن أخطر آثار التحريف البعد عن هذا المنهج الذي سار عليه السلف الصالح؛ وهو باختصار اتباع آثار النبي ﷺ باطناً وظاهراً، وإيثار كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ على كلام غيرهما وتقديم هدي النبي عليه السلام على رأي كل أحد؛ وبهذا سُموا أهل السنة(٣).

وقد تظافرت النصوص والآثار في التمسك بهذا الهدي، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] وفي الحديث: (...**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة**)(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى ج٤ ص ٢٧.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ج٥ ص ٢٦ برقم ٢٦٤١، والطبراني في الكبير ج٨ ص ١٥٢ برقم ٧٦٥٩، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج١٣ ص ٣١٠، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج١ ص ١٨٩، والسيوطي في جامع الأحاديث ج٤ ص ١١٣ برقم ١٠٥١٤.

(٣) ينظر: العقيدة الواسطية لابن تيمية ص ٢٣، ص ٤٨.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ج٤ ص ١٢٦ برقم ١٧١٨٥، أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة ج٤ ص٢٠٠ برقم ٤٦٠٧، ابن ماجه في مقدمة سننه، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ج١ ص١٥ برقم ٤٢، الترمذي في سننه العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ج٥ ص٤٤ برقم ٢٦٧٦، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ج١ ص ١٣ برقم ٤٢.

وتظافر كلام أئمة السلف بالحث على الاعتصام بالكتاب والسنة ولزومها، والتحذير من البدع؛ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت:٣٢): «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة»[١].

وقال أيضاً: «إنا نقتدي ولا نبتدي،ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر»[٢].

وغيرها من النصوص الكثيرة التي تدل على أن أهم ما تميز به السلف أنهم كانوا وقافين عند نصوص الشرع، فلا يعارضونها بآرائهم واجتهاداتهم، ولا يترددون في الأخذ بها، بل يعظمونها، ويسلمون لها، ويرون الزيغ والهلاك في مخالفتها[٣].

وقد صاحوا بأهل البدع الذين استحدثوا تلك التحريفات في دين الله تعالى، وأنكروا عليهم، فهذا الشافعي (ت: ٢٠٤) أتاه رجل يسأله عن مسألة، فقال: قضى رسول الله ﷺ كذا وكذا، فقال الرجل للشافعي: ما تقول أنت؟ فقال: سبحان الله، تراني في كنيسة! تراني في بِيعة![٤]، ترى على وسطي زُنّاراً![٥]، أقول قضى رسول الله ﷺ كذا وكذا، وأنت تقول لي: ما تقول أنت؟![٦].

---

(١) أخرجه وكيع بن الجراح في الزهد ج١ ص ٣٥٧، أحمد في الزهد ص ١٦٢، الدارمي في مقدمة سننه، باب في كراهية أخذ الرأي ج١ ص ٨٠ برقم ٢٠٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح ج١ ص ١٨١.

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ٨٦ برقم ١٠٦، الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة ج٢ ص ٤٥٨ برقم ٤٤٨، ابن قدامة في تحريم النظر في كتب الكلام ص ٤٥.

(٣) موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ج١ ص ٦١، ٦٢.

(٤) البِيعة بكسر الباء: معبد النصارى أو اليهود، وقيل إن البيع مرادفة للكنائس، وهناك من فرق بينهما: فقال المعبد لليهود والبِيع للنصارى، ومنهم من قال بعكس ذلك ينظر: عمدة القاري ج٤ ص ١٩١، المبدع شرح المقنع لابن مفلح ج٣ ص ٤٢٠، البحر الرائق شرح كنز الدقائق لزين الدين بن نُجيم ج٤ ص ٣٢٤.

(٥) الزنُّار: حزام يشده النصراني على وسطه، ينظر: المعجم الوسيط ج١ ص ٤٠٣.

(٦) ذكرت هذه الرواية عن الشافعي بعدة ألفاظ، ينظر: ذم الكلام وأهله للهروي ج٣ ص ١٣، طبقات الشافعية الكبرى ج٢ ص ١٣٨، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٩.

وقال أبو القاسم الأصبهاني (ت:٥٣٥)[١] الملقب بقوام السنة: «ليس لنا مع سنة رسول الله ﷺ من الأمر شيء إلا الاتباع والتسليم، ولا يعرض عليها قياس ولا غيره، وكل ما سواها من كلام الآدميين تبع لها، ولا عذر لأحد يتعمد ترك السنة ويذهب إلى غيرها، لأنه لا حجة لقول أحد مع قول رسول الله ﷺ إذا صحّ...»[٢].

والجدير بالذكر أن كثيراً من أهل البدع من الفرق المخالفة لمنهج السلف يدّعون أنهم أهل السنة والجماعة[٣]، أو الفرقة الناجية[٤]، وكل ما أتوا به من بدع يدل على بطلان دعواهم، لكن هذا الانحراف في تسمية أهل البدع من جمهور الأشاعرة وبعض الماتريدية والمعتزلة وغيرهم بأهل السنة قد توسع عند كثير من المبتدعة أو الجهلة مما سبب غربة لمنهج السلف الصالح السليم من البدع، كما سيأتي بيانه في الآثار القادمة.

وهذا الادعاء من المبتدعة ظاهر البطلان، فأهل السنة هم السلف الصالح ومن سار على دربهم، ممن يجعل كلام الله وكلام رسوله ﷺ هو الأصل الذي يعتمد عليه، وإليه يردون التنازع، فما وافقه كان حقًّا، وما خالفه كان باطلاً، وأمّا أهل البدع فجعلوا العقول القاصرة والآراء والأقوال الباطلة هي الأصل وابتعدوا عن القرآن والسنة، يقول ابن أبي

---

(١) أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، الملقب بقوام السنة، كان إماماً حافظاً حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، قليل الكلام، وكان إماماً في التفسير والحديث واللغة والأدب، له مصنفات كثيرة في التفسير والحديث واللغة وغيرها، ينظر: لسان الميزان ج١ ص ٤٣٤، طبقات الشافعية ج١ ص ٣٠١، طبقات المفسرين للسيوطي ص ٣٧.

(٢) الحجة في بيان المحجة ج٢ ص ٤٢٦.

(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي، ويدل عليه عنوان تفسيره، الكشاف ج١ ص ٤٣، التفسير الكبير للرازي ج١ ص٦٥، ج٢ ص ٣٩، ج٤ ص ٧٢.

(٤) ينظر: درء التعارض ج١ ص ٢٧٧.

زمنين (ت: ٣٩٩)(١) في أصول السنة: «اعلم- رحمك الله- أن السنة دليل القرآن، وأنها لا تدرك بالقياس، ولا تؤخذ بالعقول، وإنما هي الاتباع للأئمة، ولما مشى عليه جمهور هذه الأمة، وقد ذكر الله ﷻ أقواماً أحسن الثناء عليهم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧- ١٨]، وأمر عباده فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»(٢).

[٤] يتحمّلُ المحرِّف وِزْرَ من يضلهم من بعده إلى يوم القيامة:

تأثر الكثير من المسلمين بتلك التحريفات في تفاسير المبتدعة، سواءً من الجهال الذي لا يميّزون بين الحق أو الباطل، أو من المتعصبين الذي تبنوا أفكارهم، وسواءً كان هذا أو ذاك، فإن المبتدع الأول لتلك التحريفات يشاركهم في الإثم، فهو الذي تولى كبر هذا الانحراف، قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

وقال ﷺ: (... **من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فَعُمِل بها بعده، كُتِبَ له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء. ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعُمل بها بعده كُتِبَ عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء**)(٣) وما أعظم الأثر السيء

---

(١) محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المرّي الأندلسي، شيخ قرطبة، استبحر في العلم، وصنف في الزهد والرقائق، من مصنفاته: تفسير القرآن العزيز، أصول السنة، حياة القلوب، أدب الإسلام، وغيرها، ينظر: سير أعلام النبلاء ج١٧ ص ١٨٩، طبقات المفسرين للداودي ص ٩٣.

(٢) أصول السنة لابن أبي زمنين ص ٣٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ج٤ ص ٢٠٥٩ برقم ١٠١٧.

لتلك التفاسير المحرّفة على المسلمين وتشتيت أذهانهم، وقد فَنِي أصحابها وهي باقية إلى هذا الوقت تَصُد من قرأها عن الحق.

[٥] يُضيع أهل التحريف أعمارهم فيما لا نفع فيه من الجدل والعلوم المحرمة:

أفنى أهل التحريف أعمارهم في تأييد الرأي، والرد على المخالفين وتتبع المتشابه، والاشتغال بالجدل وأهل الكلام؛ حتى صُرفوا عن الانتفاع بالقرآن والاهتداء بهداه، إلى تتبع الآي التي يرون فيها نصراً لأقوالهم، وإبطالاً لأقوال خصومهم، حتى نتج عن طول بحثهم تفاسير مزورة، أُلفت لنصرة المذهب على حساب الحق.

ومن الأدلة على اشتغالهم بنصرة أهوائهم بدلاً من البحث عن الحق ما كان يفعله رأس المعتزلة واصل بن عطاء (ت: ١٣١)، فقد سُئِلت أخت عمرو بن عبيد (ت:١٤٣)[١] وكانت زوجة واصل: أيهما أفضل؟ فقالت: بينهما كما بين السماء والأرض، فقيل: كيف كان علمهما؟ قالت: كان واصل إذا جنّه الليل صف قدميه يصلي، ولوح ودواة موضوعان، فإذا مرت به آية فيها حجة على مخالف جلس فكتبها، ثم عاد في صلاته[٢].

وأين هذا من فعل سلفنا الصالح في مناجاة أحدهم لربه، وقد خلّف الدنيا وراء ظهره.

وقد سبق قول الرازي (ت: ٦٠٦): «لقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً....الخ»[٣].

---

(١) عمرو بن عبيد، أبو عثمان البصري، زاهد عابد قدري، من كبار المعتزلة،،قال ابن معين: كان عمرو ابن عبيد من الدهرية. وله كتاب العدل والتوحيد وكتاب الرد على القدرية يريد السنة. وكان يكذب على الحسن، ويشتم الصحابة ويكذب في الحديث، ينظر: سير أعلام النبلاء ج٦ ص ١٠٤، ١٠٦، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ج٢ ص ٢٢٩ برقم ٢٥٧٤، تاريخ الإسلام ج٨ ص ٥٠٦، تقريب التهذيب ص ٤٢٤.

(٢) المنية والأمل لابن المرتضى ص ١٤١.

(٣) سبق تخريجه ص٢٢٦.

وتقدم إنشاده:

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[١]

ومضى تراجعات غيره مثل أبي الحسن الأشعري والشهرستاني وغيرهما.

[٦] تحقيق أهداف أعداء الدين:

أسهم أهل البدع والزندقة والإلحاد، في تحقيق مخططات أعداء الدين من الكفرة والمنافقين الذين يريدون تشويه الدين وخلطه بغيره من الأديان المحرفة، وتبنى كثير من هؤلاء المبتدعة أفكار أهل الكفر والنفاق والمنافحة عنها والدعوة إليها، والأمثلة على هذا كثيرة في القديم والحديث:

ففي القديم تجد من المنتسبين للإسلام من تبنوا أفكار ذلك اليهودي؛ عبد الله بن سبأ الذي تستر باسم الإسلام وكاد له، وأدخل كثيراً من التحريفات التي آمن بها من جاء بعده من تلك الفرق، وقد تكرر كثير من تحريفاته ومنها: الرجعة والقول بعصمة الأئمة[٢].

ورغم كيد هذا اليهودي للدين بهذه التحريفات إلا أنها لا زالت موجودة لدى كثير من أهل البدع المنتسبين للإسلام.

وفي الحديث تجد أمثله كثيرة على خدمة أعداء الدين من قبل المنهزمين أمامهم المعجبين بهم، وقد كان هذا سبباً لكثير من التحريفات في الدين، ومر التمثيل له في مبحث أسباب التحريف، ومنها:

الدعوة إلى الاختلاط والسفور تحت شعارات مزيفة مثل التباكي على حرية المرأة، وإنكار الحدود الشرعية، ورفض تطبيقها باسم حقوق الإنسان، وتحريف معنى الكفر والإيمان والإسلام من أجل دعوة تقريب الأديان،وقد سبق تفصيل ذلك[٣].

---

(١) سبق تخريجه ص٢٢٦.

(٢) راجع مبحث نشأة التحريف من هذه الرسالة ص ٤٦.

(٣) ينظر: أيضاً آية ٦٢ من سورة البقرة في القسم التطبيقي.

ثانياً: آثار التحريف على الفرد والأمة:

كانت الأمة ولا زالت تتجرع آثاراً سيئة قد تركها التحريف في دين الله على الفرد خاصة، والمجتمع عامة، وتلك الآثار قد تمخضت عنها الوقائع المؤلمة والبصمات الخبيثة التي لا تنسى، قال ابن القيم (ت: ٧٥١) في مثل هذه الآثار للتأويل الباطل (التحريف): «ومن جنايات التأويل ما وقع في الإسلام من الحوادث بعد موت رسول ﷺ وإلى يومنا هذا.. فجرى بسبب هذا التأويل الباطل على الإسلام وأهله ما جرى، ثم جَرَت الفتنة التي جرّت قتل عثمان بالتأويل، ولم يزل التأويل يأخذ مأخذه حتى قتل به عثمان[(١)]، فأخذ في الزيادة والتولد حتى قُتل به بين علي ومعاوية بصفين سبعون ألفاً أو أكثر من المسلمين، وقُتِل أهل الحرة[(٢)] بالتأويل، وقُتِل يوم الجمل بالتأويل من قُتِل، ثم كان قتل ابن الزبير، ونصب المنجنيق على البيت بالتأويل[(٣)]، ثم كانت فتنة ابن الأشعث[(٤)]، وقُتل من قُتل من

(١) ينظر: تفصيل ذلك في مبحث نشأة التحريف من هذا الكتاب.

(٢) المراد بالحرّة حرّة واقم، وهي في شرق المدينة، وكان أهل المدينة رفضوا بيعة يزيد، وأظهروا عيبه وبايعوا عبد الله بن الزبير، فأرسل يزيد جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة، فخرج أهل المدينة لمحاربته فانهزموا وقتلوا مقتلة عظيمة وكان ذلك سنة ٦٣هـ، ينظر: البداية والنهاية ج٨ ص ٢٢٢.

(٣) كان يوم حصار الحجاج لعبد الله بن الزبير، ينظر: تفصيل القصة في الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٢٤.

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، بعثه الحجاج على سجستان فثار هناك على جور الحجاج، وأقبل في جمع كبير فيهم العلماء والصلحاء، وحدث بينه وبين الحجاج عدة مواجهات كان منها (وقعة دير الجماجم) سنة ٨٢هـ التي انتصر فيها الحجاج بن يوسف ففر ابن الأشعث إلى الملك (رتبيل) فأكرم وفادته وتتابعت كتب الحجاج إلى (رتبيل) بطلبه فبعث به إليه فلما قرب من العراق ألقى نفسه من قصر خرب فهلك ينظر: التاريخ الكبير للبخاري ج ٢ ص ٥٠٨، تاريخ الطبري ج ٥ ص٧٨، تاريخ دمشق ج ٤٠ ص١٦٢، تهذيب الكمال ج ١٧ ص٣٦٠.

المسلمين بدير الجماجم[١] بالتأويل، ثم كانت فتنة الخوارج وما لَقِيَ المسلمون من حروبهم وأذاهم بالتأويل، ثم خروج أبي مسلم[٢] وقتله بني أمية، وتلك الحروب العظام بالتأويل، ثم خروج العلويين[٣]، وقتلهم، وحبسهم، ونفيهم بالتأويل.

إلى أضعاف أضعاف ما ذكرنا من حوادث الإسلام التي جرّها التأويل، وما ضُرب مالك بالسياط، وطيف به إلا بالتأويل[٤]، وما ضُرِبَ الإمام أحمد بالسياط، وطُلِبَ قتله إلا بالتأويل[٥]، ولا قُتل أحمد بن نصر

(١) دير الجماجم: موضع بظاهر الكوفة على الطريق المؤدي إلى البصرة وقيل: إنه سُمي بذلك لأنه كان بين إياد والفرس حرب في هذا الموضع، فقُتل خلق كثير فلما انقضت الحرب، دفنوا قتلاهم عند الدير، فكان الناس بعد ذلك يحفرون فتظهر جماجم، وقيل سُمي بذلك لأنه كان يُعمل به أقداح من خشب، كما قال أبو عبيدة، وقيل غير ذلك. وقد وقعت فيه المعركة المشهورة بين الأشعث والحجاج ابن يوسف الثقفي، وعرفت باسم (وقعة دير الجماجم)، ينظر: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣١١، البداية والنهاية ج ٩ ص ٤٠، معجم البلدان ج ٢ ص ١٥٩.

(٢) هو عبد الرحمن بن مسلم الخراساني، من كبار القادة، كان له دور كبير في قيام الدولة العباسية، قال ابن حجر: «هو شر من الحجاج، وأسفك للدماء»، قُتِل بأمر المنصور سنة ١٣٧هـ، ينظر: ميزان الاعتدال ج٤ ص ٣١٧، مقالات الإسلاميين ص ٢١، الفرق بين الفرق ص ٢٤٢.

(٣) العلويون: هم الذين ينتسبون إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد تعرضوا للأذى والاضطهاد والقتل من قبل أعدائهم حتى أُلف في ذلك كتب مستقلة، مثل (مقتل علي) و(مقتل الحسين) لأبي مخنف(ت:١٠٧)، و(مقاتل الطالبيين) لأبي الفرج الأصبهاني، ينظر: مقاتل الطالبيين ص ١٧٤، تحقيق د. علي الدخيل الله للصواعق المرسلة ج١ ص ٣٧٩، وأما من ينتسب إليهم من الباطنية النصيرية الذين يُألِّهون علي رضي الله عنه فهؤلا ليسوا بعلويين بل هم مارقون أكفر من اليهود والنصارى، ينظر: منهاج السنة ج ٧ ص ٢٢١.

(٤) اختلف في سبب محنته ينظر: سير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٨٠.

(٥) ينظر: ترجمته في مبحث جهود العلماء في كشف التحريف ص ٧٣.

الخـــزاعي[١] إلا بالتأويل، ولا جرى على نعيم بن حماد الخزاعي[٢] ما جرى، وتوجع أهل الإسلام لمصابه إلا بالتأويل، ولا جرى على محمد ابن إسماعيل البخاري[٣] ما جرى، ونُفي وأُخرج من بلده إلا بالتأويل، ولا قُتل من خلفاء الإسلام وملوكه إلا بالتأويل، ولا جرى على شيخ الإسلام عبد الله أبي إسماعيل الأنصاري[٤] ما جرى وطُلب قتله بضعة وعشرين مرة إلا بالتأويل، ولا جرى على أئمة السنة والحديث ما جرى حين حُبسوا وشردوا وأخرجوا من ديارهم إلا بالتأويل، ولا جرى على شيخ الإسلام ابن تيمية ما جرى من خصومه وبالسجن وطلب قتله أكثر من عشرين مرة[٥] إلا بالتأويل.

---

(١) هو أحمد بن نصر بن مالك بن هيثم الخزاعي، أبوعبد الله الشهيد، روى عن مالك وابن عيينة وحماد ابن زيد وغيرهم، وروى عنه أحمد بن إبراهيم الدورقي وابنه عبد الله ومسلمة بن شبيب وغيرهم. قتله الواثق بيده سنة ٢٣١هـ، لامتناعه عن القول بخلق القرآن، ينظر: الثقات ج ٨ ص ١٤، صفة الصفوة ج٢ ص ٣٦٣، سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ١٦٦.

(٢) هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي، روى عن ابن عيينة، وابن المبارك، وروى له البخاري، وغيره. حُمِل من مصر إلى العراق في محنة القرآن فسجن ببغداد سنة ٢٢٨هـ، ينظر: تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣١٣، تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٤١٢.

(٣) هو صاحب الصحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، بلغ السلطان خالد بن أحمد الهذلي أن البخاري يقول: إن لفظه بالقرآن مخلوق، فأراد أن يمنع الناس عن السماع منه فلم يقبلوا، فنفاه وأخرجه من بلده فدعا عليه البخاري، فأزال الله ملكه، وسُجن في بغداد حتى مات، وتوفي البخاري سنة ٢٥٦هـ، ينظر: البداية والنهاية ج ١١ ص٢٤، مقدمة فتح الباري، شذرات الذهب ج ٢ص١٣٤.

(٤) هو عبد الله بن محمد بن علي بن الأنصاري الهروي، أبو إسماعيل، من كبار الحنابلة، كان سلفي الطريقة على السنة داعياً إليها، يقول: «عرضت على السيف خمس مرات، لا يقال لي: ارجع عن مذهبك لكن يقال لي: اسكت عمن خالفك فأقول: لا أسكت»، من كتبه (ذم الكلام وأهله)، (منازل السائرين) وغيرها، توفي سنة ٤٨١هـ، ينظر: ذيل طبقات الحنابلة ص ٢٧، سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٥٠٩، الأعلام ج ٤ ص ١٢٢.

(٥) ينظر: ترجمته في مبحث جهود العلماء في كشف التحريف ص ٨٢.

فقاتل الله التأويل الباطل وأهله، وأخذ حق دينه وكتابه ورسوله وأنصاره منهم، فماذا هدموا من معاقل الإسلام، وهدّوا من أركانه، وقلعوا من قواعده؟ ولقد تركوه أرق من الثوب الخلق البالي الذي تطاولت عليه السنون، وتوالت عليه الأهوية[1] والريّاح، ولو بسطنا هذا الفصل وحده، وما جناه التأويل على الأديان والشرائع وخراب العالم لقام منه عدة أسفار»[2].

وابن القيم يقول هذا في أثر التحريف قبل سبعة قرون تقريباً، فكيف لو يرى ما حل بالأمة من ضعف وهوان جرّاء هذا التحريف؟! ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومن هنا استحقت هذه الآثار دراسة مستقلة، ولا يسعنا هنا إلا الإشارة إلى أهم آثار التحريف على الفرد والأمة من المسلمين وغيرهم:

[١] هدم العقيدة:

العقيدة: هي ما يعتقده الإنسان ويدين به، وهي أصول الدين وثوابته وقواطعه[3] والعقيدة الإسلامية مجموعة الأمور الدينية التي يجب على المسلم أن يصدق بها قلبه، وتطمئن إليها نفسه، وتكون يقيناً عنده لا يمازجه شك ولا يخالطه ريب، فإن كان فيها ريب أو شك كانت ظناً لا عقيدة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، وعقيدة المسلم توقيفية لا يجوز تلقيها من غير الوحي، ولا مجال فيها للعقل؛ لأنها غيب لا تحيط بها مدارك البشر، ولا علومهم. ومنهج السلف في تقرير العقيدة يعتمد على الكتاب والسنة، ولذلك هو الأسلم والأحكم، فإن فهم السلف الصالح (الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم) هو الحجة، وهو القول الفصل في مسائل الاعتقاد وغيرها، لأنهم خيار الأمة

---

(١) جمع هواء، ينظر: لسان العرب ج ١٥ص ٣٧٦.

(٢) الصواعق المرسلة تحقيق د. علي الدخيل ج ١ ص ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩.

(٣) ينظر: حراسة العقيدة لناصر العقل ص ٣١.

وقد أمر بالاقتداء بهم، والرجوع إليهم، وتوعد من خالفهم[(١)]، والسير على هذا المنهج هو الذي يحفظ للمسلم عقيدته من التبديل الذي دخل الديانات السماوية الأخرى بكل صورة من صورها، وأما المعتقدات الوثنية التي تنشئها المشاعر والأخيلة والأوهام والتصورات البشرية؛ فهي نتاج عقل بشري قاصر.

وقد تميزت العقيدة الإسلامية عنها بالحفظ من الله ﷻ، والتسليم لله تعالى والاتباع لسنة رسوله ﷺ، قال الزهري (ت: ١٢٤): «مِنَ الله الرسالة، وعلى رسول الله ﷺ البلاغ، وعلينا التسليم»[(٢)].

والقرآن الكريم وهو كلام الله هو أحد النَّصَّين في هذا الباب قد فُسِّر من أصحاب التحريف بأعجب تفسيرٍ؛ يُرِيدون أن يردوه إلى مذاهبهم، ويحملوا التأويل على نحلهم[(٣)].

وهذا يجعل أثر التحريف على العقيدة الأشد على الفرد خاصة والأمة عامة.

فالفرد تهوي به تلك التحريفات حتى تحل منه عقائد الإيمان والعياذ بالله، وكان للتحريف في آيات العقائد أثره العظيم في انقسام الأمة، ونشأة الفرق الضالة، والمذاهب المنحرفة، والتفاسير الملحدة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإذا رجعنا لنشأة التحريف علمنا أن أول تحريف كان في العقيدة[(٤)]، وقد لازمه تَفرُّق الأمة واختلافها، فإن القرون المفضلة التي سبقت الافتراق لم يحصل بينهم اختلاف في أمور العقيدة، وبالتالي كانوا صفاً واحداً.

وقد أَعمل أهل التحريف عقولهم القاصرة في تحريف آيات العقائد، فأنتجوا هذه التفاسير الباطلة، التي يخشى منها على عقيدة قارئها، وعلى سلوكه فهو حكاية لمعتقده، وهذه بعض الأمثلة في أثر التحريف في هدم العقيدة وتشويه السلوك:

---

(١) ينظر: حراسة العقيدة ص ٢١.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾، ج٦ ص٢٧٣٨ برقم ٤٦.

(٣) ينظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٤٦.

(٤) خروج الخوارج على إمام المسلمين، ينظر: نشأة التحريف ص ٤٦.

تحريف معنى الإيمان والكفر:

لا يخفى أن الانحراف في فهم حقيقة الإيمان والكفر؛ هو خلل اعتقادي شق صف الأمة، فبدأ هذا الغلو والانحراف الخوارج ببدعة التكفير، واستحلال دماء المسلمين، والمرجئة على النقيض منهم، ولا تزال آثار انحرافاتهم في تلكم القضية تؤثر في كتابات وأبحاث كثير من المنتسبين إلى الإسلام، وهذه من أعظم الآثار للتحريف لعظم تلك المسائل أعني الإيمان، والإسلام، قال ابن رجب (ت: ٧٩٥): «وهذه المسائل: أعني مسائل الإسلام، والإيمان، والكفر، والنفاق مسائل عظيمة جداً، فإن الله ﷻ علق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة واستحقاق الجنة والنار، والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة، وهو خلاف الخوارج للصحابة، حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية، وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم، ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين، ثم خلاف المرجئة وقولهم: إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان، وقد صنف العلماء قديماً وحديثاً في هذه المسائل تصانيف متعددة»[(١)].

والمخالفون لأهل السنة والجماعة في هذه الأصول العظيمة، صاروا على طرفي نقيض؛ فبين مكفر غالٍ، ومرجئ مفرط.

أولاً: التكفير:

التكفير من المسائل العظيمة التي ناقشها العلماء، وبينوا حدودها وضوابطها مراعاةً منهم لتلك الآثار العظيمة التي تترتب عليه، ورداً على الفرقة الغالية التي أصبحت تتخذ التكفير منهجاً تنطلق منه، وتبني وفقه فهمها لكتاب الله تعالى، فأصبح لها تفاسيرها المحرفة التي تضلل بها المسلمين.

ومن أشهر الفرق الغالية في تكفير المسلمين غلاة الرافضة، بل هي أشدها في التكفير على الإطلاق، فأعمى الله أبصارهم وبصائرهم عن الحق، وبين هؤلاء الرافضة أقوام قضى

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ٣٠.

الله على عروشهم، وأزال باطلهم، فاندسُّوا في الإسلام من أجل الطعن به من الداخل، وزعموا حب آل البيت زوراً وبهتاناً، كي لا ينكشف أمرهم، وبدؤوا ينفثون سمومهم على الإسلام وأهله، وأكبر وسيلة لهم التكفير، حتى عمدوا إلى أطهر جيل عرفته البشرية على الإطلاق؛ ذلك جيل الصحابة الذي زكّاه الله تعالى ورسوله ﷺ، فكفروهم جميعاً إلا خمسة أوستة[1] وحكموا عليهم بالردة، بل ويشتد بهم العمى والضلال حين كفروا الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، والخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه، وقد نزّلوا كثيراً من الآيات على هذا الباطل[2]، وهذه المصيبة التي افتراها أهل الرفض والتحريف، يلزم منها إسقاط الشريعة، بل بطلانها ما دام نقلتها مرتدين، ويؤدي القدح في القرآن العظيم، لأنه وصلنا عن طريق أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وإخوانهم، وهذا هو هدف واضح هذه المقالة، ولذلك قال أبو زرعة (ت: ٢٦٤): «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»[3].

وأول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة رضي الله عنهم، والتبرأ منهم؛ عبدالله بن سبأ اليهودي، وهذا ما اعترف به بعض الشيعة[4]، رغم محاولة بعضهم لإنكار تاريخهم المزري، وأن ذلك اليهودي هو المؤسس لما يتمسكون به من تحريفات[5].

---

(١) ينظر: الفَرق بين الفِرق ص ٣٩، رسالة في الرد على الرافضة ص ١٤، وينظر: الرد على مسألة التكفير عند الرافضة عند آية ٦ من سورة البقرة في القسم التطبيقي.

(٢) سبق التمثيل لها في مبحث نشأة التحريف ص٥٧.

(٣) ينظر: الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ٤٩، تاريخ دمشق ج٣٨ ص ٣٣، فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي ج ٣ ص ١٠٩.

(٤) فرق الشيعة للنوبختي ص ١٩، ٢٠.

(٥) سبق التمثيل لبعض تلك التحريفات، ينظر: مبحث نشأة التحريف من هذا الكتاب ص٥٧.

وقد تمخضت فتنة التكفير قديماً وحديثاً عن آثار جسيمة على أمة الإسلام، فاستحل بها المبتدعة دماء المسلمين، وأموالهم، وأعراضهم، وهي في كل زمان تطل على المسلمين بثوب جديد.

ثانياً: الإرجاء:

الإرجاء في اللغة: التأخير[١]، وسُميت المرجئة تلك الفرقة الضالة، بهذا الاسم لأنهم أَخَّرُوا العمل عن مسمى الإيمان[٢]، فقالوا ـ مخالفين للكتاب والسنة وسلف الأمة ـ: إن الأعمال ليست من الإيمان. وقول أهل السنة: الإيمان اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن الكفر يكون بالقول، أو الفعل، أو الاعتقاد[٣].

وبدعة الإرجاء ظهرت في أواخر عهد الصحابة ﵃، كردة فعل أمام فتنة الخوارج[٤] وهكذا هم أهل البدع، يقابلون البدعة ببدعة لذا تجد بعضهم قابل بدعة الإرجاء بالغلو والتطرف[٥].

ويعتبر الفكر الإرجائي من أشد الانحرافات التي وقعت في تاريخ المسلمين، حيث ترك آثاراً خطيرة في حياة الأمة، ما تزال تنخر في جسمها حتى الآن.

---

(١) ينظر: أساس البلاغة ص ٢٢١، لسان العرب ج ١ ص ٨٣.

(٢) هناك أقوال أخرى في سبب تسميتهم بالمرجئة، ينظر: تهذيب الآثار للطبري ص ١٥٨، التبصير في الدين ص ٩٧، مجموع الفتاوى ج ٧ ص ٣٩٥.

(٣) ينظر: الشريعة للآجري ج ٢ ص ٦١١، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٤٤، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج ٤ ص ٨٣٠ن مجموع الفتاوى ج ٧ ص ٥٠٦، اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٨٤.

(٤) ينظر: المراجع السابقة.

(٥) التطرف هو البعد عن التوسط والاعتدال سواء كان غلوًّا أم لا، فالغلو أخص من التطرف، ينظر: معجم المناهي اللفظية حرف التاء ص ١٩٠.

وقد تطورت بدع الإرجاء لتغطي كثيراً من واقعنا المعاصر بكل سلبياتها.

ووجد كل من تراخى عن العمل، وانحدر عن القيم، وجد في الإرجاء تفسيراً مريحاً يبرر له تراخيه، وتفريطه.

لقد كان تحريف الإرجاء من أخطر المزالق التي أدخلها المحرّفون على تلك العقيدة الصافية ومفهومها الصحيح عند المسلمين[(١)].

وأقوال العلماء كثيرة في ذم المرجئة، واعتبارها الأشد خطورة على هذه الأمة، ومنها:

قول سعيد بن جبير (ت: ٩٥) حين سُئِلَ عنهم: «هم يهود أهل القبلة»[(٢)] أو «صابئة هذه الأمة». ولعله لمشابهتهم اليهود حينما قالوا: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

وقال إبراهيم النخعي (ت: ٩٦): «لَفِتْنَتهم - يعني المرجئة - أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة»[(٣)] والأزارقة هم شر فرق الخوارج[(٤)]. وقال الزهري (ت: ١٢٤): «ما ابتدعت في الإسلام بدعة هي أضر على أهله من الإرجاء[(٥)].

وكان العلماء لا يرون شيئاً من الأهواء أخوف على هذه الأمة من الإرجاء[(٦)].

وهذه بدعة الإرجاء التي أَعْظَم السلف والأئمة الكلام في أهلها، وقالوا فيها من المقالات الغليظة التي تبين شدة خطرها على الأمة، وقد ازداد شرها وانتشارها في عصرنا الحاضر، لموافقة هذه الأفكار لنفوس كثيرة ممن يريدون التفلت من الدين.

---

(١) ينظر: واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص ٢٨.

(٢) أخرجه الربيع بن حبيب الأزدي في مسنده عن جابر بن زيد برقم ٩٤٤.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ج ١ ص٣١٣ برقم ٦١٧، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج٥ ص٩٨٨، البغدادي في الفرق بين الفرق ص٦٢، الأصبهاني في حلية الأولياء ج ٣ ص٢١.

(٤) ينظر: مقالات الإسلاميين ص ١١١، التبصير في الدين ص ٤٩.

(٥) أخرجه الآجري في الشريعة ج ٢ ص ٦٧٧ وذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى.

(٦) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج٥ ص ٩٩١- ٩٩٢.

ولك أن تتصور أثر عقيدة الإرجاء على كثير من الآيات في كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، فماذا يعني للمرجئ الأمر بالصلاة، والزكاة، والصيام، ومكارم الأخلاق، وغيرها من وجوه البر، التي وعد الله أهلها بالجنة والدرجات العلى منها، والنهي عن الكبائر والصغائر والتوعد على مرتكب هذه بالعقوبة.

ماذا تعني هذه الآيات لذلك المرجيء؟ لا شك أنها مجرد كلام لا أثر له، وهذا نتيجة تحريف حقيقته بالإرجاء.

وأهل التحريف من المرجئة حينما يفسرون كتاب الله تعالى؛ يقدمون للقارئ معانٍ جوفاء لا تطبيق لها على أرض الواقع، يكون معها المسلم أكثر تفلتاً وانحطاطاً من غيره من المسلمين، ومن هنا نعلم سبب تلك المذمة العظمية من علماء السلف للإرجاء وأهله.

ومن الأمثلة أيضاً على أثر التحريف في هدم العقيدة تحريف أسماء الله وصفاته، وهي من أوسع مجالات التحريف في العقيدة.

إضعاف الأثر التربوي والنفسي للقرآن:

أنزل الله تعالى القرآن الكريم هداية للناس أجمعين وذكرى وموعظة للمؤمنين، فهم المنتفعون به دون غيرهم، وهذا هو المقصود من تلاوة آيات الكتاب، أن تحدث أثرها الإيجابي في النفوس، لا مجرد تلاوة لا يجاوز أثرها حنجرة تاليها، ولهذا نجد القرآن يستثمر كل وسيلة لتربية النفوس تربية إيمانية خالصة، ويتضح هذا جليًّا من تنويع الأساليب فيه بين الترغيب والترهيب، وكثرة الآيات في نعيم الجنة وعذاب النار، والبشارة والنذارة، ليعيش المؤمن بين رجاء الله تعالى والخوف منه، فينعكس أثر ذلك على سلوكه، ولم يُغفل في آيات القرآن الكريم جانب حب الله تعالى بتذكير القارئ لكتابه بنعمه وألطافه، فيجمع بين حب الله تعالى والخوف منه ورجائه.

وأيضاً اهتم بالعلاقات الاجتماعية، وغيرها من شؤون المسلم كافة، فلم يغفل منها شيئا إلا وقد بينها الله تعالى له في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

وقد أسهم التحريف في التفسير في إضعاف الأثر التربوي والنفسي للآيات الكريمة، فلم يعد لسماع آيات الوعد رغبة ولا لسماع آيات الوعيد هيبة، وتأثر بعض المسلمين بهذا التحريف لدرجة المطالبة بتنحية آيات القرآن عن شؤون الحياة المختلفة، الأمر الذي ولّد في نفوسهم نوعاً من الشعور بالنقص، أسهم في تغذيته تلك الحملة الشرسة على الدين بشكل عام، والملتزمين بأحكامه بشكل خاص(١).

وإذا ضعف الأثر التربوي النفسي عند الناس، فلا فائدة كبيرة من سماع آيات القرآن، والله تعالى يقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وإضعاف هذا الأثر لكتاب الله المجيد هو ما يريده أعداء الإسلام، الذين يبذلون جهدهم لإحداث شرخ بين الواقع النظري والعملي في حياة المسلمين(٢).

ومن الأمثلة على التحريفات التي تضعف أثر الآيات عند قارئ تلك التحريفات، تحريف معنى أسماء الله الحسنى وصفاته العلى وهو أوسع المجالات التي طالت العقيدة الإسلامية، وقد تكرر ذكر أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى في كتابه حتى لا تكاد تخلو منه آية من آياته، لكن خوض أهل التحريف فيها وتعطيل آياتها بدعوى مشابهتها للمخلوقين يفرغ تلك الأسماء والصفات من مضمونها، وما أراد الله تعالى بها، فلا تحدث في نفس قارئها ذلك الشعور النفسي بعظمة تلك الأسماء والصفات للباريء، الذي ينعكس على سلوك القارئ لها.

---

(١) الانحراف الفكري في التفسير المعاصر ج ٢ ص ٥٩٣.

(٢) المرجع السابق.

فإذا عُطِّل السمع والبصر، وقيل: سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، فأي أثر يبقى لقراءة مثل هذه الأسماء والصفات، وأيضاً إذا نفي عنه العلو، والرؤية، والمجيء، والنزول إلى السماء الدنيا، فإن القارئ لو أخذ بتلك التحريفات سُيفضي به إلى عبادة العدم، الذي لا يجد لأوصافه ذلك الشعور النفسي المرجو، مثل الخشية، والرجاء، والخوف، وبالتالي لن يكون لها التأثير التربوي الذي يعكسه ذلك الشعور.

وهكذا شيئاً فشيئاً يصبح الفرد في نهاية المطاف يتلو آيات: معطلة المحتوى، مفرغة المضمون، حبيسة السطور، لا تجد لها أثراً في نفس قارئها، فماذا يعني للقارئ إذا قرأ آيات استواء الله وعلوه وبينونته من خلقه في تفاسير أهل التحريف، لا شك أنها لا تعني له شيئاً، فلا ثمة استواء ولا علو ولا سمع، ولا بصر، في تفاسير المبطلين، ولن يبقى لها أثرها الفاعل في البناء النفسي والتربوي.

تعطيل شرائع الإسلام وأحكامه:

للتحريف أثر كبير في تعطيل أحكام الآيات وإفراغها من محتواها بشكل مباشر أو غير مباشر، وحبس تلك الأحكام في سطور يقرأها الناس كنوع من التراث القديم الذي لا علاقة له بواقعهم المعاصر، حتى ضاعت هوية المسلمين وعاشوا في غربة عن حقيقة الإسلام وهَدْيِهِ، وهذا الأثر الخطير للتحريف أدى إلى إنكار جانب كبير من التشريع الإسلامي، وهذه بعض الأمثلة:

[١] **تعطيل الجهاد:**

الانهزامية أمام الغرب من أهم الأسباب التي دفعت بعض المفسرين للتحريف في آيات كتاب الله تعالى، كما سبق بيانه، وآيات الجهاد تعتبر أول عقبة أمام هؤلاء المداهنين،

والمنهزمين ومن اغتر بقولهم من الجهال والمخدوعين(١).

ودعاة تعطيل الجهاد واجهوا الآيات والأحاديث التي دلت عليه بالتحريف، ليتملصوا من تلك الشعيرة العظيمة ذروة سنام الإسلام؛ الجهاد في سبيل الله، وحصروا تلك الآيات في الدفاع عن النفس في حالة واحدة فقط؛ وهي اعتداء الكفار على المسلمين من أجل حملهم على تغيير دينهم، أما إذا كان الاعتداء من أجل أمر آخر مثل احتلال الأراضي، وليس هدفه الدين، فالجهاد غير مشروع(٢).

والقرآن الكريم بوضوحه، وقوة حجته يرد على أصحاب ذلك التحريف في آيات كثيرة دعت إلى الجهاد، وحثت على الصبر عليه، والوعد بالنصر لأهل الإسلام على أعدائهم، ومن تلك الآيات: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ

---

(١) من أبرز الحركات التي نادت بتعطيل الجهاد حركتا: القاديانية والبهائية، حيث اعتبر مؤسس القاديانية غلام أحمد كل من يرفع السيف ويقاتل الكفار عاصياً لله ورسوله ﷺ، ولهذا لا يستغرب دعم الإنجليز لهذه الحركة التي صرح قائدها غلام بموالاته للإنجليز ودعوة المسلمين للإخلاص لهم باعتبارهم الحكومة التي بسطت الأمن وآوته من الظالمين، والقاديانية والبهائية حركتان كافرتان وإن ادعتا الإسلام، ينظر: القاديانية دراسة وتحليل لإحسان إلهي ص٢٤٢.

والبهائية نسبه إلى ميرزا حسين الملقب ببهاء الله، وهي مؤامرة إلحادية خططت لها الماسونية السرية والصهيونية العالمية، وتعود هذه العقيدة إلى البابية التي ابتدعها علي محمد الشيرازي، والبهائية أشد كفراً من القاديانية لأنها تنكر الإسلام كله وتدّعي رسالة جديدة مستمدة من دين اليهود، ينظر: مقال للشيخ عبد القادر شيبة الحمد بعنوان البهائية في مجلة البحوث الإسلامية العدد ٢٦ ج ٩ ص ١٨٦. وقد تبنى كثير من رجال المدرسة العقلية هذا المعتقد الباطل الذي يسعى لتعطيل الجهاد، ينظر: تفسير المنار ج٢ ص ٣١٠، ٣١١.

(٢) ينظر: الانحراف الفكري ج ٢ ص ٦٦٩.

صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]، ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٠].

وغير هذه الآيات كثير لا يمكن حصرها في الدفاع عن النفس فقط، فإن حالة الدفاع عن النفس تحصل تلقائياً للشخص بفعل الغريزة، وضد كل من يعتدي عليه بغض النظر عن دينه، ولا تحتاج إلى كل تلك المعالجة التي سلكها القرآن بأسلوبه الفريد لحمل النفس البشرية على التفاني والتضحية والاستشهاد عن طريق استثارة الطاقات الروحية الهائلة الكامنة في النفس، والقضاء على بواعث التردد والتولي يوم الزحف.

وإذا سمع المسلمون تلك التحريفات التي تدعو لتعطيل الجهاد، فإن البرود وعدم المبالاة تحل في نفوسهم تجاه آيات الجهاد الكثيرة[1]، وتتبدد الروح الحماسية الهائلة في نفوس المسلمين لإعلاء كلمة الله تعالى، وتتحقق أمنية طالما حلم بها أعداء الإسلام؛ وحينها يتكالبون على هذه الأمة، وهي تبحث عن السلام بين أعدائها.

[٢] تعطيل الحدود:

لا شك أن إقامة الحدود، والقصاص، والتعزير، وتطبيق شرع الله تعالى، فيه ضمان حقيقي لأمن المجتمع، وهي صمام الأمان الذي يجعل الناس آمنين على حرماتهم، وأموالهم، وأنفسهم، ولتطبيق الشريعة الإسلامية أثر كبير في الحد من الجريمة والانحلال الأخلاقي، الذي تعاني منه بلاد الكفر، وهذا الأثر الذي تنعم به بلاد الإسلام هو إحدى الحكم العظيمة التي أرادها الشارع من تلك الحدود، ولكن من المحزن أن تجد من أبناء الإسلام أو من يدعي الانتساب إليه، من يهاجم هذا الشرع الرباني، ويسعى لتعطيله، ويردد شعارات أعداء الدين التي ملأت قلوبها حقداً على عظمة هذا الدين، وأعلنوا

---

(١) ينظر: الانحراف الفكري ج ٢ ص ٦٦٩.

شعارات مزيفة، تطمح للنيل من الإسلام، مثل ذريعة حقوق الإنسان، التي وُظفت في غير محلها لأن حقوق الإنسان محفوظة في الشريعة، لكن ليس الإنسان هو ذلك المجرم، وقد أخذ أبناء جلدتنا يحملون لهم تلك الشعارات المزيفة، فحرفوا آيات الله تعالى التي تعارض أغراضهم الدنيوية، ولنأخذ مثالاً على ذلك حد السرقة والزنا:

ورد بيان حد الزنا في قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]، وورد حد السرقة في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

والحقيقة الشرعية تقتضي إطلاق الزاني والسارق على كل من زنى، أو سرق من غير شرط تكرر الزنا أو السرقة، فالزاني كل من زنى ولو مرة واحدة، والسارق كل من سرق ولو مرة واحدة، ولم يرد اشتراط التكرار في القرآن الكريم ولا في السنة ولا في كلام أحد من السلف أو من الخلف،حتى جاء في هذا القرن الرابع عشر من يشترط تكرر الزنا وتكرر السرقة(١).

يقول محمد أبو زيد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]: «واعلم أن لفظ السارق والسارقة يعطي معنى التعود، أي أن السرقة صفة من صفاتهم الملازمة لهم، ويظهر لك من هذا المعنى أن من يسرق مرة أو مرتين، ولا يستمر في السرقة ولم يتعود اللصوصية لا يعاقب بقطع يده، لأن قطعها فيه تعجيز له، ولا يكون ذلك إلا بعد اليأس من علاجه»(٢).

وقال مثل هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]: «يطلق هذا الوصف على المرأة والرجل إذا كانا معروفين بالزنا، وكان من عادتهما وخلقهما، فهما بذلك يستحقان الجلد»(٣).

---

(١) ينظر: تحريف المصطلحات القرآنية ص ٥٨.

(٢) الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن لمحمد أبو زيد ص ٨٨.

(٣) المرجع السابق ص ٢٧٤.

وذهب إلى هذا التفسير كثير من المتأخرين أمثال محمود العقاد في كتابه (الفلسفة القرآنية)، ومصطفى المهدوي في كتابه (البيان بالقرآن)، ومصطفى محمود، وقد ذهب عبد المتعال الصعيدي إلى أشد من هذا الإلحاد، فقال: «ألا لئن فعلنا (حدود السرقة، والزنا، والقصاص في الجروح) لنكونن في أعين العالم المتمدنين همجاً متوحشين»(١).

فهذا تصريح منهم بالدافع لذلك التحريف الظاهر البطلان، الذي لا يحتاج إلى رد؛ إنه الانهزامية أمام الغرب وحضارته.

ومن الأمثلة على تعطيل الأحكام الشرعية تحريف آيات تحريم الربا، وقد مرّ تفصيله في أسباب التحريف.

ولقد كان لهذا الأثر وقعه السيئ على واقع المسلمين، فإن كثيراً منهم ليس لهم من الإسلام إلا اسمه، فهم في وادٍ، وأحكامه وتشريعاته في وادٍ آخر، فأصبحوا بهوية مشوهة، وأخذوا يلهثون وراء الحضارات الغربية ومن يحمل شعاراتهم من المنتسبين للإسلام.

[٣] تنحية الأقوال الصحيحة(٢)، وإحداث الحيرة في القارئ لتلك التحريفات:

إن إشغال المسلمين بتلك الأقوال المحرفة في معاني كتاب الله تعالى، سوف يكون على حساب تنحية الأقوال الصحيحة تنحية كلية، ومع انتشار هذه التفاسير البدعية التي حوت التحريف لآيات الله ﷻ، فإن قارئها ينشغل ذهنه بتلك التحريفات وتحدث عنده الحيرة والشك فتجده يبحث عن الحق، وربما كان جاهلاً فلم يعرف الوصول إليه(٣)، أو ابْتُلِيَ باعتناق تلك البدع والعياذ بالله.

---

(١) ينظر: تحريف المصطلحات القرآنية ص ٦١.

(٢) ينظر: الأقوال الشاذة ص ٣٤٢.

(٣) لذلك تجد العلماء يحذرون من قراءة تفاسير أهل التحريف، إلا لمن له القدرة العلمية في التمييز بين الحق والباطل فيها.

ورغم كثرة التفاسير المنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة، فإنك لا تكاد تجد فيها الحق خاصة في آيات العقيدة.

انظر مثلاً لضياع القول الحق في أسماء الله تعالى وصفاته بين الطوائف المبتدعة مع كثرتهم واشتغالهم بالجدل والرد على المخالف، لكن الحق يبقى في منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

يقول شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨) حول بعض الآيات التي أشكلت: «حتى لا يوجدُ في طائفة من كتب التفسير إلا ما هو خطأ»[١] ناهيك عن تفاسير أهل التحريف التي تجاهلوا فيها ضوابط التفسير وشروطه.

وقريب من قول شيخ الإسلام قول تلميذه ابن القيم (ت: ٧٥١): «وكذلك كثير من المفسرين يأتون بالعجائب التي تنفِرُ عنها النفوس، ويأباها القرآن أشدّ الإباء»[٢].

والمقصود أن غياب المعنى الصحيح للآية أثر من آثار التحريف، ولهذا الأثر عواقبه الوخيمة التي يظهر أثرها على الفرد خاصة والأمة عامة.

[٤] إشغال الأمة بتفاسير مُحرّفة:

من الآثار السيئة والمؤسفة للتحريف انتشار تفاسير كثيرة بنيت على البدعة والمذاهب العقدية الرديئة، والمؤلم أن لها من الشهرة والذيوع الكثير، حتى اشتغل بها الدارسون وقدّموها على غيرها.

ومما عمّت به البلوى أن اعتمدوها عقيدة أهل السنة والجماعة، ومنها العقيدة الأشعرية التي تغطي عقول كثير من المسلمين، وهم يقدسونها ويتعصبون لها، وهكذا بقية العقائد المنحرفة تجد لها متعصبين ينافحون عنها. وقد تصدوا لأهل السنة بالرد والطعن فيهم. فبقي منهج السلف في غربة بين أولئك المتعصبين.

---

(١) مجموع الفتاوى ج ١٤ ص ٤٨.

(٢) الصواعق المرسلة ج ٢ ص ٦٩٤.

فتجد مثلاً تفسير القاضي البيضاوي (ت: ٦٩١) (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) الذي جمع فيه مؤلفه بين تفسيرين كبيرين، هما الكشاف للزمخشري (ت: ٥٣٨) على العقيدة الاعتزالية، وتفسير الرازي على العقيدة الأشعرية (ت: ٦٠٦)، فجاء كتابه عميق الغور، صَعْب المِرَاس، قد عكف الناس عليه، واعتنوا به تدريساً، فما من مفسر في القرن السابع، وما بعده، إلا وتفسير البيضاوي في طليعة مراجعه[(١)].

ولاشك أن تفسير البيضاوي على جلالة مؤلفه يشغل على الأقل عن القول الصحيح في باب العقيدة[(٢)].

وكثير من التفاسير هي أشد من تفسير البيضاوي انحرافاً، ولها قبول ومؤيدون إما من الجهلة أو أصحاب التعصب المذهبي، وهي تنمو وتزيد في كل وقت، وتنشر على أنها تفسير لكتاب الله تعالى، والتفسير بريء منها.

[٥] غُربة منهج السلف الصالح وصد المسلمين عنه:

ولعل هذا من أشد آثار التحريف خشية على قارئه، فإن تفاسير أهل التحريف قد بنيت على مخالفة منهج السلف الصالح، ومع كثرتها وانتشارها وكثرة المغترين بها، صار منهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة حقاً غريباً بينها.

ولو لزم أصحابها هدي النبي ﷺ، وهدي أصحابه، ومن تبعهم بإحسان لما نتج عنهم ذلك التحريف الذي أضلوا فيه من أضلوا من المسلمين، وصدوهم عن المنهج السليم.

قال ﷺ: **(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ)**[(٣)].

وبتعدد التحريفات وتشعبها واختلاف أسبابها يتفرق المسلمون طوائف متفرقة حتى يصدق عليهم قول الرسول ﷺ: **(ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار،**

---

(١) ينظر: التفسير ورجاله لابن عاشور ص ١٠٨، الأقوال الشاذة ص ٣٤٣.

(٢) ينظر: مثلا ج١ ص ٨١، ج١ ص ٢٧٤ من تفسيره، وينظر: الأقوال الشاذة ص ٣٤٣.

(٣) سبق تخريجه ص ٢٢٨.

إلا ملة واحدة...) الحديث[١].

ومع كثرة الفرق المخالفة تجد للمتمسكين في منهج أهل السنة والجماعة غربة بين أولئك المبتدعين، وهذا ما صوره النبي ﷺ أصدق تصوير بقوله ﷺ: **(بدأ الإسلام غريبا، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء)**[٢].

وهذه الغربة نلمس آثارها في حياتنا المعاصرة، حيث غدا المتمسكون بسنة المصطفى ﷺ غرباء في أوطانهم، وبين أهليهم، وذويهم، ولكنها غربة لم تأت دفعة واحدة لتؤثر بشكل سلبي على حياة المسلمين، وإنما كان للتحريف في نصوص الوحيين أثر فعال في إشعال الشرارة الأولى، ثم اتسعت دائرته شيئاً فشيئاً، حتى وصلت الحالة إلى ما هي عليه الآن، وأسهمت في ضعف الأمة سياسياً، وعسكرياً، واقتصادياً، وعلمياً[٣]، لما ابتعدوا عن هدي سلفهم الصالح الذين قادوا الأمم.

[٦] زعزعة الثقة في النصوص:

تحتل نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة قدسية خاصة في نفس كل مسلم، وثقة منقطعة النظير، وهذا منطلق من وجوب الإيمان بصدق ما يخبر به النبي ﷺ عن ربه إيماناً لا يعتريه ريب، لكننا نرى من يسعى لزعزعة هذه الثقة ونسف كثير من المسلَّمات والأمور المعلومة من الدين بالضرورة، والتي لا يعذر أحد بجهلها، وهذا ما يحلم به أعداء الإسلام قديماً وحديثاً، وهو إحداث هزة في نفس الفرد المسلم، تنال من قدسية نصوص الوحيين، فإن تلك القداسة التي لا تتزعزع في المسلمين تغيظ أعداءه، حتى ظهر من المبتدعة من يتعامل مع نصوص الوحي، كأي نص آخر قابل للنقد، والطعن، والتشكيك، والصدق، والكذب، وسمى بعضهم الملتزمين بالنص القرآني عبدة النصوص[٤].

---

(١) سبق تخريجه ص٢٢٨.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً ج١ ص١٣٠ برقم ١٤٥.

(٣) الانحراف الفكري في التفسير المعاصر ج١ ص٥٦٧.

(٤) ينظر: تحريف المصطلحات ص ٨٨.

والـذين يـسعون لتغيـير مفهـوم الـنص عنـد المـسلمين، وإزالـة قدسـيته يتـسترون تحـت شعارات خداعة، مثل: التجديد، وحرية الفكر، وذم التقليد وغيرها.

وإذا وجد المسلم أهل التحريف يتصرفون مع النص القرآني بتلك الجرأة من التعطيـل، والتبديل، وإنكارها بادعاء المجاز والتمثيل فيها، فإنك تجد لهذا أثراً في نفسه، وقد أضـعف أهل التحريف هيبة تلك النصوص، والعياذ بالله.

وإذا قلَّت تلك الهيبة والثقـة قـلَّ معهـا الـوازع الـذي يردعـه، وجـاء تـصرفه غـير عـابئ بتعاليم الدين، فقدم أهل التحريف هذه الخدمـة لأعـداء الـدين، وصـاروا معـاول هـدم في أيديهم، وثاروا على القيم الثابتة.

[٧] انتشار البدع:

من النتائج المتوقعة لتبديل الـدين بتلـك التحريفـات انتـشار البـدع، فـإذا نُحِّيَـت الـسنة حلّت محلها البدعة.

فمـن الآثـار الـسيئة التـي تركهـا التحريـف عـلى سـبيل المثـال، بدعـة الغلـو في الأوليـاء والصالحين، التي غطّت عقول كثير من المسلمين، وقد حرّف المبتدعـة كثـيراً مـن نـصوص الكتاب والسنة لتوافق تلك البدعة، فتفاقمت آثاره بما نراه الآن في كثير من بـلاد المـسلمين الذين يطوفون بالقبور، ويجعلونها مزارات يتقربون فيها إلى أصحابها بمختلف العبـادات، وهذه لا شك من البدع الشركية التي تخل بعقيدة التوحيد.

وإذا رجعنا لمنـشئها وجـدنا التحريـف في نـصوص الكتـاب والـسنة منبتهـا الأول، وفي مقدمـة هـؤلاء الغـلاة يـأتي غـلاة الرافـضة لتحتـل المرتبـة الأولى في تطويـع الآيـات لتوافـق مزاعمهم في أئمتهم المزعومة، الذين غلو فيهم حتى جعلوهم فوق مرتبة الأنبياء.

وكذا غلاة الصوفية من الفرق شديدة الغلو في الشيوخ والأئمـة، ومـن المؤسـف أن لهـا انتشاراً واسعاً بين المسلمين، وعلى أيديهم يكثـر الزائـرون للقبـور والمتبركـون بالـصالحين، وقد لا يكونوا صالحين، بل منافقين يستقطبون جماهير الناس لأغراض دنيوية.

[٨] **فتح الباب لأصحاب الأهواء في الاجتراء على كتاب الله تعالى:**

بدعة التحريف من البدع التي تنمو وتتزايد، ويتسع أثرها شيئا فشيئاً، فإن الذي سّوغ للأول تحكيم عقله في نصوص الشرع، يفتح المجال لمن بعده أن يحكم عقله هو، ويعارض قول الأول، وهكذا كلٌ يبدي رأيه، ويتعصب لقوله، فتكون الشريعة محل نظر لأي أحد، ومع اختلاف العقول والنوايا تكثر الخلافات والفرقة والتشتت بين المسلمين نتيجة لاجتراء أصحاب الأهواء على القول في كتاب الله تعالى بغير علم.

والمتأمل لتاريخ أهل التحريف يجد كل مبتدع يبحث له عن دليل من كتاب الله تعالى ليأوّله على ما ابتدعه، وبعض أهل التحريف وصلت به جرأته إلى درجة الإلحاد في آيات الله تعالى واتباع الهوى، فيصرح بمخالفته للنصوص دون أن يسعى لتحريفها.

والمقصود أن أكثرهم يستدل على بدعته بنصوص القرآن، لتجد رواجاً وقبولاً في نفوس المسلمين، فإن مصادمة القرآن والسنة وإنكارها صراحة يفضح صاحبه غالباً، ولذلك يلجأ لليّ أعناق النصوص، ليبحث له عن متمسك، ويشير الشاطبي (ت:٧٩٠) إلى ذلك بقوله: «ومن نظر إلى طريق أهل البدع في الاستدلالات عَرَفَ أنها لا تنضبط؛ لأنها سيالةٌ لا تقف عند حدٍّ، وعلى كل وجهٍ يصحُّ لكل زائغ وكافر أن يستدل على زيغه وكفره، حتى ينسب النحلةَ التي التزمها إلى الشريعة.

فقد رأينا وسمعنا عن بعض الكفار أنه استدل على كفره بآيات القرآن، كما استدل بعض النصارى على تشريك عيسى عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

واستدل على أن الكفار من أهل الجنة بإطلاق قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢][1].

---

(١) ينظر: الرد على هذه الدعاوى في القسم التطبيقي عند آية ٦٢ من سورة البقرة.

واستدل بعض اليهود على تفضيلهم علينا بقوله سبحانه: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، وبعض الحلولية(١) استدل على قوله بالحلول بقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩].

والتناسخي(٢) استدل بقوله: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨].

وكذلك كل من اتبع المتشابهات، أو حرَّف المناطات(٣)، أو حمّل الآيات ما لا تحْمِله أو تمسك بالأحاديث الواهية، أو أخذ الأدلة ببادي الرأي، له أن يستدل على كل فعل أو قول أو اعتقاد وافق غرضه بآية أو حديث»(٤).

وسار الخلف من أهل التحريف على درب أسلافهم؛ يفتشون لهم في القرآن عن أدلة، والأمثلة على ذلك كثيرة جًدا، ومنها غلو المولعين بالتفسير العلمي بتطويع الآيات للنظريات العلمية، وقد مر التمثيل لها.

ومن الأمثلة على ذلك تحريف الآيات التي تدل على ختم النبوة بالنبي ﷺ، وهو أمر معلوم من دين الإسلام بالضرورة؛ على أيدي كثير من مُدعي النبوة مثل مرزا غلام أحمد القادياني، الذي أظهر ادعاءه للنبوة في آخر القرن التاسع عشر الميلادي، فأنكرت طائفة القاديانية ختم النبوة بمحمد ﷺ، وحرفوا تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فقالوا: خاتم النبيين أي: زينة

---

(١) الحلولية: هم الذين يعتقدون أن الله تعالى حل بذاته في مخلوقاته، وأنه تعالى بذاته في كل مكان، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، والحلولية مذهب قديم موجود في معظم الديانات السابقة، ينظر: التنبيه والرد للملطي ص ٣٤، الفرق بين الفرق ص ٢٤١.

(٢) التناسخي: نسبة إلى القول بتناسخ الأرواح، وهي عقيدة إلحادية قديمة، تزعم أن روح الميت تنتقل بعد الموت من بدن إلى آخر، إنساناً أو حيواناً، وهي من عقائد الديانات الأخرى، وتسربت للعالم الإسلامي، ينظر: التنبيه والرد ص ٢٢، التبصير في الدين ص ١٣٦.

(٣) من ناط الشئ إذا علّقهُ، والمراد: أنه حرّف الأشياء التي علق الشارع الحكم عليها، ينظر: لسان العرب ج٧ ص ٤١٨ مادة (نوط)، الأقوال الشاذة ص ٣٤٥.

(٤) الاعتصام ج١ ص ٢٨٥.

النبيين، كما أن الخاتم زينة الإصبع!![1].

وقريب من هذه المزاعم، ادعاء بعض الرافضة أن الزمان لا يخلو من إمام معصوم يُوحى إليه، وهذا فيه إنكار لختم الوحي بكتاب الله الذي أنزله على محمد ﷺ.

والأمثلة كثيرة ومتنوعة على محاولات المتأخرين من أهل التحريف لتطويع الآيات لمبتدعاتهم، وهو يرجع كما سبق بيانه إلى أن المبتدعة هؤلاء لا يجدون قبولاً من المسلمين إن عارضوا القرآن صراحة وطالبوهم بالتخلي عنه، بل يأتونهم من باب التحريف الذي يلبسون به على الكثير من المسلمين، ليبدلوا دين الله.

[٩] ضياع خصوصية الإسلام وتمييع هوية المسلم:

أنزل الله تعالى أمة الإسلام منزلة عظيمة بين الأمم، وشهد لها بالخيرية، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقد أكسبها هذا مركز الريّادة بين الأمم، فالمكانة التي نالتها هذه الأمة إنما كانت من منهجها الأصيل، الذي تستمده من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبهذا قاد سلفنا الصالح زمام هذه الدنيا، وسادوا جميع الأمم لما حملوا هذا الدين وقاموا به كما أمرهم الله تعالى.

ولكن أهل التحريف حاولوا في القديم والحديث اقتحام خصوصية الدين الإسلامي، وخلطه بغيره من الأديان المحرّفة، مما كان له أثر قويٌّ في انهزام كثير من المسلمين وسيرهم وراء الحضارات الأخرى، وتمييع هويتهم، وتقليل اعتزازهم بدينهم، ممّا أحدث انفصالاً بين واقع المسلمين ومبادئ الإسلام.

---

(١) ينظر: القاديانية لإحسان إلهي ص ٢٨، ٢٩.

ومن الأمثلة على تلك التحريفات التي تسعى إلى طمس خصوصية الإسلام، ونزعها من نفوس المسلمين؛ دعوة التقريب بين الأديان(١).

ثالثاً: أثر التحريف على غير المسلمين:

لقد أرسل الله تعالى رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وختم به الرسل والرسالات، فأنزل عليه القرآن الكريم معجزة خالدة للناس أجمعين، وأمر الله تعالى في كتابه بالدخول في دين الإسلام، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وأمر رسوله ﷺ بالتبليغ والدعوة والجهاد لإعلاء هذا الدين، وقد تعبّد الله ﷻ المسلمين بالدعوة إلى الإسلام وبيان سماحته وصورته الوضاءة، وجهاد من يعوق ذلك، وقد صار التحريف في فهم كتاب الله تعالى وإحداث الخلافات، عثرة في طريق الدعوة إلى الإسلام.

فإن غير المسلمين حين يدعون إلى كتاب الله الذي ما فتئوا يسمعون عن إعجازه، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لكنهم حين يطلعون على شقاق الفرق الضالة، وما أحدثته من تحريفات في كتاب الله تعالى، سيكون له ردة فعل سلبية بسبب ذلك البون الشاسع بين ما يقوله المسلمون وبين واقعهم، فيرجعون لدعاة الإسلام متسائلين: إذا كان الإسلام بهذه الصورة الجميلة التي تقولون، فلماذا تختلفون في كتابكم، وتتفرق كلمتكم في فهمه، وتصل بكم الحال إلى هذا الذي نرى من الاختلاف والضعف والفرقة؟! وبذلك يقف التحريف وما يترتب عليه من خلاف حجر عثرة في طريق دعوة أولئك ودخولهم في الإسلام.

ويصير المحرفون فتنة للذين كفروا. كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الممتحنة: ٥].

---

(١) ينظر: تفصيل ذلك والرد على أصحاب هذه الدعوة عند آية ٦٢ من سورة البقرة في القسم التطبيقي من هذا الكتاب.

المبحث الثالث
حُكْم التحريف

التحريف بدعة يهذي بها كل ذي هوى؛ فهو لا ينشأ إلا عن هوى متّبع، لأن فاعله يتطلب الخروج من النصوص، حتى تؤيد ما هو عليه من رأي، فالتحريف إخبار بخلاف الحقيقة، وأحد مفردات الخيانة، وقد أجمع المسلمون على اختلاف مِللهم، وتَشَعُّب طوائفهم، ومذاهبهم على تحريم التحريف، لكن هذا الإجماع لم يكن يسلم إلا لأهل السنة والجماعة من ملة الإسلام، فإن بدعة التحريف يهودية المنشأ[(1)]، ثم صارت لدى النصارى، وقد ذمّهم الله تعالى في أكثر من موضع من كتابه المجيد على هذه الجريمة، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦]، ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ

(١) ينظر: تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء ص ٤١.

وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١]، وغيرها من الآيات.

واقتفى أثر محرّفة الكتاب من اليهود والنصارى؛ المنتسبون إلى الإسلام ظاهراً من المنافقين، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح: ١٥]، فالمنافقون أول من انقدحت فيهم شرارة التحريف في تفسير كتاب الله(١) تعالى، وحذت حذوهم الفرق المارقة المنتسبة إلى الإسلام ظاهراً، وغيرهم من الملاحدة والزنادقة، وأهل البدع من الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، وما من فرقة من هذه الفرق المخالفة والمنتسبة إلى الإسلام؛ إلا وقد ضربت بسهم وافر من التحريف، لصياغة ما ينتمون إليه من باطل(٢)، وبالتالي لم يسلم الإجماع على تحريم التحريف إلا لأهل السنة والجماعة(٣). وبالجملة فإن التحريف من كبائر الذنوب، وفيه وردت نصوص الوعيد بالعقوبة من الكتاب والسنة، وهو من أعظم الظلم، إذ فيه تقوّل على الله بغير علم، وكَذِب في العلم، قال تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى

---

(١) سبق تقرير هذا المعنى في مبحث نشأة التحريف، وهو أن التحريف انقدحت شرارته على يد المنافقين، وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ اليهودي، وظهرت آثار التحريف في أول انقسام في صف هذه الأمة على يد الخوارج ج١ ص ٤٦.

(٢) ينظر: تحريف النصوص ص ٤٩.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ٥٥.

ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الصف: ٧]، إلى غير ذلك من الوعيد الشديد على من تجرأ على الكذب على الله تعالى، والقول عليه بغير علم، قال عز من قائل: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٦٨].

وفي التحريف تُساق أحاديث وآثار الوعيد في الكذب على الله ورسوله ﷺ، والقول في القرآن بغير علم، ومنها قوله ﷺ: **(من قال في القرآن برأيه، أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار)**(١)، ومنها قوله ﷺ: **(من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)**(٢).

والآثار عن السلف الصالح في التحذير من جريمة التحريف كثيرة سبق التمثيل لها في أكثر من موضع(٣). ولا يقتصر خطر التحريف على الوقوع بكبيرة من كبائر الذنوب، بل إن من المحرّفين من تعدى ذلك إلى الوقوع بالكفر والخروج من دائرة الإسلام، كما نتج

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ج٥ ص ٣١ برقم ٨٠٨٥، البغوي في شرح السنة ج١ ص ٢٥٨ وقال: «هذا حديث حسن».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب ما يكره من النياحة على الميت، ج١ ص ٤٣٤ برقم ١٢٢٩.

(٣) ينظر: مبحث نشأة التحريف ص٥٧، ومبحث جهود العلماء في كشف التحريف ص٧٢.

عن تفاسير كثير من المارقين عن الإسلام، والملاحدة الزنادقة الذين أتوا بتفاسير محرفة كفَّرهم بها الأئمة، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها:

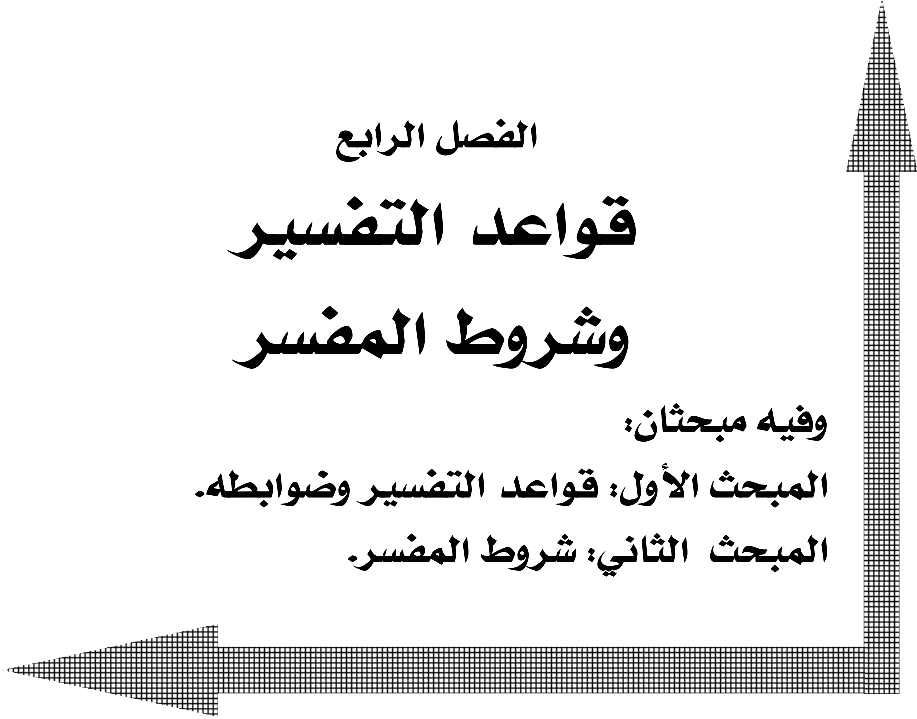
تفسيرات بعض الرافضة الغلاة الذين عصموا الأئمة، وجعلوهم فوق منزلة الأنبياء، بل إن بعضهم جعل من الأئمة آلهة، وكفَّروا الصحابة رضي الله عنهم، ومنهم من يقول بتحريف القرآن، وقد تناولوا تفسير كتاب الله تعالى بهذا الكفر الصريح، ونتج عنه من التحريفات ما أخرجهم عن دائرة الإسلام.

ومن الأمثلة على التحريف الذي يؤدي بصاحبه إلى الكفر إنكار أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، التي تفسّر الآيات، وتكذيبها، وادّعاء عدم الحاجة إليها، وتجد هذه التحريفات عند كثير من القرآنيين، الذين أنكروا السنة، وأرادوا فصل القرآن عنها. وغير ذلك من التحريفات التي تنطبق عليها ضوابط التكفير التي نص عليها الأئمة[(١)].

وخلاصة القول: إن التحريف حكمه يدور بين البدعة المفسقة، والبدعة المكفرة، التي تخرج صاحبها من الدين، فأقله كبيرة من كبائر الآثام والذنوب، وقد تصل إلى الشرك والكفر والعياذ بالله.

---

(١) ينظر: ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة لعبد الله القرني.



الفصل الرابع

قواعد التفسير
وشروط المفسر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: قواعد التفسير وضوابطه.

المبحث الثاني: شروط المفسر.

المبحث الأول
قواعد التفسير وضوابطه

لكل علم أصول، لا يحل لأحد القول في هذا العلم إلا بها، وللتفسير أصوله وضوابطه، التي تعين على فهم كتاب الله تعالى، ويجب مراعاتها، والتفريط بها من أهم أسباب التحريف، وفي مقابل التعريف بالتحريف ناسب التذكير بأهم هذه القواعد بإيجاز.

القواعد في اللغة والاصطلاح:

أولا: القواعد في اللغة:

جمع قاعدة، وهي الأصل والأساس، ومنها قاعدة البيت، أي: أساسه[(١)].

ثانياً: القواعد في الاصطلاح:

قال الجرجاني (ت: ٨١٦) في التعريفات: «القاعدة هي قضية كلية منطبقة على جميع جرئياتها»[(٢)]، وقال الفيومي: (ت: ٧٧٠) «إن القاعدة: الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته، ويرى أنها بمعنى الضابط»[(٣)].

وهناك تعاريف أخرى، لكن كل التعاريف تصف القواعد بالكلية التي تشمل على إحكام ما تحت موضوعها من جزئيات[(٤)].

وهنا يرد تساؤل، وهو: هل هناك فرق بين القواعد والضوابط؟

هناك من فرّق بينهما، فجعل القاعدة أوسع من الضابط[(٥)]، وهناك من جعلهما بمعنى واحد، ولا يرون مشاحة في الاصطلاح بينهما، كما سبق في كلام الفيومي صاحب المصباح المنير.

---

(١) ينظر: لسان العرب ج ٣ ص ٣٦٢ مادة (قعد)، القاموس المحيط ص ١٠٧٣ مادة (قعد)، المصباح المنير، ص ٢٦٣، مادة (قعد).

(٢) التعريفات ص ٢١٩.

(٣) المصباح المنير ص ٢٦٣ مادة (قعد).

(٤) ينظر: التيسير في قواعد علم التفسير للكافيجي ص ٢٢٠.

(٥) ينظر: قواعد التفسير للسبت ج ١ ص ٣١، ٣٢.

وعلى الرأي الأخير الذي يرى عدم التفريق بين القاعدة والضابط سأعوِّل فيما أذكره منهما، والذي ينظر في كثير من الكتب المصنفة في القواعد، حسب اصطلاح من فرق بينهما، يجدهم يذكرون الشروط ومعها ضوابط.

مصادر قواعد التفسير وضوابطه:

أول مصدر في هذه القواعد كتاب الله تعالى؛ فهو المصدر الأول للتفسير، ثم السنة ثاني المصادر، ثم أقوال الصحابة والتابعين؛ فلهم السبق في فهم كتاب الله عز وجل بما فضلهم الله به على غيرهم، ويرجع في ذلك أيضاً إلى كتب علوم القرآن، وأصول الفقه واللغة وبعض مقدمات التفاسير التي حوت على قواعد مهمة يذكرها أرباب هذا الفن.

ومن الكتب التي عنيت بالحديث عن قواعد التفسير وضوابطه، كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي، وكتاب الإتقان للسيوطي، والتيسير في قواعد علم التفسير للكافيجي، والقواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي وغيرها من الكتب، ومن الكتب التي خُصت بجمع ودراسة قواعد التفسير كتاب قواعد التفسير لخالد السبت، وهو من أهمها وأجمعها.

وهذه أهم القواعد التي يتعين مراعاتها والالتزام بها:

القاعدة الأولى: التفسير إما بنقل ثابت أو رأي صائب وما سواهما باطل[(١)]:

هذه قاعدة عظيمة تحفظ تفسير كتاب الله تعالى من التحريف، فإنها تتضمن كثيراً من قضايا التفسير التي تندرج تحتها، والحصر في هذه القاعدة هو من حيث الجملة، وإن كان الغلط يتطرق إلى كثير من الجزئيات المندرجة تحت هذا الأصل؛ فالكلام عن المسالك العامة التي يجب اتباعها، وليس عن الجزئيات الداخلة تحت هذه القاعدة، قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «والعلم إما نقل مُصَدَّق عن معصوم، وإما قول عليه دليل معلوم، وما سوى هذا فإمّا مزيف مردود، وإما موقوف، لا يعلم أنه بهرج ولا منقود»[(٢)].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ج ١٣ ص٣٦٣، البرهان للزركشي ج٢ ص١٧٥، إيثار الحق على الخلق ص١٦١، قواعد التفسير ج١ ص١٠٦.

(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ٤.

وتشمل هذه القاعدة التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، أما المأثور[١] فمن الطرق التالية:

١-تفسير القرآن بالقرآن، وهذا أول المصادر المعتمدة في التفسير.

٢- تفسير القرآن بالسنة، وهو ثاني المصادر بعد القرآن.

٣-تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، ويعتبر المصدر الثالث.

والترتيب السابق معتبر عند البحث عن تفسير آية ما؛ فإن وجد التفسير في القرآن فإنه أفضل ما يفسر كلام الله بكلامه تبارك وتعالى، وإن لم يوجد فالسنة ثاني مصادر التشريع الشارحة للقرآن، فإن لم يرد عن النبي ﷺ شيء في ذلك، فإن تفسير الصحابة والتابعين مقدم على غيرهم، وإجماعهم حجة كما سيأتي بيانه في القواعد القادمة، ثم إن لم ينقل عنهم في ذلك يكون الاجتهاد لمن كان أهلاً للقول في كتاب الله تعالى؛ وهذا هو التفسير بالرأي المحمود، فهو ما دل عليه دليل وتوافرت في قائله الأهلية لذلك[٢].

ويخرج من هذه القاعدة الآراء المذمومة والتحريفات التي لم ينزل الله بها من سلطان من نقل مصدق أو رأي محقق، وهي حال كثير من أقوال أهل البدع.

القاعدة الثانية: إذا عُرف التفسير من جهة النبي ﷺ فلا حاجة إلى قول من بعده[٣]:

والقرآن إنما نزل عليه ﷺ فهو مؤيد بالوحي، وما يبلغه لا يتطرق إليه الغلط، وتفسيره مقدم لا يلتفت إلى غيره، لذا كانت سنته شارحه للقرآن، وهي ثاني المصادر في تفسيره.

وتتبين أهمية هذه القاعدة بالنظر إلى تحريفات أهل البدع، الذين قدموا عقولهم على أقوال الشرع، فإنهم يتعدونها، وهي صريحة في معنى الآية، فيعارضونها بعقولهم القاصرة، فضلوا أيما ضلال، والأمثلة على ذلك كثيرة، بل غالب تحريفاتهم مثال على تفريطهم بهذه

---

(١) ينظر: مقدمة ابن تيمية ص٤، تفسير ابن كثير ج١ ص٧، التفسير والمفسرون للذهبي ج١ ص٤٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج١ ص٧٧، إعلام الموقعين ج ١ ص٨٥، التفسير والمفسرون ج١ ص٢٦٥.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ج ١٣ ص٣٦٣، تفسير ابن كثير ج ١ ص٧، البرهان للزركشي ج ٢ ص١٧٥، الموافقات ج ٣ ص ٣٦٩، الإتقان ج ٤ ص ١٧٤.

القاعدة العظيمة[١]، قال الشافعي (ت: ٢٠٤): «كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن»[٢].

وقال أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١): «السنة تفسر القرآن وتبينه»[٣] وينص شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨) على هذه القاعدة بقوله: «ومما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرُف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم»[٤].

القاعدة الثالثة: فهم السلف للقرآن حجة يحتكم إليه لا عليه:

يُعد تفسير الصحابة رضي الله عنهم ثالث مصادر التفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة، فلهم شرف الصحبة، وقد شاهدوا التنزيل، وعرفوا أحوال من نزل فيهم بالقرآن، وهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وأهل الفطرة اللغوية الصافية السليمة، وبالإضافة إلى ذلك اختصاصهم بالفضل هم والتابعون الذين تلقوا عنهم، وبذلك يكون للسلف من الصحابة والتابعين الفهم التام، والعلم؛ والعمل الصالح، والإخلاص فيه، ففهمهم عند إجماعهم حجة يحتكم إليه وتفسيرهم ثالث مصادر التفسير[٥].

وجميع التفاسير المبتدعة مخالفة لهذه القاعدة؛ إذ ليس لها وجود في أقوال السلف، بل هي تخالفها أو تزدريها، كما هو حال من يحارب التفسير بالمأثور، ويذمه تحت شعارات التجديد وذم التقليد وغيرها.

---

(١) ينظر: على سبيل المثال آية ٥٥، ٥٩ من سورة البقرة في القسم التطبيقي.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ج ١٣ص ٣٦٣.

(٣) ينظر: أحاديث في ذم الكلام وأهله لأبي الفضل المقرئ تحقيق ناصر الجديع ج ٢ ص ٥٩.

(٤) مجموع الفتاوى ج ٧ ص ٢٨٦.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى ج٦ ص ٥٧٤، إعلام الموقعين ج٤ ص ١١٨، الموافقات ج ٣ ص٤٠٤، البرهان للزركشي ج ٢ ص ١٥٦، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ج ٢ ص ٥٠٣، قواعد التفسير ج ١ ص ٢٠٦.

كل ما جمعته من ألفاظ محرفة المعنى، هي مثال على مخالفة تفسير السلف وابتداع ما ليس من الدين أصلاً، نتيجة لتعدي أقوالهم رضي الله عنهم؛ وقد عدّ شيخ الإسلام الإعراض عن تفسيرهم تحريف للكلم عن مواضعه، فقال: «من فسر القرآن أو الحديث، وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين؛ فهو مفتر على الله، ملحد في آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام»[1].

القاعدة الرابعة: كل معنى مستنبط من القرآن غير جارٍ على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شئ[2]:

هذه قاعدة عظمية مبناها أن القرآن نزل بلغة العرب، فيسلك في فهمه مسلك العرب في فهمهم واستنباطهم؛ فاللغة مصدر هام في فهم كتاب الله تعالى ولكنها لا تستقل به[3].

بهذه القاعدة يبطل كثير من تعسفات أهل التحريف، التي يتجلى فيها انعدام ضوابط التفسير، ومنها هذه القاعدة الهامة.

وأشهر الأمثلة على تعديهم لهذا الضابط تحريفهم لمعنى الاستواء بالاستيلاء، وهو مما لا تعرفه العرب من لغتها، وقد تمت دراسة هذا التحريف بشيء من التفصيل في القسم التطبيقي عند آية (٢٩) من سورة البقرة.

ومن المنحرفين عن هذه القاعدة أيضاً الباطنية والصوفية وغلاة الرافضة، الذين يبتدعون من التفسيرات الباطلة المتكلفة ما ينكره الشرع وتنكره اللغة[4].

---

(١) مجموع الفتاوى ج ١٣ ص ٢٤٣.

(٢) ينظر: الصواعق المرسلة ج ١ ص ١٩٠، الموافقات ج ٣ ص ٣٩١، التفسير اللغوي ص ٦١٨.

(٣) ينظر: قواعد التفسير ص ٢٢٤، التفسير اللغوي ص ٦١٨.

(٤) سبق التمثيل لها في أسباب التحريف ص١٨٩.

القاعدة الخامسة: الأصل حمل ألفاظ القرآن الكريم على ظاهرها إلا لدليل يصرفه عنه[(١)]:

يجب حمل ألفاظ القرآن الكريم على ظاهرها المتبادر منها مالم يدل دليل يوجب صرفها عن الظاهر، وفي هذه القاعدة يقول ابن جرير (ت: ٣١٠): «فمن ادَّعى في التنزيل ما ليس في ظاهره، كُلِّف البرهانَ على دعواه من الوجه الذي يجب التسليم له»[(٢)].

وفي تطبيق هذه القاعدة والتمسك بها، سد لباب التحريف عند أهل البدع والزندقة مثل غلاة الرافضة والباطنية وغلاة الصوفية وغيرهم ممن يزعم معانٍ باطنة يحرفون بها الآيات؛ والأمثلة على ذلك كثيرة سبق إيراد الكثير منها[(٣)].

القاعدة السادسة: كل عام يبقى على عمومه حتى يأتي ما يخصصه[(٤)]:

إذا كان النص القرآني عام فإنه يبقى على عمومه، ولا يلجأ إلى تخصيصه حتى يقوم دليل على ذلك، قال ابن جرير (ت: ٣١٠): «غير جائز ادعاء خصوصٍ في آية عام ظاهرها، إلا بحجة يجب التسليم لها»[(٥)].

ومن الأمثلة على التزامه بهذه القاعدة في تفسيره؛ قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد: ٣]: «والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا: إن الله أقسم بكل والد وولده، لأن الله عَمَّ كل والد وما ولد من غير جائز أن يخص ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل، ولا خبر بخصوص ذلك، ولا برهان يجب التسليم له بخصوصه،

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ج ٣ ص ٤٣، ج ٥ ص ١٦٤، البرهان للزركشي ج ٢ ص ١٦٧، الإتقان ج ٤ ص ٤٨٥، مذكرة في أصول الفقه ص ١٧٦، قواعد التفسير ج ٢ ص ٦٧٤.

(٢) تفسير الطبري ج ١٠ ص ٥٥.

(٣) ينظر: صور تحريف معنى الآية العام في مبحث تحريف معنى الآية العام من الفصل الثاني ص١٢٩.

(٤) الرسالة للشافعي ص ٢٩٥، المستصفى في علم أصول الفقه ص ٢٢٥، الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي ج ٣ ص ٢٩٣، الإتقان ج ٣ ص ٤٢، قواعد التفسير ج ٢ ص ٥٩٩، بحوث في أصول التفسير ومناهجه لفهد الرومي ص ١٣٦.

(٥) تفسير الطبري ج ٢ ص ٥٣٩.

فهو على عمومه كما عَمَّه»[(١)].

وهناك من خص الآية بتفسير الوالد والولد بآدم عليه السلام وما ولد، ومنهم من خصَّها بإبراهيم عليه السلام وما ولد، لكنه تخصيص بلا دليل، كما تعقبه ابن جرير في تفسيره.

وكثير من أهل التحريف يخصصون الآيات بلا دليل؛ وهم لا يكتفون بذلك، بل تخصيصهم لها يكون بمعنى باطل محرّف، مثل تخصيص غلاة الرافضة لكثير من الآيات بالإيمان بالأئمة، وغلاة الصوفية بالثناء على الأولياء[(٢)].

القاعدة السابعة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[(٣)]:

وهي قاعدة أصولية مشهورة، قررها علماء الأمة من مفسرين وأصوليين، قال شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨): «قصر عمومات القرآن على أسباب نزولها باطل، فإن عامة الآيات نزلت بأسباب اقتضت ذلك، وقد علم أن شيئا منها لم يقصر على سببه»[(٤)].

وقال عبد الرحمن السعدي (ت: ١٣٧٦): «وهذه القاعدة نافعة جداً، بمراعاتها يحصل للعبد خير كثير، وعلم غزير، وبإهمالها وعدم ملاحظتها يفوته علم كثير، ويقع في الغلط والارتباك الخطير، وهذا الأصل اتفق عليه المحققون من أهل الأصول وغيرهم»[(٥)].

ومن الأمثلة على تطبيق هذه القاعدة ما رواه الطبري (ت: ٣١٠) في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، عن محمد بن كعب القرظي (ت: ١٠٨) أنه قال: «إن الآية تنزل

---

(١) تفسير الطبري ج ٢٤ ص ٤٣٣.

(٢) ينظر: على سبيل المثال آية (٦) من سورة الفاتحة، وآية (٣) من سورة البقرة وغيرها.

(٣) ينظر: الفروق للقرافي ج ١ ص ١٨٠، الفروع لابن مفلح ج ٦ ص ٣٢١، البرهان للزركشي ج ١ ص ٣٢، الإتقان للسيوطي ج ٢ ص ٣٥٢.

(٤) مجموع الفتاوى ج ١٥ ص ٣٦٤.

(٥) القواعد الحسان في تفسير القرآن للسعدي ص ٩.

في الرجل ثم تكون عامة بعدُ»(١)، وقد نزلت هذه الآية في الأخنس بن شريق(٢).

القاعدة الثامنة: اختلاف القراءات في الآية يعدد معانيها(٣):

إذا ثبتت القراءات واختلف المعنى في كل قراءة؛ فإن الآية تدل على كل المعاني التي دلت عليها القراءات، فهو بمنزلة تعدد الآيات.

قال شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨): «فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً، لا يجوز ترك موجب أحدهما لأجل الأخرى، ظناً أن ذلك تعارض»(٤).

ومثال ذلك قول ابن القيم (ت: ٧٥١): في معنى صد من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[غافر: ٣٧]، يقول: «وأما الصد: فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ قرأ أهل الكوفة على البناء للمفعول حملاً على ﴿زُيِّنَ﴾، وقرأ الباقون: وصَدَّ، بفتح الصاد، ويحتمل وجهين: أحدهما: أعرض، فيكون لازماً، والثاني: يكون صد غيره، فيكون متعدياً، والقراءتان كالآيتين لا يتناقضان»(٥).

والأمثلة على تنوع القراءات وتعدد المعاني كثيرة وظاهرة، لا تحتاج لمزيد تمثيل.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج ٤ ص ٢٣٢.

(٢) الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج الثقفي، اسمه أُبي، ويكنى أباثعلبة وهو حليف بني زهرة، وإنما لقب الأخنس لأنه رجع ببني زهرة من بدر لما جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعير فقيل خنس الأخنس ببني زهرة فسمي بذلك، ثم أسلم الأخنس فكان من المؤلفة وشهد حنيناً، ومات في أول خلافة عمر، ينظر: طبقات ابن سعد ج ٢ ص١٤، المنتظم ج ٤ ص١٥٢، الإصابة ج ١ ص٣٨.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ج ١٣ ص ٣٩١، البرهان للزركشي ج ١ ص ٣٢٦، الإتقان ج ١ ص ٢١٨، قواعد التفسير ج ١ ص ٨٨ تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه لعلي العبيد ص ١٢٧.

(٤) مجموع الفتاوى ج ١٣ ص ٣٩١.

(٥) شفاء العليل ص ٩٦.

القاعدة التاسعة: إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها[(١)]:

قرر العلماء المحققون وجوب قبول القراءة إذا توفر لها الأركان والشروط المثبتة، قال ابن الجزري (ت: ٨٣٣) في كتابه النشر في القراءات العشر: «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها»[(٢)].

وقد أوقع التفريط بهذه القاعدة بعض المفسرين بأخطاء فاحشة، ردّوا بها القراءة الثابتة، ومنهم من حَكَّم اللغة على القراءة المتواترة[(٣)].

القاعدة العاشرة: إذا احتمل اللفظ وجوهاً متعددة، ولا مانع من إرادة الجميع ساغ حمله عليها[(٤)]:

يقول الزركشي (ت: ٧٩٤) متحدثاً عن اللفظ إذا دل على معنيين: «الضرب الثاني: أن لا يتنافيا اجتماعاً، فيجب الحمل عليهما عند المحققين، ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة، وأحفظ في حق المكلف، إلا أن يدل دليل على إرادة أحدهما»[(٥)].

وفي تطبيق هذه القاعدة يقول الشنقيطي (ت: ١٣٩٣): «وربما كان في الآية الكريمة أقوال كلها حق، وكل واحد منها يشهد له قرآن، فإنا نذكرها ونذكر القرآن الدال عليها، من غير تعرض لترجيح بعضها؛ لأن كل واحد منها صحيح»[(٦)].

---

(١) ينظر: البرهان للزركشي ج١ ص٣٣١، النشر في القراءات العشر ج ١ ص١٩، التحرير والتنوير ج ١ ص٥٩، مناهل العرفان ج ١ ص٢٨٩، مذكرة في أصول الفقه ص٥٧، قواعد التفسير ج ١ ص٨٤.

(٢) النشر ج ١ ص ١٩.

(٣) ينظر: تفصيل ذلك عند آية (١٧٧) من سورة البقرة في القسم التطبيقي.

(٤) ينظر: النكت والعيون للماوردي ج ١ ص ٤٠، مجموع الفتاوى ج ١٥ ص ١٠، ١١، بدائع الفوائد لابن القيم ج ٢ ص ٢١٩، البرهان للزركشي ج ٢ ص ١٦٨، ٢٠٧، قواعد التفسير ج ٢ ص ٨١٩، تفسير القرآن أصوله وضوابطه ص ١٢٨.

(٥) البرهان ج ٢ ص ١٦٨.

(٦) أضواء البيان ج ١ ص ٢٠.

ومثال احتمال اللفظ وجوهاً متعددة؛ (الدلوك) في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، فُسِّر (الدلوك) بالزوال، وفُسِّر بالغروب، واللفظ يتناولهما معاً، فإن الدلوك هو الميل، ودلوك الشمس ميلها، ولهذا الميل مبتدأ ومنتهى، فمبتدأه الزوال، ومنتهاه الغروب، واللفظ متناول لهما بهذا الاعتبار[١].

القاعدة الحادية عشرة: في تفسير القرآن بمقتضى اللغة يراعى المعنى الأغلب والأشهر والأفصح دون الشاذ أو القليل[٢]:

يمتنع تفسير القرآن بالشاذ أو القليل من لغة العرب؛ لأنه نزل بأفصحها وأشهرها وأفضلها وأبينها، قال الطبري (ت: ٣١٠): «غير جائز أن نحمل معاني كتاب الله على غير الأغلب المفهوم بالظاهر من الخطاب في كلام العرب، ولنا إلى حمل ذلك على الأغلب من كلام العرب سبيل»[٣].

ومن الأمثلة على هذه القاعدة: في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، ذُكر عن قتادة (ت: ١١٧) في معناها: «إلا أن تكون بينك وبينه قرابة، فتصله لذلك»[٤].

وقال الحسن البصري (ت: ١١٠) في معناها: «صاحبهم في الدنيا معروفاً: الرحم وغيره، أما في الدين فلا»[٥].

ويطبق ابن جرير (ت: ٣١٠) هذه القاعدة في تفسيره للآية، فيقول: «وهذا الذي قاله قتادة تأويل له وجه، وليس بالوجه الذي يدل عليه ظاهر الآية؛ فالأغلب من معاني هذا الكلام إلا أن تخافوا منهم مخافة.

(١) ينظر: تفسير الطبري ج ١٧ ص٥١٩، مجموع الفتاوى ج ١٥ ص١١، بدائع الفوائد ج ٢ ص٢١٩.
(٢) ينظر: تفسير الطبري ج ٢٤ ص١٦٤، البرهان للزركشي ج ١ ص٥٦، ٦٠، التحرير والتنوير ج ٣٠ ص٣٧، قواعد التفسير ج ١ ص ٢١٣، بحوث في أصول التفسير ص ١٤٢.
(٣) تفسير الطبري ج ٨ ص ٥٧٨.
(٤) تفسير الصنعاني ج ١ ص ١١٨، تفسير الطبري ج ٦ ص ٣١٦.
(٥) تفسير الطبري ج ٦ ص ٣١٦.

فالتقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار لا من غيرهم، ووجهه قتادة إلى أن تأويله: إلا أن تتقوا الله من أجل القرابة التي بينكم وبينهم تقاة، فتصلون رحمها، وليس ذلك الغالب على معنى الكلام، والتأويل في القرآن على الأغلب الظاهر من معروف كلام العرب المستعمل فيهم»(١).

ومن الأمثلة أيضاً قوله أيضاً في معنى (خلاق) من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فبعد أن ذكر أقوال العلماء في معنى ﴿خَلَـٰقٍ﴾ قال: «وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى الخلاق في هذا الموضع: النصيب، وذلك أن ذلك معناه في كلام العرب»(٢).

القاعدة الثانية عشرة: تقديم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي(٣):

إذا كان للآية معنيان أو أكثر: أحدهما لغوي والآخر شرعي، واختلف المعنيان؛ قُدِّم المعنى الشرعي لأن القرآن الكريم نزل لبيان الشرع، إلا أن تدل قرينة على إرادة المعنى اللغوي(٤)، فمثال ما قدم فيه المعنى الشرعي: قوله تعالى في المنافقين: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤]، فالصلاة لها معنيان لغوي؛ وهو الدعاء، وشرعي، وهو هنا صلاة الجنازة، فيقدم المعنى الشرعي لأنه المقصود للمتكلم المعهود للمخاطب(٥).

(١) تفسير الطبري ج ٦ ص ٣١٦.

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٥٢، ٤٥٣.

(٣) ينظر: البرهان للزركشي ج ٢ ص ١٦٧، الإتقان ج ٤ ص ٤٨١، كتاب الكليات للكفومي ص٨٤٧، مناهل العرفان ج ٢ ص ١٠، ٤٥.

(٤) بحوث في أصول التفسير ص ٢٩.

(٥) ينظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ٤٠٥ - ٤١٠، تفسير البغوي ج ٤ ص ٨١، تفسير القرطبي ج ٨ ص ٢١٦.

ومثال ما قدم فيه المعنى اللغوي لقرينة: قوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [التوبة: ١٠٣]، فالمراد بالصلاة هنا الدعاء[١]، بدليل حديث مسلم (ت: ٢٦١): كان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: (**اللهم صلِّ عليهم**)[٢].

القاعدة الثالثة عشرة: مراعاة السياق القرآني[٣]:

هذه قاعدة مهمة يجب للمفسر مراعاتها، والإخلال بها يوقع في أخطاء كبيرة، وقد تجاهل كثير من أهل التحريف هذه القاعدة، وكان من طرق تحريفهم المشهورة بتر النصوص وانتزاع الآية من سياقها القرآني، لتقرير معنى باطل لا يدل عليه السياق الذي هرب منه المحرّف، فهذه القاعدة جليلة تمنع المفسر من الخطأ والتحريف، وقد تقدم أمثلة انتزاع أهل التحريف للألفاظ والآيات من سياقها، وتحريف معناها بعيداً عن سياقها الذي يبطله في مبحث تحريف معنى الآية العام.

ومرّ أيضاً بعض أقوال العلماء في أهمية مراعاة السياق[٤]، وإن اقتطاع الكلام من سياقه من فعل أهل البدع.

ومن الأمثلة التي يتجلى فيها أهمية السياق في فهم الآية، تفسير الطبري (ت: ٣١٠) لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]، بقوله: «وقد زعم بعض الزاعمين أن قوله: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ﴾ يعني به الشياطين، وأن قوله: ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ يعني به الناس، وذلك

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ٤٥٤، تفسير البغوي ج ٤ ص ٩١، تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٤٧٨، فتح القدير ج ٢ ص ٣٩٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة، كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقةٍ، ج ٢ ص ٧٥٦ برقم ١٠٧٨.

(٣) ينظر: بدائع الفوائد ج ٤ ص ٨١٥، البرهان ج ٢ ص ٢٠٠، الإتقان ج ٤ ص ٤٨٤، بحوث في أصول التفسير ص ١٤٠، الأقوال الشاذة ص ٢٧٥.

(٤) ينظر: مبحث تحريف معنى الآية العام ص ١٢٩.

قول لجميع أهل التأويل مخالف. وذلك أنهم مجمعون على أن قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ ﴾ معنيٌّ به اليهود دون الشياطين: ثم هو – مع ذلك – خلاف لما دلَّ عليه التنزيل، لأن الآيات قبل قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ ﴾ وبعده قوله: ﴿ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ جاءت من الله بذم اليهود وتوبيخهم على ضلالهم، وذماً لهم على نبذهم وحي الله وآيات كتابه وراء ظهورهم مع علمهم بخطأ فعلهم. فقوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أحد تلك الأخبار عنهم»[١].

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ [البقرة: ١٢١] نقل الطبري (ت: ٣١٠) عن قتادة (ت: ١١٧) قوله: «هؤلاء أصحاب النبي ﷺ»[٢]، وروى عن غيره أنهم علماء بني إسرائيل الذين اتبعوا محمداً ﷺ»، ثم رجح القول الثاني، فقال: «وهذا القول أولى بالصواب من القول الذي قاله قتادة، لأن الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتابين وتبديل من بدّل منهم كتاب الله، وتأولهم إياه على غير تأويله وادعائهم على الله الأباطيل، ولم يجد لأصحاب محمد ﷺ في الآية التي قبلها ذكر.... ولا لهم بعدها ذكر في الآية التي تتلوها»[٣].

القاعدة الرابعة عشرة: لا زائد في القرآن[٤]:

القرآن الكريم كلام الله تعالى، وهو منزه عن الحشو والإطالة، وليس فيه حرف زائد، لأن هذا الأمر يناقض بلاغته وفصاحته، والزيادة تدل على ضعف في الكلام، ومن هنا لا يجوز إطلاق الزيادة على شئ من كلام الله ﷻ.

---

(١) تفسير الطبري ج ٢ ص ٤٥٦.

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٥٦٤.

(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ٥٦٥

(٤) ينظر: تفسير الطبري ج ١ ص ٢٢٤، حادي الأرواح ص ٣٨، بدائع الفوائد ج ٢ ص ٣٨٠، البحر المحيط في أصول الفقه ج ١ ص ٣٧١، والبرهان له ج ٢ ص ٣٩٢، التحبير شرح التحرير للمرداوي ج ١ ص ٣٧٨، الكليات ص ٩٩٧، قواعد التفسير ج ١ ص٣٦٠.

والذي عليه المحققون منع إطلاق الزيادة على شيء من كلامه تعالى، ولا تخلو الأحرف التي يصفها البعض بالزيادة؛ لا تخلو من الفائدة؛ مثل التوكيد، قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «ولا يذكر فيه لفظاً زائداً إلا لمعنى، وإن كان في ضمن ذلك التوكيد، وفيما يجيء من زيادة اللفظ في مثل قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، وقوله: ﴿قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، فالمعنى مع هذا أزيد من المعنى بدونه، فزيادة اللفظ لزيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى»(١).

ومثاله: قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، قال ابن جرير (ت: ٣١٠): «وقوله: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ عطف على قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وإنما عطف قوله: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى﴾ على قوله: ﴿إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ بمعنى: هل رأيت يا محمد كالذى حاج إبراهيم في ربه؟ ثم عطف عليه بقوله: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ لأن من شأن العرب العطف بالكلام على معنى نظير له قد تقدمه، وإن خالف لفظه لفظه، وقد زعم بعض نحوي البصرة أن الكاف في قوله: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ زائدة؛ وأن المعنى: ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم أو مرّ على قرية.

وقد بينا قبل فيما مضى أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله شيء لا معنى له»(٢).

القاعدة الخامسة عشرة: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى(٣):

هذه القاعدة تشترك مع التي قبلها في منع إطلاق الزيادة في كلام الله المعجز الذي بلغ أعلى درجات البلاغة والفصاحة؛ وكل زيادة في مبنى اللفظ تدل على زيادة في المعنى.

---

(١) مجموع الفتاوى ج ١٦ ص ٥٣٧.

(٢) تفسير الطبري ج ٢ ص ٤٠٠.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ج١٦ ص٥٣٧، البرهان للزركشي ج٣ ص٣٤، ٣٥، البحر المحيط له ج٢ ص٦٣، تفسير ابن عاشور ج١ ص٧١، ج٧ ص٩٧، مناهل العرفان ج١ ص١٠٤، ٢٥٨.

ومن الأمثلة التي تتجلى فيها هذه القاعدة:

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤٢] فقوله: مقتدر أبلغ من قادر، لدلالته على أنه قادر متمكن القدرة، لا يرد شئ عن اقتضاء قدرته(١).

وقال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فقوله: ﴿كَسَبَتْ﴾ أي: من الخير، وقوله: ﴿اكْتَسَبَتْ﴾ أي: من الشر، بدليل قوله في الموضع الأول: لها، وفي الموضع الثاني: عليها.

والشاهد هو قوله: ﴿اكْتَسَبَتْ﴾؛ حيث زاد في تركيب الكلمة، قال بعض العلماء: لأنه لما كانت السيئة ثقيلة، وفيها تكلف زيد في لفظ فعلها(٢).

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾ [الشعراء: ٩٤]، ولم يقل: فكبوا، والكبكبة: تكرير الكب، فجعل التكرير في اللفظ تكرير في المعنى.

وقال بعضم: ينكب في جهنم مرة بعد أخرى، حتى يستقر في قعرها(٣).

القاعدة السادسة عشرة: إذا كان في الآية ضمير يحتمل عوده إلى أكثر من مذكور، وأمكن الحمل على الجميع حُمل عليه(٤):

من أوجه الإعجاز في معاني القرآن ومبانيه؛ اشتماله على معاني كثيرة ومتعددة في ألفاظ قليلة، فإذا جاءت معانٍ متعددة وصحيحة فلا مانع من حمل الكلام عليها، ولا يُقتصر على أحدها بدون دليل.

---

(١) ينظر: جامع الأصول لابن الأثير الجزري ج ٤ ص ١٨١، البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٣٤، التبيان في تفسير غريب القرآن لشهاب الدين أحمد المصري ص ٦٥، الإتقان ج ٣ ص ٢٣٧، تفسير ابن عاشور ج ٢٧ ص ٢٢٦.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج ٦ ص ١٣١، البرهان للزركشي ج ٣ ص ٣٤.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ج١٩ ص٣٦٧، تفسير القرطبي ج١٣ ص١١٦، البرهان للزركشي ج٣ ص٣٤.

(٤) ينظر: الصواعق المرسلة ج ٤ ص ١٣٧٢، قواعد التفسير ج ١ ص ٤٠٠.

مثاله: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، فالضمير في قوله: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ قيل: راجع إلى ﴿رَبِّكَ﴾ أي تلاقي ربك، وقيل: راجع إلى الكدح، أي: تلاقي عملك(١) والمعنيان صحيحان، فإن العبد ملاق ربه وعمله.

وقد أخرج الصنعاني (ت: ٢١١) في تفسيره عن قتادة (ت: ١١٧) في قوله: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا﴾ قال: «عامل له عملاً»(٢).

وعن الضحاك (ت: ١٠٢) قال: «عامل إلى ربك عملاً»(٣).

وعن ابن عباس (ت: ٦٨) قال: (عامل عملاً). فملاقيه قال: (ملاق عملك)(٤).

وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤): «وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ أي: إنك ساعٍ إلى ربك سعياً وعامل عملاً ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾، ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر، ويشهد لذلك ما رواه أبوداود الطيالسي عن جابر قال: قال: رسول الله ﷺ: (**قال جبريل عليه السلام: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه**)(٥)، ومن الناس من يعيد الضمير على قوله: ربك. أي: فملاق ربك، ومعناه: فيجازيك بعملك ويكافئك»(٦).

---

(١) ينظر: تفسير الصنعاني ج٣ ص٣٥٨، معاني القرآن للزجاج ج٥ ص٣٠٤، الدر المنثور ج٨ ص٤٥٦.

(٢) تفسير الصنعاني ج ٣ ص ٣٥٨، الدر المنثور ج ٨ ص ٤٥٦.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ج ٧ ص ٢٢٠ برقم ٣٥٤٩٨، والطبري في تفسيره ج ٢٤ ص ٣١٢، والسيوطي في الدر النثور ج ٨ ص ٤٥٦.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ج ٢٤ ص ٣١٢، الدر المنثور ج ٨ ص ٤٥٦.

(٥) أخرجه الطيالسي في مسنده ص ٢٤٢ برقم ١٧٥٥، الطبراني في الأوسط ج ٤ ص ٣٠٦، برقم ٤٢٧٨، الحاكم في المستدرك ج ٤ ص ٣٦٠ برقم ٧٩٢١.

(٦) تفسير ابن كثير ج ٨ ص ٣٥٦.

القاعدة السابعة عشرة: إذا كان للاسم الواحد معانٍ عدة، حُمِلَ في كل موضع على ما يقتضيه ذلك السياق[(١)]:

ومن الأمثلة على تطبيق هذه القاعدة:

لفظ (الأمة) جاء في القرآن بأكثر من معنى، والذي يحدده في كل مرة سياق الآيات، ففي قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣]، فإن أمة تعني: الملة والدين[(٢)]. وفي قوله تعالى: ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعۡدُودَةٍ﴾ [هود: ٨] أي: إلى أجل معدود[(٣)].

وأما قوله تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]، أي: بعد حين[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠]، أي: إماماً مطيعاً لله ومعلم الناس الخير[(٥)]. وقوله تعالى: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٌ قَدۡ خَلَتۡ﴾ [البقرة: ١٤١] أي: جماعة[(٦)].

ومثلها قوله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٌ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤][(٧)].

وغيرها من الأمثلة التي يطول إحصاؤها، قال ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠): «...كما جاز أن تكون كلمة واحدة تشتمل على معان كثيرة مختلفة، كقولهم للجماعة من الناس ﴿أُمَّةٌ﴾، وللحين من الزمان ﴿أُمَّةٌ﴾، وللرجل المتعبد المطيع لله ﴿أُمَّةٌ﴾، وللدين والملة ﴿أُمَّةٌ﴾.

وكقولهم للجزاء والقصاص (دين)، وللسلطان والطاعة (دين)، وللتذلل (دين) وللحساب (دين) في أشباه لذلك كثيرة، يطول الكتاب بإحصائها، مما يكون من الكلام

---

(١) ينظر: النكت والعيون ج ١ ص ٤٠، نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ص ١٤٣، البرهان للزركشي ج٢ ص١٨٦، قواعد التفسير ج١ ص٤٢٢، تفسير القرآن أصوله وضوابطه ص١٢٨.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج٤ ص٢٧٦، تفسير البغوي ج٣ ص٦٦، تفسير القرطبي ج٣ ص٣٠.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ج١٥ ص٢٥٢، تفسير البغوي ج٤ ص١٦٣، تفسير ابن كثير ج٤ ص٣٠٨.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ج١٦ ص١٢٠، تفسير القرطبي ج٢ ص١٢٧، تفسير ابن كثير ج٤ ص٣٠٨.

(٥) ينظر: تفسير الطبري ج ٤ ص ٢٧٦، تفسير البغوي ج ٥ ص ٥٠.

(٦) ينظر: تفسير الطبري ج ٢ ص ١٢٨، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٤٨.

(٧) ينظر: تفسير الطبري ج ٧ ص ٩٠.

بلفظ واحد، وهو مشتمل على معانٍ كثيرة»[١].

القاعدة الثامنة عشرة: الأمر المطلق يقتضي الوجوب إلا لصارف[٢]:

إذا تجردت صيغة الأمر المطلق عن القرائن فإنها تفيد الوجوب، وهذا ما عليه عامة أهل العلم سلفاً وخلفاً.

أما إذا وجدت القرينة الصارفة لمعنى آخر غير الوجوب، فإنه يحمل على ذلك المعنى الذي دلت القرينة على إرادته؛ وتعُرف بحسب القرائن ومحلها كتب الأصول[٣].

مثال الأمر المجرد عن القرائن:

- قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦].

- قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النور: ٥٦].

فهذا كله محمول على الوجوب[٤].

ومثال الأمر المصروف عن الوجوب لقرينة:

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْ﴾ [المائدة: ٢] فالأمر هنا للإباحة، لأن الصيد إنما حُرّم حالة الإحرام، وفي الحلِّ إن شاء اصطاد وإن شاء لم يفعل[٥].

ومثله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، فالأمر للإباحة، وإنما حرّم البيع وقت النداء للصلاة[٦].

---

(١) تفسير الطبري ج ١ ص ٢٢١.

(٢) ينظر: المحلى لابن حزم ج ٩ ص ٨٢، المغني ج ٨ ص ٢٠٣، الإحكام للآمدي ج ٣ ص ١٤٢، مجموع الفتاوى ج ٢٢ ص ٥٢٩، بدائع الفوائد ج ٤ ص ٣، نيل الأوطار ج ٦ ص ٩٢، فيض القدير للمناوي ج ٤ ص ٢٠٢، قواعد التفسير ج ٢ ص ٤٧٧.

(٣) ينظر: الإحكام لابن حزم، الإحكام للآمدي ج ٢ ص ٣٥٤، إرشاد الفحول ص ٩٧، بالإضافة على المراجع السابقة.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ج ١ ص ٥٧٣، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٤٥.

(٥) ينظر: تفسير الطبري ج ٩ ص٤٨٢، تفسير القرطبي ج٦ ص٤٤، الدر المنثور ج٣ ص١٠.

(٦) ينظر: تفسير الطبري ج ٢٣ ص ٣٨٥، تفسير ابن كثير ج ٨ ص ١٢٤.

القاعدة التاسعة عشرة: النهي يقتضي التحريم والفساد والفور والدوام إلا لقرينة:

النهي يقتضي التحريم، وهذا هو الأصل الذي دل عليه النقل واللغة، وهو المختار عند المحققين من العلماء(١).

قال النووي (ت: ٦٧٦): «النهي يقتضي التحريم على المختار عند المحققين والأكثرين من أهل الأصول»(٢).

قال ابن حجر (ت: ٨٥٢): «فكما أن النهي يقتضي التحريم، فكذلك يقتضي الفساد»(٣).

وقال أيضاً: «النهي يقتضي الاستمرار»(٤).

وأمثلته النهي عن الشرك في كثير من الآيات؛ مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦]، وغيرها من الآيات.

والنهي عن الغيبة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢].

وغيرها من الأمثلة في كثير من المحرمات.

---

(١) ينظر: الإحكام لابن حزم ج ١ ص ٢٥٩، المستصفى ص ٢٠٤، الإحكام للآمدي ج ٢ ص ١٧٤، بدائع الفوائد ج٤ ص٣، البحر المحيط للزركشي ج٢ ص١٥٣، ١٥٤، إرشاد الفحول ص١٠٩، ١١٠، قواعد التفسير ج ٢ ص ٥٠٩، تفسير القرآن أصوله وضوابطه ص ١٤٠.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٢ ص ١٢.

(٣) فتح الباري ج ٩ ص ٣٥٤.

(٤) المرجع السابق ج ١٠ ص ٢٦.

القاعدة العشرون: الأصل إبقاء المطلق على إطلاقه حتى يرد ما يقيده[(١)]:

الأصل أن اللفظ إذا ورد في نص من النصوص مطلقاً يبقى على إطلاقه، ولا يحق لأحد تقييده من غير دليل، وهذه القاعدة عظيمة تمنع كثيراً من تحكمات المحرفين لكتاب الله تعالى.

مثاله: قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فقوله: ﴿ مِّنْ أَيَّامٍ ﴾ يدل على أن القضاء على التخيير بين التفريق والتتابع، لأن اللفظ مطلق ولم يرد ما يقيده، وعليه فيبقى النص على إطلاقه، ومن اشترط التتابع فاشتراطه مرجوح[(٢)].

وبعد فهذه بعض القواعد التي ينبغي مراعاتها وإدراكها.

(١) ينظر: المستصفى ص ٢٦٢، الإحكام للآمدي ج ٣ ص ٤، روضة الناظر ج ٢ ص ١٩٢، البحر المحيط للزركشي ج ٣ ص ٤١٦، البرهان له ج ٢ ص ١٥، مذكرة في أصول الفقه ص ٢٣٢، قواعد التفسير ج ٢ ص ٦٢١.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي ج ٢ ص ٢٨٢، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٠٤.

المبحث الثاني
شروط المفسر

لا ريب أن التصدي لتفسير كلام الله تعالى يتطلب شروطاً لابد من توفرها في المفسر؛ لأن التعرض لكلام الله وفهم مراده أمر في غاية الأهمية، والخطورة أيضاً، فالقرآن الكريم دستور هذه الأمة، والتحريف في تفسيره؛ انحراف لها عن الطريق المستقيم، وهذا ما يحصل حين يقتحم تفسير كتاب الله تعالى من ليس أهلاً له؛ فإنه ولا بد سيقع في التحريف، وإذا كان لكل علم شروط يجب توافرها لمن يتصدر له؛ فإن التفسير يأتي على رأسها، وقد وضع العلماء شروطاً وآداباً للمفسر في أخلاقه لتحمل الأمانة العلمية، وفي علمه الذي يؤهله للقول في كتاب الله تعالى، وفيما يلي أهم تلك الشروط والآداب[1]:

[١] **صحة المعتقد:**

فإن العقيدة لها أثراً عظيما في سلامة التفسير من التحريف، وقد خلصت من هذا البحث أن التحريف في العقيدة أوسع وأخطر مجالات التحريف عند المفسر، فتتلاعب به الأهواء، وكل ما سنحت له فرصة في ليّ أعناق النصوص لتوافق عقيدته لا يألو جهداً في ذلك؛ ومن هنا اشترط العلماء في المفسر أن يكون أولاً وقبل كل شئ صحيح المعتقد.

---

(١) مختصرة من: فضائل القرآن لأبي عبيد ج ١ ص ٣٣٢، ٣٣٣، فضائل القرآن للفريابي ص ١٦٨، فضائل القرآن للنسائي ص١٢٥، ١٣١، تفسير الطبري ج١ ص٩٣، ٩٤، المحرر الوجيز ج١ ص٤١، تفسير القرطبي ج ١ ص ٢٠، التبيان في آداب حملة القرآن من ١٧ حتى ٢٤، مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٣٥، تفسير ابن كثير ج ١ ص ١١، البرهان للزركشي ج ٢ ص ١٨٠، الإتقان ج٤ ص٤٦٧، الموافقات ج٢ ص١٠٢، التيسير للكافيجي ص١٤٦، أبجد العلوم ج ٢ ص١٧٥، فضائل القرآن لمحمد بن عبد الوهاب ص ١٨، ٢٠، ٢٨، مناهل العرفان ج ٢ ص ٧٣، التفسير والمفسرون ج ١ ص ٤١، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٢٩٩، ٣٠٠، المفسر شروطه، آدابه، مصادره لأحمد سهيل ص ١١٢.

قال أبوطالب الطبري[١] في أوائل تفسيره: «القول في آداب المفسر: اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أولاً، ولزوم سنة الدين، فإن كان مغموصاً عليه في دينه، لا يؤتمن على الدنيا، فكيف على الدين، ثم لا يؤتمن من الدين على الأخبار عن عالم، فكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى، ولأنه لا يؤمن إن كان متهماً بالإلحاد أن يبغي الفتنة ويغُر الناس بِليِّه وخداعه، كدأب الباطنية وغلاة الرافضة، وإن كان متهماً بهوىً لم يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته، كدأب القدرية، فإن أحدهم يصنف الكتاب في التفسير ومقصوده منه الإيضاع خلال المساكين، ليصدهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى»[٢].

وفي القسم التطبيقي لدراسة الألفاظ التي حرّفت معانيها أمثلة كثيرة حمل فيها المفسر الآية على معتقده الباطل بتعسف وتكلف، وفي مثل هذا التحريف يقول شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨) بعد ذكر بعض تفاسير أهل البدع: «والمقصود أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا أئمة التفسير لا في رأيهم ولا في تفسيرهم»[٣].

[٢] التجرد عن الهوى:

اتباع الهوى مانع صاد عن الوصول إلى الحق في فهم كتاب الله تعالى، بل إن الهوى يحمل صاحبه على نصرة مذهبه ولو كان خلاف الحق، ويرغم الآيات للانتصار على خصمه، فيميل مع الأهواء والآراء والمذاهب، فيفسر القرآن بمجرد الرأي، وهو محرم، آثم فاعله؛ بل يتبوأ مقعده من النار، وقد سبق الكثير من الأحاديث في حكم التحريف، تدل على حرمتة الشديدة.

فعلى المفسر أن يتجرد عن الهوى، والرأي المذموم، ويلزم سبيل السنة والاتباع، قال أبو طالب الطبري: «ومن شرطه صحة المعتقد فيما يقول ليلقى التسديد، فقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] وإنما يخلص له القصد إذا زهد في

---

(١) لم أعثر على ذكر له فيما بين يدي من مراجع.

(٢) الإتقان ج ٤ ص ٤٦٧.

(٣) مقدمة في أصول التفسير ص ٣٥، ٣٦.

الدنيا، لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل له إلى غرض يصده عن صواب قصده، ويفسد عليه صحة عمله»(١).

[٣] أن يبدأ أولاً بتفسير القرآن بالقرآن:

فهو أحسن ما يفسر به القرآن، ثم بالسنة فإنها شارحة وموضحة له، فإذا لم يجد التفسير من السنة رجع إلى أقوال الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم أدرى بذلك، فإن لم يجد في القرآن، ولا في السنة، ولا في أقوال الصحابة، رجع إلى أقوال التابعين، فإن منهم من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، وكثير من الأئمة رجع إلى أقوال التابعين في التفسير، وقد سبق اشتراط هذا الترتيب في مصادر التفسير عند القاعدة الأولى من قواعد التفسير في المبحث السابق.

ومن تعدّاه وقدّم عليه فهو محرّف للكلم عن مواضعه(٢).

قال صديق حسن خان (ت:١٣٥٧) في أبجد العلوم: «ومن شروطه؛ يجب أن يطلب تفصيل المجمل في موضع آخر من القرآن، لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وكذا يطلب تفصيل ما اختصر في موضع آخر، لأن القرآن يُفصل بعضه بعضاً، وإن أعياه ذلك فليطلب من السنة، لأن السنة تفسر القرآن، وإن لم يجد في السنة رجع إلى أقوال الصحابة، لأنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما اختصوا به من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، وإذا تعارضت أقوالهم(٣)، فإن أمكن الجمع فذاك، وإلا فقدّم ابن عباس لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حقه: (**اللهم فقه في الدين، وعلّمه التأويل**)(٤)، وإلا فيجتهد مراعياً للمدلولات اللغوية، والاستعمالات العربية، ومراعياً لوجه الإعجاز»(٥).

---

(١) الإتقان ج ٤ ص ٤٦٨.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ج١٣ ص ٢٤٣.

(٣) الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وغالب ما يصح عنهم يرجع إلى اختلاف تنوع لا إلى اختلاف تضاد، ينظر: مجموع الفتاوى ج١٣ ص ٣٣٣، الموافقات ج٤ ص ٢١٤.

(٤) سبق تخريجه ص٣٩.

(٥) أبجد العلوم ج٢ ص ٤٩٨، ٤٩٩.

[٤] **العلم باللغة العربية وفروعها:**

فإن القرآن نزل بلسان عربي، ويتوقف فهمه على شرح مفردات الألفاظ، ومدلولاتها بحسب الوضع، قال مجاهد (ت:١٠٤): «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغة العرب»(١).

وقال مالك بن أنس (ت: ١٧٩) إمام دار الهجرة: «لا أُوتي برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا»(٢).

ولا بد للمفسر أن يتمكن من علوم اللغة، ولا يكفيه اليسير منها، قال الزركشي (ت:٧٩٤): «وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من كلام الله، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين، والمراد المعنى الآخر»(٣).

ولابد له من معرفة علم النحو، لأن المعاني تختلف باختلاف الإعراب، وعليه الاعتناء بعلم التصريف ففيه تعرف الأبنية والصيغ، وعلم الاشتقاق، لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما.

والمفسر مطالب بمراعاة ما يقتضيه الإعجاز، ويتحصل له ذلك بمعرفة علوم البلاغة الثلاثة وهي: علم المعاني؛ فيُعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى.

وعلم البيان؛ وبه يُعرف خواصّ تراكيب الكلام من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها.

وعلم البديع؛ وبه يعرف وجوه تحسين الكلام(٤).

---

(١) البرهان للزركشي ج١ ص ٢٩٢، الإتقان ج٤ ص ٤٧٧.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ج٢ ص٤٢٥ برقم ٢٢٨٧، وينظر: البرهان للزركشي ج١ ص٢٩٢، الإتقان ج٤ ص ٤٧٤.

(٣) البرهان ج٢ ص ١٦٥.

(٤) ينظر: البرهان ج٢ ص ١٦٥، الموافقات ج٢ ص ١٠٢، الإتقان ج٤ ص ٤٧٨.

[٥] التمكن من علوم القرآن:

والتمكن منها ضرورة ملحة لمن نصب نفسه لتفسير كتاب الله ﷻ، وعلوم القرآن هي المتعلقة بالقرآن من حيث أسباب النزول، والقصص، وجمع القرآن، وترتيبه، وعلم القراءات، ومعرفة المكي والمدني، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن(١).

ولا يسع المفسر الجهل بالعلوم الأخرى، التي تعين على تفسير الآيات تفسيراً صحيحاً مثل: العقيدة السلفية الصحيحة، وصحتها أول شرط للمفسر للسلامة من التحريف، كذلك الجهل بها يوقع في التحريف أيضاً.

ويجب عليه الإلمام بعلوم السنة، فهي ثاني مصادر التفسير؛ فيجب الإلمام بالأحاديث النبوية الشريفة رواية ودراية، فإنك لا تكاد تجد تفسيراً خالياً من الأحاديث الضعيفة والموضوعة لقلة بضاعة مفسره في الحديث، أما من فسر كتاب الله تعالى وهو عالم بالسنة فإن تفسيره أقرب لها وأكثر تمييزاً للصحيح فيها من السقيم.

وأنكر الحافظ العراقي (ت:٨٠٦)(٢) على من يفسر كتاب الله تعالى وهو جاهل بالسنة أشد إنكار، فقال: «ولو نظر أحدهم بعض التفاسير المصنفة لا يحل له النقل منها، لأن كتب التفسير فيها الأقوال المنكرة والصحيحة، ومن لا يميز صحيحها من منكرها لا يحل له الاعتماد على الكتب، وأيضا فكثير من المفسرين ضعفاء النقل: كمقاتل بن سليمان(٣)،

---

(١) ينظر: البرهان ج١ ص ١٧، الإتقان ج١ ص ٢٠، مناهل العرفان ج١ ص ٨.

(٢) هو الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن أبي بكر العراقي، انتهت إليه رئاسة علم الحديث في زمانه، كتب وألف وصنف وأملى سنين كثيرة، وولي القضاء والتدريس في المدينة المنورة، وهو والد العلامة ولي الدين العراقي المتوفى سنة ٨٢٦، ينظر: النجوم الزاهرة ج١٣ ص ٣٤.

(٣) مقاتل بن سليمان الأزدي الخرساني المتوفى سنة ١٥٠، وهو من أئمة التفسير، لكنه متروك عند أهل الحديث ينظر: طبقات الحنابلة ج١ ص ٦٧، تاريخ مدينة دمشق ج٦٠ ص ١١٧، وفيات الأعيان ج٥ ص ٤٠٩.

والكلبي[(١)]، والضحاك بن مزاحم[(٢)]، وكذا كثير من التفاسير المنقولة عن ابن عباس لا تصح عنه، لضعف رواتها، وليت شعري كيف يقدم من هذه حاله على التفسير كتاب الله؟! أحسن أحوالها ألا يعرف سقيمه من صحيحه، بل يزيد أحدهم فيحدث لنفسه أقوالاً لو نقلت عن المجانين لاستُقبحت منهم»[(٣)].

ومن العلوم التي يستحسن للمفسر الإلمام بها الفقه وأصوله، فبهما تفسر آيات الأحكام تفسيراً صحيحاً لا يحيد بها عن جادة الحق والصواب، وبمعرفة أصول الفقه يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط.

[٦] دقة الفهم وقوة الاستدلال:

وهذه الملكة تمكن المفسر من الخوض في كتاب الله فقهاً، وتدبراً، وتفسيراً، وهي موهبة يمكن اكتسابها باتخاذ أسبابها؛ ومن أهمها العمل بما علم فإن الله يورثه علم مالم يعلم[(٤)].

ومنها: إدمان النظر في أقوال أهل العلم، فإنها تكسب دربة والعلم بأقوال العلماء من أسباب الفهم عن الله ورسوله ﷺ[(٥)]، ومن الأسباب الزهد، قال السيوطي (ت:٩١١):

---

(١) وهو محمد بن السائب الكلبي متروك لكذبه، ورُمِيَ بالرفض، توفى سنة ١٤٦، ينظر: الجرح والتعديل ج٧ ص ٢٧١، المجروحين ج٢ ص ٢٥٤، تهذيب التهذيب ج٩ ص ١٨٠.

(٢) هو صاحب التفسير الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني؛ وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وضعفه يحيى القطان وشعبة وغيرهما وكان متهماً بالتدليس، توفى سنة ١٠٥، ينظر: ميزان الاعتدال ج٢ ص ٣٢٥، تقريب التهذيب ج١ ص ٤٤٤.

(٣) ينظر: تحذير الخواص من أكاذيب القصاص للسيوطي ص ١٧٩، ١٨٠.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ج ٢ ص ١٢٣ إلى أبي نعيم عن أنس مرفوعاً، بينما ذكره ابن كثير في تفسيره ج ٨ ص ٤٣٧ بقوله: وفي الأثر، وينظر: حلية الأولياء ج ١٠ ص ١٥، تلبيس إبليس ص٣٩١، تاريخ مدينة دمشق ج ٣٧ ص ٢٣١، جامع الرسائل لابن تيمية ص ٢٢٩، جامع العلوم والحكم ص ٣٤٢، كشف الخفاء لإسماعيل الجراحي العجلوني ج ٢ ص ٢٤٧، تحفة الأحوذي ج ٨ ص ٢٢٥.

(٥) ينظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية ج ١ ص ٩٣.

«لعلك تستشكل علم الموهبة، وتقول: هذا شئ ليس في قدرة الإنسان، وليس كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله ارتكاب ا لأسباب الموجبة له من العمل والزهد»(١).

[٧] **حسن النية وصحة المقصد:**

والإخلاص للمسلم عامة، وللمفسر خاصة، هو روح الدين وأساس الملة، وإنما الأعمال بالنيات، وبالإخلاص يستطيع المفسر أن يصل لفهم مراد الله تعالى، فمن ثمرة إخلاصه يمنحه الله نوراً وبصيرة، ويفتح له آفاقاً عظيمة في التفسير ويلهمه الصواب، ويكسبه الأجر الجميل، والقبول، والانتفاع بتفسيره، ويجازيه الجزاء الأوفى حين يرفعه في عليين.

[٨] **تحري الصدق والتثبت في النقل:**

وهذا يبعده عن التصحيف واللحن.

[٩] **الجهر بالحق:**

فإنه أفضل الجهاد.

أمّا عن آداب المفسّر فأهمها ما يلي:

[١] **الورع والتقوى:**

فتقوى الله والخوف منه يُنشأ في قلب العبد تعظيم كلام الله ﷻ، فيتهيب أن يتكلم فيه بما لا يعلم أو بما يشك فيه، لذا كان كثير من أئمة السلف يعظمون تفسير القرآن، ويتوقفون عن مشكله تورعاً واحتياطاً لأنفسهم، مع إدراكهم وتقدمهم، وعلى رأسهم صديق الأمة أبوبكر (ت: ١٣)، والفاروق عمر رضي الله عنه (ت: ٢٣)(٢) وغيرهما كثير ممن اقتفى أثرهما من السلف الصالح.

قال الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢): «ومن حق من تصدى للتفسير أن يكون مستشعراً لتقوى الله، مستعيذاً من شرور نفسه والإعجاب بها، فالإعجاب أس كل فساد، وأن يكون اتهامه لفهمه أكثر من اتهامه لفهم أسلافه الذين عاشروا الرسول وشاهدوا التنزيل»(٣).

---

(١) الإتقان ج ٤ ص ٤٧٩.

(٢) سبق ذكر أمثلة من ورعهم في مبحث جهود العلماء في كشف التحريف ص ٥٩.

(٣) مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع السور للراغب ص ٩٧.

وفي قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢]، يقول سيد قطب: «فالتقوى في القلب هي التي تؤهله للانتفاع بهذا الكتاب، وهي التي تفتح مغاليق القلب له؛ فيدخل ويؤدي دوره هناك. هي التي تهيئ لهذا القلب أن يلتقط، وأن يتلقى، وأن يستجيب، لابد لمن يريد أن يجد الهدى في القرآن أن يجيء إليه بقلب سليم، بقلب خالص، ثم أن يجيء إليه بقلب يخشى ويتوقى، ويحذر أن يكون على ضلالة، أو أن تستهويه ضلالة، وعندئذ يتفتح القرآن عن أسراره وأنواره، ويسكبها في هذا القلب الذي جاء إليه متقياً خائفاً، حسَّاساً، مهيَّأً للتلقي»[١].

[٢] حسن الخلق:

فالمفسر في موقف المؤدب، ولا تبلغ الآداب مبلغها في النفوس إلا إذا كان قدوة في الخلق والفضيلة.

[٣] الامتثال والعمل:

وهذا يبعد المفسر عن الريّاء والسمعة، قال تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، والخطاب وإن كان في ذم اليهود إلا أن من فسد من علماء هذه الأمة بكتم العلم، أو تحريفه، أو المراءاة به وترك العمل؛ شابه من ضل من اليهود[٢].

[٤] التواضع ولين الجانب:

فالصلف العلمي حاجز قوي يحول بين العالم والانتفاع بعلمه.

[٥] عزة النفس:

فمن حق العلم أن يترفع طالبه عن سفاسف الأمور، وعن بذل نفسه من أجل الدنيا.

[٦] حسن السمت:

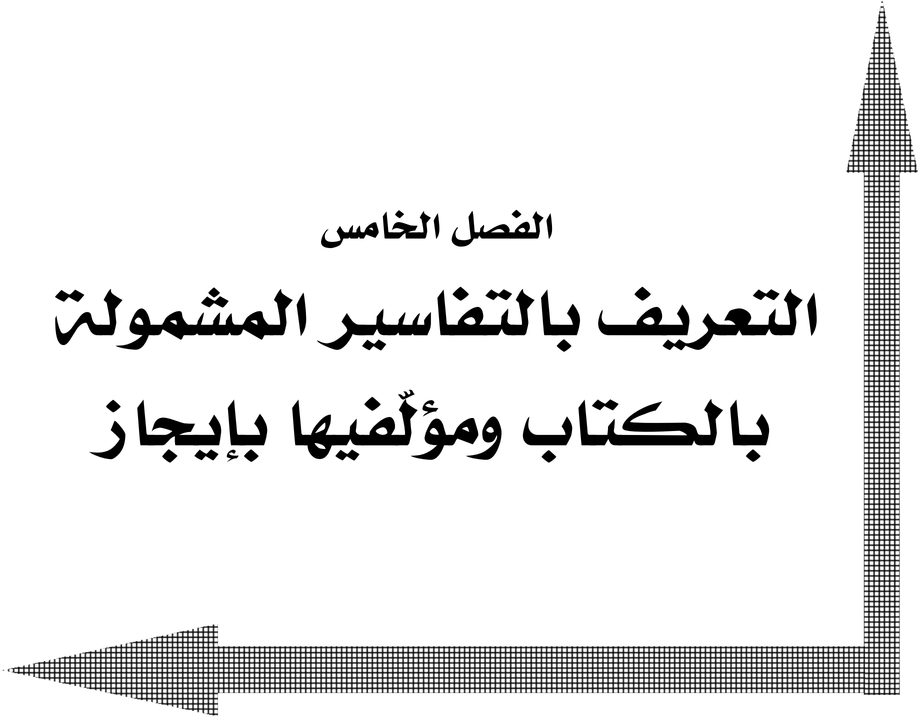
بحيث يكتسب المفسر الهيبة والوقار دون تكلف.

وبعد فتلكم بعض الشروط والآداب التي يجب توافرها في المفسر الذي ينصب نفسه لبيان مراد الله تعالى.

---

(١) في ظلال القرآن ج ١ ص ٣٨، ٣٩.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ج ١٣ ص ١٠٠.



الفصل الخامس

التعريف بالتفاسير المشمولة بالكتاب ومؤلِّفيها بإيجاز

التعريف بالتفاسير
المشمولة بالكتاب ومؤلفيها بإيجاز

رأيت في دراسة التحريف أهمية التطبيق على بعض التفاسير التي هي مظان للتحريف، وقد اخترت لذلك ثمانية تفاسير من فرق مختلفة، مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، وقمت باستقراء تفسير سورتي الفاتحة والبقرة منها، لاستخراج التحريفات والرد عليها، ولا بد من التعريف بتلك التفاسير ومؤلفيها، وقد عقدت هذا الفصل للترجمة لهم والتعريف بتفاسيرهم ابتداءً بالأقدم وفاة منهم.

[١] تفسير كتاب الله العزيز، لهود بن محكم الهواري (ت: ٢٨٠):

أولاً: التعريف بالمفسر:

اسمه ونسبه[١]:

هود بن محكم بن هود الهواري، وقبيلته هوارة من قبائل البرانس البربرية، وقد سكنت بطونها عدة مواطن في إفريقية والمغرب، وهم على رأي الخوارج الإباضية، وسكنت بطون من هوارة جبل أوراس ونواحيه بغرب إفريقية الإسلامية، بلاد الجزائر الآن[٢]، وهناك قضت أسرة هود الهواري حياتها.

نشأته:

نشأ هود في ظل والده العالم القاضي مُحكّم الهواري بتشديد الكاف المفتوحة أو المكسورة.

ولم أجد فيما بين يدي من كتب التراجم ذكراً له، وحتى من ذكره لا يفصل في ترجمته أكثر مما ذكرته، وقد اجتهد محقق تفسيره بالحاج شريفي بوصف طلبه للعلم بقياسه على طريقة التعلم في سير الإباضية.

(١) لم أجد فيما بين يدي من كتب التراجم ذكراً له، وقد ترجم له محقق التفسير بلحاج الإباضي.

(٢) ينظر: مقدمة التفسير ج ١ ص ٥.

مولده ووفاته:

لم تحدد المصادر التاريخية مولده ووفاته، إلا أن بعض الباحثين، ومنهم المحقق لتفسيره يقدرون وفاته في العقد الثامن أو التاسع من القرن الثالث الهجري، أي حوالي سنة ثمانين ومائتين للهجرة.

عقيدته:

سار هود الهواري في تفسيره على المذهب الإباضي فطوع الآيات قسراً لتوافقه ويعد تفسيره أول تفسير كامل للإباضية، يقول محققه بلحاج الإباضي: «إنا لا نعلم للإباضية تفاسير كاملة لكتاب الله قبل الهواري...»(١) وهو أول ما ترصده كتب الإباضية كمرجع أول لهم. ونتج عن تعصبه للمذهب تحريفات كثيرة تم الرد على بعضها في سورتي الفاتحة والبقرة ولله الحمد.

وفيما يلي لمحة موجزة عن المذهب الإباضي:

الإباضية إحدى فرق الخوارج الحرورية، فهم في عقيدتهم على رأي الخوارج، لكن الإباضية ينفون عن أنفسهم هذه النسبة، ويقولون: إن المراد بالكفر كفر النعمة، ولكنهم أيضاً يحكمون عليه بالخلود في النار، رغم تسميتهم الكفر بكفر النعمة، فهم في النتيجة سواء مع الخوارج وظهورهم امتداد لخروج الخوارج(٢).

وتنتسب الإباضية إلى مؤسسها الأول؛ عبد الله بن إباض من بني مرة بن عبيد بن تميم، تابعي من أهل العراق، اختلف المؤرخون في سيرته وتاريخ وفاته، ولكنها تُجمع على أنه عاصر عبد الملك بن مروان المتوفى سنة٦٨هـ، وقد أجمعت الإباضية قديماً وحديثاً على

---

(١) مقدمة التفسير ج ١ ص ٨٥.

(٢) ينظر: التنبيه والرد ص ١٧٨، الملل والنحل ج ١ ص ١٣٤، منهاج السنة ج ٥ ص ١٢.

إمامته فيهم وانتسابهم إليه[1].

ونشأت الإباضية في البصرة وما حولها في القرن الأول من الهجرة، ثم في عُمان وخراسان وتبعاً لفلول الخوارج في عهد الدولة الأموية؛ لازالت الإباضية في صراع مع أئمة المسلمين، يعدون الخروج عليهم من المناقب والمفاخر، وقد امتد هذا الفكر إلى المغرب وقامت له فيها دولة، وتسرب إلى اليمن وإلى مصر وإلى الجزيرة العربية[2].

أهم معتقداتهم[3]:

تلتقي الإباضية مع الخوارج في أصول العقائد؛ ومما يؤمن به ويعتقده معظم الإباضيين، ويخالف منهج أهل السنة والجماعة:

قولهم: إن صفات الله تعالى هي عين ذاته، وأن الاسم والصفة بمعنى واحد[4]، كما أنهم يؤولون صفات الله الخبرية كالاستواء، والنزول، والمجيء، وكاليد، والوجه، والعين، والنفس.

* تحريفهم لمعنى الإيمان والكفر والنفاق، فهم وإن سموا مرتكب الكبيرة كافراً كفر نعمة، إلا أنهم يلحقونه بالكفار في الآخرة، ويحكمون عليه بالخلود في النار، فجعلوا

---

(١) حكى بعض من ترجم لعبد الله بن إباض رجوعه عن بدعته، ينظر: تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٩٨، مقالات الإسلاميين ص ١٠١، آثار البلاد وأخبار العباد لزكريا القزويني ص ٢١، سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ١٥٣، تاريخ الإسلام ج ٢٥ ص ٣٣، الوافي بالوفيات ج ١١ ص ٢٠١، لسان الميزان ج ٣ ص ٢٤٨، شذرات الذهب ج ١ ص ١٧٧، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأبي عباس أحمد الناصري ج ١ ص ١٦٣.

(٢) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ج ١ ص ٢٨٢.

(٣) ملخصة من: التنبيه والرد ص ١٧٨، الفرق بين الفرق ص ٨٢، التبصير في الدين ص ٥٨، الملل والنحل ج ١ ص ١٣٤، المواقف ج ٣ ص ٦٩٣، الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي الإباضي لعلي الفقيهي كل الكتاب، نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز العبد اللطيف ص ٧٧، الموسوعة الميسرة ج ١ ص ٦٣.

(٤) ينظر: الرد على هذا التحريف عند آية (١) من سورة الفاتحة في القسم التطبيقي من هذا الكتاب.

الإيمان فعل الواجبات والكفر مقابله؛ أي الكفر هو ترك شيء من الواجبات[١].

وأما النفاق عند الإباضية فهو معنى مختلف عنه في القرآن، والسنة، وفهم السلف الصالح، فقالوا: إن المنافقين موحدون إلا أنهم ارتكبوا الكبائر، فكفروا بالكبيرة لا بالشرك، فإن كفرهم عند الإباضية بين الشرك والإيمان، وهو ما يسمونه بكفر النعمة، فالعاصي عندهم منافق موحد في الدنيا، لكنهم يرون أنهم مخلدون في النار[٢].

* ومن عقائد بعض الإباضية القول بخلق القرآن.

* أنكر بعضهم عذاب القبر، كسائر الخوارج.

* إنكار الشفاعة لعصاة الموحدين يوم القيامة[٣].

* إنكار الميزان والصراط وادعاء التمثيل والمجاز في الآيات الواردة فيهما.

* إنكار رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة[٤].

* تهجم بعضهم على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص رضي الله عنهم.

* يعتقدون بأن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة، وموارثتهم حلال، وغنيمة أموالهم من الخيل والسلاح وكل ما فيه من قوة الحرب حلال وما سواه حرام.

ثانياً: التعريف بالتفسير:

يُعرف تفسيره بـ(تفسير كتاب الله العزيز)[٥]، وقد ظل هذا التفسير مخطوطاً إلى أن طُبع حديثاً بتحقيق الإباضي بلحاج بن سعيد شريفي، ونشرته له دار المغرب في أربعة أجزاء.

---

(١) ينظر: الرد على هذا التحريف عند آية (٣)، (٨٠) من سورة البقرة وغيرها.

(٢) ينظر: الرد على هذا التحريف عند آية (٨) من سورة البقرة.

(٣) ينظر: الرد على هذا التحريف عند آية (٤٨) من سورة البقرة.

(٤) ينظر: الرد على هذا التحريف عند آية (٥٥) من سورة البقرة.

(٥) ينظر: مقدمة المحقق، ومقال في موقع أهل التفسير عن المفسر، كتبه الدكتور مساعد الطيار.

ويعلق على ذلك بقوله: «لقد ظل هذا التفسير أكثر من أحد عشر قرناً مغموراً إلى أن ظهرت مخطوطاته المتفرقة في بعض الخزائن الخاصة، وهي خزائن لعلماء من القرون الأربعة الأخيرة، يحتفظ بها أبناؤهم وحفدتهم...»[١].

وهذا التفسير الذي سار فيه مؤلفه على مذهب الإباضية يُعد أول تفسير لهم، كما نص على ذلك المحقق وقد سبق قوله قبل قليل.

وقد أكثر هود النقل من تفسير يحيى بن سلام البصري (ت: ٢٠٠)[٢]، بل اعتمده، فكان أصلاً لتفسيره، ويكاد يكون مختصراً له، مع ما أضاف إليه هود، كما أشار إليه محقق الكتاب.

لكنه يحرف من تفسير يحيى بن سلام ما خالف مذهبه الإباضي، وقد تتبعه المحقق بلحاج، وبيّن مواطن ذلك، قال المحقق بلحاج: «إذا وردت كلمة (أصحابنا) من الشيخ الهواري، فإنما يقصد بها علماء الإباضية...»[٣].

---

(١) مقدمة التفسير الهواري ج ١ ص ٥.

(٢) يحيى بن سلاّم التميمي البصري نزيل مصر، من الحفاظ، لقي غير واحد من التابعين، وله مصنفات كثيرة في فنون العلم، قال ابن أبي حاتم: «سألت أبي عنه، فقال: كان شيخاً بصرياً، وهو صدوق»، وفي لسان الميزان أنه ضعفه الدارقطني يقول ابن عاشور في كتابه التفسير ورجاله ص ٢٨ وهو يتحدث عن يحيى بن سلام البصري: «... وهو الذي يعتبر مؤسس طريقة التفسير النقدي أو الأثري التي سار عليها ابن جرير واشتهر بها، ذلك هو تفسير يحيى بن سلام التميمي البصري الأفريقي، المتوفي سنة ٢٠٠..». فبعد أن يورد الأخبار المروية مفتتحاً إسنادها بقوله: «(حدثنا)، يأتي بحكمه الاختياري مفتتحاً إسنادها بقوله: (قال يحيى)، ويجعل اختياره مبنى على المعنى اللغوي، والتخريج الإعرابي...»، وحدث يحيى عن شعبة، والثوري ومالك وغيرهم، وروى عنه ابنه محمد، وأحمد بن موسى وبحر الخولاني وغيرهم، ونشرت ستة أجزاء من تفسيره في الجزائر بتحقيق عدة باحثين، ولم ينشر التفسير كله، وقد حققت الدكتورة هند شلبي التفسير الموجود كاملاً، لكنه لم يطبع إلى الآن، ينظر: في ترجمة يحيى بن سلام: الجرح والتعديل ج ٩ ص ١٥٥، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ج ٣ ص ١٦٩، ميزان الاعتدال ج ٧ ص ١٨٣، تاريخ الإسلام ج ١٣ ص ٤٧٣.

(٣) تفسير الهواري ج ١ ص ٨١.

ويعبر عنهم أحيانا بقوله: «والعامة من فقهائنا»[(١)].

ومن أمثلة ما يغيره من تفسير ابن سلام ليوافق مذهبه، ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]، فقد ورد في تفسير يحيى لقوله تعالى: ﴿لَا تُفْسِدُوا﴾ قال: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا﴾ وهذا ما ورد عند ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩)[(٢)] الذي اختصر تفسير ابن سلام أيضاً[(٣)]، ويُنظر أيضاً ما قاله محقق تفسير هود[(٤)].

وورد في تفسير هود قوله: «لا تفسدوا في الأرض بالعمل بالمعصية»[(٥)].

وتفسيره للإفساد بالمعصية دون الشرك لتوافق معتقد الإباضية في معنى النفاق.

قال المحقق بلحاج: «...وهذا من تفسير ابن سلام ولا شك، وما جاء من تغيير في التأويل أو من زيادة، فهو للشيخ هود الهواري، وهذا نموذج من عمله في كامل الكتاب، فما جاء في تفسير ابن سلام موافقاً لأصول الإباضية أثبته، وما خالفها حذفه، وأثبت مكانه ما وافق رأي الإباضية...» [(٦)].

---

(١) ينظر: تفسير الهواري ج ١ ص ٨١.

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمنين الأندلسي المري المالكي، شيخ قرطبة، الإمام الزاهد القدوة، تفنن واستبحر في العلم، وصنف في الزهد، والرقائق وقال الشعر الرائق، وكان صاحب إخلاص وجد، سمع من محمد بن معاوية الأموي، وأحمد بن المطرف، وأحمد بن الشامة، وغيرهم، وروى عنه أبو عمر الداني، وأبو عمر و الحذّاء وجماعة، من مصنفاته اختصار المدونة، منتخب الأحكام، حياة القلوب، أصول السنة، المختصر تفسير ابن سلام، وقد ذكر الدافع له إلى اختصاره؛ وهو أنه وجد فيه تكراراً كثيراً، يطيل الكتاب، واختصاره أفضل من اختصار الهواري له، ينظر: في ترجمته، جذوة المتنفس في ذكر ولاة الأندلس لمحمد الحميدي ص ٢٠، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس للفتح خاقان القيسي ص ٢٦٦، سير أعلام النبلاء ج١٧ ص ١٨٩، تاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن المالقي ص ١١٠.

(٣) تفسير ابن أبي زمنين ج١ ص ١٢٢.

(٤) مقدمة التفسير ج١ ص ٣٧، ٨٤.

(٥) تفسير الهواري ج١ ص ٨٤.

(٦) المرجع السابق ج١ ص ٨١.

ومن الأمثلة أيضاً حذفه أحاديث في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]، وهي أحاديث في الشفاعة، وحذف أحاديث في تفسير قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢]، وهي أحاديث حول من سُموا الجهنميين، أو بعتقاء الرحمن، وذلك لأن الإباضية يرون خلودهم في النار(١).

وقد استخرجت أمثلة كثيرة على تأثير هذا المعتقد الباطل في تحريف معاني الآيات من خلال استقراء سورتي الفاتحة والبقرة، وتم دراستها في القسم التطبيقي من الرسالة.

ومن عمله في الكتاب أيضاً حذف الإسناد، واختصاره كثيراً من الآثار، وقد عدّها محقق الكتاب من عيوب تفسير هود.

وأما عن منهجه في التفسير فإنه يذكر رأيه أولاً، ثم يذكر الآراء الأخرى، ويعتمد كثيراً على النقل، إلا أنه لا يدقق في سند ما يروي، فتجد في تفسيره كثيراً من الأحاديث الضعيفة والحكايات الغريبة والإسرائيليات المنكرة؛ مثل ما ذكره عن داود وسليمان عليهما السلام مما يُخل بعصمة الأنبياء من غير تنبيه على فساد ذلك(٢).

[٢] تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣):

أولاً: التعريف بالمفسر:

اسمه ونسبه وكنيته(٣):

محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، السمرقندي الحنفي، وكان يلقب بإمام الهدى، وإمام المتكلمين، ورئيس أهل السنة، والإمام الزاهد، وغير ذلك.

---

(١) ينظر: مقدمة التفسير ج١ ص ٣٧.

(٢) المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات لمحمد المغراوي ج٢ ص ٧٠٨.

(٣) ينظر: ترجمته في طبقات الحنفية ج ٢ ص ١٣٠، مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ج ٢ ص ٩٦، ١٥١، ١٥٢، هدية العارفين ج ٦ ص ٣٦، كشف الظنون ج ١ ص ٣٣٥، أبجد العلوم لصديق حسن خال ج ٢ ص٦٨، الأعلام ج ٧ ص١٩، معجم المؤلفين ج ١١ ص٣٠٠، الماتريدية دراسة وتقويماً لأحمد بن عوض الله الحربي ص ٩٣.

والماتريدي نسبة إلى (ماتريد) ويقال لها: (ماتريت) وهي محلة قرب سمرقند ببلاد ما وراء النهر، والتي عرفت فيما بعد باسم تركستان.

نشأته:

وأما عن نشأته وشيوخه فإن المصادر لم تذكر شيئاً عنها، وكثير من العلماء الذين يتكلمون عن الفرق، والترجمة لمؤسسيها لم يذكروا أبا منصور الماتريدي، حتى السيوطي (ت: ٩١١) في طبقات المفسرين أغفل ذكره، وقد أرجع الدكتور أحمد بن عوض الحربي إغفالهم ذكره لعدة أسباب منها:

بعده عن مركز الخلافة، حيث يتوافد إليها العلماء، وعدم دعم الماتريدية في عصورها الأولى بقوة سياسية[(١)].

واكتفى المترجمون له باليسير، فلم يُذكر من شيوخه إلا عددٌ قليلٌ، والذين ذكروهم لا يعلم عن حياتهم الشئ الكثير[(٢)].

مولده ووفاته:

لم يذكر الذين ترجموا له سنة مولده[(٣)]، لكنهم أجمعوا على أنه توفى عام ٣٣٣هـ ودفن بسمرقند.

منزلته العلمية:

أسس الماتريدي مدرسة فكرية في علم العقائد، وهي المدرسة الماتريدية، وانتشر فكر هذه المدرسة في بلاد ما وراء النهر، والمناطق المجاورة لها، وللماتريدي منزلة رفيعة وعالية عند بعض الماتريدية، ومن وافقهم، وهم في الحقيقة يبالغون في تعظيمه والثناء عليه، كحال كثير من المتعصبين لأئمتهم دون تمييز بين الحق والباطل[(٤)].

---

(١) ينظر: الماتريدية للحربي ص ٨٣.

(٢) ينظر: الماتريدية للحربي ص ٨٣.

(٣) ينظر: مقدمة تحقيق تأويلات أهل السنة لإبراهيم عوضين والسيد عوضين ص١١، الماتريدية ص٩٣.

(٤) ينظر: الماتريدية ص ٩٩.

مؤلفاته:

للماتريدي مؤلفات كثيرة منها:

١-كتاب التوحيد: ويعد من أهم مؤلفاته الكلامية، فقد قرر فيه نظرياته الكلامية، وبيّن فيه معتقده في أهم المسائل الاعتقادية.

٢-بيان وهم المعتزلة.

٣-الرد على القرامطة.

٤-رد تهذيب الجدل.

٥-رد الإمامة: في الرد على بعض الرافضة.

٦-تأويلات أهل السنة: وهو التفسير الذي نحن بصدد الكلام عنه.

وغيرها من المؤلفات المطبوعة، وغيرها مفقودة قد ذكرتها كتب التراجم(١).

عقيدته:

أبو منصور الماتريدي من أئمة أهل الكلام، فهو متكلم على العقيدة الماتريدية، وهو مؤسس هذه الفرقة الكلامية، وهذه أهم معتقداتها التي يقررها أبو منصور في كتبه وقد خالفوا فيها منهج أهل السنة والجماعة:

هناك توافق كبير بين بعض الماتريدية وجمهورالأشاعرة(٢)، وسر هذا التوافق أن كلتا الفرقتين انبثقتا من الكلابية(٣)، وما بينهما من خلاف فإنما يقع في مسائل معدودة، ومن أصول معتقداتهم(٤):

---

(١) ينظر: المراجع السابقة في ترجمته.

(٢) سيتضح ذلك في الحديث عن الأشاعرة عند الترجمة لفخر الرازي ج ١ ص ٢٨٥.

(٣) الكلابية نسبة إلى أبي محمد بن سعيد بن كلاب، إمام الطائفة الكلابية، وهو أول من عرف عنه إنكار قيام الأفعال الاختيارية بذات الرب تعالى، وأن القرآن معناه من الله دون حرفه، عاصره أبو الحسن الأشعري وأخذ عنه وخالفه في بعض الأشياء، وأبومنصور الماتريدي عاصر أباحسن وأخذ عنه بعض أفكاره، ينظر: الفصل في الملل ج ٤ ص ١٥٧، درء التعارض ج ١ ص ١٥٤.

(٤) ينظر: الماتريدية للحربي ص ٩٩.

* مصدرهم في التلقي في الإلهيات والنبوات هو العقل[(١)]، ويرون أن معرفة الله واجبة بالعقل قبل ورود السمع، وهذا قريب من آراء بعض المعتزلة والفلاسفة، الذين يستدلون على وجود الله تعالى بحدوث الأعراض والأجسام[(٢)].

* القول بالتمثيل والمجاز في اللغة والقرآن والحديث.

* لا يرون حجية أحاديث الآحاد في العقائد.

* تُعد الماتريدية من الصفاتية، فهم يثبتون ثمان صفات، وهي: القدرة، والعلم، والحياة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، والتكوين، وقد خصوا الإثبات بهذه الصفات دون غيرها لأن العقل دل عليها.

* قالت بعض الماتريدية بنفي الصفات الخبرية والفعلية اللازمة، حذراً من التشبيه، وقولهم هذا باطل، تكرر وروده في القسم التطبيقي في أكثر من موضع[(٣)].

* ذهبت بعض الماتريدية إلى أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، وقال بعضهم بأنه التصديق بالقلب والإقرار باللسان، ومنعوا فيه الزيادة والنقصان، وحرّموا الاستثناء فيه[(٤)].

---

(١) وما يتعلق باليوم الآخر فمصدره السمع عند الماتريدية بخلاف المعتزلة، الذين لا يفصلون في ذلك، بل يحكمون العقل في الجميع، ينظر: التوحيد للماتريدي ص ٣، ٤، ٥، ٦. وينظر: الرد عليهم في درء التعارض ج ١ ص ٨٩، ٩٠، الصواعق المرسلة ج ٣ ص ٧٩٩.

(٢) هذه الطريقة في الاستدلال مبتدعة، طعن فيها السلف والأئمة وجمهور العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين، ينظر: درء التعارض ج ٩ ص ٣٨، ٣٩، طريق الهجرتين لابن القيم ص ٤١٣، إيثار الحق ص ١٠٩.

(٣) ينظر: كتاب التوحيد للماتريدي ص ٧٤، ٧٥ وينظر: في رد أمثال هذا التحريف على سبيل المثال آية ١، ٣، ٧، من سورة الفاتحة، آية ١٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ١١٥، ١٦٥، من سورة البقرة وغيرها.

(٤) ينظر: تفسيره لآية ١٣٦ ج١ ص٣١٠ تحقيق إبراهيم والسيد عوضين، ينظر: كتاب التوحيد للماتريدي ص ٣٨٨.

* لا يرون أن للفسق أثراً على الإيمان لكنهم لا يرون أن الإيمان يزيد وينقص، فلا أثر للفسق على الإيمان عندهم(١).

* أثبتت بعض الماتريدية رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة مع نفي الجهة والمقابلة، وأوقعهم هذا التناقض في إثبات ما لا يمكن رؤيته(٢).

* رغم الخلاف الكبير بين بعض الماتريدية والمعتزلة، فإن الأخيرة قد تأثرت بالأولى في عدة مسائل(٣)..

* وفيما سبق يتضح أن فرقة الماتريدية لم تنهج منهج السلف، وأبومنصور الماتريدي سار على هذا المنهج الباطل في تفسيره، وقد استخرجت من تفسيره لسورتي الفاتحة والبقرة كثيراً من الألفاظ المحرفة نتيجة لتعصبه لهذا المعتقد الباطل.

ثانياً: التعريف بالتفسير:

للماتريدي تفسير من التفاسير الوسيطة، يعرف باسم (تأويلات أهل السنة) أو (تأويلات القرآن)، ذكره عامة الذين ترجموا له، وهو معروف ومشهور عند بعض الماتريدية، ولا يوازيه عندهم أي تفسير آخر لا قبله ولا بعده.

وصل إلينا الكتاب كامل ونسخه الخطية كثيرة، وقد قام كل من إبراهيم عوضين والسيد عوضين بتحقيق جزء من التفسير، اشتمل على تفسير الفاتحة وسورة البقرة(٤).

وقام بتحقيق الكتاب محمد مستفيض الرحمن، وتم طبعه بوزارة الأوقاف العراقية ببغداد، وقد اعتمدت على هاتين الطبعتين في البحث.

---

(١) ينظر: الرد على هذا التحريف عند آية ٣، ٨٠ من سورة البقرة وغيرها كثير في القسم التطبيقي من الأمثلة على هذا التحريف والرد عليه.

(٢) ينظر: التوحيد للماتريدي ص ٧٧ حتى ٨٥ وينظر: الرد على هذا التحريف عند آية ٥٥ من سورة البقرة.

(٣) سيتجلى هذا عند الحديث عن المعتزلة في الترجمة للزمخشري ص ٢٧٥.

(٤) ينظر: مقدمة تحقيق إبراهيم عوضين والسيد للتفسير ص ٢٥، الماتريدية ص ١٠٩.

وصدر التفسير مؤخرا عن دار الكتب العلمية في عشر مجلدات بتحقيق مجدي باسلوم.

ومن خلال استقرائي لتفسيره يمكن تلخيص منهجه فيه، في عدة نقاط[١]:

١-سار المؤلف على منهجه الباطل، وصرف الآيات عن معناها الصحيح لتوافق مذهبه.

٢-يذكر جزءًا من الآية، ثم يشرع في تفسيرها بتوسع، ويحشد كل ما يمكن الاستدلال به من الأدلة العقلية والنقلية.

٣-يستخلص المسائل الفقهية من الآيات، ويقرر فيها رأي إمام مذهبه الفقهي الإمام أبي حنيفة (ت: ١٥٠) ويرد بها أحياناً على آراء الفقهاء الآخرين.

٤-لا يستشهد بالشعر، ولا يطيل في علوم اللغة، فهي قليلة جداً في تفسيره. ويحتوي تفسيره من الفوائد ما يجعل الحاجة ملحة لغربلة مثل هذه التفاسير، التي يخشى على عقيدة قارئها لما فيها من بعض التحريفات، وما قمت به من استخراج بعضها يعد لبنة أولى في هذا المشروع المهم.

[٣] حقائق التفسير: لأبي عبد الرحمن السُّلمي (ت: ٤١٢):

أولاً: التعريف بالمفسر:

اسمه ونسبه وكنيته[٢]:

هو أبو عبد الرحمن، محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السُّلمي النيسابوري الصوفي، شيخ الصوفية بخراسان، سبط الشيخ أبي عمرو إسماعيل بن نُجيد السُّلمي.

نشأته ووفاته:

ولد أبوعبد الرحمن سنة ٣٣٠هـ، وورث العلم عن أبيه وجده، فجمع علوم الحقائق، ومعرفة طريق التصوف، فصنف لهم تصانيف في الصوفية، تزيد على المائة في السنن،

---

(١) أفدت أيضاً من ملاحظات المحققين إبراهيم عوضين والسيد عوضين.

(٢) ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٨، تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ١٠٤٦، طبقات الشافعية ص ٢٢٥، لسان الميزان ج ٥ ص ١٤٠، طبقات المفسرين للسيوطي ص٩٧.

والتفسير، والتاريخ وغير ذلك، سمع من أبيه، وجده لأمه، وأبي العباس الأصم (ت:٣٤٦)[١] وطبقته، والحافظ أبي علي النيسابوري (ت: ٣٥٠)[٢].

وحدث أبوعبد الرحمن أربعين سنة إملاء وقراءة، روى عنه الحاكم (ت: ٤٠٥)، والبيهقي (ت: ٤٥٨) وغيرهما.

قال الخطيب (ت: ٤٦٣) في تاريخه: «قال لي محمد بن يوسف النيسابوري القطان[٣]: كان السُّلمي غير ثقة، وكان يضع للصوفية. قال الخطيب: «قدر أبي عبد الرحمن عند أهل بلده جليل، وكان مع ذلك مجوداً، صاحب حديث، وله بنيسابور دُويرة للصوفية»[٤] وقال

---

(١) محدّث خراسان، أبوالعباس الأصمّ، محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان الأموي مولاهم، النيسابوري المعقلي المؤذن الورّاق بنيسابور، حدث له الصّمم بعد الرحلة، ثم استحكم به، وكان يحدث من لفظه، حدث في الإسلام نيفاً وسبعين سنة، وأذّن سبعين سنة بمسجده، وكان حَسِن الأخلاق حَسِن الصوت، عمّر دهراً، ورحل إليه خلق كثير، ينظر: الأنساب للسمعاني ج٥ ص٣٤٤، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج١٤ ص١١٢، سير أعلام النبلاء ج١٥ ص٤٥٢.

(٢) الحسين بن علي بن يزيد أبو علي النيسابوري شيخ أبي عبد الله الحاكم، قال تلميذه الحاكم: هو واحد عصره في الحفظ، والإتقان، والورع، والرحلة، مقدم في مذاكرة الأئمة وكثرة التصانيف، وقال الدارقطني: كان إماماً، مهذباً، رحالاً في الآفاق، ينظر: الإرشاد في معرفة علماء الحديث لأبي يعلى القزويني ج٣ ص٨٤٢، تاريخ بغداد ج٨ ص٧١، والمنتظم ج١٤ ص١٢٨، السير ج١٦ ص٥١.

(٣) هو محمد بن يوسف بن أحمد بن يوسف بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن القطان الأعرج النيسابوري رحل إلى البصرة، ومصر، ودمشق، وأصبهان، وأخذ عن شيوخها ثم عاد إلى بغداد وكان قد أخذ عن علمائها، فمكث بها وحدث، ثم أدركته الوفاة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، قال الخطيب: «كان صدوقاً له معرفة بالحديث، وقد درس شيئا من فقه الشافعي، وله مذهب مستقيم وطريقة مستقيمة»، ينظر: تاريخ بغداد ج٣ ص٤١١، سير أعلام النبلاء ج١٧ ص٤٢٣.

(٤) تاريخ بغداد ج٢ ص٢٤٨، ورد قول الخطيب بألفاظ متعددة ينظر: تاريخ الإسلام ج٢٨ ص٣٠٦.

ابن حجر (ت: ٨٥٢) في لسان الميزان «تكلموا فيه وليس بعمدة»[١]. واعتذر له بعض العلماء إلى أنه لا يتعمد الكذب بل يُنسب إلى الوهم[٢].

توفي السُّلمي في شعبان سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.

عقيدته:

السُّلمي شيخ الصوفية وعالمهم، وكان خدمة المذهب هو سبب تأليفه للتفسير كما سبق، وفيما يلي موجز عن تلك العقيدة التي سار عليها المفسر في كتابه.

نشأة الصوفية والتعريف بها:

اختلف الكتاب من الصوفية وغيرهم اختلافاً كثيراً حول المادة التي نسب إليها هذا اللفظ، وأقوى ما قيل في ذلك أنها منسوبة إلى الصوف، فهذا القول هو الصحيح من حيث اللغة ومن حيث المعنى، لأن القوم في بدايتهم كانوا يتميزون بلبس الصوف، وهذا ما رجحه ابن تيمية (ت: ٧٢٨) وابن خلدون (ت: ٨٠٨) في مقدمته[٣].

أما التعريف الاصطلاحي للصوفي فاختلافهم فيه أكثر من اختلافهم في اشتقاقه[٤].

ولعل ذكر أبرز معتقداتهم يكفي في أخذ صورة عن معنى الصوفي والمراد به.

أما عن نشأة الصوفية فيقول شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨): «أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك...»[٥].

وقال: «في أواخر عصر التابعين حدث ثلاثة أشياء: الرأي، والكلام، والتصوف، فكان جمهور الرأي في الكوفة، وكان جمهور الكلام والتصوف في البصرة»[٦].

---

(١) لسان الميزان ج ٥ ص ١٤٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٦، مقدمة ابن خلدون ص ٤٦٧.

(٤) ينظر: جناية التأويل الفاسد ص ٤٨١.

(٥) مجموع الفتاوى ج ١١ص ٥.

(٦) مرجع السابق ج ١٠ ص ٢٥٨.

وأول ما ظهرت الصوفية في الكوفة بسبب قُربها من بلاد فارس، والتأثر بالفلسفة اليونانية بعد عصر الترجمة، ثم بسلوكيات رهبان أهل الكتاب(١).

أبرز معتقداتهم(٢):

* يعتمدون في تلقي العلوم الشرعية وعامة عباداتهم ومعاملاتهم على الخيالات مثل:

١ - ما يسمونه بالكشف: وهو باختصار معرفة الغيب والاطلاع على أمور لا يعلمها إلا الله ﷻ.

٢ - الإلهام: من الله مباشرة، وبه جعلوا مقام الصوفي فوق مقام الأنبياء.

٣- الهواتف: من سماع الخطاب من الله تعالى، أو من الملائكة، أو الجن الصالح، أو من أحد الأولياء، أو الخضر، أو إبليس، مناماً أو يقظة.

٤ - الإسراءات والمعاريج: ويقصدون بها عروج روح الولي إلى العالم العلوي، والإتيان منه بشتى العلوم والأسرار.

٥ - الفراسة.

٦ - الرؤى والمنامات.

٧- الذوق.

٨- التلقي عن الأشياخ المقبورين.

* ويعتقد المتصوفة في الله تعالى عقائد شتى؛ منها الحلولية، والاتحادية، وزعيمها كل

---

(١) هناك من العلماء من يرى أن كلمة الصوفي وجدت بعد انغماس الناس في ترف الدنيا بعد أن كثرت الفتوحات الإسلامية، فأحدث ذلك لدى البعض رد فعل عنيف دفعهم للزهد مفرط لم يوزن بميزان الشرع، فكان مما هيأ الجو لقبول التصوف، ينظر: التصوف المنشأ والمصدر لإحسان إلهي ظهير ص ٤٩، جناية التأويل الفساد ص ٤٨٧.

(٢) ملخصة من: التعرف لمذهب التصوف أبي بكر الكلا باذي جميع الكتاب، تلبيس إبليس ص ٢٣٩، منهاج السنة ج ٤ ص ٤٢ - ٤٤، مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٢٩، التصوف المنشأ والمصدر جميع الكتاب، الصوفية نشأتها وتطورها لمحمد العبدة، الموسوعة الميسرة ج١ص٢٤٩.

من الحلاج (ت: ٣٠٩)[١]، وابن عربي (ت: ٦٣٨)[٢]. ومنهم من يعتقد بعقيدة الأشاعرة والماتردية في ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته.

* الغلو في النبي ﷺ بين الإفراط والتفريط، فمنهم من يزعم أن النبي ﷺ لا يصل إلى حالهم، وأنه كان جاهلاً بعلوم رجال التصوف، ومنهم من يرى ألوهيته.

* الغلو في الأولياء والصالحين: فمنهم من يفضلهم على النبي ﷺ، ومنهم من يساويهم بالله تعالى في صفاته، فهو يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويتصرف في الكون.

* لابد للصوفي من التأثير الروحي وهو البركة التي تحل له بالتبرك بشيخه.

* لهم مقامات وأحوال ومسالك في عبادتهم، ويتدرجون في ذلك بين الانحراف في فهم الزهد إلى الغلو في الوصول إلى مراتب تتحد فيها صفاته بصفات الخالق والعياذ بالله، وهو ما يسمونه بالفناء والغيبة وغيرها، وطريقهم في الوصول إلى ذلك تعذيب الجسد وحرمانه من ضرورياته، وامتهان العقل والهيام في الصحاري كالمجانين.

* ويوافقون الباطنية في بعض معتقداتهم. ويتضح مما سبق أن التصوف انحراف عن منهج السلف الصالح ابتدأ بتحريف معنى الزهد وتكلف مالم يأمر به الشرع، ثم زاد هذا

---

(١) هو الحسين بن منصور الحلّاج، أبوعبد الله، ويقال: أبو مغيث، ولد بفارس وكان حفيداً لرجل زراد شتي، ونشأ في واسط بالعراق، وهو أشهر الحلوليين والاتحاديين، ادّعى في بدايته التصوف ثم انسلخ من الدين وتعلم السحر، أباح العلماء دمه لزندقته فعزر وقتل مصلوباً، ينظر: تاريخ بغداد ج ٨ ص ١١٢، سير أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٣١٣، لسان الميزان ج ٢ ص ٣١٤.

(٢) ابن عربي هو أبوبكر محمد بن علي بن محمد الطائي الأندلسي المعروف بابن عربي، والملقب عند الصوفية بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، وابن عربي صوفي جلد من غلاة الصوفيه، وهو رئيس وحدة الوجود، يروي ابن تيمية عن الشيخ إبراهيم الجعبري قوله: «رأيت ابن عربي هو شيخ نجس يكذب بكل كتاب، وبكل نبي أرسله الله»، من تلامذته المتعصبين له ابن الفارض، ينظر: سير أعلام النبلاء ج ٢٣ ص ٤٨، البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٥٦، لسان الميزان ج ٥ ص ٣١٤.

الانحراف عندما اختلط التصوف بالفلسفات الهندية، واليونانية، والرهبانية، النصرانية، وتفاقم الأمر حتى صار التصوف تجارة المشعوذين والدجالين، ودخل من خلاله أعداء الإسلام للقضاء على صفاء العقيدة وتشويهها[١].

ثانياً: التعريف بالتفسير:

يعرف تفسير أبي عبد الرحمن السُّلمي باسم (حقائق التفسير) يقع في مجلد واحد كبير الحجم، ومنه نسختان مخطوطتان بالمكتبة الأزهرية، حققه مؤخراً سيّد عمران تحقيقاً جيداً تتبع فيه بعض شطحات السُّلمي، وقد نشرته له دار الكتب العلمية.

ويعتبر حقائق التفسير من التفاسير الصوفية الإشارية[٢]، وهو ما أراده منه مؤلفه، وأفصح عن ذلك بقوله: «لمّا رأيت المتوسمين بالعلوم الظواهر، صنّفوا في أنواع القرآن، من فوائد ومشكلات، وأحكام، وإعراب، ولغة، ومجمل، ومفسر، وناسخ ومنسوخ، وإعراب، ولم يشتغل أحد منهم بجمع فهم خطابه على حساب الحقيقة، إلا آيات متفرقة

---

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة ج ١ ص ٢٧٢.

(٢) يسلك الصوفية في تفسير كتاب الله اتجاهين:

(أ) تفسير صوفي نظري يُبنى على مقدمات علمية تنقدح في ذهن الصوفي أولاً، ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك، وهذا القسم يروج أصحابه لمذهبهم على حساب القرآن، وهم لا يرون للآية معنى غير ما يذكرونه، ويعد ابن عربي شيخ هذه الطريقة.

(ب) تفسير فيضي إشاري وهو تأويل آيات القرآن الكريم بغير ظاهرها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر.

أما الاتجاه الأول فلا شك في تحريمه، وأما الثاني ففيه خلاف بين العلماء بين المنع والجواز بشروط تحفظ معاني الآيات من التحريف، وهذان الاتجاهان للتفسير عند الصوفية تبعاً لانقسامهم إلى قسمين: الأول تصوف نظري فلسفي، وهذا يقوم على دراسات وأبحاث فلسفية أدّى بأكثر أصحابه إلى الإلحاد، الثاني: تصوف عملي يقوم على التقشف والزهد، وقد أدى بكثير من أصحابه إلى أمور شركية من اتخاذ الأولياء وعبادة القبور، وللاستزادة ينظر: التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٣٦٨، اتجاهات التفسير ج١ ص٣٦٦.

نسبت إلى أبي العباس بن عطاء (ت: ٣٠٩)[(١)]، وآيات ذُكر أنها عن جعفر بن محمد (ت:١٤٨)[(٢)] على غير ترتيب، وكنت قد سمعت منهم في ذلك جزءاً استحسنتها، أحببت أن أضم ذلك إلى مقالتهم، وأضم أقوال المشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك، وأرتبه على السور حسب وُسْعي وطاقتي، فاستخرت الله في جمع ذلك شيء، واستعنت به في جميع أموري، وهو حسبي ونعم المعين»[(٣)].

فدل كلامه على أن التفسير إنما أريد منه خدمة المذهب الصوفي، وقد طعن كثير من العلماء في هذا التفسير وفي صاحبه، فالجلال السيوطي (ت: ٩١١) يذكره في كتابه (طبقات المفسرين) ضمن من صنَّف في التفسير من المبتدعة، ويقول: «وإنما أوردته في هذا القسم لأن تفسيره غير محمود»[(٤)].

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي البغدادي، حدث عن يوسف بن موسى القطان، وعنه: محمد بن علي بن جيش، وقال: كان له في كل يوم ختمة، وفي رمضان تسعون ختمة، اشتهر بزهده وعبادته، قال الذهبي: لكنه راج عليه حال الحلاج، وصحَّحَه، وقال السُّلمي: «امتحن بسبب الحلاج»، ينظر: صفة الصفوة ج ٢ ص ٤٤٤، حلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٠٢ سير أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٢٥٥.

(٢) هو جعفر بن محمد بن علي بن الشهيد أبي عبد الله، ريحانة النبي ﷺ وسبطه ومحبوبه الحسين بن علي بن أبي طالب، أمّه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي، وأمها هي أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان يقول: ولدني أبوبكر الصديق مرتين.

ولد سنة ثمانين، ورأى بعض الصحابة، حدث عن أبيه، وعبيد الله بن أبي رافع، وعروة بن الزبير، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم، وعنه روى ابنه موسى الكاظم، وأبوحنيفة، وأبان بن تغلب، وغيرهم، كان رحمه الله من جلة علماء الدين، كان يمقت الرافضة ويبغضهم، لكنهم افتروا عليه روايات موضوعة، ومنها ما ينقله السُّلمي ينظر: نسب قريش للزبيدي ج ٢ ص ٦٣، الثقات ج ٦ ص ١٣١، صفة الصفوة ج ٢ ص ١٦٨.

(٣) ينظر: مقدمة تفسيره ج ١ ص ١٩.

(٤) طبقات المفسرين ص ٩٨.

وقال الذهبي (ت: ٧٤٨): «وله كتاب يقال له حقائق التفسير وليته لم يصنفه، فإنه تحريف وقرمطة، ودونك الكتاب فسترى العجب»[١].

وفيه يقول أبوالحسن الواحدي (ت: ٤٦٨): «صنَّف أبو عبد الرحمن السُّلمي حقائق التفسير، فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر»[٢].

وهذا هو شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨) يقول: «وما ينقل في حقائق السُّلمي عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر، كما قد كُتب عليه في غير ذلك»[٣].

والقارئ في تفسير السُّلمي لا ينقضي عجبه من تلك التحريفات، التي تدّعى الصوفية أنها إشارات باطنة للآيات[٤].

وأما عن منهج السُّلمي في تفسيره فيمكن تلخيصه من خلال استقرائي له فيما يلي:

* التفسير يستوعب جميع سور القرآن، لكنه لم يتعرض لكل الآيات، بل يغضي عن بعضها، ولا يتعرض لظاهر الآيات، كما شرط في مقدمته أن يجمع تفسير أهل الحقيقة في كتاب مستقل، كما فعل أهل الظاهر.

*لا يتقيد في ترتيب الآيات أحياناً، فيفسر الآية، ثم يرجع للتي قبلها بعد أن يتخطاها.

* لا يتثبت فيما ينقل من الأحاديث، والآثار عن العلماء، فتجد في تفسيره الأحاديث الموضوعة والضعيفة والحكايات المنكرة.

* لم يكن للمفسر مجهود في هذا التفسير أكثر من أنه جمع مقالات أهل الحقيقة، ورتبها حسب ترتيب السور والآيات.

وأهم من نقل عنهم السُّلمي في حقائقه:

---

(١) تاريخ الإسلام ج ٢٨ ص ٣٠٧.

(٢) ينظر: فتاوى ابن الصلاح ج ١ ص ١٩٧، سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٢٥٥.

(٣) مجموع الفتاوى ج ٤ ص ٧٨، وعامة ما يرويه السُّلمي من وضع الشيعة على جعفر.

(٤) ينظر أمثلتها في القسم التطبيقي من الرسالة.

جعفر بن محمد الصادق (ت: ١٤٨)، وابن عطاء (ت: ٣٠٩)، والجنيد (ت:٢٩٧)[١]، والفضيل بن عياض (ت: ١٨٧)[٢]، وسهل التستري (ت: ٢٨٣)[٣]، وغيرهم كثير.

وفي نقولات السُّلمي يقول شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨): «وما ينقل في حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السُّلمي يتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها: نقولات ضعيفة عمن نقلت عنه، مثل أكثر ما نقله عن جعفر الصادق، فإن أكثره باطل عنه[٤]. وعامتها موقوفة على عبد الرحمن. وقد تكلم أهل المعرفة في نفس رواية أبي عبد الرحمن حتى كان البيهقي إذا حدث عنه يقول حدثنا عن أهل سماعه.

الثاني: أن يكون المنقول صحيحاً لكن الناقل أخطأ فيما قال.

الثالث: نقولات صحيحة عن قائل مصيب، فكل معنى يخالف الكتاب والسنة فهو باطل، وحجته داحضة، وكل ما وافق الكتاب السنة والمراد بالخطاب غيره إذا فسر به الخطاب فهو خطأ وإن ذكر على سبيل الإشارة والاعتبار والقياس فقد يكون حقاً وقد يكون باطلاً.

---

(١) الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي القواريري، والده الخزار، هو شيخ الصوفية وهو من أئمة القوم وساداتهم، تفقه على أبي ثور، وسمع من السري السقطي وصحبه، ومن الحسن بن عرفة، وغيرهم، وحدث عنه: جعفر الخلدي، وأبو محمد الجريري، وأبوبكر الشبلي، وعدة غيرهم، ينظر: التعرف لمذهب التصوف ص٣٠، صفة الصفوة ج ٢ ص٤١٦، تاريخ الإسلام ج ٢٢ ص١١٨.

(٢) هو الإمام القدوة الثبت، شيخ الإسلام، الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي الخراساني، المجاور بحرم الله، ولد بمسرقند، ونشأ بأبيورد، ارتحل وطلب العلم، كتب عن منصور والأعمش، وليث، وعطاء بن السائب، وغيرهم، حدث عنه: ابن المبارك، ويحيى بن القطان، وابن عيينة، والأصمعي، وعبد الرزاق، والشافعي وسفيان الثوري، ينظر: طبقات الصوفية ص ٢٢، وحلية الأولياء ج ٨ ص ٨٤، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ١١٠.

(٣) هو سهل بن عبد الله بن يونس أبو محمد التستري الصوفي، لقي في الحج ذا النون المصري وصحبه، روى عنه الحكايات: عمر بن واصل، وأبو محمد الجريري، وعباس عصام وغيرهم، له مواعظ حسنه، ينظر: صفة الصفوة ج ٤ ص ٦٤، السير ج ١٣ ص ٣٣٠.

(٤) منهاج السنة النبوية ج ٨ ص ٤٣.

وقد تبين بذلك أن من فسر القرآن أو الحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة، والتابعين، فهو مفتر على الله، ملحد في آيات الله، مُحرف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام»[(١)].

وبعد فهذه أقوال بعض العلماء في تفسير السُّلمي، وقد أجمعوا على الطعن فيه لما فيه من تحريف لظاهر القرآن وباطنه أيضاً.

[٤] الكشاف عن حقائق التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:

لمحمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨):

أولاً: التعريف بالمفسر:

اسمه وكنيته[(٢)]:

هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري الحنفي، يكنى أبا القاسم، ويلقب بجار الله؛ لأنه جاور بمكة زماناً.

نشأته ورحلاته:

ولد الزمخشري بزمخشر سنة ٤٦٧هـ، وبها نشأ ودرس على بعض مشايخها، ثم رحل إلى بخارى ليطلب العلم في مطلع حياته.

ثم انتقل إلى خراسان، واتصل ببعض رجال الدولة هناك ومدحهم، ويظهر أنه لم ينل شيئا مما قال فغادرها إلى أصبهان، وأصيب بعد ذلك بمرض أنهكه، فلما شفي منه انتقل إلى بغداد فناظر بها، وسمع من علمائها.

---

(١) مجموع الفتاوى ج ١٣ ص ٢٤٣.

(٢) مصادر ترجمته: الأنساب ج ٣ ص ١٦٣، المنتظم ج ١٨ ص ٣٧، وفيات الأعيان ج ٥ ص ١٦٨، السير ج ٢٠ ص ١٥، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ج ٢ ص ١٦٠، النجوم الزاهرة ج٥ ص ٢٧٤، تاج التراجم في طبقات الحنفية لقاسم بن قطلوبغا ص ٢٩٢، طبقات المفسرين للسيوطي ص ١٢٠، بغية الوعاة ج ٢ ص ٢٧٩، شذرات الذهب ج ٤ ص ١١٨، أبجد العلوم ج ٣ ص ٣٠، هدية العارفين ج ٦ ص ٤٠٢.

ثم اتجه إلى مكة، وقرأ كتاب سيبويه (ت: ١٨٠)، ولبث في جواره هذا عامين زار فيها كل بقعة من بقاع أرض العرب، وفي ذلك يقول: «وطئت كل تربة في أرض العرب»(١).

ثم أنه اشتاق إلى وطنه فرحل إليه، ثم عاد إلى مكة مرة أخرى، وجاور بها جواره الثاني ثلاث سنين، ألف فيه كشافه.

ثم عاوده الحنين إلى وطنه، فأقام به إلى أن مات سنة ٥٣٨هـ.

مكانته العلمية:

شهد كثير من العلماء بسعة علمه، وأنه كان رأساً في البلاغة والمعاني والبيان، ومن أقوالهم:

قول الذهبي (ت: ٧٤٨) في ترجمته للزمخشري: «العلامة كبير المعتزلة، النحوي، صاحب الكشاف والمفصل، كان رأساً في البلاغة والعربية، والمعاني والبيان، وله نظم جيد»(٢).

وقال السيوطي (ت: ٩١١): «كان واسع العلم، كثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة، متفنناً في كل علم، معتزلياً قوياً في مذهبه، مجاهراً به، داعية إليه، علامة في الأدب والنحو»(٣).

مؤلفاته:

ذكر المترجمون له أن له نحو خمسين مؤلفاً في مختلف الفنون، ومن أهمها(٤):

- تفسيره الكشاف عن حقائق التنزيل: وسيأتي التعريف به.

- الفائق في غريب الحديث: وقد رتبه على حروف المعجم، لكن في العثور على الحديث منه كلفة، ومشقة.

---

(١) أساس البلاغة ص ٦١.

(٢) ملخصة من ترجمة الذهبي له في السير ج ٢٠ ص ١٥١، ١٥٢.

(٣) بغية الوعاة ج ٢ ص ٢٧٩.

(٤) ذكر أغلبها ياقوت الحموي في معجم الأدباء ج ٥ ص ٤٩٤.

- أساس البلاغة: وهو من المعاجم المفيدة، وله عناية خاصة بالاستعارة والمجاز في اللغة.

- المفصل: كتاب في تعليم النحو، اعتنى به، وشرحه الكثير من أئمة النحو، وصار عمدة في هذا الفن. وغيرها من كتبه المفيدة التي تدل على أن حياته العلمية مليئة بالعطاء، والإفادة.

عقيدته:

الزمخشري من أهم رؤوس المعتزلة ودعاتها الأقوياء، وقد عاش في بيئة تموج بالاعتزال والمعتزلة.

فعاش الزمخشري متحمساً للاعتزال داعية إليه، فلم يألُ جهداً في الانتصار لمذهبه والرد على مخالفيه والطعن فيهم، وهذا ما أراده من تفسيره الكشاف[(١)].

وهذا نبذة مختصره عن المعتزلة[(٢)]:

المعتزلة سُموا بذلك لاعتزالهم أقوال المسلمين في مرتكب الكبيرة، حيث قالوا: إنه في منزلة بين المنزلتين، فلا هو مؤمن ولا هو كافر، وقيل سُموا بذلك لاعتزال زعيمهم واصل بن عطاء (ت: ١٣١) مجلس الحسن البصري (ت: ١١٠) وذكر البغدادي (ت: ٤٢٩) والذهبي (ت: ٧٤٨) أن الحسن طرد واصل من مجلسه فاعتزل عند سارية من سواري المسجد[(٣)].

وظهور المعتزلة في الوسط الإسلامي لم يكن مجرد مصادفة، بل هي كغيرها من الفرق التي كانت وليدة النظر في الآراء الفكرية الأجنبية والتأثر بفلسفتها، ومن تقديم العقل على

(١) ينظر: مقدمة التفسير ج ١ ص ١.

(٢) ينظر: في مذهبهم: التنبيه والرد ص ٣٦، الفرق بين الفرق ص ١٥، الملل والنحل ج ١ ص ٥٩، بيان تلبيس الجهمية ج ١ ص ٤١٩، المواقف للإيجي ج ٣ ص ٦٥٢، شرح الطحاوية ص ٣٣٤، الموسوعة الميسرة ج ١ ص ٦٤.

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق ص ١٥، سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٤٦٤.

نصوص الشرع لتطبيق تلك الآراء[1].

وقد جاءت المعتزلة في بدايتها بفكرتين مبتدعتين:

الأولى: القول بأن الإنسان مختار بشكل مطلق في كل ما يفعل، فهو يخلق أفعاله بنفسه[2].

الثانية: القول بأن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً، ولكنه فاسق، فيكون في منزلة بين المنزلتين، أما في الآخرة فهو مخلد في النار.

ثم حرر المعتزلة مذهبهم في خمسة أصول:

١ - **التوحيد**: لم يفهم المعتزلة من معنى تنزيه الله تعالى عن الشبيه والمماثل سوى سلب معاني الصفات وإنكارها، فنفوا عن الله جميع صفاته، وادعوا أن الصفات ليست شيئاً غير ذاته، وتأولوا على ذلك الآيات والأحاديث التي تثبتها وحرفوا معناها.

٢ - **العدل**: ومعناه في رأيهم نفي أن يكون الله خالقاً لأفعال العباد، لأنه عندهم منافٍ للعدل، وجعلوا العبد حرًّا مختاراً يفعل ما يشاء ويدع ما يشاء، فهم قدرية ينفون القدر.

٣ - **الوعد والوعيد**: فهموا من نصوص الوعد والوعيد أن الله لابد أن ينفذهما دون مغفرة للكبيرة إلا أن يتوب منها أو يخلد في النار. والصواب في ذلك أن الله تعالى لا يخلف وعده، ويتكرم بالعفو عن الوعيد[3].

٤ - **المنزلة بين المنزلتين**: وهذا الأصل يُعد نقطة البدء التاريخية في نشأة المعتزلة، فمرتكب الكبيرة عندهم ليس بمؤمن ولا كافر في الدنيا، بل هو بين الإيمان والكفر، وفي الآخرة يخلد في النار.

٥ - **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: وتختلف فكرتهم في هذا الأصل عن رؤية سائر الأمة، فهم يرون أن المعروف: كل فعل عرف فاعله حُسنه، أو دلّ عليه، والمنكر: كل فعل

---

(١) ينظر: جناية التأويل الفاسد ص ٢٠٩.

(٢) ينظر: الرد على هذا التحريف عند آية ٧، ٢٦،١٥، من سورة البقرة وغيرها من المواضع.

(٣) ينظر: تفصيله في العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ص ٨٥، مجموع الفتاوى ج ١٢ ص ٤٨٠.

عرف فاعله قُبحه، أو دل عليه(١).

ونظرتهم تدل على تعويلهم على عقولهم وإهمالهم لتحكيم الشرع.

وأما تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو بنشر أصولهم، والدعوة إلى عقيدتهم، واستخدموا القوة والعنف في ذلك، فأباحوا قتل المخالفين غيلة، والخروج على الحاكم الشرعي والاستيلاء على الحكم بالقوة(٢).

ولهم انحرافات أُخرى غير هذه الأصول أو متشعبة منها.

ثانياً: التعريف بالتفسير:

أورد المؤلف اسم تفسيره في مقدمته، واسمه (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل).

ويذكر أيضاً في مقدمته سبب التأليف؛ وهو أن طائفة من إخوانه المعتزلة، استحسنوا ما يبرزه لهم من حقائق، فاقترحوا أن يُملي عليهم هذا التفسير.

وقد طبع الكتاب أكثر من تسع طبعات(٣). أما عن منهجه في التفسير فيمكن تلخيصه فيما يلي:

* تعصب لعقيدته وطوع الآيات لتوافقها، فوقف أمام النص وقفة عقلية، يقرر آراءه العقلية التي تسبق السنة والإجماع والقياس(٤).

* يبتدئ تفسيره للسورة بذكر اسمها، وعدد آياتها، وهل هي مكية أو مدنية؟ وقد يذكر أحياناً سبب النزول، ثم يبدأ في بيان معنى الآية مستعيناً على إيضاحها بالنحو واللغة والبلاغة.

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين ص ٢٧٨ جناية التأويل الفاسد ص ٢١٦.

(٢) ينظر: المرجعين السابقين.

(٣) ينظر: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لإدورد فنديك ص١١٤، المسائل الاعتزالية ج١ ص٤٤.

(٤) ينظر: المسائل الاعتزالية ج١ ص٤٤.

* يناقش أوجه القراءات في الآية، وما يتبعه من الاختلاف في معنى الآية، ثم يختار منها ما يرجحه[١].

* يتسامح في إيراده للأحاديث والإسرائيليات، فتجد منها في تفسيره الموضوع والمنكر، وقد ينبه بضعفها أحياناً، أو يصدرها بلفظ روي، لكن الزمخشري قليل البضاعة في الحديث.

قيمة الكتاب العلمية:

يعد كتاب الكشاف على ما فيه من اعتزال أحد كتب التفسير المبرزة في الجانب البلاغي واللغوي في القرآن، وقد أبدى فيه مؤلفه جملة من وجوه الإعجاز، وأظهر فيه من جمال النظم القرآني، وبلاغته شيئاً كثيراً، لكنه قد يروج اعتزاليته على الكثير لخفائها ودقته في دسها في تفسير الآية.

ولقد حَظِيَ الكشاف باهتمام عدد من المحققين، بين مستخرج لاعتزالياته، ومن مناقش لوجوه الإعراب فيه، ومن مخرِّج لأحاديثه وأشعاره، وأشهر من كتب عنه:

ناصر الدين ابن المنير الأسكندري (ت: ٦٨٣)[٢] في كتابه الانتصاف، بين فيه ما تضمنه من الاعتزال، ولكنه يرد عليه بالعقيدة الأشعرية.

---

(١) لكن الزمخشري يُحَكِّم اللغة على القراءة الثابتة فأوقعه ذلك في أخطاء شنيعة، ينظر: مثاله عند آية ١٧٧ من سورة البقرة في القسم التطبيقي.

(٢) هو أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم مختار بن أبي بكر بن علي الجروي الإسكندري ناصر الدين ابن المنير، يكنى أبو العباس، سبط العلامة شيخ القراء كمال الدين أبو العباس أحمد بن فارس، وقد أخذ عنه ابن المنير، وأخذ ابن المنير عن أبيه وعز الدين بن عبد السلام السُّلمي سلطان العلماء، وابن الحاجب عثمان ابن عمر، فصار إماماً في اللغة والعربية، متبحراً في العلوم، وله مؤلفات كثيرة نافعة، ينظر: ذيل مرآة الزمان لأبي الفتح اليونيني ج ٢ ص ٨٢، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٦١.

وممن كتب عليه شرف الدين بن محمد الطيبي (ت: ٧٤٣)[١] وهي أجل حواشيه، تقع في ستة مجلدات.

ومن الذين كتبوا حديثاً عن حاشية الكشاف صالح بن غرم الله الغامدي في حاشيته «المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنير»، وقد أفدت من تتبعه لبعض التحريفات من تفسير الكشاف، والرد عليها لكنه قيد كتابه بما تعقبه ابن المنير على الزمخشري فلا يتعرض للتحريفات التي لا يتعقبها ابن المنير.

[٥] مفاتيح الغيب: لفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦):

أولاً: التعريف بالمفسر:

اسمه ونسبه وكنيته[٢]:

محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي القرشي التيمي البكري، أبو المعالي وأبوعبد الله، المعروف بالفخر الرازي (فخر الدين)، ويقال له: ابن خطيب الريّ[٣].

والرازي نسبه إلى مدينة الريّ التي ولد فيها، على غير قياس، والرازي عربي الأصل.

---

(١) هو الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي، من علماء الحديث والتفسير والبيان، من أهل توريز من عراق العجم، كان آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، وله مصنفات نافعة، ينظر: الدرر الكامنة ج٢ ص١٨٥، بغية الوعاة ج١ ص٥٢٢، شذرات الذهب ج٦ ص١٣٧.

(٢) مصادر ترجمته: طبقات الفقهاء ص ٢٦٣، التدوين في أخبار قزوين ج ١ ص ٤٧٧، الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٢٦٢، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٢٣، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٤٦٦، وفيات الأعيان ج ٤ طبقات الشافعية الكبرى ج ٦ ص ١٠٤، البداية والنهاية ج١٣ ص ٥٥، طبقات المفسرين للسيوطي ص ١١٥.

(٣) الريّ: بادت وأصبحت مجرد خرائب، وهي قريبة من طهران عاصمة إيران حالياً، ينظر: التفسير ورجاله محمد الفاضل ص ٨٢.

نشأته ووفاته:

ولد الرازي سنة أربع وأربعين وخمس مئة، وقيل: ثلاث وأربعين، قصد أقطار الأرض لطلب العلم، وكانت له يد طولى في الوعظ باللسان العربي والفارسي، وكان من أهل الدين المعظمين عند ملوك خوازم وغيرهم.

خرج من خوارزم بسبب مناظراته مع المعتزلة فيها، ثم قصد ما وراء النهر، فجرى له نحو ما جرى بخوارزم فعاد إلى الريّ، ثم استقر بخراسان، وأقام بهراة، ونال حظوة عند السلاطين، وتوفي فيها سنة ست وستمائة بعد مرض أصابه.

علمه ومصنفاته[1]**:**

كان مبدأ اشتغاله على والده وعلماء الريّ، ثم رحل في طلب العلم، حتى علا شأنه وذاع صيته، له مجلس وعظ يحضره الملوك، والوزراء، والعلماء، والأمراء، والفقراء، والعامة، وكان الناس يقصدونه ويهاجرون إليه من كل ناحية.

وكان الفخر الرازي شديد الحرص في سائر العلوم الشرعية والعقلية، رزق الحظوة في تصانيفه وانتشرت في الأقاليم، قال الذهبي (ت: ٧٤٨): «انتشرت تواليفه في البلاد شرقاً وغرباً»[2]، وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤): «أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار، له نحو من مائتي مصنف»[3].

ومن أشهر مصنفاته:

- التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، وسيأتي التعريف به.

المحصول في علم أصول الفقه.

تأسيس التقديس.

الخلق والبعث.

---

(١) ينظر: أسماء الكتب ص ١٢٤، أبجد العلوم ج ٣ ص ١١١، هدية العارفين ج ٦ ص ١٠٧، الأعلام ج ٦ ص ٣١٣، معجم المؤلفين ج ٢ ص ١٨٨.

(٢) السير ج ٢١ ص ٥٠١.

(٣) البداية والنهاية ج ١٣ ص ٥٥.

الخمسين في أصول الدين.

عصمة الأنبياء.

رسالة في النبوات.

وله كتب في الطب والهندسة، وشتى الفنون.

مكانته العلمية:

عدّه السبكي (ت: ٧٧١) من المجددين للقرن السادس، فقال: «والسادس: الإمام فخر الدين الرازي»[١].

وقال: «إمام المتكلمين ذو الباع الواسع،... بحر ليس للبحر ما عنده من الجواهر، وحبر سما على السماء، وأين للسماء مثل له من الزواهر..... »[٢].

وقال ابن الأثير (ت: ٦٣٠): «كان إمام الدنيا في عصره»[٣].

وقال الذهبي (ت: ٧٤٨): «شيخ الأصوليين العلامة الكبير ذو الفنون... المفسر كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين»[٤] ولكنه قال أيضاً: «بدت منه في تواليفه بلايا، وعظائم، وسحر، وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه فإنه توفي على طريقة حميدة والله يتولى السرائر»[٥].

عقيدته:

جميع مصنفاته تدل على أنه كان على عقيدة الأشاعرة، فقد كان مؤصلاً لمذهب الأشاعرة فيها ومتعصباً لها، لكنه ترك في توصياته ما يدل على رجوعه إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وقد تقدم ذكرها[٦].

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ج ١ ص ٢٠٢.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ج ١ ص ٢٠٢.

(٣) الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٣٥٠.

(٤) السير ج ٢١ ص ٥٠٠.

(٥) المرجع السابق.

(٦) في مبحث آثار التحريف ص٢٢٦.

وتقدم قول الذهبي (ت: ٧٤٨): «والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر...»[(١)].

وبما أن تفسيره يعد مرجعاً في العقيدة الأشعرية، فمن المناسب ذكر أهم أفكارها بإيجاز:

تنتسب الأشاعرة إلى أبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤) الذي أخذ عن عبد الله بن سعيد بن كلاب (ت: ٢٤٠) إثبات سبع صفات فقط من صفات الله تعالى، لأن العقل دل عليها[(٢)] وتأوّل الباقي، وقد تبنى الأشعري مذهب ابن كلاب بعد أن رجع عن الاعتزال، وقد تزعمه أربعين سنة.

لكن الأشعري منَّ الله عليه بالرجوع إلى عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، ولم يقتصر على ذلك، بل خلّف مكتبة كبيرة في الدفاع عنها، ومنها كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) الذي ألفَّه آخر حياته.

ومن ينتسب إليه الآن تعد نسبته غير صحيحة، بل إن بعض الأشاعرة لم يكتفوا بالبدع التي تاب عنها الأشعري، بل أنهم كثرت بدعهم وانحرافاتهم.

ومن أبرز أفكارهم التي خالفوا فيها أهل السنة، ما يلي[(٣)]:

- قدموا العقل على النقل عند التعارض، وحكموا العقل في بعض أصول العقيدة مثل الصفات وإثبات وجود الله تعالى.

---

(١) السير ج ٢١ ص ٥٠٠.

(٢) وهي السمع، والبصر، والعلم، والكلام، والقدرة، والإرادة، والحياة، ولكنهم يرون أن كلام الله هو معنى قائم بالذات يستحيل أن يفارقه، والحروف دلالات على الكلام الأزلي، ينظر: الملل والنحل ج ١ ص ٩٤.

(٣) ينظر: للاستزادة: مقالات الإسلاميين ص٢٩٠-٢٩٧، الإبانة ص٢٠، الملل والنحل ج١ ص٩٤، المواقف ج ١ ص ١٣، ٦٦، ٧٧، وغيرها، أساس التقديس جميع الكتاب في تأصيل عقيدة الأشاعرة، وكتاب ابن تيمية في الرد عليه درء التعارض ج ٤ ص ٧٦ وغيرها، شرح قصيدة ابن القيم ج ١ ص ٤٤٧، وما بعدها.

- عدم الأخذ بأحاديث الآحاد، لأنها لا تفيد اليقين بزعمهم[(١)].

- يثبتون وجود الله تعالى على طريقة بعض الفلاسفة والمتكلمين، وبقولهم: إن الكون حادث ولا بد له من محدث قديم، وأخص صفات القديم مخالفته للحوادث، ومن مخالفته للحوادث ابتدعوا إثبات أن الله ليس بجوهر، ولا جسم، ولا في جهة، ولا في مكان[(٢)]، وقد رتبوا على ذلك من الأصول الفاسدة ما لا يدخل تحت حصر؛ مثل: إنكارهم صفات الرضا، والغضب، والاستواء، بشبهة نفي حلول الحوادث في القديم، من أجل الرد على القائلين بقدم العالم، بينما طريقة السلف في وجود الخالق سبحانه هي طريقة القرآن الكريم.

- تأوّل بعضهم صفات الله تعالى مثل: الوجه، واليدين، والعين، والقدم، والأصابع، والعلو والاستواء، وبعضهم فوّض معانيها إلى الله تعالى[(٣)]، عن الشبيه والمماثل.

- اضطربوا في مسمى الإيمان والكفر على أقوال عدة. مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة.

- يقولون: إن القرآن مخلوق، وهو كلام الله النفسي، لينفوا صفة الكلام عن الله تعالى.

- أثبتوا رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة من غير جهة أو مكان، فأثبتوا ما لا يمكن رؤيته، وهذا تناقض.

وغير ذلك من أفكارهم التي لا يتسع المقام للتفصيل فيها.

ثانياً: التعريف بالتفسير:

اسم التفسير (مفاتيح الغيب) وهو قمة إنتاج الرازي، وقد قيل: إنه أطلق عليه (التفسير الكبير) ليميزه عن كتابه الآخر (أسرار التنزيل وأنوار التأويل) الذي سماه التفسير الصغير.

---

(١) سبق التفصيل في هذا التحريف ص١٦٥.

(٢) ينظر: الرد على هذا التحريف عند آية ٢٨، ٢٩ من سورة البقرة.

(٣) أهل السنة والجماعة يفوضون الكيفية دون المعنى، فالمعنى معلوم لكن الكيف مجهول، أما المبتدعة فيفوضون المعنى لنفيهم له عن الله تعالى لأنه يقتضي التشبيه بزعمهم.

وطبع تفسيره عدة طبعات، تزيد عن ٥ طبعات، منها ما هو في ٦ أجزاء، ومنها ما هو في ٨ أجزاء[١]، وقد اعتنى به الباحثون، وسُجّلت فيه رسائل جامعية كثيرة. وهناك خلاف بين العلماء في إتمام الرازي لتفسيره، وقد ناقش بعض الباحثين أقوالهم وأدلتها، ورجحوا إتمام التفسير كاملاً من قبل الرازي[٢].

وأما عن منهج الرازي في تفسيره فيمكن إجماله فيما يلي[٣]:

- أصّل من خلال تفسيره معتقد الأشاعرة وتعصب له ورد على مخالفيه.

-لم يكن يتتبع في تفسيره ترتيب السور، ويتجلى ذلك من خلال التواريخ المضبوطة في نهايات تفسير السور[٤].

- اعتنى بتفسير القرآن بالقرآن في مواضع كثيرة جداً من كتابه.

- يهتم بذكر القراءات منسوبة لأصحابها في الغالب، ويوجه معاني الآيات على كل قراءة.

- اشتغل في تفسيره كثيراً بأهل الكلام والفلسفة، واهتم بذكر الأصول، ومسائل الخلاف، وكل هذا لم يدع له مجالاً للعناية بتفسير القرآن بالسنة، ويؤخذ عليه نقله لكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

- اهتم ببيان أسباب النزول، والمناسبات بين الآيات، ومسائل النسخ.

- عرض لكثير من مسائل الاعتقاد، وأكثر من مناظرة أهل الملل والمذاهب المنحرفة، وكذلك الرد على أهل السنة والجماعة ونبزهم بالألقاب.

---

(١) ينظر: الأعلام ج ٦ ص ٣١٣، معجم المؤلفين ج ٢ ص ١٨٨.

(٢) ينظر: ترجيحات الرازي في تفسيره في ضوء قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني دراسة نظرية تطبيقية رسالة دكتوراه إعداد عبد الله الرومي ج ١ ص ١٦٦.

(٣) ملخصة من: استقرائي لسورتي الفاتحة والبقرة من تفسيره بالإضافة إلى بعض الرسائل الجامعية مثل رسالة الدكتوراه السابقة، منهج الفخر الرازي في التفسير بين مناهج معاصريه للدكتور محمد عبدالرحمن، رسالة دكتوراه بعنوان الرازي مفسراً لمحسن عبد الحميد من جامعة بغداد.

(٤) ينظر: على سبيل المثال نهاية تفسير سورة الأنفال والتوبة.

- اهتم بالفقه وبتأصيله واستنباط المسائل الفقهية من الآيات.

- أطال في علوم لا صلة لها بالتفسير مما جعل بعضهم يصفه بأن فيه كل شي إلا التفسير، وهذا قول بعض المتطرفين[١] لكن الإنصاف ما قاله تاج الدين السبكي (ت:٧٧١): «فيه كل شئ مع التفسير»[٢].

والتفسير على رغم ما فيه من تحريف في جانب العقيدة، إلا أن فيه ثروة علمية كبيرة.

[٦] تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤):

أولاً: التعريف بالمفسر:

نسبه واسمه[٣]:

هو محمد بن علي بن رضا بن محمد شمس الدين بن السيد بهاء الدين بن السيد مُلاّ علي خليفة البغدادي.

نشأته ووفاته:

ولد المفسر سنة ١٢٨٢هـ في قرية (قلمون) جنوب طرابلس الشام، ونشأ بها ودخل في كُتّابها، وتعلم فيه قراءة القرآن الكريم، والخط، وقواعد الحساب، ثم دخل المدرسة الرشدية الابتدائية فيها، ثم تركها والتحق بالمدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس الشام أيضاً، فلما أغلقت التحق بالمدارس الدينية بطرابلس حتى نال الشهادة العالية ونال الإجازة في التدريس.

اشتهر عن محمد رشيد حبه لكل من جمال الدين الأفغاني (ت: ١٣١٤) ومحمد عبده (ت: ١٣٢٣) وقد عزم الرحيل إلى مصر للاتصال بمحمد عبده بعد وفاة الأفغاني، وكان وصوله للقاهرة عام ١٣١٥هـ.

---

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط ج ١ ص ٥١١، وقد وصف أبو حيان أصحاب هذه المقولة بالتطرف.

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات ج ٤ ص ١٧٩.

(٣) مصادر ترجمته: مشاهير علماء نجد وغيرهم ج٣ ص٨٧، المدرسة العقلية ج ١ ص ١٧٠ التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٦٢١.

ولشدة إعجابه بشيخه محمد عبده اقترح عليه أن يقرأ عليهم درساً في التفسير، فوافق وابتدأه في عام ١٣١٧هـ، ولم يتوقف بعد موته بل واصله تلميذه محمد رشيد.

ومحمد رشيد أحد رجالات الإصلاح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكان له باع طويل في الإصلاح الاجتماعي والدعوة لدين الله، ليس في بلده فقط بل في العالم الإسلامي كافة، ومن نشاطه الدعوي إنشاء مدرسة لتخريج الدعاة وإرسالهم إلى أطراف العالم الإسلامي.

وكان من أهدافه في انتقاله إلى مصر إنشاء صحيفة، فأنشأ مجلته المنار وجعلها منبراً للإصلاح.

أما التأليف فقد كان له همة عالية وقلماً سيالاً، فهو من المكثرين، المهتمين بالتأليف، ومن أشهر مؤلفاته:

- تفسيره المسمى بالمنار: وسيأتي الحديث عنه.
- الوحي المحمدي.
- السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة.
- مناسك الحج.
- إنجيل برنابا.
- فتاوى محمد رشيد.
- ترجمة القرآن.

وغيرها من المؤلفات كثير، إضافة إلى المقالات والرسائل والخطب والدروس.

وفاته:

توفي محمد رشيد سنة ١٣٥٤هـ.

عقيدته:

كان محمد رشيد ينقل عن شيخه تأويله للصفات على مذهب الأشاعرة، لكنه رجع عنه إلى مذهب أهل السنة والجماعة، كما يتجلى هذا من تراجعاته في تفسيره المنار عن بعض الانحرافات في أسماء الله تعالى، وصفاته، وذمه للتأويل، ورجوعه إلى مذهب السلف.

وقد رجع رضا بعد وفاة أستاذه محمد عبده إلى عقيدة السلف وبذل جهداً كبيراً في الدفاع عنها والدعوة إليها، وألّف في الدفاع عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٠٦) مما أثار عليه الخصوم.

لكن محمد رشيد لديه بعض الانحرافات في العقيدة بسبب انتمائه للمدرسة العقلية التي انحرفت عن منهج أهل السنة والجماعة، وفيما يلي: موجز عنها وعن أشهر أفكارها التي ضلّت فيها عن المنهج الحق:

المدرسة العقلية الحديثة قامت تحت تأثر كبير بالاستعمار الأوربي في بلاد المسلمين، وكان لهذه المدرسة رجال مؤسسون[1] أرادوا التوفيق بين ما دهشوا به من ثقافة الغرب، والدين الإسلامي، وسموا هذه الدعوة بالنهضة الإصلاحية، وكان لهم شطحات كبيرة حكّموا فيها عقولهم في نصوص الشرع، مما جعل العلماء يطلقون عليهم معتزلة العصر، ويمكن إجمال منهجهم فيما يلي:

* تحكيمهم للعقل في نصوص الشرع، ويتضح ذلك في عدة أمور:

- إنكار كثير من معجزات الأنبياء وتأويلها[2].

- إنكار خلق الملائكة والجن، وتأويلها بالقوى اللطيفة والجراثيم[3].

- التقليل من شأن التفسير بالمأثور والجرأة على رد أحاديث ثابتة ومتفق عليها. لأنها تصادم العقل في نظرهم، أو ما أرادوه من جمع بين ثقافة الغرب والإسلام[4].

- تأويل كثير من الآيات القرآنية والأحاديث وجعلها من قبيل المجاز والتمثيل، مثل

---

(١) من أهم مؤسسيها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.

(٢) مثل قصص إحياء الأموات في سورة البقرة وفي غيرها، ورفع عيسى عليه السلام، ينظر: المدرسة العقلية ج ٢ ص ٤٥٤، وينظر: الرد على تحريفهم لما في سورة البقرة آية ٦٧، ٢٤٣ من سورة البقرة في القسم التطبيقي.

(٣) ينظر: الرد على هذا التحريف عند آية ٣٥، ٢٧٥ من سورة البقرة.

(٤) ينظر: مثال ذلك والرد عليه عند آية ٥٨ من سورة البقرة.

ادعائهم التمثيل في قصص القرآن[(١)].

- تأويلهم لمعنى الجهاد وجعله وسيلة للدفاع عن النفس فقط، وإنكارهم لبعض حدود الشرع مثل حد السرقة والزنا وغيرهما[(٢)].

- تحليلهم بعض المحرمات المجمع على تحريمها مثل الربا[(٣)].

- ويعد من أخطر أفكارهم؛ محاولاتهم للتقريب بين الأديان ونتج عنه تحريفهم لمعنى الإسلام، والكفر، والإيمان[(٤)].

- وأيضاً هم يحكمون العقل في أسماء الله وصفاته.

- ولهم بعض الانحرافات التي لا تضبط بمنهج معين سوى الجرأة على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والقول فيهما بغير علم.

وصارلهذه المدرسة حظوة كبيرة من قبل أعداء الإسلام، فرحب بها المستشرقون، ومن اغتر بهم من ضعاف الدين من المسلمين، وكان لبعض رجالها دعم كبير من قبل المستعمرين.

ثانياً: التعريف بالتفسير[(٥)]:

بادر محمد رشيد رضا بكتابة تفسير أستاذه محمد عبده، ثم نشره في مجلة المنار التي يصدرها محمد رشيد، ولهذا اشتهر التفسير بتفسير المنار، ثم بدا له أن ينشره بطبعة مستقلة، وقد انتهى شيخه عند آية ١٢٥ من سورة النساء، فواصل بعده محمد رشيد حتى انتهى إلى آية ١٠١ من سورة يوسف، وجمع بهجت البيطار سورة يوسف وكانت متفرقة وطبعها في كتاب مستقل، وقد صدر التفسير لأول مرة في اثني عشر مجلداً متوسطة الحجم، ثم طبع عدة طبعات.

---

(١) ينظر: الرد على هذا التحريف عند آية ٣٥ من سورة البقرة في القسم التطبيقي.

(٢) ينظر: تحريف المصطلحات ص ٥٨، الانحراف الفكري ج ١ ص ٣٤٩، ٣٦٩.

(٣) ينظر: المدرسة العقلية ج ٢ ص ٧٥٢.

(٤) ينظر: التفصيل في أقوالهم والرد عليها عند آية ٦٢ من سورة البقرة.

(٥) ينظر: اتجاهات التفسير في العصر الراهن لعبد المجيد المحتسب ص ١٢٤، ٢٦٤، ج ٢ ص ٦٢١، اتجاهات التفسير ج ٢ ص ١٧٠ وما بعدها.

أما عن منهج محمد رشيد في تفسيره فكان لآراء المدرسة العقلية النصيب الأكبر منه، واعتنى فيه بآراء مؤسسها وأستاذها محمد عبده، إلا أنه كما سبق رجع عن تأويل بعض الصفات وبعض الانحرافات العقدية، وعلق في تفسيره بالرجوع عنها.

ويصف محمد رشيد طريقته في التفسير بعد وفاة شيخه، فيقول: «هذا وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها»[(١)].

ومما يذكر عدم التزامه فيما أشار إليه أنه شدد على الناقلين للإسرائيليات بينما تجده ينقل من كتبهم المحرفة مباشرة ويضعها في تفسيره ليستشهد بها في تفسير كتاب الله تعالى[(٢)].

ولكنه اعتنى بالجوانب الإصلاحية فربط تفسيره بمشاكل المجتمع، واهتم بالمسائل التي تشتد حاجة المسلمين إليها.

[٧] الجواهر في تفسير القرآن الكريم: لطنطاوي جوهري:

أولاً: التعريف بالمفسر:

اسمه ونشأته[(٣)]:

اسمه طنطاوي جوهري المصري، ولد سنة ١٢٨٧هـ، بكفر عوض الله حجازي في (الشرقية)، وتلقى العلم في الأزهر، ثم في المدرسة الحكومية، ثم في دار العلوم، وتخرج فيها سنة ١٣١٠هـ، وعُين بعد تخرجه مدرساً في دار العلوم، ألقى محاضرات في الجامعة المصرية، وناصر الحركة الوطنية.

رفض القضاء، وكان رئيساً لجمعية المواساة الإسلامية بالقاهرة، وتولى رئاسة تحرير (مجلة الإخوان المسلمين) مدة، وانقطع للتأليف، فصنف نحو ٣٠ مؤلفاً منها:

---

(١) تفسير المنار ج ١ ص ١٦.

(٢) ينظر: تفصيل ذلك والرد عليه عند آية ٦٧ من سورة البقرة في القسم التطبيقي.

(٣) ينظر: ترجمته في الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٢٣٠، اتجاهات التفسير ج ٢ ص ٦٣٩، اتجاهات التفسير في العصر الراهن ص ٢٧٢.

- تفسيره وسيأتي الحديث عنه.
- أصل العالم.
- النظام والإسلام.
- نظام العالم والأمم.
- الأرواح.
- أين الإنسان؟
- القرآن والعلوم العصرية.
- سوانح الجوهري.

واهتم في تواليفه بالعلوم الحديثة اهتماماً كبيراً حتى غلبت على تفسيره كما سيأتي بيانه.

عقيدته:

اتبع الجوهري عقيدة الأشاعرة في تأويل الصفات وأخذ أفكار المدرسة العقلية، فهو أحد رجالاتها، بل زاد عليها تحريفات أشد نكرا.

وفاته:

توفي في القاهرة سنة ١٣٥٨هـ.

ثانياً: التعريف بالتفسير:

ألفه سنة ١٣١٠هـ، وسماه (الجواهر في تفسير القرآن الكريم)، طبع في خمسة وعشرين جزءاً، أضاف إليها ملحقاً لتفصيل ما أجمل فيه من العلوم الكونية، والأحكام الشرعية، فكان الجزء السادس والعشرين.

ويعد تفسيره أول تفسير علمي كامل للقرآن الكريم، ولكنه غلا فيه مفسره وانحرف عن الحق، فتناوله العلماء بالدراسة والنقد(١).

سبب تأليفه للتفسير:

يفصح عن سبب ذلك في مقدمته بكلام طويل، ملخصه أنه يطلب علاج الشك في قلبه، ويرجع تعمقه في تلك العلوم إلى غرمه بها، فيقول: «أما بعد: فإني خلقت مغرماً بالعجائب الكونية ومعجباً بالبدائع الطبيعية»(٢).

منهجه في التفسير:

- يبدأ الحديث عن كل سورة بمقدمة مختصره جداً، يذكر فيها ما للسورة من أسماء

---

(١) ينظر: اتجاهات التفسير ج ٢ ص ٦٣٩.

(٢) مقدمة تفسير الجوهري ج ١ ص ٢.

مكية أو مدنية، وعدد آياتها، ومناسبتها لما قبلها[(١)].

- ويقسم السورة إلى أقسام؛ كل قسم يتكون من عدد من آيات السورة، يُفسر فيه الألفاظ تفسيراً لفظياً مختصراً جداً.

- ثم يعقد بعده فصولاً في الأبحاث العلمية التجريبية[(٢)].

- بالإضافة إلى ما يورده من أبحاث؛ يورد صوراً للأفلاك، والحيوانات، والإنسان وغيرها[(٣)].

- كثيراً ما يذكر الأحداث التي تقع له من منامات وخيالات، ويسميها إلهاماً أو نفحات[(٤)].

- كثيراً ما يستشهد بآراء علماء الشرق والغرب في القديم والحديث[(٥)].

- يكثر من الاستشهاد بنصوص الأناجيل، وغيرها من كتب الفلاسفة في الجرائد، والمجلات الغربية والعربية.

- غلا في تنزيل النظريات العلمية على الآيات، ودعا في تفسيره إلى علوم محرمة مثل تحضير الأرواح، والتنويم المغناطيسي، وزعم أن القرآن يدعو لها، وعلى ذلك حرَّف كثيراً من الآيات[(٦)].

يقول الدكتور فهد الرومي مُبدياً رأيه في تفسير الجوهري: "تفسيره خاطئ انحرف عن جادة الصواب في تفسير القرآن الكريم، انحرافاً لا يقبله ذو الذوق السليم فضلاً عن الخبير بشرط التفسير»[(٧)].

---

(١) ينظر: على سبيل المثال بداية سورة الفاتحة والبقرة وغيرهما.

(٢) ينظر: تفسيره ج ١ ص ٧، ٨، ٩ وغيرها.

(٣) ينظر: المرجع السابق ج ١ ص ٢٤٨، ٢٤٩.

(٤) ينظر: مثلاً ج ١٨ ص ٤، ١٣٩ وغيرها.

(٥) ينظر: مثلاً ج ١ ص ٦٣، ٤٧، ج ٢ ص ١٢٤.

(٦) ينظر: مثلاً ج ١ ص ٨٤ - ٨٩، ج ٣ ص ٩٧ - ٩٩ وغيرها.

(٧) اتجاهات التفسير ج ٢ ص ٦٧٧.

وأكثر العلماء على رأي الدكتور في انحراف تفسير الجوهري، والذي يطَّلع على شئ من تفسيره يتضح خطورة الانحرافات على تفسير كتاب الله تعالى، ويعلم سبب مصادرة هذا التفسير ومنعه.

[٨] الميزان في تفسير القرآن: محمد الطباطبائي (ت: ١٤٠٤):

أولاً: التعريف بالمفسر:

اسمه ونسبه[١]:

هو محمد حسين الطباطبائي ولد سنة ١٣٢١هـ - ١٩٠٣م في تبريز، وبها أكمل تعليمه الابتدائي، ثم انتقل إلى النجف في العراق، حيث واصل دراسته إلى أن نال درجة الاجتهاد، فغادر العراق إلى إيران، وتصدر للتدريس في مدينة (قم)، واهتم بالتدريس والتأليف إلى أن توفي سنة ١٤٠٤هـ.

عقيدته:

الطباطبائي أحد علماء الرافضة، وهذا لا يخفى على المطلع لنظرة أولى في تفسيره، وهذه لمحة موجزة عن معتقد بعض الرافضة:

أبرز معتقدات الرافضة: الرافضة إحدى فرقة الشيعة، وقد سبق الحديث عن نشأة الشيعة في مبحث نشأة التحريف، وأما عن أهم معتقداتهم فيمكن إيجازها فيما يلي:

لم تتفق الرافضة في المذهب والعقيدة، بل افترقوا إلى فرق شتى[٢]، غالى بعضهم وتطرف حتى خرج عن ربقة الإسلام، ووصف حال هذه الفرق يطول، وأكتفي بذكر بعض الأصول التي تشترك فيها أشهر الفرق مثل؛ الدرزية، والنصيرية، والزيدية وغيرها[٣]، فمما تجده من

---

(١) ينظر: اتجاهات التفسير ج ١ ص ٢٣٩.

(٢) وهذا دأب أهل البدع الذين بدلوا دين الله تعالى، واتخذوا من عقول البشر عقائدهم، لا يهتدون سبيلا، بل تتشعب بهم الأهواء، وتتفرق بهم الطرق.

(٣) ينظر: فرق الشيعة ص ٥٥، مقالات الإسلاميين ص ٦٥، التنبيه والرد ص ٣٣، الفرق بين الفرق ص ١١، ١٥، الفصل في الملل ج٤ ص ٧٦، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية ص ٢٧، اعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٥٢، أصول مذهب الشيعة ج١ ص ٩٩.

العقائد عند معظم الرافضة ما يلي:

١-**الإمامة**: وتكون بالنصّ، إذ يجب أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق بالعين لا بالوصف، وادّعوا أن النبي ﷺ قد نصّ على إمامة عليّ بأحاديث وقصص لا يثبتها محدثو أهل السنة ولا مؤرخوهم، ويزعمون أن عليّا قد نص على ولديه الحسن والحسين... وهكذا كل إمام يُوصي بالإمام بعده، ويسمونهم الأوصياء(١).

٢-**الغلو في الأئمة**: زعموا في الأئمة العصمة عن الخطأ والنسيان، واقتراف الصغائر والكبائر، وأن الرسول ﷺ قد استودعهم أسرار الشريعة، فصار لديهم علم لدنّي، وغالى بعضهم حتى زعموا علمهم للمغيبات التي لا يعلمها إلا الله.

وغالى بعضهم في عليّ حتى رفعوه إلى مرتبة الألوهية كالسبئية، وبعضهم قالوا بأن جبريل عليه السلام قد أخطأ في الرسالة، فنزل على محمد ﷺ، بدلاً من أن ينزل على عليّ؛ لأن علياً يشبه النبي ﷺ كما يشبه الغرابُ الغرابَ، ولذلك سموا بالغرابية(٢).

واختار بعض الرافضة اثني عشر رجلاً صالحين من آل البيت غلوا فيهم(٣) ذلك الغلو، ونسبوا إليهم أكاذيب وأقوالاً باطلة، وهم منها مبرؤون، ابتداءً بعليّ رضي الله عنه الذي يلقبونه بالمرتضى، وتسلسلاً بأبنائه وأحفاده على النحو التالي(٤).

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين ص ٢١، منهاج السنة ج١ ص ٢١، وينظر: الرد على تحريف الآيات لتوافق معتقد الإمامة عند الطباطبائي عند آية ١٢٤ وغيرها في القسم التطبيقي، وينظر: الكافي ج١ ص ٢٠٦، تفسير القمّي ج١ ص ٣٨٣، تفسير العياشي.

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٣٧، التبصير في الدين ص ١٢٨، منهاج السنة ج١ ص ٤٨٢، المواقف ج٣ ص٦٨٣، ومن كتبهم أصول الكافي ج١ ص٤٢٥، تفسير العياشي ج٢ ص ٣١٧.

(٣) مما يجدر التنبيه إليه أنا أولى من هؤلاء الرافضة في حب آل البيت، إذ نحفظ لهم قدرهم، ونعرف لهم فضلهم بالأحاديث التي رواها الصحابة، وتناقلها علماء الحديث الذين طعن فيهم الرافضة، ولا نطعن بأحد من صحابة رسول الله ﷺ ولا نفرط في حقهم أو نغلوا في تعظيمهم، وهذه وسطية الإسلام.

(٤) ينظر: أسماء هذه الأئمة المزعومة في التبصير في الدين ص ٣٨، لباب الأنساب والألقاب والأعقاب لابن فندمه ص ٣٣، الصواعق المحرقة ج٢ ص ٥٣١، شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٥٢، ومن كتبهم ينظر: الكافي ج١ ص ٣٧٣، تفسير العياشي ج١ ص ١٧٨.

الحسن بن علي بن أبي طالب م (ت:٥٠) ويسمونه المجتبى.

الحسين بن علي بن أبي طالب م (ت:٦١) ويلقبونه بالشهيد.

زين العابدين عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم (ت:٩٥) ويلقبونه بالسَّجَّاد.

محمد بن عليّ زين العابدين (ت:١١٤) ويلقبونه بالباقر.

جعفر الصادق بن محمد الباقر (ت:١٤٨) ويلقبونه بالصادق.

موسى الكاظم بن جعفر الصادق (ت:١٨٣) ويلقبونه بالكاظم.

علي الرضا موسى الكاظم (ت:٢٠٣) ويلقبونه بالرضى.

محمد الجواد عليّ الرضا (ت:٢٢٠) ويلقبونه بالتقيّ.

عليّ الهادي بن محمد الجواد (ت:٢٥٤) ويلقبونه بالنقيّ.

الحسن العسكري بن عليّ الهادي (ت:٢٦٠) ويلقبونه بالزكيّ.

محمد المهدي بن الحسن العسكري، ويلقبونه بالقائم، والمنتظر، والمهدي، والحجة، ويزعمون أنه دخل في سرداب وهو صغير، وينتظرون خروجه، وادِّعاؤهم أنه المهدي المنتظر من أهم معتقدات الرافضة. ومعظم الباحثين على أنها من اختراعاتهم الباطلة، وما جاء في السنة عن المهدي لا يتوافق مع ما جاؤوا به[١].

٣- **الرجعة**: ينتظرون ذلك المهدي الغائب، ليملأ الأرض عدلاً، ويقتص من خصوم الرافضة، وبهذا تدين الرافضة قاطبة، وقال بعضهم برجعة بعض الأموات[٢].

٤ -**التَّقِيَّة**: «ويعرِّفونها بأنها: كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه، ومكالمة المخالفين فيه، وترك مخالفتهم بما يعقب ضرراً في الدين والدنيا»، وهي أصل من أصولهم، ومن تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة، وهي واجبة حتى يخرج قائمهم، وقد توسعوا في مفهوم

---

(١) ينظر: أقوالهم في عقيدة المهدي تفسير القمي ج٢ ص ٤٢٥، تفسير العياشي ج٢ ص ٧٦، والميزان للطباطبائي ج١ ص ٤٦، والرد عليه عند آية ٣ من سورة البقرة في دراسة التحريفات، وقد ألفوا في المهدي المنتظر أو القائم كتباً كثيرة مستقلة، ينظر: أصول مذهب الشيعة ج٢ ص ٣٦٢.

(٢) ينظر: المراجع السابقة.

التقية إلى حد كبير[١].

٥-**نكاح المتعة**: ويرونه من أفضل القربات[٢].

٦-**التوسع في تكفير المخالفين**: كفروا سائر الصحابة، وسائر أئمة المسلمين وعامتهم، ويتبرؤون من الخلفاء الثلاثة، وينعتونهم بأقبح النعوت، لزعمهم أنهم اغتصبوا من عليّ، وينالون من كثير من الصحابة ﷺ باللعن والطعن فيهم[٣]، ولم يستثنوا إلا نفراً يسيراً منهم.

وقد شملت تفسيره بالبحث لاستخراج ما وقع عليه التحريف من ألفاظ في سورتي الفاتحة والبقرة.

والطباطبائي قرر لمعتقده الرافضي في تفسيره ونافح عنه وحاول تحريف النصوص للاستدلال بها على عليه، وقد تابع المعتزلة والأشاعرة في تفسير أسماء الله تعالى وصفاته، وفي المسائل الفقهية نصر وتعصب لآراء الرافضة، ومن طوامّه في هذا التفسير تشكيكه في وقوع النقص في القرآن حين قال: «الذي تدل عليه هذه الروايات أنّ الموجود فيما بين الدفتين من القرآن هو كلام الله تعالى فلم يزد فيه شئ ولم يتغير منه شئ وأما النقص فإنها لا تفي بنفيه نفياً قاطعاً»[٤].

ثانياً: التعريف بالتفسير:

سمى تفسيره بـ(الميزان في تفسير القرآن) ويعتبر من أهم مؤلفات الرافضة الحديثة، في التفسير نظراً لتوسعه فيه، واشتماله على مباحث علمية عميقة، ويعلق المؤلف على شمولية

---

(١) ينظر: منهاج السنة ج١ ص ٣٨، الشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنية ص ٤٩، ٥٠، اتجاهات التفسير للرومي ج١ ص ١٩١، ومن مراجعهم تفسير العياشي ج٢ ص ٣٥١، ولهم في تقرير هذه العقيدة مؤلفات كثيرة مستقلة.

(٢) ينظر: الأم للشافعي ج٥ ص ٨١، ناسخ الحديث ومنسوخه لأبي حفص بن شاهين ص ٣٥٦، الكافي في فقه الإمام أحمد ج٧ ص ٧٣، تفسير القرطبي ج٣ ص ١٤٩، منهاج السنة ج١ ص ٣٣، وجزم الطباطبائي بجواز المتعة في تفسيره ج١٥ ص ٣٤٩.

(٣) ينظر: منهاج السنة ج٥ ص ١٥٤، تفسير العياشي ج٢ ص ٢٢٣.

(٤) الميزان ج ١٢ ص ١٢٥.

تفسيره في كل جزء منه، بقوله: «كتاب علمي، فني، فلسفي، أدبي، تاريخي، روائي، اجتماعي، حديث، يفسر القرآن بالقرآن»(١).

ويقول: «... ثم وضعناً أبحاثاً، مختلفة، فلسفية، وعلمية، وتاريخية واجتماعية وأخلاقية، حسب ما تيسر لنا»(٢).

وقيل: إن هذا التفسير استغرق من مؤلفه عشرين سنة متتابعة(٣).

طريقته في التفسير:

* يقسم السورة إلى أجزاء، فيبدأ بتفسير ألفاظها، ويشرح الآيات تحت عنوان (بيان).

* يعقد بعد شرحه للآيات مبحثاً روائياً، أغلب ما يذكره فيه من موضوعات الرافضة، ولا يكاد يصح مما يذكره شيء.

* يعقد بعد البحث الروائي بحثاً فلسفياً في أغلب الآيات.

* يعقد أيضاً بحوثاً في علوم القرآن، والتفسير العلمي، والمشكلات الاجتماعية، وغيرها.

* لا يتطرق للمباحث اللغوية والقراءات، ولا يستشهد بالشعر، ولا يكثر من المسائل الفقهية، وقد اشترط ذلك في مقدمته(٤).

* ينقل عن علماء الرافضة الضُلاّل مثل القمي (ت: ٣٠١) والعياشي (ت: ٣٢٠) والكليني (ت: ٣٢٩) وغيرهم، ولا ينقل عن غير الرافضة إلا في القليل النادر مثل نقوله النادرة من الدر المنثور وربما كانت في خدمة المذهب مما يجعله ينقلها في تفسيره.

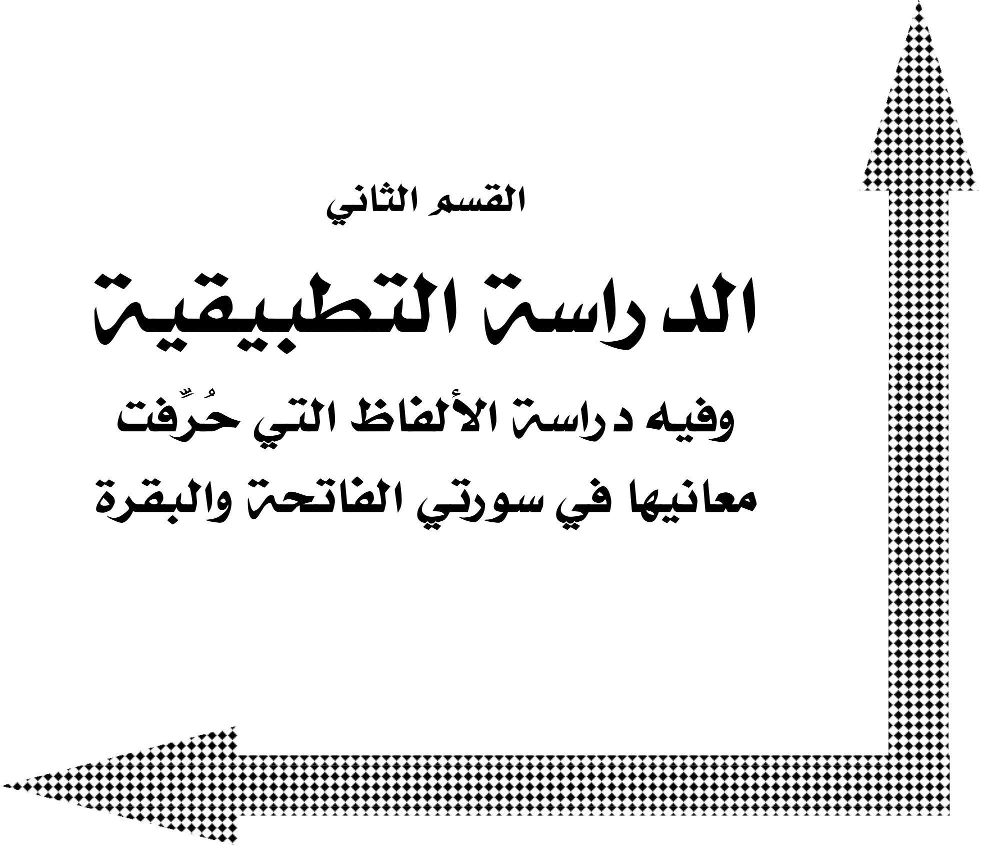
---

(١) المرجع السابق ج ١ ص ١٢.

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٣.

(٣) اتجاهات التفسير ج ١ ص ٢٣٩.

(٤) مقدمة تفسيره ج ١ ص ١٢.



القسم الثاني

الدراسة التطبيقية

وفيه دراسة الألفاظ التي حُرِّفت معانيها في سورتي الفاتحة والبقرة

سورة الفاتحة

[١] **قال تعالى:** ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

التحريف في معنى اسم:

مسألة الاسم والمسمى من المسائل الحادثة، التي خاض فيها أهل البدع وتنازعوا فيها، ونص عليها الرازي (ت: ٦٠٦) بقوله: «قالت الحشوية[١] والكرامية[٢]، والأشعرية: الاسم نفس المسمى وغير التسمية، وقالت المعتزلة: الاسم غير المسمى ونفس التسمية؛ والمختار عندنا أن الاسم غير المسمى وغير التسمية[٣]»، وأمّا الزمخشري (ت: ٥٣٨) فقد ضمّنه قوله: «... فإن قلت: ما معنى تعلق اسم الله تعالى بالقراءة؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يتعلق القلم بالكتابة في قولك: كتبت بالقلم، على المعنى أن المؤمن لمّا اعتقد أن فعله لا يجيء معتمداً به في الشرع واقعاً على السنة، حتى يصدر بذكر الله...»[٤] وقد تعقب ابن المنيّر (ت: ٦٨٣) قول الزمخشري بقوله: «وفي قوله حيد عن الحق المعتقد لأهل

---

(١) يقصد الرازي بالحشوية أهل السنة والجماعة، الذين ينفون عن أسماء الله وصفاته التحريف والتعطيل ويؤمنون بها، ويُمِّرونها كما جاءت، اتباعاً لمنهج سلفنا الصالح، فيطلق عليهم خصومهم المجسمة، والمشبهة، والحشوية؛ أي الحشو الذين هم عامة الناس، أو يعنون أنهم يجسمون الخالق، وأول من أطلقه على أهل السنة المعتزلة ومما يطلقونه على أهل السنة أيضاً القدرية لأنهم يثبتون القدر، والحقيقة أن الحشوية قوم كانوا يقولون بجواز ورود ما لا معنى له في الكتاب والسنة؛ وهم الذين قال فيهم الحسن البصري لما وجد قولهم ساقطاً وكانوا يجلسون في حلقته: ردّوا هؤلاء إلى حشا الحلقة أي: جانبها، ينظر: مجموع الفتاوى ج ٣ ص ١٨٥، ج ٤ ص ١٤٤، مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب، تعليق علي خلوف ص ١٨٢، ١٨٣، ١٨٦، ومما يجدر التنبيه إليه أن التجسيم والحشو كفر، وهم يتهمون أهل السنة به.

(٢) الكرامية: أتباع محمد بن كرام (ت: ٢٥٥)، وهم طوائف متعددة، والكرامية منهم مرجئة ترى أن الإيمان يكفي به الإقرار باللسان، ولا يضر أن يبطن مع ذلك أي معتقد حتى وإن كان الكفر، والمنافق عندهم مؤمن وهو مخلد في النار، ينظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية ص ١١١.

(٣) تفسير الرازي ج ١ ص ٩٥.

(٤) الكشاف ج ١ ص ٤٦، ٤٧.

السنة والجماعة»[١]، والقول بأن الاسم غير المسمى هو قول الجهمية، والمعتزلة، وبعض الأشاعرة، ومن قال بقولهم من الفرق الضالة.

سبب التحريف:

البحث في مسألة الاسم؛ وهل هو المسمى أم غيره من بحوث المتكلمين وأهل النزاع من الفرق الضالة، فالخوض فيه حادث لم يكن معروفاً عند الصحابة ﷺ ولا تابعيهم، وقد ابتدعه الخائضون في أسماء الله وصفاته توطئة لنفيها[٢] وتحريفها، فهم إذا خلص لهم القول بأن الاسم غير المسمى، فإنها تكون الأسماء مخلوقة على زعمهم، فكان الله ولم تكن له أسماء، ولا صفات، حتى خلق له أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صُنْعهم، وعليه يسهل عليهم تعطيل الأسماء والصفات، يقول بكر أبو زيد: «ما نطق الصحابة رضي الله عنهم في قضية الاسم و المسمى ومضى أمر الأمة على السَّداد، والتزام نصوص الكتاب والسنة، ولما ذرَّ قرن الفتن الكلامية، وفاهت المعتزلة والجهمية بمذهبهم الكفري الضال، ومنه (أن أسماء الله مخلوقة) رفضهم الناس، ونفروا منهم، وقام العلماء في وجوه الجهمية والمعتزلة، فردوا باطلهم، وفضحوا كفر مقالاتهم، حينئذٍ غلّفوا مقالاتهم هذه بعبارة (الاسم غير المسمى)، وفلسفتهم في هذا أنه إذا كان الاسم غير المسمى جاز أن يكون مخلوقاً فصاروا يمتحنون الناس في عقائدهم بهذا السؤال البدعي: هل الاسم هو المسمى أو غيره؟ فمن قال هو غير المسمى، لزمه في اعتقادهم: أن الاسم مخلوق»[٣].

---

(١) قول ابن المنير صحيح، لكنه ردَّ البدعة ببدعة أخرى، فهو يردُّ عليه وفق عقيدته الأشعرية، وقد خالف هنا منهج أهل السنة، ينظر: الانتصاف على حاشية الكشاف ج ١ ص١٣.

(٢) عند دراسة الردود على نفاة أسماء الله وصفاته الذين يحرفونها بالتمثيل، والتشبيه، والتعطيل، يجدر التنبيه لسبب هذا النفي والتعطيل؛ وهو أن هؤلاء المحرفة تملي لهم عقولهم التي حكّموها على كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ أن إثبات الأسماء والصفات يقتضي التجسيم، ومشابهة الخلق، فهم يزعمون أنهم ينزهون الله ﷻ؛ والحق أن تنزيهه في ترك الخوض في أسمائه، وصفاته، والإيمان بها وبحقيقتها التي لا يعلمها إلا الله، وإمرار نصوصها دون تحريف، وهذا هو منهج السلف الصالح.

(٣) معجم المناهي اللفظية لبكر أبوزيد ص ٩٥.

وأما القائلون: الاسم هو المسمى من الفرق الضالة، قصدوا أن أسماء الله هي عين ذاته مجردة من الصفات، كقولهم عليم بذاته، سميع بذاته، بصير بذاته، لا بعلم، ولا بسمع، ولا بقدرة. فهدفهم تعطيل الصفات أيضاً بناءً على قولهم الاسم هو المسمى(١).

فإذا أراد المفسر بقوله الاسم هو المسمى أو غيره نفس معناهما عند الجهمية، والمعتزلة، وغيرهم من المبتدعة، فقد حرّف المعاني في كتاب الله ﷻ.

الرد على التحريف:

كما سبق بيانه فإن الخوض في مسألة الاسم: هل هو المسمى أو غيره؟ مسألة كلامية ابتدعتها الفرق الضالة، ودخل فيها أهل السنة اضطراراً لبيان الحق، فذهب جمهور العلماء منهم إلى أنه لا يقال: الاسم غير المسمى ولا هو المسمى؛ بل الحق في ذلك أن يقال: الاسم للمسمى، وقد نقل الطبري (ت: ٣١٠) وغيره من العلماء أن (الاسم للمسمى) اختيار أكثر المتسبين إلى السنة؛ أمثال الشافعي (ت: ٢٠٤)، وأحمد بن حنبل (ت: ٢٤١)، وغيرهم(٢)، قال شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨): «وأمّا الذين يقولون إن الاسم للمسمى كما يقول أكثر أهل السنة فهؤلاء وافقوا الكتاب، والسنة، والمعقول»(٣).

واستدلوا بأدلة صريحة في الكتاب، والسنة، تثبت أن الأسماء للمسميات، فحسب الإنسان أن يرجع إليها ولا حاجة في مسائل أهل الجدل والكلام.

ومن هذه الأدلة في كتاب الله ﷻ:

قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله تعالى: ﴿ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ

---

(١) ينظر: أمالي ابن سمعون لأبي الحسن محمد بن عنبس ج ١ ص ١٠، الخصائص لابن جني ج ٣ ص ٢٤، مجموع الفتاوى ج ١٢ ص ١٧٠، شفاء العليل ٢٧٧.

(٢) ينظر: صريح السنة للطبري ص٢٦، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ليحيى العمراني ج ٢ ٣٠٦، مجموع الفتاوى ج ٦ ص ٢٠٧، شرح القصيدة النونية ج ١ ص ٦٩، شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٣.

(٣) مجموع الفتاوى ج ٦ ص ٢٠٧.

ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [طه: ٨].

ومن أحاديث المصطفى ﷺ:

ما جاء في دعاء الهم: (.. **أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك...**) الحديث(١).

ومنها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائةً إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة...**) الحديث(٢)، ومنها ما رواه محمد بن جبير بن مطعم(٣) عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**لي خمسة أسماء، أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**)(٤).

ووجه من الآيات والأحاديث الأدلة صريحة في أن الأسماء للمسميات، ومعنى أن الاسم للمسمى أن الأسماء مثل؛ الرحمن، العليم، السميع، وغيرها أسماء الله عز وجل، فإذا قلت في دعائك: يا رحمن، ياعليم، فإنك تدعو المسمى بها وهو الله جل جلاله، فالأسماء له تبارك

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ج ٦ ص ٤٠، وذكره الهيثمي في زوائده ج ٢ ص ٩٥٧، أحمد في المسند ج ١ ص ٤٥٢، أبو يعلى في مسنده ج ٩ ص ١٩٨، ابن حبان في صحيحه ج ٣ ص ٢٥٣، الطبراني في المعجم الكبير ج ١٠ ص ١٦٩، الحاكم في مستدركه ج ١ ص ٦٩٠، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ج ١ ص ٣٧٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحداً ج٦ ص٢٦٩١ برقم ٦٩٥٧.

(٣) هو محمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف أبو سعيد المدني، تابعي، ثقة، روى عن أبيه، وعمر، وابن عباس، ومعاوية، والزهري، وروى عنه أبناؤه جبير، وإبراهيم وسعيد وغيرهم، توفي في خلافة عمر ابن عبد العزيز، ينظر: الطبقات لابن خياط العصفري ص ٢٤١، تهذيب الكمال ج ٢٤ ص ٥٧٣، إسعاف المبطأ برجال الموطأ للسيوطي ص ٢٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ج٣ ص١٢٩٩ برقم٣٣٣٩.

وتعالى، وإذا قلت أحمد، أو محمد، أوالماحي، أو الحاشر، فإنك تقصد الرسول ﷺ؛ لأنها أسماء له عليه السلام.

ومن أقوال علماء السنة في إنكار القول بأن الاسم هو المسمى أو غيره ما رواه ابن عبد البر (ت: ٤٥٦)[١]، عن الشافعي (ت: ٢٠٤) أنه قال: «إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى، أو الاسم المسمى؛ فاشهد عليه أنه من أهل الكلام، ولا دين له»[٢].

وفي رواية أخرى عنه وعن الأصمعي (ت: ٢١٥)[٣]، قالا: «إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة»[٤].

وذكر إبراهيم الحربي (ت: ٢٨٥)[٥]، وأبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠) وغيرهم من

(١) هو يوسف بن عبد البر بن عبد الله النمري، الحافظ، شيخ علماء الأندلس، وكبير محدثيها في وقته، أثنى عليه العلماء لعلمه وفضله، وله مصنفات كثيرة نافعة، منها التمهيد على الموطأ، ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ج ٢ ص ٧٤، وفيات الأعيان ج ٧ ص ٦٧، تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ١١٢٩.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٩٤١.

(٣) عبد الملك بن قريب بن عبدالملك، أبو سعيد البصري اللغوي، صدوق ذكره ابن حبان في الثقات، قال عنه يحيى بن معين: لم يكن ممن يكذب، وكان أعلم الناس في فنه (أي: اللغة)، ينظر: الجرح والتعديل ج ٧ ص ١٤٩، الثقات لابن حبان ج ٨ ص ٣٨٩، الكاشف ج١ ص ٦٦٨.

(٤) ينظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث للبيهقي ص ٧٢، الانتقاء لابن عبد البر ج ١ ص ٧٩، الطيوريات من انتخاب الشيخ أبي طاهر السلفي لأبي الحسيني الطيوري ج ١٤ ص ١١٢٧، مجموع الفتاوى ج ٦ ص ١٨٧.

(٥) هو إبراهيم بن إسحاق الحربي، إمامٌ في العلم، رأسٌ في الزهد، عالم بالفقه، حافظ للحديث، طلب العلم على الإمام أحمد بن حنبل، وهو من أجلّ تلاميذه، له عدة مصنفات، منها: غريب الحديث، مناسك الحج، ينظر: معجم الأدباء ج١ ص٧٠، فوات الوفيات ج١ ص٦٢، تذكرة الحفاظ ج٢ ص٥٨٤.

العلماء أن هذين القولين بدعة[١]، قال الطبري: «وأمّا القول في الاسم؛ أهو المسمى أم غير المسمى؟ فإنه من الحماقات الحادثة، التي لا أثر فيها فيُتّبع، ولا قول إمام فيُسْتَمع، فالخوض فيه شين، والصمت عنه زين»[٢].

وقال شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨): «فلم يُعرف عن أحد من السلف أنه أطلق القول بأن الاسم غير المسمى، أو هو المسمى، إنما رُوي ذلك عن بعض المنتسبين إلى السنة[٣] بعد الأئمة، وأنكر ذلك عليهم أكثر أهل السنة»[٤].

قال بكر أبو زيد: «فقامت حجج الله وبيّناته على ألسنة علماء أهل السنة والجماعة على منع الإطلاقين، فلا يقال: الاسم هو المسمى، ولا يقال الاسم غير المسمى»[٥].

---

(١) ينظر: صريح السنة ص ٢٦، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل لمحمد الباقلاني ص ٢٥٨، مجموع الفتاوى ج ٦ ص ١٨٧.

(٢) صريح السنة ص ٢٦.

(٣) من علماء السنة من أراد بقوله: الاسم غير المسمى الفصل اللغوي؛ أي أن الحروف ليست هي المعاني، وهذا لا نزاع فيه بين العقلاء، وممن قال به ابن حزم الأندلسي، وابن حجر العسقلاني، ينظر: مقالات الإسلاميين ص ٢٨، التقريب لحد المنطق لابن حزم ص ٨٠، فتح الباري ج ١١ ص ٢٢٢، شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٣، ومن علماء السنة من أراد بقوله: الاسم هو المسمى؛ أي أنك إذا قلت: يا الله، يا رحمن.... إلخ فإن المراد الله ذاته، فلا ينفك الاسم عن المسمى، وهذا المعنى حق، وقد قال به بعض العلماء، مثل أبي حسن الأشعري، الباقلاني، اللالكائي، البغوي، ينظر: مقالات الإسلاميين ص ٥٨٦، الإنصاف ص ٩١، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج ٢ ص ٢١٣، تفسير البغوي ج ٤ ص ٤٧٥، لكن الأئمة أنكروا الخوض في هذه المسألة، وحكموا ببدعيتها، لأنها من المسائل التي تحتمل الحق والباطل، وأكثر اختلاف العقلاء من جهة الاشتراك في الأسماء، ينظر: مجموع الفتاوى ج ٦ ص ٢٠٣، المنتقى من منهج الاعتدال ص ٨٣.

(٤) مجموع الفتاوى ج ٦ ص ٢٠٣ بتصرف يسير، وينظر: درء التعارض ج ٥ ص ١٣٧.

(٥) معجم المناهي اللفظية ص ٢٦.

[٢] قوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ [الفاتحة: ١]:

تحريف معنى البسملة:

ذكر أبو عبد الرحمن (ت: ٤١٢) في تفسيره أقوالاً عدة في معنى ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ بعيدة عن الحق، وهي تحريف لمعنى البسملة.

ومن أمثلة تحريفاته في معنى البسملة:

قوله: «الباء بره لأرواح الأنبياء، والسين سِرّه مع أهل المعرفة بإلهام القربة والأنس»(١) ومنها قوله: «والميم منّته على المريدين بدوام نظره إليهم بعين الشفقة والرحمة» وقوله: «...الباء سر العارفين، والسين السلام عليهم، والميم محبته لهم»(٢).

وهو ينسب هذه الأقوال لبعض شيوخ الصوفية أمثال الجنيد (ت: ٢٩٧)، أو لغيرهم من الصالحين، أمثال جعفر الصادق رحمه الله (ت: ١٤٨)، أو حتى إلى رسول الله ﷺ كقوله: ورُوي عن النبي ﷺ إن صح هذا (الباء بهاؤه، والسين سناؤه، والميم مجدهُ)(٣).

وبمثل هذه التحريفات يتناول معنى لفظ الجلالة (الله) بتحريفات كثيرة منها: «إن الألف الأول من اسم الله ابتداؤه، واللام الأول لام المعرفة، واللام الثاني لام الآلاء والنعماء، والسطر الذي بين اللامين معاني مخاطبات الأمر والنهي، والهاء نهاية ماتكن العبادة عنه من الحقيقة لا غير»(٤)، واستغرقت منه أمثال هذه التحريفات أربع صفحات تقريباً.

---

(١) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٢٤.

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٢٤، ٢٥.

(٣) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٢٥، قال ابن الجوزي في الموضوعات: «هذا الحديث موضوع لا محال» وقال أيضاً: «ما يصنع مثل هذا الحديث إلا ملحد يريد شين الإسلام، أو جاهل في غاية الجهل وقلة المبالاة بالدين، ولا يجوز أن يفرق حروف الكلمة المجتمعة فيقال: الألف من كذا، واللام من كذا، وإنما هذا يكون في الحروف المقطعة»، ينظر: الموضوعات لابن الجوزي ج١ ص١٤٦، وقد شكك السُّلمي بصحته بقوله: «إن صح»، وقد ذكر القرطبي في الأثر عن كعب الأحبار في تفسيره ج١ ص١٠٧.

(٤) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٢٩.

سبب التحريف:

إن سبب هذا التحريف هو نفس سبب تأليف الكتاب وهو خدمة المعتقد الصوفي، وكل هذه الإشارات التي تملأ تفسير السُّلمي هي سبب انتمائه للصوفية، بل إن تفسيره إنما هو تفسير بهذه الإشارات فقط، فكل ما يمر بنا منها يرجع لهذا السبب.

الرد على التحريف:

هذه المعاني التي يذكرها الصوفية ويدعون أنها معاني خفية للآيات، أقوال لا تستند إلى دليل، بل هي صرف للآيات عن المعنى المراد منها إلى معنى لا يُعرف من قرآن، أو سنة، أو أي قرينة من اللغة، أوأقوال الصحابة والتابعين ﭫ؛ وهذا هو ما عرّفتُ به التحريف في بداية البحث.

وما ذكره أبو عبد الرحمن السُّلمي وأمثاله من كلام الصوفية لا يدل عليها السياق، ولم ينقل لنا عن سلفنا الصالح من الصحابة، والتابعين تفسير للقرآن يماثل هذا التفسير أو حتى يقاربه، وهم أدرى بمعاني القرآن، فلا يعقل أن يقال إن الصوفية علموا من القرآن ما لم يتوصل إليه صحابي أو تابعي؛ فأنّى لنا بأفضل من هديهم رضوان الله عليهم. فعلينا الاتباع وترك الابتداع.

وقد ذكر العلماء أن من يعتقد أن هذه الإشارات تفسير لكتاب الله ﻷ فقد كفر، وفي تعليق التفتازاني (ت: ٧٩٢)[(١)] على قول النسفي (ت: ٥٣٧)[(٢)] في العقائد: «والنصوص

(١) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني المشهور بسعد الدين، أخذ من أكابر أهل العلم في عصره، وفاق في كثير من العلوم، له تصانيف كثيرة مثل؛ الإرشاد في النحو، تهذيب المنطق والكلام، شرح التلخيص، شرح المقاصد، وغيرها كثير، ينظر: أسماء الكتب ص ١٠٤، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج ٦ ص ١١٢، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع للشوكاني ج ٢ ص ٣٠٤، هدية العارفين ج ٦ ص ٤٢٩.

(٢) عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل النسفي السمرقندي، الإمام، الحافظ، كان فاضلاً، عالماً، متقناً، صنف في كل نوع، نظم الجامع الصغير، وجعله شعراً، وهو صاحب المنظومة المشهورة عند الحنفية، ورتبها على عشرة أبواب بحسب الائتلاف والاختلاف عند الأئمة، ينظر: التعبير في المعجم الكبير لأبي سعيد السمعاني ج١ ص٥٢٨، معجم الأدباء ج ٤ ص٤٧١، لسان الميزان ج٤ ص٣٢٧.

على ظواهرها، فالعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد»، وقال في شرحه للعقائد: «وسُموا باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها، بل لها معان باطنية لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية»(١) وقد سبق قول الواحدي (ت: ٤٦٨): «من اعتقد أن هذا تفسير فقد كفر»(٢).

والظن بأبي عبد الرحمن أنه لا يورد هذه الأقوال تفسيراً للقرآن، وقد سقت عند التعريف بتفسيره نصاً من مقدمته ذكر به سبب كتابته للتفسير؛ وهو جمع ما قيل في المعاني الإشارية دون أن يجحد المعاني الظاهرة، بل أعرض عنها ذكراً لأنه سبقه الكثير إليها.

[٣] قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣].

التحريف في صفة الرحمة:

قال محمد الماتريدي (ت: ٣٣٣): «ثم الوصف لله ﷻ بالاسمين، يتعالى عن أن يكون لأحد معناهما حقيقة»(٣).

وقال أبو عبد الرحمن السُّلمي (ت: ٤١٢): «وقيل في اسمه الرحمن: حلاوة المنة ومشاهدة القربة ومحافظة الخدمة»(٤)، وذكر إشارات كثيرة في معنى الرحمن على الطريقة الصوفية.

وفي وصفة الرحمة يقول الزمخشري (ت: ٥٣٨): «.. فإن قلت: ما معنى وصف الله بالرحمة، ومعناها العطف والحنو، ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها؟ قلت: هو مجاز عن إنعامه على عباده...»(٥).

---

(١) شرح العقائد لسعد الدين التفتازاني ص ١٤٢.

(٢) الفصل الخامس ص٣١٣.

(٣) تفسير الماتريدي ج ١ ص ١١.

(٤) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٣٢، قد لا يقصد السُّلمي بإشاراته تعطيل صفة الرحمة.

(٥) تفسير الكشاف ج١ ص٤٥، ٤٦، وقد تعقَّبه ابن المنير على تأويله لكنه ردّ بتأويل آخر موافق لمذهبه الأشعري.

والرازي (ت: ٦٠٦) يعبر عنها في أكثر من موضع بالفضل والإحسان من الله ﷻ[١]، وصرّح عن معناها في سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] بقوله: «اختلفوا في أن الرحمة عبارة عن إيصال الخير والنعمة، أو عن إرادة إيصال الخير والنعمة، فعلى التقدير الأول تكون الرحمة من صفات الأفعال، وعلى التقدير الثاني تكون من صفات الذات، وقد استقصينا هذه المسألة في تفسير ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١، والنمل: ٣٠]»[٢].

وقال محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤): «قال الأستاذ الإمام ما معناه: والرحمن والرحيم مشتقان من الرحمة، وهي معنى يُلم بالقلب، فيبعث صاحبه ويحمله على الإحسان إلى غيره، وهو محال على الله تعالى بالمعنى المعروف عند البشر، لأنه في البشر ألم في النفس شفاؤه الإحسان، والله تعالى منزه عن الآلام والانفعالات، فالمعنى والمقصود بالنسبة إليه من الرحمة أثرها وهو الإحسان»[٣].

وهذا التأويل يوافق ما نص عليه محمد الطباطبائي (ت: ١٤٠٤) بقوله: «هي وصف انفعالي وتأثر خاص يُلم بالقلب عند مشاهدة من يفقد، أو يحتاج إلى ما يتم به أمره، فيبعث الإنسان إلى تتميم ورفع حاجته، إلاّ أنّ هذا المعنى يرجع بحسب التحليل إلى الإعطاء، والإفاضة لرفع الحاجة وبهذا المعنى يُتصف سبحانه بالرحمن»[٤]، فالطباطبائي شبه رحمة الله برحمة المخلوقين، ومن هنا تأولها بالإعطاء، ورفع الحاجة، وهذا تعطيل لها.

سبب تحريف صفة الرحمة:

صفة الرحمة هي كغيرها من الصفات التي وقع عليها التحريف من الفرق المختلفة

---

(١) تفسير الرازي ج ١ ص ١٨٧، ١٩٤.

(٢) المرجع السابق ج ١٤ ص ١١٠.

(٣) تفسير المنار ج ١ ص ٤٦.

(٤) الميزان للطباطبائي ج ١ ص ١٨.

أمثال الجهمية، والمعتزلة، وبعض الأشاعرة، والماتردية، والرافضة[(١)]، ومن نحا نحوهم، ويعللون لهذا التحريف بشبهات ومحاذير ما أنزل الله بها من سلطان، ومنها:

أن صفة الرحمة ضعف ورقة نتيجة انفعال نفسي لا يليق وصف الله به، ووصفه بها تشبيه لله بخلقه، وعليه فالوصف بالرحمة مجاز[(٢)] لا حقيقة له، وتأويلها النعمة أو الإرادة[(٣)].

رد التحريف:

(الرحمن الرحيم) اسمان من أسماء الله يدلان على الذات، وعلى صفة الرحمة وعلى الأثر: أي الحكم الذي تقتضيه هذه الصفة ومنها النعم.

والرحمة التي أثبتها الله تعالى لنفسه رحمة حقيقية، دل عليها الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل: فأمّا الكتاب، فجاء به إثبات الرحمة بآيات عديدة لا تنحصر ولا تكاد تخلو صفحة من آية تثبت صفة الرحمة لله تعالى بشتى الوجوه؛

١- تارة بالاسم، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧].

٢- وتارة بالصفة كقوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف:٥٨].

٣- وتارة بالفعل، كقوله: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ [العنكبوت:٢١].

٤- وتارة باسم التفضيل، كقوله: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢][(٤)].

وبمثل هذه الوجوه جاءت السنة في أحاديث ثابتة عن النبي ﷺ، منها أحاديث

---

(١) تأثرت الرافضة كثيراً بآراء المعتزلة، فهذه الأخيرة من أشهر الفرق شقاقاً وجدلاً، فتأثرت بهاكثير من الفرق وتبنوا أفكارها.

(٢) المجاز هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له في الأصل، وقد أنكر القول به شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، وسماه في الصواعق طاغوتاً ينظر: الصواعق المرسلة ج ٢ ص ٦٣٣، ٦٨٣.

(٣) المعتزلة تتأوّل الرحمة بالنعمة والأشاعرة تتأولها بإرادة النعمة، ينظر: المسائل الاعتزالية ج١ ص١٤٢.

(٤) ينظر: إيثار الحق على الخلق ص ١٢٥.

عظيمة في الحث على التراحم مثل: **(إنما يرحم الله من عباده الرحماء)**(١)، وقوله عليه السلام: **(لا يرحم الله من لا يرحم الناس)** (٢) ، وحديث المرأة التي كانت في السبي، قال فيه رسول الله ﷺ: **(...الله أرحم بعباده من هذه بولدها)**(٣)، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الإنس والجن والهوام فبها يتعاطفون، وبها تعطف الوحوش على أولادها، وأخّر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة يرحم بها عباده)**(٤)، وقال ﷺ: **(جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق، حتي ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)**(٥).

والأحاديث في الصحاح في هذا المعنى كثيرة لا يمكن حصرها.

والديانة بهذه الصفة محل إجماع من عباد الله، أصحاب الفطر السليمة، فملائكته تدعوه مدحاً بصفة الرحمة بأبلغ صيغ المبالغة: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر:٧]، والأنبياء والصالحون يتضرعون لله برحمته منذ بدأ الخلق، فأبوينا آدم، وحواء حين قالا: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا

(١)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله تبارك وتعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ الأول برقم٦٩٤١، والثاني برقم ٦٩٤٢، ج٦ ص ٢٦٨٦، وكأن الترجمة بهذه الآية وإيراد هذه الأحاديث لإثبات الصفة لله عز وجل.

(٢) انظر: تخريج الحديث السابق.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الآداب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ج٥ ص ٢٢٣٥ برقم ٥٦٥٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ج٤ ص ٢١٠٧، ٢١٠٨، برقم ٢٧٥١، ٢٧٥٢.

(٥) انظر: تخريج الحديث السابق.

﴿وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وأدعية الأنبياء والصالحين من بعدهما مليئة بالتضرع لله ﷻ بأوسع صفاته[(١)] الرحمة، وقد قص القرآن علينا كثيراً منها.

بل إن المشركين في محنتهم يعترفون بأن لهم رباً رحيماً فيُطلبون منه النجاة.

وقد مضى أمر السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين رحمهم الله بالإيمان بهذه الصفة وغيرها من صفات الله تعالى، والوقوف مع ظاهر النصوص دون تعدٍّ بتأويل لا دليل عليه، وقاعدتهم في ذلك: إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسوله ﷺ، من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى من غير تمثيل[(٢)]، ولا تكييف[(٣)]، ولا تحريف[(٤)]، ولا تعطيل[(٥)]. على حد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١][(٦)]، فنخلص إلى أن: «صفة الرحمة صفة مدح وكمال، وصف الله بها نفسه،

---

(١) صفة الرحمة من أوسع صفات الله ﷻ، فتشتمل القدرة، والعلم، والإرادة، والعلو، وقد فصل ابن القيم الكلام في هذا في كتابه الصواعق المرسلة ج١ ص ٢٢.

(٢) التمثيل في اللغة التشبيه، والتمثيل هو اعتقاد أن صفات الله تشبه صفات المخلوقين، فلا يقال: ذات الله مثل ذواتنا، ولا صفاته مثل صفاتنا. ينظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ج١ ص١٧٩.

(٣) التكييف: معناه بيان الهيئة التي تكون عليها الصفات، فلا يقال، كيف استوى؟ ولا كيف سمعه أو يده؟.

(٤) التحريف في الأسماء والصفات، التغيير في معناها كقولهم: استوى بمعنى استولى، وكتحريفهم هنا لصفة الرحمة وتغيير معناها إلى النعمة.

(٥) التعطيل معناه: سلب الصفات معناها ونفيها عن الله تعالى، كقولهم: إنها على المجاز، أي: لا حقيقة لها، فتكون معطلة أي: خالية من المعاني كقوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج:٤٥]، أي: متروكة، ينظر: تفسير الجلالين ج١ ص ٤٤٠.

(٦) ينظر: التعريفات السابقة في لسان العرب ج١١ ص ٤٥٣، التنبيهات اللطيفة للسعدي ص١٢، ١٣، ١٤، شرح العقيدة الواسطية، للهراس، ص٣٤، ٣٥، المسائل الاعتزالية ج١ ص١٤٣.

فينبغي أن تؤخذ على ظاهرها الذي خاطبنا الله به، ونعلم أن حقيقتها ثابتة لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وأنه لا يلزم من اتصافه بها أي نقص أو تشبيه»(١).

ومعنى إمرارها كما جاءت أي: دون بحث في كيفيتها(٢)، لأن المعنى معلوم، فنحن نعلم ما الذي تعنيه صفة الرحمة، والسمع، والبصر، وغيرها، لكن الكيفية مجهولة، والبحث فيها بدعة كما أجاب الإمام مالك رحمه الله (ت:٩٣) للذي سأله عن كيفية الاستواء(٣).

ولكن كيفيتها لا شك لائقة بجلاله، فالكلام عن الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما لا نعلم كنه ذاته، فكذلك لا نعلم كنه صفاته.

وأسماء الله وصفاته توقيفية، يرجع فيها إلى الوحي ولا مجال فيها لغيره، فلا مجال فيها للعقل، ولا الاجتهاد، ولا القياس، وحقيقة أمرها وكيفيتها غيب لا علم لنا به، والصحابة رضي الله عنهم فهموا هذا فلم ينقل عنهم خلاف في مسائل الأسماء والصفات، قال ابن القيم رحمه الله: «وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال؛ بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة، من أولهم إلى آخرهم، لم يُسمّوها تأويلاً، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً، ولم يُبْدوا لشيء منها إبطالاً، ولا ضربوا لها أمثالاً، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها، وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم...»(٤).

---

(١) المسائل الاعتزالية ج١ ص ١٤٥.

(٢) هنا ملحظ دقيق، وهو أن اللفظ في القرآن جاء على لغة العرب، وتمثل مصدراً رئيسًا في فهمه، فالمعنى الظاهر للسميع، والبصير، والعليم، وغيرها من أسماء الله وصفاته، معلوم لا إشكال فيه، لكن حقيقتها وكيفيتها ليست في لغة العربي، ولا في فهم أحد، فهو من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، ولا يطلب تأويله إلا من كان في قلبه زيغ، ومن هنا وقع أهل التحريف.

(٣) سبق تخريج قوله ص٨٥.

(٤) إعلام الموقعين ج١ ص ٤٩.

رد شبههم:

١ - فأما قولهم إن صفة الرحمة رقة تعتري المخلوق لا تليق بالخالق، فيجاب عنه بأن صفات الله تعالى لا يضرب لها المثل من المخلوقين، والله تعالى يدفع عن نفسه هذه الشبهة بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

٢- دعوى المجاز في أسماء الله تعالى وصفاته دعوى باطلة، لأن التأكيد والتكرار يدفع احتمال المجاز عند علماء البلاغة، فكيف بصفة الرحمة التي وردت في القرآن أكثر من خمسمائة مرة بأسلوبي التأكيد والتكرار(١)، وأهل السنة مجموع على الإقرار بصفات الله على حقيقتها لا على المجاز(٢).

٣- ما ذكروه من تأويل للرحمة بالنعمة، هو أثر من آثار صفة الرحمة، وليس هو الصفة ذاتها.

قال الشنقيطي (ت: ١٣٩٣) في (الرحمن الرحيم): «هما وصفان لله تعالى، وأسماء من أسمائه الحسنى، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، لأن الرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، والرحيم ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة، وعلى هذا أكثر العلماء، وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا»(٣).

[٤] قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]:

تحريف متعلقات العبادة:

قال السُّلمي (ت: ٤١٢): «إياك نعبد بقطع العلائق والأعواض»(٤).

---

(١) ينظر: إيثار الحق على الخلق، ص ١١٥، الصواعق المرسلة ج٤ ص ١٥١٠.

(٢) ينظر: المرجع السابق ج٤ ص ١٢٨٩.

(٣) أضواء البيان ج١ ص ٢٠.

(٤) تفسير السُّلمي ج١ ص٣٦، سيأتي مزيد من التحريفات التي تُؤكد تبني السُّلمي لهذا المعتقد.

ونقل الرازي (ت: ٦٠٦) في تفسير الآية معاني باطلة من أقوال الصوفية التي ذكرها السُّلمي، ومنها قوله: «قال أهل التحقيق[(١)]: العبادة على ثلاث درجات: الأولى، أن يعبد الله طمعاً في الثواب أو هرباً من العقاب، وهذا هو المسمى بالعبادة، وهذه الدرجة نازلة ساقطة، والثانية، أن يعبد الله لأجل أن يتشرف بعبادته، وهي أعلى من الأولى إلا أنها أيضاً ليست كاملة، أن يعبد الله لكونه إلهاً وخالقاً، وهذا أعلى المقامات وأشرف الدرجات وهو المسمى بالعبودية»[(٢)].

وذكر الطباطبائي (ت:١٤٠٤) في البحوث الروائية التي يعقدها في نهاية كل سورة، عدة روايات بالمعنى الذي أشار إليه السُّلمي والرازي في مقامات العبادة ومما ذكره: «العبادة ثلاثة: قوم عبدوا الله خوفاً، فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأُجراء، وقوم عبدوا الله ﷻ حباً، فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة»[(٣)].

سبب التحريف:

هذا التحريف لمعنى العبادة والهدف منها سببه المعتقد الصوفي عند السُّلمي، والتأثر به عند الرازي والطباطبائي، فقد نقلا أقوالاً كثيرة على طريقتهم، وترى الصوفية أن الحب هو الدافع الوحيد الذي يقودهم لعبادة الله لا خوفاً منه ولا طمعاً فيما عنده[(٤)]، تعالى الله.

الرد على التحريف:

يمكن الرد على هذا القول الفاسد البطلان من عدة وجوه:

١- في هذا التحريف نقض لأصل عظيم قامت عليه معظم الآيات، والأحاديث، ألا

---

(١) يعني بهم شيوخ الصوفية، ينظر: الرازي مفسراً لمحسن عبد الحميد ص ٣٢٩، (رسالة جامعية).

(٢) تفسير الرازي ج١ ص ٢٠٢.

(٣) تفسير الميزان، ج١ ص ٣٧.

(٤) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٤٠، الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري ص ٣٥٥، سر العالمين وكشف مافي الدارين لأبي حامد الغزالي ص ٩١.

وهو الترغيب والترهيب[١]؛ ترغيب العباد بما عند الله من رحمة، ومغفرة، ونعيم في الجنة، وتحذيرهم من عذاب النار وما أعده فيها لمن حلّ عليه سخطه وعقابه، وقد تكرر لفظ الخوف، والرهبة، والطمع، والرجاء، في آيات، وأحايث كريمة لا تنحصر، وهي مشهورة وصريحة في كتاب الله تعالى، ومنها قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: ١٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ومنها الفوز العظيم في قوله تعالى: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ومما جاء في الرجاء والخوف، قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقد حثت آيات كثيرة على التسارع إلى الفوز بالجنة، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، والوقاية من النار كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]، وقال عن المؤمنين الذين يعبدون الله تعالى، ويخافون من عدم القبول: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، ويطول بنا المقام ونحن نعدد هذه الآيات الصريحة في خوف الله، ورجائه، وبمثلها جاءت الأحاديث الكثيرة[٢] في وصف الجنة ونعيمها، والتحذير من النار وجحيمها، وقد بوَّب أصحاب الصحاح أبواباً بهذه الأحاديث[٣]، إليك حديثاً في وصف

---

(١) ينظر: الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين جميع الكتاب.

(٢) ينظر: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف لعبد العظيم المنذري، صحيح الترغيب والترهيب للألباني.

(٣) ينظر: صحيح البخاري ج ١ ص ١٦٤٤، ج ٣ ص ١١٨٨، وصحيح مسلم ج ١ ص ٤٢، ٩٤، وغيرها كثير مشتهر في كتب الصحاح.

الجنة لطالما اشرأبت إليه قلوب المؤمنين، وهو قول النبي ﷺ في الحديث القدسي: **(أعددت لعبادي الصالحين مالا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر..)** الحديث[(١)].

٢- الأحاديث مستفيضة في سؤال النبي ﷺ ربه هذه الجنة، وتعوذه من النار، وقد حاز أعلى مراتب المحبة وهي الخلة فهو خليل الرحمن[(٢)]، ولم ينقل عنه شيء من بدع الصوفية في تجاهل الثواب والعقاب، استغناءً بما حباه الله تعالى من أعلى مراتب المحبة، بل كل ما جاء عنه ﷺ يبطل هذه التحريفات عند الصوفية.

٣- يستلزم من هذا المذهب المنحرف في العبادة؛ أن ما مضى من النصوص في الترغيب والترهيب، وخلق الجنة والنار، والحديث عنها في الكتاب والسنة وشوق عباد الله إليها يستلزم أن يكون كله عبث، وهذا ما يتضمنه كلام الصوفية من سقوط عبادة الخوف والرجاء، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

٤- لا تجد مع هذا المعتقد المنحرف خوفاً من الذنوب والتقصير في جنب الله تعالى، بل فيه أمان من مكره، وغفلة عن طلب عفوه، والغرور بما يقدمه العبد، والحق أن الذي يُخشى على الإنسان شؤمه هو الذنوب التي لا تخافها غلاة المتصوفة، وهذا مدعاة للزندقة في الدين[(٣)] لترك التكاليف، لذلك قال بعض السلف: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري[(٤)]، ومن عبده بالرجاء وحدة فهو

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة ج ١ ص ١١٨٥ برقم٣٠٧٢.

(٢) قال ﷺ: **(لو كنت متخذاً خليلاً لا تخذت أبابكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله ﷻ صاحبكم خليلاً)** أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه ج ٤ ص ١٨٥٥ برقم ٢٣٨٣.

(٣) الزنديق الذي لا دين له. وقد سبق التفصيل في إطلاقات العلماء له ص ١٨، للاستزادة ينظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول ج٣ ص٦٨٧، شرح الزركشي على مختصر الخرقي ج٣ ص٨٩.

(٤) لأن الحروري يُكفّر بالكبائر ولا يرجو من الله مغفرة الكبيرة.

مرجئ[١]، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن»[٢].

قال شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨) بعد أن ذكر القول السابق: «تجريد الحب والذكر عن الخوف يوقع في هذه المعاطب، فإذا اقترن بالخوف جمعه على الطريق، وردّه إليها كلما كَلَّها شيء، كالخائف الذي معه سوط يضرب به مطيّتهُ، لئلا تخرج عن الطريق، والرجاء حاد يحدوها يطلب لها السير، والحب قائدها وزمامها الذي يسوقها، فإذا لم يكن للمطية سوط، ولا عصى يردها إذا حادت عن الطريق، خرجت عن الطريق وضلت عنها، فما حُفِظَت حدود الله ومحارمه، ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته، فمتى خلا القلب من هذه الثلاث، فسد فساداً لا يرجى صلاحه أبداً، ومتى ضعف فيه شيء من هذه، ضعف إيمانه بحسبه»[٣].

وقال تلميذه ابن القيم (ت: ٧٥١): «القلب في سيره إلى الله بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، لكن السلف استحبوا[٤] أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف»[٥].

---

(١) المرجيء لا يخشى مع إيمانه ذنب.

(٢) ينظر: التحفة العراقية في الأعمال القلبية لابن تيمية ص ٧، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٢، معارج القبول ج٢ ص ٤٣٧.

(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ج ١٥ ص ٢١.

(٤) استحباب السلف لتغليب الرجاء عند الخروج من الدنيا يدل عليه قول النبي ﷺ: (**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ**) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ج ٤ ص ٢٢٠٦ برقم ٢٨٧٧، وهو باب التفاؤل الذي يستحبه الشارع، أما تغليب جانب الخوف في الدنيا حتى لا يهلك الإنسان برؤية نفسه.

(٥) مدارج السالكين ج ١ ص ٥١٧، وينظر: الفتاوى الكبرى ج ١ ص ٣٤١، العبودية ص ١٢٨ كلاهما لابن تيمية، بدائع الفوائد ج ٣ ص ٥٢٢.

وفي الجنة التي زهد فيها هؤلاء الغلاة يرى المؤمنون ربهم الذي اشتاقوا للقائه، وضل عن هذا من زعموا حبه.

أما قول الرازي (ت: ٦٠٦) إن محبة الله فقط هي العبودية، فهذا غلط وفيه خلط، وبيانه في أمرين:

١-أن محبة الله ورسوله ﷺ لا تكتمل حتى تكون أحب للعبد مما سواهما وهذا كمال الحب.

٢- ولا تتحقق إلا باتباع رسول الهدى ﷺ وهذا كمال الخضوع والذل، ففي الأول قول النبي ﷺ: (**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسُوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**)[١]، الثاني قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فكمال الحب فيه تحقيق لكمال العبودية، وليس الهدف الوحيد للعبودية، كما أنه لا غنى عنه فيها، وبهذا يتبين الفرق بين كون الحب والذل يحققان العبودية، وبين أن يقال: العبودية للحب وحده[٢]، والله أعلم ونسب العلم إليه أسلم.

[٥] قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]:

التحريف في معنى ﴿ٱهۡدِنَا﴾:

ذكر أبوعبد الرحمن السُّلمي (ت: ٤١٢) في معناها أقوالاً باطلة على طريقته في الإشارات الصوفية منها قوله: «اهدنا بفناء أوصافنا فبنا الطريق إلى أوصافك التي لم تزل ولا تزال»[٣]، وقال: «لنستقيم لك بفناء أوصافنا فيك»[٤].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان ج١ ص١٤ برقم ١٦.

(٢) ينظر: العبودية ص ١٢٨.

(٣) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٣٩.

(٤) المرجع السابق.

وفسّر الصراط المستقيم بالحج إلى بيت الله الحرام، وغيرها من الإشارات والألغاز والألفاظ التي لا معنى لها ولا يفهم منها شيء، سوى القرمطة التي ذكرها العلماء[١].

قال الرازي (ت: ٦٠٦): «ولتحصيل الهداية طريقان... والثاني: بتصفية الباطن والريّاضة.. وأما تحصيل الهداية بطريق الريّاضة والتصفية، فذلك بحر لا ساحل له، ولكل واحد من السائرين إلى الله تعالى منهج خاص»[٢].

سبب التحريف:

أما السُّلمي فهو كما عَهِدْناه في إيراد الإشارات الصوفية التي يغلب عليها الغموض والألغاز، وقد بنى عليها معظم تفسيره، وأمّا الرازي فهو يذكر طريقة الصوفية في الريّاضة، لتأثره بآراء الصوفية وقد تبنى الكثير منها في تفسيره.

الرد على التحريف:

أعاد السُّلمي ذكر مصطلحات الصوفية الباطلة، مما يزعم الصوفية أنها معاني باطنة للآية، ويدّعون أنها أسرار، وهي في الحقيقة لا يُفهم منها شيء، ولا يصلح إيرادها في كتاب الله تعالى ولا تفسيره بها، قال الذهبي (ت: ٧٤٨) في أمثال هذه الإشارات عند حديثه عن تفسير السُّلمي: «وفي حقائق تفسيره أشياء لا تسوغ أصلاً، عدها بعض الأئمة

---

(١) هذا وصف الذهبي لتفسير السُّلمي، ينظر: السير ج ١٧ ص ٢٥٥، والقرمطة تكون في السمعيات نتيجة اتباع الهوى والظن، يقول شيخ الإسلام: «ولكن اتباع الظن وما تهوى الأنفس يلجيء أصحابه إلى القرمطة في السمعيات والسفسطة في العقليات» مجموع الفتاوى ج ١ ص ٢٤١، قال السعدي: «القرمطة في السمعيات والسفسطة في العقليات يجمعهما أنهما المكابرة في إنكار ما لا ينكر وما يخالف الضرورة والبداهة، والأدلة نوعان: سمعية وعقلية، فالدليل السمعي إذا كان صحيحاً صريح الدلالة فمن حرّف دلالته الصريحة عن مدلولها فقد قرمط، نسبة للقرامطة الباطنية الذين يفسرون النصوص المعلومة بالضرورة لكل أحد بتحريفات يعلم العالم والجاهل أنها تحريف... وأما السفسطة فهي إنكار المحسوسات أوالشك فيها» الأجوبة النافعة عن الأسئلة الواقعة ص ٢٩١ ـ ٢٩٤.

(٢) تفسير الرازي ج ١ ص ٢٠.

من زندقة الباطنية، وعدها بعضهم عرفاناً وحقيقة[١]، نعوذ بالله من الضلال، ومن الكلام بهوى، فإن الخير كل الخير في متابعة السنة والتسمك بهدي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم»[٢]، وقال في موضع آخر: «فما أحلى تصوف الصحابة والتابعين (أي: زهدهم) ما خاضوا في هذه الخطرات والوساوس، بل عبدوا الله، وذلوا له، وتوكلوا عليه، وهم من خشيته مشفقون، ولأعدائه مجاهدون، وفي الطاعة مسارعون، وعن اللغو مُعرضون، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[٣].

والقرآن الكريم قد يسره الله للذكر، فليس للصوفية ادعاء أنهم يفهمون من ألفاظه الميسرة ألغازاً، وإشارات، لا يفهمها إلا هم، فضلاً عن إيراد مصطلحاتهم الإلحادية مثل المكاشفة، والفناء والعرفان، والحقيقة، وغيرها من عبارات الصوفية المحرّفة.

---

(١) العرفان، والحقيقة والمكاشفة، والفناء مصطلحات صوفية مبتدعة، لم تكن معروفة عند الصحابة والتابعين، الذين يُضرب المثل بزهدهم وورعهم رضي الله عنهم، بل لم يؤثر عن متقدمي الصوفية، ويعنون بالعرفان والحقيقة والمكاشفة: الاطلاع على الحقائق والمغيبات وما لا يعلمه إلا الله ولا يمكن لأحد معرفته، ويّدعون أن الله تعالى يقذفها في قلب الولي منهم، فيكون لديه علم لَدُنِّي، ويصبح من أهل الحقيقة والعرفان، وهي أعلى المقامات عندهم، فتسقط عنه التكاليف لزعمهم أن الهدف الصلة بين العبد وربه في هذه العبادات قد تحققت في هذا الولي عندهم، ومنزلته تربو على منزلة النبوة، نعوذ بالله من الضلال، وهذا في حقيقة الأمر هروباً منهم عن التكاليف الشرعية، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين، ويستعملون الفناء في اتحاد صفات المخلوق بالخالق بعد تلك المكاشفة، وهو ما يسمونه بوحدة الوجود تعالى الله عن ذلك، ولما في هذه الألفاظ من معاني إلحادية وجّه العلماء بترك أمثال هذه الألفاظ المبتدعة التي تخلط بين الحق والباطل، وإن زعم بعضهم أنها تحوي معنىً صحيحاً، ينظر: مدارج السالكين ج ٣ ص ٢١٦، شرح العقيدة الطحاوية ص ٩٨، مصرع التصوف للبقاعي ص ٨٠، ومن كتبهم: تفسير السُّلمي ج١ ص٣٦، تفسير القشيري ج١ ص٣٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص٢٥٢.

(٣) المرجع السابق ج١٨ ص٥١٠.

أما ما ذكره من تفسير الصراط المستقيم بأنه الحج فهذا مخالف لما في كتب التفسير[١]، وقد استقرأت ما بين يدي من كتب التفسير فلم أجد لقوله ظهيراً، وكل ما جاء فيها من تنوع في التفسير يرجع لمعنى واحد، وهو ما نص عليه ابن جرير (ت: ٣١٠) بقوله: «والذي هوأولى بتأويل هذه الآية عندي، أعني: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، أن يكون معنيًّا به: وفقنا للثبات على ما ارتضيته، ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك، من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم، لأن من وُفّق للإسلام، وتصديق الرسل، والتمسك بالكتاب، والعمل بما أمر الله به، والانزجار عمّا زُجر عنه، واتّباع منهج النبي ﷺ، ومنهاج أبي بكر، وعمر[٢]، وعثمان، وعلي، وكلِّ عبد لله صالحٍ، وكل ذلك من الصراط المستقيم، وقد اختلفت تَراجِمَةُ[٣] القرآن في المعنِّي بالصراط المستقيم، ويشمل معاني جميعهم في ذلك ما اخترنا من التأويل فيه»[٤].

(١) جاء في معنى الصراط المستقيم أنه القرآن، دين الله [وهو الإسلام]، الطريق، ينظر: تفسير الطبري ج١ ص ١٧٥، تفسير ابن أبي حاتم ج ١ ص ٣٠، تفسير ابن أبي زمنين ج ١ ص ١١٩، النكت والعيون ج ١ ص ٥٩، تفسير الواحدي ج ١ ص ٨٩، تفسير القرآن العظيم للسمعاني ج ١ ص ٣٨ تفسير البغوي ج ١ ص ٤١، المحرر الوجيز ج ١ ص ٧٣، زاد المسير لابن الجوزي ج ١ ص ١٤، تفسير القرطبي ج ١ ص ١٤٧، البحر المحيط ج ١ ص ١٤٣، تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٣٧، نظم الدرر ج ١ ص ١٨، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ج ١ ص ٢٠٣، الدر المنثور ج ١ ص ٣٨، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود ج ١ ص ١٧، فتح القدير ج ١ ص ٢٣، أضواء البيان ج ١ ص ٨، في ظلال القرآن لسيد قطب ج ١ ص ٦.

(٢) مما رواه ابن جرير في معنى الصراط المستقيم أنه النبي ﷺ وصاحباه، وذكر هذه الرواية ابن كثير في تفسيره ج١ ص١٣٩، وابن أبي حاتم في تفسيره ج١ ص٣٠، والسيوطي في الدر المنثور ج١ ص٤٠، ورواها الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٢٨٤، وقال: «حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

(٣) الترجمان هوالمُفسر، ينظر: لسان العرب ج ١٢ ص ٦٦.

(٤) تفسير الطبري ج١ ص ١٧١.

وقول الرازي (ت: ٦٠٦) إن الهداية تحصل بالريّاضة والتصفية: هذه بدعة صوفية لم تُعرف عند السلف الصالح من الصحابة والتابعين، ويعني بها غلاة الصوفية: إما الريّاضة والتصفية بتعذيب الجسد وحرمانه من الأكل والنوم، أوبسماع الأناشيد وآلات الطرب، حتى يحصل بزعمهم كرامات وعرفاناً؛ أي: علم غيبي، وغيرها من الخرافات التي هي أشبه بالسحر والدجل[1]، لكن الظن بالرازي رحمه الله أنه لا يقصد هذا المعنى، وإنما أراد منه معنى الزهد، ويدلل عليه ما قاله في موضع آخر من تفسيره: «الريّاضة والمجاهدة لا تقلب النفوس عن أحوالها الأصلية ومناهجها الطبيعية، وإنما تأثير الريّاضة في أن تضعف تلك الأخلاق، ولا تستولي على الإنسان، فأما أن ينقلب من صفة أخرى فذلك محال»[2]، يقول ابن الجوزي (ت: ٥٩٧) في بيان الفرق بين متقدمي الصوفية ومتأخريهم من الغلاة: «رياضة النفس، ومجاهدة الطبع، يرده عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة، من الزهد، والحلم، والصبر، والإخلاص، والصدق، وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبس إبليس عليهم في أشياء، ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني، فزاد تلبيسه على أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن... وهؤلاء بين الكفر والبدعة، ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق، ففسدت عقائدهم..»[3].

والذي أقرؤه من تفسير الرازي رحمه الله أنه يرى ما يراه أوائل القوم وكذا السُّلمي، فيما أورده من مصطلح الريّاضة وهو كثير في تفسيره، والله تعالى أعلم.

وأما الهُدى في القرآن له أربع مراتب ذكرها ابن القيم (ت: ٧٥١)[4] وهي:

(١) للاستزادة ينظر: مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٦١٢، لسان الميزان ج ٥ ص ٣١٤، الرد على القائلين بوحدة الوجود لعلي القاري ص ١٧، لسان الميزان ج ٥ ص ٣١٤، دستور العلماء للقاضي أحمد النكري ج ١ ص٨٢، التصوف المنشأ والمصدر ص ٥٤.

(٢) تفسير الرازي ج١ ص١٣١.

(٣) تلبيس إبليس ص ٢٠٢، باختصار.

(٤) ينظر: شفاء العليل ص ٥٣، المسائل الاعتزالية ج ١ ص ١٥٧.

١ -الهدى العام، وهو هداية كل نفس إلى مصالحها وما يقيمها، قال تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ١- ٣].

٢- الهدى بمعنى البيان والإرشاد إلى مصالح العبد في معاده، وهذه خاصة بالمكلفين، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢]، والآية في حق النبي ﷺ فهي هداية الدعوة والدلالة والإرشاد[١].

٣-الهداية المستلزمة للاهتداء، وهي هداية التوفيق، ومشيئة الله لعبده الهداية، وخلقه دواعي الهدى وإرادته، والقدرة عليه للعبد، وهذه الهداية لا يقدر عليها إلا الله ﷻ، فالهادي هو الله والعبد المهتدي، قال تعالى: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: ٣٩]، ومشيئة العبد الهداية تابعة لمشيئة الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٧، ٢٩].

٤- الهداية يوم المعاد على الجنة أو النار.

[٦] قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]:

تحريف معنى ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾:

ذكر الطباطبائي (ت: ١٤٠٤) في معنى الصراط المستقيم ومزية أصحابه معاني باطلة، فأما أصحاب الصراط فعبر عنهم بقوله: «إن مزية أصحاب الصراط المستقيم على غيرهم، وكذا صراطهم على سبيل غيرهم، إنما هو العلم لا العمل، فلهم من العلم بمقام ربهم ما ليس لغيرهم»[٢]، وقال في موضع آخر: «فالصراط المستقيم أصحابه منعم عليهم بنعمة هي أرفع النعم قدراً، تربو على نعمة الإيمان التام»[٣].

---

(١) ينظر: تفسير سفيان الثوري لأبي عبد الله سفيان الثوري ص ٢٧٠، تفسير البغوي ج ٤ ص ١٣٢، أضواء البيان ج ٧ ص ١٩.

(٢) تفسير الميزان ج ١ ص ٣٧.

(٣) المرجع السابق ص ٣١.

وأمّا الصراط فهو يفرد في معناه بحوث روائية باطلة مكذوبة، كلها تحريف في معنى الآية، ومنها قوله: «عن الصادق عليه السلام[١] قال: «الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام»[٢].

وقال في نهاية بحوثه الروائية: «والروايات في تطبيق الآيات عليهم عليهم السلام "يعني أئمة أهل البيت" أو على أعدائهم أعني: روايات الجري[٣]، كثيرة في الأبواب المختلفة، وربما تبلغ المئين»[٤].

سبب التحريف:

قوله في مزية أهل الصراط التي فصل فيها بين العلم والعمل، وأن أعلى المقامات عنده بالعلم فقط، فيرجع سببه إلى آراء الرافضة في أئمتهم المزعومة، فهم يرون فيهم العصمة، وعلم ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم شيء، وأنهم أعلم من الأنبياء وأعلى قدراً منهم، فإن الأنبياء تقتصر مهمتهم على الدلالة فقط بزعمهم، وأما أوليائهم فقد اطلعوا على المغيبات، وقد عقد الكليني (ت: ٣٢٩) في كتابه الكافي باباً في أن الأئمة يعلمون ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم شيء[٥]. وتجد هذا المعنى في الرواية التي أوردها الطباطبائي (ت: ١٤٠٤) في نهاية تفسير الفاتحة وهي قوله: «ليس بين الله وبين حُجَته حجاب، ولا لله دون حجته ستر، نحن أبواب الله، ونحن الصراط المستقيم، ونحن غيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، ونحن أركان توحيده، ونحن موضع سره»[٦]، نعوذ بالله من هذا الظلم

---

(١) هو عبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الملقب بالصادق.

(٢) الميزان ج ١ ص ٤١.

(٣) أسلوب الجري من أنواع التفسير الباطني، إلا أنه مخصوص عند بعض الرافضة بتطبيق الآيات القرآنية على أئمتهم أو على أعدائهم، ينظر: اتجاهات التفسير ٢٣٣.

(٤) الميزان ج ١ ص ٤٢.

(٥) ينظر: الكافي ج ١ ص ٢٠٢، الكليني وتأويلاته الباطنية للآيات القرآنية ص ٩٤.

(٦) الميزان الطباطبائي ج ١ ص ٤١.

العظيم، وادعاء العلم اللدني والعصمة لأوليائهم، قريب من حصول العرفان والمكاشفة لأولياء الصوفية.

وهذا السبب في الغلو في الأئمة هو سبب تفسيره الصراط بعلي رضي الله عنه.

الرد على التحريف:

الإيمان قول، وعمل، ونية[1]، ولو بلغ العبد أعلى درجات الإيمان لا يسقط عنه التكليف، والله تعالى امتدح نبيه وخليله بوصف العبودية، فقال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]، وكان ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه[2]، وهو القائل: (**إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا**)[3]، ومن الذي يروم علماً أو فضلاً فوق ما حباه الله تعالى، والذين أنعم الله عليهم أهل الصراط المستقيم؛ الأنبياء، والصديقين، والشهداء، والصالحين، هم أهل العلم والعمل، فولاية الله تعالى لا تنال بالأماني بل امتثال أمره واجتناب نهيه، فهم أولياء الله تعالى الذين يعنيهم سبحانه وتعالى بالحديث القدسي: (**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه...**) الحديث[4]، وفي الحديث دلالة واضحة أن ولاية الله تنال بالتقرب إليه بالعبادة، ولا يعني فصل العلم عنها، فإن الإيمان درجات يعلم الله تعالى من عباده ما بلغوا فيها من العلم، والعمل، والنية، قال تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٣]،

---

(١) هذا تعريف الإيمان عند أهل السنة، وقد وقع عليه التحريف وسأبسط الكلام فيه عند الحديث عن الآية (٣) من سورة البقرة إن شاء الله تعالى.

(٢) ينظر: شمائل الرسول ﷺ لابن كثير ص ١٤٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قوله النبي ﷺ: (**أنا أعلمكم بالله**) ج١ ص١٦ برقم ٢٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع ج ٥ ص ٢٣٨٤ برقم ٦١٣٧.

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

وفي الآيات يمتدح الله تعالى عباده بعلمهم وعملهم، وهو بصير بنيتهم، فالعمل، والعلم، والنية لله تعالى وحده، وهؤلاء الغلاة الذين يريدون إسقاط التكاليف عمن زعموا فيهم العصمة والمعرفة تنطلق دعاويهم هذه من شهوات النفس؛ والرغبة في الحظوة عند الأتباع، والتملص من الدين، واستغلال ضعاف النفوس، والأغبياء من الناس، والعلماء يعيبون على طالب العلم الذي يقصر في العبادة ومنهم من يتهم نيته، قال الذهبي (ت: ٧٤٨) عن طالب العلم: «فإن رأيته مجداً في طلب العلم، لاحظ له في القربات، فهذا كسلان مهين، وليس هو بصادق في حسن نيته»[١].

وهذا الغلو في الأئمة، وادعاء العلم الغيبي لهم والعصمة، هو الذي دعاهم أن ينزلوا كثيراً من الآيات على أئمة البيت مثل علي رضي الله عنه، فتجد الطباطبائي يذكر الروايات في تفسير الصراط بعلي رضي الله عنه، وهذا تحريف ظاهر البطلان، لا يعضده دليل ولا تدل عليه اللغة، بل هو اتباع الهوى والقول على الله بغير علم، وقد أنزلوا كثيراً من الآيات على هذا المعنى لإثبات أحقية علي رضي الله عنه ونسبه بالخلافة.

[٧] قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]:

التحريف في صفة الغضب:

١-قال الزمخشري (ت: ٥٣٨): «فإن قلت ما معنى غضب الله، قلت: هو إرادة الانتقام من العصاة، وإنزال العقوبة بهم»[٢].

٢-وقال الرازي (ت: ٦٠٦): «الغضب تغيير يحصل عند غليان دم القلب لشهوة الانتقام، واعلم أن هذا على الله تعالى محال»[٣]، وأوّلها بإرادة الانتقام.

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ١٦٧.

(٢) الكشاف ج ١ ص ٥٩.

(٣) تفسير الرازي ج ١ ص ٢١١.

سبب التحريف:

صفة غضب الله تعالى من الصفات التي حرّفها متأولة الباطل واتفقت المعتزلة، وجمهور الأشاعرة والماتريدية، وغيرهم من الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة على نفي ظاهرها عن الله تعالى(١)؛ إذ قالوا: إنّ إثبات صفة الغضب يؤدي إلى تشبيه الخالق بما هو مشاهد من صفة غضب المخلوقين، وما يحدث من انفعال نفسي، وغليان الدم، وغيرها، من الأعراض الدالة على الضعف، وحاولوا صرف الآية لتوافق عقولهم الحائرة، ففسروا صفة الغضب بلوازمها أو آثارها، فقالوا إنها تعني إنزال العقوبة، أو إرادة الانتقام.

الرد على التحريف:

غضب الله ﷻ صفة من صفاته الفعلية المتعلقة بمشيئته واختياره، وهي كسائر صفات الفعل التي وصف الله تعالى بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ، والأدلة في إثباتها لله ﷻ كثيرة مشتهرة من الكتاب والسنة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٢]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣]، ومن الأحاديث التي أثبت النبي ﷺ فيها صفة الغضب لله تعالى قوله في حديث الشفاعة الطويل: (...**إن الله غضب اليوم غضباً، لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله**)(٢)، ومنها قوله ﷺ: (**لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي**)(٣)، وغيرها من الأحاديث كثير مشتهر،

---

(١) المعتزلة ينكرون الصفات مطلقاً، وأغلب الأشاعرة ينكرون الصفات الاختيارية، ومنها صفة الغضب، ينظر: المسائل الاعتزالية ج ١ ص١٥٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ ج ٤ ص ١٧٤٥ برقم ٤٤٣٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ج٦ ص٢٧١٢ برقم ٧٠١٥.

وبهذه الأدلة وأشباهها يتبين أن الله يتصف بالغضب، وأن غضبه تابع لمشيئته وإرادته، غضبه يليق بجلاله، ولا يشبهه أحد من خلقه، وهكذا الأمر في سائر صفاته تبارك وتعالى[1].

وسلف الأمة يثبتون صفة الغضب لله تعالى على ما يليق به كنهجهم في أسماء الله تعالى وصفاته من غير تحريف، أو تعطيل، أو تشبيه، أو تكييف[2] فيثبتون ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله، وينفون ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله،وتركوا الابتداع والخوض في المغيبات.

أما ادّعاء نفي الأسماء والصفات لما فيها من تشبيه الخالق بالمخلوقين، فهو لازم ابتدعته العقول القاصرة التي لم يسعها ما وسع سلفنا الصالح، فإن صفات المخلوقين هو ما يعرفه المخلوقون من ضعف وانفعال، أما صفات الله تعالى فهي تليق بجلاله[3]، والله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الشورى: ١١].

ودعوى تفسير الصفة بإرادة الانتقام، أو العقوبة، صرف للنص عن ظاهره بغير دليل، فإن العقوبة أثر وليست صفة، ثم إن الذي يغضب لا يلزم أن يعاقب المغضوب عليه[4].

فتبين أن الحق في منهج السلف الصالح في أسماء الله وصفاته وما أجمل ما قاله الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٠٤): «آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله»[5].

---

(١) ينظر: عقيدة أحمد بن حنبل رواية أبي بكر الخلال ص ١٠٩، الإبانه عن شريعة الفرقة الناجية ج٣ ص ١٢٧، شرح العقيدة الطحاوية ٥٢٥.

(٢) ينظر: أصول الدين لجمال الدين الغزنوي ص٢٢٦، العقيدة الأصبهانية ص٧١، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص٢٦١.

(٣) ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي ج ٢ ص ٤٨٩، منازل السائرين للهروي ص ١٢٦، اجتماع الجيوش الإسلامية ٢١٠٥، الشهادة الزكية لمرعي الكرمي ص ٨٠.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى ج ٥ ص ٥٦٩، المسائل الاعتزالية ج ١ ص ١٥٣.

(٥) ينظر: لمعة الاعتقاد ص١٠، دفع شُبه من شبّه وتمرد لأبي بكر الحصني ص٥٦، معارج القبول ج١ ص٣٦٥.

قال محمد بن عثيمين (ت: ١٤٢١) في تفسيره لصفة الغضب: «وغضب الله سبحانه وتعالى صفة من صفاته؛ لكنها لا تماثل صفات المخلوقين؛ فنحن عندما نغضب تنتفخ الأوداج منا، ويحمر الوجه، ويقفُ الشعر، ويفقد الإنسان صوابه، وهذه العوارض لا تكون في غضب الله؛ لأن الله ليس كمثله شيء؛ بل هو غضب يليق بالله عز وجل دال على كمال عظمته، وسلطانه،؛ وإذا قلنا بهذا وسلّمنا أن الغضب صفة حقيقية برئت بذلك ذمتنا، وصرنا حسب ما أمر الله به، ورسوله»[1].

(١) تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين ج ١ ص ٢٢٠.

سورة البقرة

[١] قوله تعالى ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة:١]:

التحريف في معناها:

قال السُّلمي (ت:٤١٢): «معناه: من وجدني على الحقيقة بإسقاط العلائق والأغراض، فلطفت له في معناه، فأخرجته من رق العبودية إلى الملك الأعلى، وهو الاتصال بمالك الملك بعد الاشتغال بشيء من الملك»(١).

والجوهري (ت:١٣٥٨) يعقد في معناها مبحثاً مستقلاً يعنون له بقوله: «أعظم أسرار القرآن التي ظهرت في هذا الزمان سر ﴿الٓمٓ﴾ في أول سورة البقرة»(٢)، وقال تحته: «﴿الٓمٓ﴾ في أول سورة البقرة مفتاح العلوم في مستقبل الزمان ومفتاح السياسة لأمم الإسلام»(٣)، وقال: «أذكياء القراء إذا ابتدؤوا في قراءة القرآن صادفتهم الفاتحة، والفاتحة مدخل ومقدمة لبقية القرآن، فإذا ابتدأ يقرأ ما بعدها صادفه ﴿الٓمٓ﴾ فيقول في نفسه هذه حروف لا معنى لها، ثم هو لا يزال يقرأ في سورة البقرة وهو متربص أن يعرف سرّ ﴿الٓمٓ﴾ فما يشعر إلا وقد فوجئ بنفس هذه الحروف في قصة الذين خرجوا من ديارهم فارّين من الموت، وفي قصة طالوت...ثم إذا أتم هذه الآية يستمر في قراءته فتصادفه آية إبراهيم ونمروذ... فإن في هذا المقام ﴿الٓمٓ﴾ قد ذكرت مرتين: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، و﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِن﴾ [البقرة: ٢٦٠]»(٤).

فهو يرى أن ﴿الٓمٓ﴾ الحروف المقطّعة في أول البقرة هي حرف الاستفهام (ألم) من قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ...﴾ [البقرة:٢٤٣]

(١) تفسير السُّلمي ج١ ص٤٦.

(٢) تفسير الجوهري ج١ ص٢٤٥.

(٣) المرجع السابق ص٢٤٦.

(٤) المرجع السابق ص٢٤٦.

وقولـه تعـالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا...﴾ [البقرة: ٢٤٦]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقال في نهاية المبحث: «وعليه يكون سر ﴿الٓمٓ﴾ في هذه السورة أنها مفتاح لعلوم الأمم شرقاً وغرباً، مسلمة وغير مسلمة، فبينما القارئ يتربص ليعرف ما هو السر في النطق بحروف ﴿الٓمٓ﴾ إذ به قد ظفر بكنز علوم السياسات الإنسانية ومعارفها، وبعبارة أخرى أن ﴿الٓمٓ﴾ في أول البقرة تشير لكل علم في الأرض»(١).

سبب التحريف:

ما ذكره السُّلمي (ت: ٤١٢) في معنى ﴿الٓمٓ﴾ معنى باطل وهو من أكاذيب الصوفية وخرافاتهم، وما ذهب إليه الجوهري (ت: ١٣٥٨) غاية في السقوط، ولا أرى لمثل هذه الآراء سبباً غير القول على الله بغير دليل، وتفسير كتابه بالرأي المذموم، إذ لا مستند ولا دليل عليها من لغة، أو شرع، أو عقل.

رد التحريف:

الحروف المقطّعة كانت ولا زالت محل خلاف بين العلماء، ولا ثمة نص صريح في معناها، وإذا لم يقم دليل من سنة، أو كتاب، أو إجماع، أو حتى لغة على معنى معين أنه هو المراد بهذه الحروف؛ فلا اعتبار له، قال السيوطي (ت:٩١١): «وقد تحصّل لي فيها عشرون قولاً و أَزْيد، ولا أعرف أحداً يحكم عليها بعلم، ولا يصل منها إلى فهم»(٢).

ومثل هذه الألفاظ المشكلة، والمحتملة، يتصيدها أهل الزيغ والهوى، فيُحمِّلونها ما لا تحتمله، ويبتدعون فيها ما لا يُعلم، لكن علماء الحق والصدق من المسلمين دائماً يتصدون لهؤلاء فنكتفي بتلخيص آرائهم في الحروف المقطّعة:

---

(١) تفسير الجوهري ص٢٤٦.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ج٣ ص٢٦.

اختلف أهل العلم في هذه الحروف وتعددت أقوالهم، ومنها:

الأول: أنها مما استأثر الله بعلمه، فهي من المتشابه الذي لا يطلب تفسيره، فردوا علمها إلى الله تعالى، وهذا القول حكاه القرطبي في تفسيره[(١)] عن الخلفاء الراشدين وابن مسعود رضي الله عنهم (ت: ٣٣)، وعامر الشعبي (ت:١٠٥)[(٢)]، وسفيان الثوري (ت: ١٦١)، والربيع بن خثيم (ت:٦٣)[(٣)]، واختاره أبو حاتم بن حبان (ت: ٣٥٤)، وجماعة من المحدثين،

الثاني: أنها لا معنى لها، وهذا القول أنكره العلماء وردّوه، وبيان ضعفه بأمرين:

١ -أن الله تعالى أنزل القرآن وتعبدنا فيه، وقد يسّر فهمه فلا يقال: إن فيه ما لا يعلم، قال ابن كثير(ت:٧٧٤): «ومن قال من الجهلة: إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلية فقد أخطأ خطأً كبيرا»[(٤)].

٢- ما ذكره السيوطي (ت: ٩١١) في معرض رده على من قال: إن هذه الحروف لا معنى لها، حيث قال: «لولا أن العرب كانوا يعرفون أن لها مدلولاً متداولاً بينهم لكانوا أول من أنكر ذلك على النبي ﷺ، بل تلى عليهم حم فصلت، وص وغيرها، فلم

---

(١) تفسير القرطبي ج١ ص١٥٤.

(٢) أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي من شعب همدان، علّامة أهل الكوفة كان إماما حافظا، أدرك خلقاً من الصحابة ورى عنهم وعن جماعة من التابعين، وعنه أيضاً روى جماعة من التابعين، قال ابن سيرين قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ كثير، ينظر: التاريخ الكبير ج٦ ص٤٥٠، معرفة الثقات ج٢ ص١٢، صفة الصفوة، ج٣ ص٧٥، جامع التحصيل لأبي سعيد العلائي ج١ ص٢٠٤.

(٣) الربيع بن خثيم أبو يزيد الكوفي الثوري من ثور بن عبد مناة، من كبار التابعين علماً وزهداً وعبادة، روى عن ابن مسعود، وأبي أيوب الأنصاري، وعنه روى الشعبي، والنخعي، وآخرون، قال له ابن مسعود رضي الله عنه: (لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك)، وإذا رآه قال له: (وبشر المخبتين)، ينظر: التدوين في أخبار قزوين لأبي الحسن العجلي ج١ ص٩٨، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ج١ ص٩٩، تقريب التهذيب ج١ ص٢٠٦.

(٤) تفسير ابن كثير ج١ ص١٦٠.

ينكروا ذلك، بل صرحوا بالتسليم له في البلاغة والفصاحة مع تشوّفهم إلى عثرة وحرصهم على زلة، فدل على أنه كان أمراً معروفاً بينهم لا إنكار فيه»[١].

الثالث: أن لها معنى، وهو الصحيح، ولكن اختلفوا فيها إلى عدة أقوال[٢]، وليس هذا مقام بسطها.

وقد رجّح جمع من العلماء[٣] أن هذه الحروف هي نفس الحروف الهجائية، فإن قول: ألف، لام، ميم، معلوم لا يخفى، وهو ذلك الحرف من حروف التهجي، وهي من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، وفيه إشارة إلى أن القرآن الكريم مركب من جنس هذه الأحرف، التي يكوِّن منها العرب كلامهم، ومع ذلك عجزوا أن يُصيغوا منها مثل هذا القرآن الكريم.

قال ابن أبي العز (ت:٧٩٢) في شرح العقيدة الطحاوية: «وإلى هذا وقعت الإشارة بالحروف المقطّعة في أوائل السور، أي أنه في أسلوب كلامهم، وبلغتهم التي يخاطبون بها، ألا ترى أنه يأتي بعد الحروف بذكر القرآن كما في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾ [البقرة: ١-٢]، ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [آل عمران: ١-٣] ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ [الأعراف: ١-٢]، ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [يونس:١]،وكذلك الباقي، فنبههم أن هذا الرسول الكريم لم يأتكم بما لا تعرفونه، بل خاطبكم بلسانكم»[٤].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج٣ ص٢٦.

(٢) ينظر: التفسير الكبير ج٢ ص٣، البحر المحيط ج٢ ص١٥٧، البرهان في علوم القرآن ج١ ص١٧٢، إيضاح الدليل لابن جماعة ص٩٦، التحرير والتنوير ج١ ص٢٠٦.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ج١٧ ص٤٢٠، اللباب في علوم الكتاب ج١ ص٢٥١، الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب لحمد آل معمر ج٢ ص٢٧٣، أضواء البيان ج٢ ص١٦٥.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٩.

وقال الشنقيطي (ت:١٣٩٣): «وأما القول الذي يدل استقراء القرآن على رجحانه فهو أن الحروف المقطّعة ذكرت في أوائل السور التي ذكرت فيها لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وحكى هذا القول الرازي في تفسيره عن المُبرّد [(١)] وجمع من المحققين، وحكاه القرطبي عن الفرّاء وقُطْرب[(٢)]، ونصره الزمخشري في الكشاف، قال ابن كثير: وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي، وحكاه لي عن ابن تيمية. ووجه شهادة استقراء القرآن لهذا القول أن السورة التي افتتحت بالحروف المقطعة يذكر فيها دائماً عقب الحروف المقطعة الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وأنه الحق الذي لاشك فيه، وذكر ذلك بعدها دائما دليل استقرائي أن الحروف المقطعة قصد بها إظهار إعجاز القرآن وأنه حق»[(٣)].

وبهذه الأقوال الشافية للعلماء رحمهم الله يرد كل قول باطل حمّله المحرفون الحروف المقطعة، والله تعالى أعلم.

---

(١) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري النحوي، قال الخطيب: كان عالماً فاضلاً موثوقاً به في الرواية، حسن المحاضرة، ومليح الأخبار، كثير النوادر. مات سنة ٢٨٦، وخلف كتباً منها الكامل، ينظر: تاريخ بغداد ج٣ ص٣٨٠، أبجد العلوم ج٢ ص٨٢، لسان الميزان ج٧ ص٧١، نزهة الألباب في الألقاب لابن حجر ج٢ ص١٤٩.

(٢) هو أبو علي محمد بن المستنير الملقب بقطرب، أخذ عن سيبويه وعن جماعة من علماء البصريين، ثقة فيما يحكيه، ويقال: إن سيبويه لقبه بقطرب لمباكرته إياه في الأسحار، قال له: ما أنت إلا قطرب ليل، وتوفي سنة ٢٠٦، وترك تراثاً منه كتاب النوادر، وكتاب الأزمنة، وكتاب العلل في النحو، وغيرها، ينظر: الكاشف ج١ ص٣٧١، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزآبادي ج١ ص٢١٤، الفهرست ج١ ص١٨٠، الوافي بالوفيات ج٥ ص١٤.

(٣) أضواء البيان ج٢ ص١٦٥.

[٢] قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ...﴾ [البقرة: ٢]:

التحريف في معنى الكتاب:

ذكر السُّلمي (ت:٤١٢) في معنى الآية أقوالاً باطلة منها: «ذلك الكتاب الذي كتبت في قلوب أوليائي من محبتي ومعرفتي في الرضا بموارد قضائي، والكتاب العهد إلى الحبيب وموضوع السر»(١)، وقال: «وقيل: ذلك الكتاب الذي كتبت على نفسي في الأزل (**إن رحمتي سبقت غضبي**)»(٢).

سبب التحريف:

هذا المنهج الذي اتبعه السُّلمي في التحكم على معاني الآيات بلا دليل وتفسيرها بمعاني باطلة لم يقل بها أحد من قبله هي على ما يراه هؤلاء الصوفية في أن الآيات لها معاني باطنة خفية غير المعاني الظاهرة، وهذا الباطل تعرضنا للرد عليه فيما سبق(٣).

رد التحريف:

ما ذكره في معنى الآية فضلاً على أن الآية لا تحتمله ولا يوافقه الدليل ولا أقوال المفسرين؛ هو في نفسه كلام باطل، بل لا يفهم منه شيء، والله تعالى قد يسر القرآن ودعا لتدبره، فلا يصح فيه شيء من هذه النقولات، وإليك أقوالاً لعلماء السلف في الآية تبين أن السُّلمي حرّف معناها:

قال ابن كثير (ت:٧٧٤): «قال ابن جريج(٤) قال ابن عباس ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾

---

(١) تفسير السُّلمي ج١ ص٤٧.

(٢) المرجع السابق، والحديث سبق تخريجه ص ٣٦٩.

(٣) ينظر: آية ١، ٣، ٥، ٦ من سورة الفاتحة.

(٤) عبدالملك بن عبد العزيز بن جريج أبو الوليد وأبو خالد، قرشي مكي فقيه أحد الأعلام روى عن مجاهد، وعطاء، وغيرهم، يدلس، وهو في نفسه مجمع على ثقته، لكنه إذا قال: (قال)، فلا قيمة لقوله، وإذا قال: (حدثنا) فصحيح كان فقيه أهل مكة في زمانه، مات سنة ١٥٠، ينظر: المعارف لابن قتيبة ص ٤٨٨، كنز العمال لحسام الدين الهندي ج٢ ص٢٧٤، توضيح الأفكار للصنعاني ج٣ ص٢٩٨.

[البقرة: ٢] أي هذا الكتاب، وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والسدي، ومقاتل، وزيد بن أسلم[١]... و(الكتاب) القرآن (لا ريب فيه) لا شك فيه... ومعنى الكلام: أن هذا الكتاب وهو القرآن لا شك فيه أنه نزل من عند الله»[٢].

وقال البغوي (ت:٥١٦) ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ٢] أي: «هذا الكتاب وهو القرآن»[٣].

وفسّرها الواحدي (ت: ٤٦٨) بقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ٢] «أي: هذا الكتاب يعني القرآن ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] أي: لا شك فيه أي أنه صدق وحق»[٤].

[٣] قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]:

التحريف في معنى ﴿يُؤْمِنُون﴾:

قال الماتريدي (ت:٣٣٣) «والإيمان إنما يكون بالغيب لأنه تصديق، والتصديق والتكذيب إنما يكونان عن الخبر، والخبر يكون عن غيب لا عن مشاهدة»[٥]، ثم قال: «والآية تنقض قول من يقول: بأن جميع الطاعات إيمان، لأنه اثبت لهم اسم الإيمان دون

(١) زيد بن أسلم العدوي مولى عمر بن الخطاب أبو أسامة، روى عن أبيه، وابن عمر، وأبي هريرة، وعائشة، وغيرهم، وروى عنه مالك، والثوري، وغيرهم،ثقة، عالم، وكان يرسل، توفي سنة ١٣٦، ينظر: الضعفاء الصغير للبخاري ص٤٧، تسمية من روي عنه من أولاد العشرة لأبي الحسن السعدي ص١٢٨، الجرح والتعديل ج٥ ص٢٣٣، جامع التحصيل في أحكام المراسيل لأبي سعيد كيكلدي ص١٧٨.

(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص١٦٢.

(٣) تفسير البغوي ج١ ص٤٤.

(٤) تفسير الواحدي ج١ ص٩٠.

(٥) تأويلات أهل السنة ج١ ص٣٩.

إقامة الصلاة والزكاة»[١]، وقال أيضاً: «والإيمان هو التصديق»[٢].

وقال الرازي (ت:٦٠٦): «الإيمان عبارة عن التصديق بكل ما عرف بالضرورة كونه من دين محمد ﷺ مع الاعتقاد»[٣]، وقد خلص لهذا القول بعد ردود طويلة على أهل السنة في مسمى الإيمان.

سبب التحريف:

الأقوال السابقة في تعريف الإيمان ترجع لانتماء المفسرين لتلك الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة فالماتريدي يُفسر الآية على عقيدة الماتريدية، والرازي على عقيدة الأشعرية، ومما فارقوا أهل السنة به تعريف الإيمان، وحقيقته، وما يقوم به فلما مرّوا على هذه الآية فسروها بتلك المعتقدات الباطلة[٤].

رد التحريف:

قضية الإيمان من أكبر القضايا وأعظمها، إذ عليها مدار السعادة والشقاء، وهي من مباحث العقيدة الكبار، والخلاف فيها أول اختلاف وقع في هذه الأمة، وهو خلاف الخوارج للصحابة، حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية، وأدخلوهم

---

(١) تأويلات أهل السنة ج١ ص٣٩.

(٢) المرجع السابق ص٤١.

(٣) التفسير الكبير ج٢ ص٢٤.

(٤) في هذه الآية بالخصوص هناك من علماء السنة من يفسرها بالتصديق، لأنها عُدّيت بالباء، لكنهم لم يقرروا ما قرره الماتريدي، والرازي في أنها تدلل على بطلان قول من قال: إن العمل ليس من الإيمان، وكلام الماتريدي واضح في ذلك، أما الرازي فقد عقد فصولاً طوالاً في الرد على أهل السنة في مسمى الإيمان من خلال هذه الآية، ينظر: تفسير الرازي ج٢ ص٢٩، لذا تجد ابن جرير يُحذر من هذا الاشتباه بقوله في الآية بعد أن ذكر معنى الإيمان عند العرب أنه التصديق قال: «وقد تَدْخُل الخشية لله في معنى الإيمان، الذي هو تصديق القول بالعمل، والإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله، وتصديق الإقرار بالفعل، وإذا كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بتأويل الآية، وأشبه بصفة القوم: أن يكونوا موصوفين بالتصديق بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً»، ينظر: ج١ ص٢٣٥.

في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم، ثم حدث بعدهم خلاف المرجئة وقولهم: إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان، ومن ثم ترتب على الخلاف في هذه المسألة العظيمة اختلافات أخرى وثيقة الصلة بمسألة الإيمان، وقد أولى علماء السنة والجماعة لهذه المسألة العظيمة اهتماماً كبيراً، وصنفوا فيها قديماً وحديثاً تصانيف متعددة، فبيّنوا القول الحق في معنى الإيمان وحقيقته، وردوا على المخالفين للحق، وأقاموا الحجج في بطلان أقوالهم، وبداية أعرض لمجمل الأقوال المشتهرة (١) في المسألة، ثم أذكر ردود علماء السنة على الفرق الضالة:

١- قول عامة أهل السنة والجماعة:

الإيمان إقرار باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

٢- قول الوعيدية من الخوارج والمعتزلة:

الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، والعمل شرط في الإيمان يوجد بوجوده، ويعدم بعدمه، فهم وافقوا أهل السنة في مسمى الإيمان لفظاً، وخالفوهم في حقيقته ومعناه، فجعلوا الإيمان يزول بزوال العمل مطلقاً، من غير تفصيل في نوع العمل! فالخوارج تكفره والمعتزلة تجعله بين الإيمان والكفر، وهو ما يسمونه بالمنزلة بين منزلتين.

٣- قول المرجئة المحضة وهم الجهمية ومن وافقهم:

والإيمان عندهم هو المعرفة بالله، والكفر الجهل به، وفساد هذا القول بيِّن ظاهر جداً.

---

(١) ينظر: هذه الأقوال في مسند ابن الجعد لعلي بن الجعد الجوهري ص٢٧٩، تاريخ ابن معين(رواية الدوري) لأبي يحيى بن معين ج٤ص٣١٩، العقيدة (رواية أبي بكر الخلال) لأحمد بن حنبل ص١١٧، الإيمان للعدني لأبي عمر العدني ص٩٤، التاريخ الكبير ج١ ص٢٩٣، السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ج١ ص ٣١٦، تعظيم قدر الصلاة ج٢ ص٥٣٣، مقالات الإسلاميين ص٢٩٣، الشريعة ج٢ ص٦٤٢، اعتقاد أئمة أهل الحديث لأحمد الإسماعيلي ص٦٣، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص٤٤، الفرق بين الفرق ص٢٠٧، الاستذكار لابن عبدالبر ج٨ ص٢٨٣، درء التعارض ج٦ ص٢٥٧، الصارم المسلول على شاتم الرسول ج٣ ص٧٠٠ حادي الأرواح ص١٣.

٤-قول جمهور الأشاعرة[١]:

أن الإيمان تصديق بالقلب، ومنهم من اشترط الإقرار باللسان، ومنهم من اكتفى بمجرد التصديق، (وقول اللسان عندهم شرط بإجراء أحكام الدين).

٥-قول الكُرّامّية:

أن الإيمان إقرار باللسان فقط، ويكفي لحصول التصديق عندهم الإقرار باللسان، وعليه فالمنافق عندهم مؤمن.

٦-قول مرجئة الفقهاء[٢]:

أن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان[٣].

والمتأمل في أقوال المخالفة في الإيمان يجد أصولاً جامعة للنزاع بينهم، وقد ذكرها شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨) في ردوده على هذه الفرق وهي:

الأصل الأول: قال: «جعلوا الإيمان شيئاً واحداً، إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه، فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه، كما قال النبي ﷺ: **(يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان)**[٤]»[٥].

---

(١) هناك من الأشاعرة المتكلمين من وافق الجهمية.

(٢) كأبي حنيفة وأصحابه، وأول من قال به حماد بن أبي سليمان، شيخ أبي حنيفة، ينظر: الإيمان لابن تيمية ص٣٣٧.

(٣) عدّ شيخ الإسلام وكثير من العلماء الخلاف بين السلف ومرجئة الفقهاء لفظياً، يقول ابن تيمية: «ومما ينبغي أن يُعرف أن أكثر التنازع بين أهل السنة في هذه المسألة هو نزاع لفظي، وإلا فإن القائلون بأن الإيمان قول من الفقهاء كحماد بن أبي سليمان وهو أوّل قائل به، ومن اتبعه من أهل الكوفة متفقون مع جميع أهل السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد...» الإيمان ص ٢٨١، وقال: «فإن كثيراً من النزاع فيها نزاع في الاسم واللفظ دون الحكم» الفتاوى ج ١٣ ص ٨٣.

(٤) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الكبر ج ٤ ص٣٦١ برقم ١٩٩٩، والحديث في صحيح البخاري بلفظ (أخرجوا) كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان بالأعمال ج١ ص١٦ برقم٢٢.

(٥) مجموع الفتاوى ج٧ ص٥١٠.

والحق أن الإيمان وكذا الكفر شعب وخصال عديدة، ومراتب متعددة[(١)].

الأصل الثاني: قال: «.. ظنوا أن الشخص الواحد لا يكون مستحقاً للثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والحمد والذم، بل إما لهذا وإما لهذا، فأحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها...»[(٢)].

وهذا يظهر من طريقتهم في تلقي نصوص الوعد والوعيد، والتعامل معها، فالوعيدية من الخوارج والمعتزلة يستدلون بنصوص الوعيد ويهملون نصوص الوعد، أو لا يجمعونهما في الاستدلال، والمرجئة على الضد منهم.

أما أهل السنة والجماعة فهم الأمة الوسط، وأسعد الفريقين بالتعامل مع النصوص، فهم يجمعون بين نصوص الوعد والوعيد دون اضطراب وتفريق.

ويمكننا الرد على هذه الأقوال الفاسدة من الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، بإيجاز[(٣)]:

فأما الوعيدية فقد خالفوا الأدلة الصريحة من الكتاب، والسنة، فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال ﷺ: (**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**)[(٤)]، وقوله: (**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان**).

---

(١) قال ﷺ: (**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، ج١ ص٦٣ برقم٣٥.

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ص١٧٥.

(٣) للاستزادة من الردود ينظر: اعتقاد أهل السنة ج١ ص١٧٦، تبيين كذب المفتري لابن عساكر ج١ ص١٦٠، لمعة الاعتقاد ص٢٣، مجموع الفتاوى ج٣ ص٢٢٣ وما بعدها، اقتضاء الصراط المستقيم ص١٤٨، حاشية ابن القيم على سنن أبي داوود لابن القيم ج١٢ ص٢٩٣، جامع العلوم والحكم ج١ ص٣٧٥، شرح العقيدة الطحاوية ص٣٦٢، ترجمان شعب الإيمان للبلقيني ص ١٢٥، وقد أفدت كثيرا من كتيب لعلي بن عبدالعزيز الشبل في دراسة تأصيلية في مسألة الإيمان مفيدة جداً.

(٤) سبق تخريجه ص١٦٤.

وأما المرجئة المحضة فيلزم من قولهم: إن إبليس، وفرعون، وكفار قريش وغيرهم من أهل الكتاب والمجوس ونحوهم، مؤمنون لأنهم يعرفون الله، وهذا قول واضح الفساد.

وقول جمهور الأشاعرة، والماتردية، ومن نحا نحوهم، فاسد لعدة اعتبارات منها:

١- ما ورد تسميته إيمان من الأعمال، والأقوال في النصوص الشرعية، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة:١٥] . وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، وغيرها من الآيات، ولما رواه مسلم (ت:٢١٦) في حديث أنواع المجاهدة أن النبي ﷺ قال: (**فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**)[١]، فسمَّى النبي ﷺ عمل القلب، واللسان، والجوارح، إيماناً، وغير هذه النصوص من الوحيين كثيرة جداً.

٢- أن كل من صدّق بالله ورسول الله ﷺ بقلبه كأبي طالب، والكفار الذي جحدوا نعته في كتبهم، وهم مصدقون بقلوبهم؛ يلزم أنهم مؤمنون، وهذا باطل، أو أن من صدق بقلبه فلا يضره حتى لو أتى بناقض من نواقض الإسلام، ويكون إيمانه كإيمان الملائكة، والأنبياء، والصالحين[٢]، إذاً فالتصديق المجرد من العمل لا قيمة له عند رب العالمين.

٣-يُرد عليهم بالنصوص التي نفت عن مرتكب الكبيرة الإيمان الكامل التي تستدل بها الوعيدية استدلالاً محرفاً وهو نفي الإيمان مطلقاً، ولكن الحق أنها تنافي كمال الإيمان، ومنها قوله ﷺ: (**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف فيرفع**

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ج١ ص٦٩ برقم ٥٠.

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٣٣١.

الناس إليه فيها بأبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)[(١)].

فمرتكب الكبيرة لا ينفى عنه كل الإيمان، كما تقوله الوعيدية؛ إذ أخرجته منه مطلقاً، ولا يوصف بكمال الإيمان، كما تقوله المرجئة بل إيمانه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذه وسطية أهل السنة والجماعة.

الإيمان عند أهل السنة والجماعة: هو «تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية».

أي: أن مسمى الإيمان يطلق عند أهل السنة والجماعة على ثلاث خصال مجتمعة، لا يجزئ أحدها عن الآخر، وهي جامعة لدين الإسلام: (اعتقاد القلب، إقرار باللسان، عمل بالجوارح) ومعتقد أهل السنة قامت عليه الأدلة من الكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وتابعيهم بإحسان، فمن القرآن الكريم أدلة كثيرة على أن الأعمال جزء من الإيمان؛ منها آيات تصف المؤمن الحق بمن جاء بتلك الأعمال الصالحة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وغيرها من الآيات.

ومن الأحاديث؛ قوله ﷺ لوفد عبد القيس لما سألوه عن أمور الدين، فأمرهم بالإيمان بالله وحده، فقال: (**أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟**) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (**شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**)[(٢)]، وقوله ﷺ: (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب الخمر من العنب ج٥ ص٢١٢٠ برقم ٥٢٥٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان ج١ ص٢٩ برقم ٥٣.

أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين)[1]، وغيرها من الأحاديث.

فلم يأت الإيمان في القرآن والسنة مجرداً عن العمل، بل عطف عليه العمل الصالح في كثير من الآيات والأحاديث، وهو من باب عطف الخاص على العام، أو البعض على الكل، وذلك للتأكيد على الأعمال الصالحة، فالإيمان والعمل متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، والعمل هو صورة الإيمان وجوهره، وفي أقوال السلف تقرير لهذا المعنى، ومن أقوالهم رحمهم الله تعالى:

ما رواه اللالكائي (ت:٤١٨) بسند صحيح عن البخاري (ت:٢٥٦) أنه قال: «لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان: قول وعمل، يزيد وينقص»[2].

ونقل ابن عبد البر (ت: ٤٦٣) في التمهيد الإجماع على ذلك فقال: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان»[3].

وأقوالهم في هذا المعنى من الكثرة بمكان.

وإليك مثالاً من تفاسير أهل السنة في الآية:

قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧): «قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ الإيمان في اللغة: التصديق، و الشرع أقره على ذلك، وزاد فيه القول والعمل»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ج١ ص١٤ برقم١٥.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص١٧٣.

(٣) التمهيد لابن عبد البر ج٩ ص٢٣٨.

(٤) زاد المسير ج١ ص٢٤.

[٤] **قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]:**

التحريف في معنى الغيب:

قال الطباطبائي (ت:١٤٠٤): «عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، قال: من ءامن بقيام القائم عليه السلام أنه الحق»[١].

سبب التحريف:

سبب الحكم على قول الطباطبائي بالتحريف يعود لأمرين:

١- حَصْر الغيب في الآية على الإيمان بالقائم "أي: المهدي" فقط.

٢- القائم وهو المهدي المنتظر عند هؤلاء على غير ما جاء في سنة النبي ﷺ، فهم حرّفوا أوصافه، ورتّبوا عليه أحكاماً ما أنزل الله بها من سلطان.

رد التحريف:

من المعروف أن الإيمان بعودة الغائب من أسس التشيع بل هو الركن العظيم عندهم، وأن بعض الرافضة تؤمن بأنه الإمام الأخير، وهو الثاني عشر من أئمتهم الذين غالوا فيهم، واسمه محمد بن الحسن العسكري، وهو من ذرية النبي ﷺ دخل السرداب في مدينة سامراء عام ٢٦٠هـ، وهو صغير، وأنه لا يزال حياً وسيظهر بعد شيوع الظلم ليخلص الناس منه، ويقرّ العدل في الأرض، ويتوسلون به، ولهم فيه من الغلو ما لأئمتهم المزعومة، ومن المعروف أن المهدي في السنة غير هذا الذي ادعته الشيعة[٢].

---

(١) تفسير الميزان ج١ ص٤٦.

(٢) ينظر: كتاب الفتن لابن نعيم ج١ ص٢٩٩، تاريخ المدينة لعمر النميري ج١ ص١٨٧، تاريخ الطبري ج٤ ص٥٨٣، فرق الشيعة ج١ ص٦٣، البدء والتاريخ ج٢ ص١٧٧، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي ج٢ ص٨٥٥، عقد الدرر في أخبار المنتظر للسلمي ص١٢٠، تاريخ الإسلام ج٢٢ ص٢٨، أشراط الساعة للغفيلي ص٩٧، العرف الورد في أخبار المهدي للسيوطي ص٤٥، الرد على الرافضة لمحمد بن عبدالوهاب ص٥.

ولا يصح ما يصدر عن بعض أهل السنة من غير أهل الاختصاص[١] إنكارهم المهدي كردة فعل أمام خرافات الشيعة، بل إن المهدي حق، تواترت الأحاديث الصحيحة بمجيئة، وقد حكى التواتر عدد من الأئمة، منهم ابن القيم (ت:٧٥٢) في المنار المنيف، فقال: «وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول ﷺ بذكر المهدي وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يَأُمّ الأرض عدلاً، وأن عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه»[٢] وقال الشوكاني (ت:١٢٥٠): «فالأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً فيها الصحيح، والحسن، والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة»[٣]، وغيرهم من الأئمة الذين حكوا التواتر كثير[٤].

ومما جاء في وصفه؛ أن اسمه واسم أبيه يطابق اسم النبي ﷺ واسم أبيه كما في الرواية عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه ﷺ قال: (**لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً**)[٥].

(١) مثل ابن خلدون في مقدمته و رشيد رضا في تفسيره ح٩ ص٣٩٣، وغيرهما من المعاصرين.

(٢) المنار المنيف في الصحيح و الضعيف لابن القيم ص ١٤٢، حكاه عن أبي الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم الآبري ت:٣٦٣.

(٣) ينظر: رسالة الشوكاني التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال المسيح، جل الرسالة في هذا الموضوع.

(٤) منهم ابن تيمية في منهاج السنة ج٨ ص١٣٤، ابن كثير في الفتن ج١٤ ص٩٥، ابن حجر في الفتح ج١٣ ص١٦، وتهذيب التهذيب ج٩ ص١٢٦.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده ج١ ص١٩٢ برقم ٢٨٣، وأحمد في مسنده، مسند عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ح١ ص ٣٧٦ برقم ٣٥٧٢، وأبو داود في سننه كتاب المهدي ج٤ ص ١٠٦ برقم ٤٢٨٢، والترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي ج٤ ص٥٠٥ برقم ٢٢٣٠، وابن حبان في صحيحه باب أخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن، ذكر البيان بأن خروج المهدي إنما يكون بعد ظهور الظلم ج١٥ ص٢٣٦ برقم ٦٨٢٣، والطبراني في المعجم الصغير ج٢ ص٢٨٩، والحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم ج٤ ص٥١١ برقم ٨٤٣٤، وصححه الألباني في فضائل الشام ودمشق ج١ ص١٦، كلهم بألفاظ متقاربة.

وهذا يخالف ما ابتدعته بعض الرافضة في نسبة المهدي للعسكري، فاسمه على غير ما ذكر في الحديث، قال ابن القيم (ت:٧٥٢) وهو يعدد الأقوال الباطلة في المهدي: «وأما بعض الرافضة فلهم قول رابع، وهو أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر، من ولد الحسين بن علي لا من ولد الحسن[١]، الحاضر في الأمصار، الغائب عن الأبصار، الذي يورث العصا، ويختم الفضا دخل سرداب سامراء طفلاً صغيراً من أكثر من خمس مئة سنة، فلم تره بعد ذلك عين، ولم يحس فيه بخبر، ولا أثر، وهم ينتظرونه كل يوم يقفون بالخيل على باب السرداب ويصيحون به أن يخرج إليهم... فهذا دأبهم ودأبه... ولقد أصبح هؤلاء عارا على بني آدم وضحكة يسخر منها كل عاقل»[٢].

فالمهدي هو الذي جاءت أوصافه عن الصادق المصدوق ﷺ، والإيمان بمجيئه وأنه علامة عظمى لقيام الساعة جزء من الإيمان بالغيب الذي امتدح الله تعالى المؤمنين به بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، وليس كل الغيب هو الإيمان بالمهدي قال السعدي في تفسير الآية: «ويدخل في الإيمان بالغيب؛ الإيمان بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلة، وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف الله وكيفيتها، وما أخبرته به الرسل من ذلك»[٣]، وعلى هذا جمع من المفسرين[٤].

---

(١) يرى علماء الحديث أن المهدي من أولاد الحسن، ينظر: المراجع في حاشية(٣).

(٢) المنار المنيف ص١٥٢، ١٥٣.

(٣) تفسير السعدي ص٤٠.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ج١ ص٢٣٥، الكشف والبيان للثعلبي ج١ ص١٤٧، تفسير القشيري لطائف الإشارات ج١ ص١٨، تفسير الواحدي ج١ ص٩٠، الكشاف ج١ ص٨٠، تفسير القرطبي ج١ ص١٦٣، تفسير البيضاوي ج١ ص١٠٨، تفسير النسفي ج١ ص١٣، التسهيل للكلبي ج١ ص٣٦، تفسير الجلالين ج١ ص٣، الدر المنثور ج١ ص٢٣، تفسير أبي السعود ج١ ص٣٠.

[٥] قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]:

التحريف في معنى ﴿رَزَقْنَاهُم﴾:

* قال الزمخشري (ت:٥٣٨): «وإسناد الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم ينفقون الحلال المطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله ويسمى رزقاً»(١).

* قال الطباطبائي (ت:١٤٠٤): «وفي تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قال: ﴿ومما علمناهم يَبُثُّون﴾»(٢)، وفي رواية أخرى قال: ﴿ومما علمناهم يبثون، ومما علمناهم من القرآن يتلون﴾(٣).

سبب التحريف:

أما الزمخشري فإنه يعرب عن بدعة القدرية ومنهم المعتزلة، وهي أن الله تعالى لا يرزق إلا الحلال، وأما الحرام فالعبد يرزقه لنفسه، والزمخشري يذكر في ثنايا كلامه أن الحرام لا يسمى رزقا، ومرجع هذا الانحراف أنهم لم يستطيعوا التفريق بين ما أراده الله وما يحبه الله عز وجل(٤)، وسيأتي بيانه بالرد، وأما الطباطبائي فإن تفسيره للآية تحكم بغير دليل وهو من أكثر أسباب الانحراف عند بعض الرافضة وغيرها.

الرد على التحريف:

هذه بدعة قدرية يرى أهلها أن الله لا يرزق إلا الحلال، أما الحرام فالعبد يرزقه لنفسه، ووجه ضلالهم في هذا الجانب أنهم لم يستطيعوا التفريق بين ما قدره الله ديناً وشرعاً وأحبه ورضيه، وبين ما قدره كوناً، وإن لم يحبه ويرضه، ولما كانت إرادة الله عندهم محصورة فيما أحبه ورضيه، ولم يتصوروا أن يريد ما يبغضه ويكرهه، فرقوا بين الرزق الحلال والحرام فأضافوا رزق الحلال إلى الله، ومنعوا أن يكون الله رازقاً للحرام لأنه غير محبوب لله فلا

---

(١) الكشاف ج١ ص٨٢.

(٢) تفسير الميزان ج١ ص٤٧.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ينظر: العبودية ص١٦، المسائل الاعتزالية ج١ ص١٦٨ وما بعدها.

يضاف إليه بزعمهم، والصواب بل الإجماع الحاصل قبل ظهور الفرق: أن لا رازق إلا الله تعالى، وإن أكل العبد الحرام استحق اللوم عليه[(١)].

قال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «فما يصيبه العبد من الحرام ليس هو الرزق الذي أباحه الله له، ولا يحب ذلك ولا يرضاه، ولا أمره أن ينفق منه، بل هو من الرزق الذي سبق به علم الله وقدرته، كما في الحديث الصحيح الذي رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: (**يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك، فيؤمر بأربع كلمات فيكتب، رزقه، وعمله، وأجله، وشقي، أو سعيد**)[(٢)]، فكما أنه كتب ما يعمله من خير وشر، وهو يثيبه على الخير ويجزيه على الشر، فكذلك كتب ما يرزقه من حلال وحرام مع أنه يعاقبه على الرزق الحرام، وهذا مبني على أن كل ما في الوجود واقع بمشيئة الله وقدرته»[(٣)].

وقد تعقب ابن المنيّر (ت:٦٨٣): قول الزمخشري (ت:٥٣٨) في الانتصاف بقوله: «فهذه بدعة قدرية، فإنهم يرون أن الله تعالى لا يرزق إلا الحلال، أما الحرام فالعبد يرزقه لنفسه، حتى يقسمون الأرزاق قسمين: هذا لله بزعمهم، وهذا لشركائه، وإذا أثبتوا خالقاً غير الله، فلا يأنفون عن إثبات رازق غيره، أما أهل السنة[(٤)] فلا خالق ولا رازق في

---

(١) ينظر: اعتقاد أئمة الحديث ص٧٧، الإنصاف ص١٥، وله أيضاً تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ص٣٧١، الاعتقاد للبيهقي ص١٧١، كتاب المواقف ج٣ ص٢٤٣ وما بعدها، شرح العقيدة الواسطية للهراس ص٨٨.

(٢) متفق عليه رواه الشيخان بألفاظ متقاربة، ينظر: صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته ج٣ ص١٢١٢ برقم ٣١٥٤، صحيح مسلم،كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه، وأجله، وعمله، وشقاوته، وسعادته ج٤ ص٢٠٣٦ برقم٢٦٤٣.

(٣) مجموع الفتاوى ج٨ ص٥٤١، بتصرف.

(٤) يعني بأهل السنة الأشعرية وليسوا كذلك وإن كانوا أقرب الفرق لأهل السنة مع بعد المسافة بينهما وابن المنير من الأشعرية.

عقيدتهم إلا الله ﷻ، تصديقاً بقوله تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر: ٣]، أيها القدرية»[١].

أما قول الطباطبائي (ت:١٤٠٤) في إطلاق الإنفاق على العلم فلا دليل عليه من اللغة[٢] ولا من أقوال المفسرين وهو قول باطل قال الرازي (ت:٦٠٦): «أصل الإنفاق إخراج المال من اليد، ومنه نفق المبيع نفاقاً إذا كثر المشترون له»[٣].

وقال أبو حيان (ت:٧٤٥): «والنفقة التي في الآية هي الزكاة الموجبة، قاله ابن عباس، أو نفقة العيال، قاله ابن مسعود وابن عباس؛ أو التطوع قبل فرض الزكاة، قاله الضحاك»[٤].

وقد جمع ابن جرير(ت:٣١٠) بين هذه الأقوال بقوله: «... إنهم موصوفون بجميع معاني النفقات المحمود عليها صاحبها من طيبّ ما رزقهم ربهم من أموالهم وأملاكهم، وذلك الحلال منه الذي لم يَشُبه حرام»[٥].

[٦] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٦]:

التحريف في معنى الكفر:

قال الطباطبائي (ت:١٤٠٤): «ومن مراتب الكفر ترك ما أمر الله ﷻ به»[٦].

---

(١) الانتصاف ج١ ص ٤٩.

(٢) ينظر: البحر المحيط ج٢ ص١٦٣، التحرير والتنوير ج١ ص٢٣٥.

(٣)تفسير الرازي ج٢ ص٢٩.

(٤) البحر المحيط ج٢ ص١٦٥.

(٥) تفسير الطبري ج١ ص٢٤٤.

(٦) الميزان ج١ ص٥٣، توجد بعض الأعمال التي اختلف في كفر تاركها مثل الصلاة، ولكن الحكم بالكفر مطلقاً على من ترك أي عمل فهو من مذاهب غلاة الرافضة ومن وافقهم.

سبب التحريف:

يرجع هذا التحريف لمعتقد باطل تدين به بعض الرافضة[(١)]، وغيرها من الوعيدية[(٢)]، الذين يكفرون بسبب المعصية، فقول الطباطبائي أن ترك ما أمر الله ﷻ به كفر راجع لهذا المعتقد الباطل.

الرد على التحريف:

التحريف في معنى الكفر نتيجة للتحريف في معنى الإيمان، فالإيمان عند أهل السنة والجماعة: قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بمعصيته، أما الإيمان عند الوعيدية: فهو قول، وعمل، واعتقاد، لا يزيد ولا ينقص، بل كلٌّ إذا زال بعضه زال جميعه، فهم لا يقولون بزيادة الإيمان بالطاعة، ونقصانه بالمعصية بل يكفرون بالذنب في الدنيا، ويخلدون صاحبه في النار بالآخرة، والمعتزلة يجعلونه بين منزلتين، فهو خرج من الإيمان ولمّا يدخل إلى الكفر، لكنهم يخلدونه في الآخرة في النار، فهم موافقون للخوارج والرافضة في الحكم الأخروي[(٣)].

وأما المرجئة فهم مراتب، فالذين جعلوا الإيمان معرفة لله فقط، فالكفر عندهم الجهل به، وهذا أقبح المذاهب في الإيمان والكفر وهو قول غلاة الجهمية[(٤)]، وقولهم ساقط ظاهر البطلان.

---

(١) في الحقيقة أن تكفير الرافضة أبشع من غيرهم من الوعيدية؛ فهم يكفرون بما هو أدنى من الكبائر، ومن المعلوم أن الصحابة حتى المبشرين بالجنة منهم لم يسلموا من تكفير الروافض، وقد يعدون ما ليس بذنب ذنباً، فيكفرون به، ينظر: الرد على الرافضة لمحمد بن عبدالوهاب ص١١.

(٢) الوعيدية مثل الخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم الذين يرون إنفاذ وعيد الله تعالى في العصاة وتخليدهم في النار.

(٣) ينظر: مقالات الإسلاميين ص١٤٣، المواقف ج٣ ص، منهاج السنة ج٥ ص١٣٠، مجموع الفتاوى ج٣ ص ٢٨٢، ٥٤٦.

(٤) ينظر: الرد عليهم في تحريف لفظ الإيمان من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة:٣].

وأما الذين قالوا: إن الإيمان تصديق القلب فقط، فعليه يكون الكفر عندهم التكذيب والجحود فقط[١]، وهو ظاهر من تفسير الرازي (ت:٦٠٦) للفظ الكفر في هذه الآية من سورة البقرة[٢]، وغيرهم من جمهور الأشاعرة الذين يرون أن الإيمان تصديق القلب، والكفر التكذيب والجحود فقط.

ومعرفة معنى الكفر وَحَدَّهُ مسألة مهمة وعظيمة بمنزلة مسألة الإيمان وعظمتها؛ قال ابن رجب (ت:٧٩٥) في شرحه لحديث جبرائيل عليه السلام في الإسلام، والإيمان، والإحسان: «وهذه المسائل: أعني مسائل الإسلام والإيمان، والكفر والنفاق، مسائل عظيمة جداً؛ فإن الله عز وجل علّق بهذه الأسماء السعادة، والشقاوة، واستحقاق الجنة والنار، والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة، وهو خلاف الخوارج للصحابة، حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية، وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم»[٣].

وهذا التحريف في معنى الكفر عند الوعيدية، جور في التكفير، ليشمل من لا ينطبق عليه وصف الكفر، من عصاة أهل القبلة الذين يرتكبون ما دون الكفر من الكبائر، أو أصحاب البدع غير المكفِّرة.

وأهل السنة مجمعون على أن المسلم لا يكفر باقترافه الكبائر سوى الشرك، قال أبو جعفر الطحاوي (ت:٣٢١): «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب مالم يستحله»[٤]، وقال شيخ الإسلام (ت:٧٢٨): «لا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا بخطأ أخطأ فيه»[٥].

---

(١) على تفاوت بين هؤلاء الذين قالوا: إن الإيمان تصديق، هل يشترط فيه الإقرار باللسان، أو يكفي فيه التصديق بالقلب، وقد سبق ذكر هذه الأقوال والرد عليها عند آية ٣ من سورة البقرة.

(٢) التفسير الكبير ج٢ ص٤٢.

(٣) جامع العلوم والحكم ص٣٠.

(٤) متن العقيدة الطحاوية ص٤٠، والأفضل في هذه العبارة أن يقال: (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بأي ذنب مالم يستحله) كما سمعت ذلك من البراك في شرحه للطحاوية لوجود بعض الأعمال التي عد بعض العلماء من أهل السنة تركها كفراً وإن لم يستحلها.

(٥) مجموع الفتاوى ج٣ ص٢٨٢.

وهذه المسألة مبنية عند أهل السنة على ثلاثة أصول [١]:

١-تفاضل المسلمين في الإيمان، إذ ليسوا على درجة واحدة من الإيمان، كما أن الإيمان يتبعض في نفسه، بمعنى أنه يزيد وينقص.

٢-الشخص الواحد قد يجتمع فيه مع الإيمان شعبة من شعب الكفر أو النفاق، وهذه الشعب هي الكبائر سوى الشرك، ففي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت**) [٢]، ونحوه حديث: (**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**)[٣].

٣-فليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق، كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير بها مؤمنا، حتى يقوم به أصل الإيمان وحقيقته[٤].

٤-دائرة الإسلام أسوع من دائرة الإيمان، فمرتكب الكبيرة مسلم غير مؤمن.

واستدل أهل السنة على عدم كفر مرتكب الكبيرة بنصوص كثيرة من الكتاب والسنة، نذكر بعضها فيما يلي:

فمن كتاب الله تعالى، قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فهذه الآية قسمت الذنوب و المعاصي إلى نوعين: شرك لا يغفره الله إلا بالتوبة والعودة إلى التوحيد، وما دون الشرك، وهي كبائر الذنوب، وصاحبها تحت المشيئة

(١) ينظر: ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة لعبد الله القرني ص٩١، التوسط و الاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو بالعمل أو بالاعتقاد لعلوي السقاف ص١١، التمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ ص٣٣٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة ج١ ص٨٢ برقم ٦٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق ج١ ص٢١ برقم٣٣.

(٤) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم ص٧٠، الحسبة لابن تيمية أيضاً ص٢١.

الإلهية إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له[١].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩،١٠]، ودلت هاتان الآيتان على وجود الإيمان والأخوة مع الاقتتال والبغي[٢]، ومنها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فسماه أخاً وهو قاتل[٣].

ومن السنة ما رواه أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق قال: وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذرّ)**[٤].

ومنها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار)**[٥].

أما ما استدلوا به من أحاديث توهم تكفير مرتكب الكبيرة مثل: **(لا يزنى الزاني حين يزني وهو مؤمن.)** الحديث[٦]، لا دليل لهم فيها، بل تجمع مع غيرها من نصوص الوعد فيقال: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفى عنه كمال الإيمان لا أصله، وهذا ما يدل عليه حديث أبي ذر السابق[٧].

---

(١) ينظر: تفسير اللباب لابن عادل ج٥ ص١٩٣، تفسير السعدي ص١٨١.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ج٧ ص٣٧٤.

(٣) ينظر: تفسير البغوي ج١ ص١٨٩، مجموع الفتاوى ج٢٠ ص٩٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب الثياب البيض ج٥ ص ٢١٩٣ برقم ٥٤٨٩.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار ج١ ص٤٩ برقم ٩٣.

(٦) سبق تخريجه عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣] ص٣٨٣.

(٧) ينظر: درء التعارض ج٥ ص١٣٠، الإسلام أصوله ومبادؤه لمحمد السحيم ص١٥٠، فتاوى اللجنة الدائمة ج٢ ص١٥٨.

وقد بوّب البخاري (ت:٢٥٦) في صحيحه تحت أمثال هذه الأحاديث في كتاب الإيمان باباً بعنوان: (باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك)[1].

ويمكن تلخيص منهج أهل السنة بالتكفير بقول جامع لبكر أبو زيد (ت:١٤٢٩) في درء الفتنة: «... وأن الكفر بالاعتقاد، وبالقول، وبالفعل، وبالشك، وبالترك، وليس محصوراً بالتكذيب بالقلب كما تقول المرجئة، ولا يلزم من زوال بعض الإيمان زواله كلّه كما تقول الخوارج»[2]، وقال: «للحكم بالردة والكفر موجبات وأسباب هي نواقض الإيمان والإسلام، من اعتقاد، أو قول، أو فعل، أو شك، أو ترك، مما قام على اعتباره ناقضاً الدليلُ الواضحُ، والبرهان الساطع من الكتاب، أو السنة، أو الإجماع»[3].

[٧] قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: ٧]:

التحريف في معنى ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾:

قال الزمخشري (ت:٥٣٨): «لا ختم ولا تغشية ثَمَّ على الحقيقة، وإنما هو من باب المجاز»[4]، وقال: «فإن قلت: فلم أسند الختم إلى الله تعالى، وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق، والتوصل إليه بطرقه وهو قبيح، والله تعالى عن فعل القبيح علوا كبيراً لعلمه بقبحه، وعلمه بغناه عنه؟... قلت: القصد إلى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها، وأما إسناد الختم إلى الله ﷻ، فلينبه على أنّ هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي...»[5].

---

(١) البخاري ج١ ص٢٠.

(٢) درء الفتنة عن أهل السنة ص٢٧.

(٣) المرجع السابق ص٣٠.

(٤) الكاشف ج١ ص٨٨.

(٥) الكاشف ج١ ص٨٩.

سبب التحريف:

يحاول الزمخشري تأويل الآية بهذه التأويلات الباطلة، فراراً من نسبة الختم إلى الله تعالى، والذي يدفعه لهذا التحريف معتقده الاعتزالي، فإن المعتزلة قدرية ترى أن أفعال العباد مخلوقة لهم(١)، ومن الأسباب التي تدفعه لتحريف الآية أيضاً عدم تفريقه بين الحسن والقبيح في حق الخالق والمخلوق، وهي من المسائل التي ضلت فيها المعتزلة، وغيرها من الفرق كما سيأتي بيانه في الرد.

الرد على التحريف:

الرد على هذا التحريف ببيان القول الحق في مسألتين:

الأولى: نسبة الختم على القلوب إلى الله، وهل يوصف بذلك؟

الثانية: الفرق بين الحسن والقبيح في حق الخالق وحق المخلوقين.

المسألة الأولى وهي نسبة الختم على القلوب إلى الله في الآية، فالذي عليه أهل السنة والجماعة إثبات هذا المعنى على حقيقته، كما أثبته الله تعالى لنفسه، وهذا ليس فيه أدنى ظلم كما تزعم القدرية(٢)، فإن الظلم والقبح وضع الشيء في غير موضعه، والعدل وضع الشيء في موضعه، والله تعالى عاقب هؤلاء الكافرين بالختم على قلوبهم بسبب عنادهم وجحودهم ومعاندتهم، بعدما تبين لهم الحق، وهذا عدل منه، وحسن منه تعالى ليس بقبيح(٣)، قال القرطبي (ت:٦١٧): «... وقد طبع الله على قلوبهم، وعلى سمعهم، وعلى

(١) ينظر: الفرق بين الفرق ص٥٠، ونهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني ص١٣٧، كتاب مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة لعبد الله اليافعي ص٧٠ ومابعدها، التعليقات الأثرية على العقيدة الطحاوية ص٧.

(٢) ينظر: الكسب لمحمد الشيباني ص١٢٣، خلق أفعال العباد ص٤٦، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي ص٢، المسائل الاعتزالية ج١ ص١٧٤.

(٣) ينظر: تبيين كذب المفتري ص١٥٦، رفع الشبهة والغرر على من يحتج على فعل المعاصي بالقدر لمرعي الكرمي ص٣٥.

أبصارهم غشاوة، فمتى يهتدون، أو من يهديهم من بعد الله إذا أضلهم، وأصمهم، وأعمى أبصارهم، ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣]، وكان فعل الله ذلك عدلا فيمن أضله وخذله... والأمة مجمعة على أن الله تعالى قد وصف نفسه بالختم، والطبع على قلوب الكافرين مجازاة لكفرهم، كما قال تعالى: ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء:١٥٥]»[(١)]، فالطبع والختم كان بسبب كفرهم وإعراضهم.

قال ابن كثير (ت:٧٧٤) متعقباً الزمخشري في هذه الآية: «وتأوّل الآية من خمسة أوجه وكلها ضعيفة جداً، وما جَرَّأَه على ذلك إلا اعتزاله؛ لأن الختم على قلوبهم ومنعها من وصول الحق إليها قبيح عنده -تعالى الله عنه في اعتقاده-ولو فهم قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف:٥]، وقوله: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام:١١٠]، وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى إنما ختم على قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى جزاءً وفاقًا على تماديهم في الباطل وتركهم الحق، وهذا عدل منه تعالى حسن وليس بقبيح، فلو أحاط علمًا بهذا لما قال ما قال، والله أعلم»[(٢)].

ولابن القيم (ت:٧٥١) في الختم والطبع في القرآن كلامٌ نفيسٌ، حيث قال: «والقرآن من أوله إلى آخره، إنما يدل على أن الطبع، والختم، والغشاوة، لم يفعلها الرب سبحانه بعبده من أول وهلة حين أمره بالإيمان أو بينه له، وإنما فعله بعد تكرار الدعوة منه سبحانه، والتأكيد في البيان والإرشاد وتكرار الإعراض منهم والمبالغة في الكفر والعناد، فحينئذ يطبع على قلوبهم ويختم عليها، فلا تقبل الهدى بعد ذلك، والإعراض والكفر الأول لم يكن مع ختم وطبع، بل كان اختياراً فلما تكرر منهم صار طبيعية وسجية، فتأمل هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا

---

(١) تفسير القرطبي ج١ ص١٨٧.

(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص١٤٧.

يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦-٧]»[١].

وكما سبق في سبب التحريف فإن مرجعه لمسألة عظمى زلّت فيها أقدامهم وهي القدر؛ فالمعتزلة من القدرية الذين يقولون: العبد هو الذي يخلق أفعاله وهي من إنتاجه وإرادته المطلقة، وليس لله تدخل فيه[٢]، ولذلك سمّاهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة[٣]، فإن المجوس يجعلون مع الله شريكاً يخلق الشر، وهؤلاء يقولون: إن الخلق يخلقون إيمانهم وكفرهم وطاعتهم وعصيانهم.

وعلى النقيض من القدرية تأتي الجبرية والجهمية، فقالوا: إن العبد مجبور ليس له دخل في الأفعال، فهي محض خلق الله تعالى والعبد كالريّشة في مهب الريّح[٤].

وأهل السنة والجماعة هداهم الله ﷻ للتوسط في معتقدهم وأنار لهم بالكتاب والسنة فاستدلوا بما جاء فيهما من نصوص صريحة على أن أفعال العباد هي فعلهم بإرادتهم ومشيئتهم، وهي خلق الله ﷻ والأدلة كلها يجمعها قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإنسان: ٣٠]، فأثبت الله سبحانه مشيئته، كما في قوله

---

(١) شفاء العليل ص ٩١.

(٢) ينظر: رسالة في معنى كون الرب عادلاً لابن تيمية ص ١٢٣، الحسنة والسيئة له ص ٤٥، دين الحق لعبد الرحمن آل عمر، ص٨٩، أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب ص ١٠٧، مجمل اعتقاد أئمة السلف لعبد الله التركي ص ٣٤.

(٣) عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: **(القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم)**، أخرجه أبي داوود في سننه، كتاب السنة، باب القدر ج٤ ص ٢٢ برقم: ٤٦٩١، ابن ماجه في سننه عن جابر بن عبد الله بلفظ مقارب، باب في القدر ج١ ص ٢٩ برقم ٩٢، الطبراني في المعجم الأوسط ج ٧ ص ٣٦ برقم ٦٧٧٨، والحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان ج١ ص ١٥٩ برقم ٢٨٦، وحسنه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم ج١ ص١٤٤ برقم ٣٣٨.

(٤) ينظر: كتاب القدر لأبي بكر الفريابي ص ١٧٣، شرح العقيدة الواسطية ص ٢٤٤، شرح العقيدة الطحاوية تحقيق أحمد شاكر ج٣ ص ٦٥.

تعـــــالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]. وفي الآية رد على الفريقين(١).

أما المسألة الثانية وهي: الفرق بين الحسن والقبيح في حق الله تعالى وحق المخلوقين، فأقوال المعتزلة فيها مترتبة على قياس الله تعالى بخلقه في التحسين والتقبيح، وهو ما يريد الزمخشري (ت: ٥٣٨) تأكيده من خلال تفسيره للآية، فإنه يظن هو ومن وافقه أن ما حكموا عليه بأنه قبيح، فيجب أن يكون كذلك عند الله، وهذا باطل، فلا يجوز تمثيل أفعال الله تعالى بأفعال خلقه(٢)، يقول شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨): «ليس ما حسن من الله حسن منا، وليس ما قبح منه يقبح منا، فإن المعتزلة شبهت الله بخلقه، وذلك أن الفعل يحسن منا لجلبه المنفعة، ويقبح لجلبه المضرة، ويحسن لأنا أمرنا به، ويقبح لأنا نهينا عنه، وهذان الوجهان منتفيان في حق الله تعالى قطعاً»(٣).

[٨] قولـــه تعـــالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾:

التحريف في معنى النفاق:

يقول: «أقروا لله بألسنتهم وخالفت أعمالهم، وما هم بمؤمنين، أي: حتى يستكملوا دين الله ويوفوا بفرائضه كـَ: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧]، أي الذي أكمل الإيمان وأكمل الفرائض»(٤).

سبب التحريف:

سبب الحكم على كلام المفسِّر بالتحريف؛ أنه فسّر النفاق على مذهب الإباضية، فالمنافقون عند بعض الإباضية(٥)، ومنهم الهواري؛ مُوحِّدون، إلا أنهم ارتكبوا الكبائر، فكفروا بالكبيرة

---

(١) ينظر: درء التعارض ج ١ ص ٤٦، القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين ج ٢ ص ٢٩٣.
(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ج ٨ ص ٤٣١، المسائل الاعتزالية ج ٢ ص ١٧٧.
(٣) مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٣٥٣.
(٤) تفسير الهواري ج ١ ص ٨٣.
(٥) ينظر: الملل والنحل ص٣٥، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٥١، الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي الإباضي لعلي الفقيهي ص١٧، القاموس الفقهي لسعدي أبو حبيب ص٢٧.

كفر نعمة لا بالشرك، فكفرهم بين الإيمان والشرك، وذلك كفر النعمة الذي يطلقونه على العاصي أيضاً، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، فحكمهم في المنافق أنه موحد في الدنيا كافر كفر نعمة، لكنه في الآخرة خالد في النار هو والعاصي؛ فوافقوا المعتزلة والخوارج في حكم مرتكب الكبيرة من عصاة الموحدين، وخالفوا القرآن والسنة والسلف الصالح ومخالفيهم في كفر المنافقين.

والنفاق الذي ذكره الله في كتابه جعلته الإباضية في الأعمال لا في بالاعتقاد، فلا فرق بين المنافق والعاصي الموحد عندهم[1].

ولذا تجد الهواري (ت: ٢٨٠) يستكمل تفسير الآيات الخاصة بالمنافقين في سورة البقرة بهذا المعتقد، فقال: «قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ﴾ بالعمل بالمعصية، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ يزعمون أنهم بمعصية الله والفساد في الأرض مصلحون، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون أن الله يعذبهم في الآخرة ولا ينفعهم إقرارهم وتوحيدهم، وهذا يدل على أن المنافقين ليسوا بمشركين»[2].

فهو يثبت التوحيد للمنافقين، وعلى رغم أنه اختصر تفسير ابن سلاَّم (ت: ٢٢٤) كما سبق بيانه في الترجمة له، إلا أنه ترك منه ما خالف مذهب الإباضية، ووضع ما يوافقه، ففي قوله تعالى: ﴿لَا تُفۡسِدُواْ﴾ قال ابن سلاَّم: (لا تشركوا)[3]، وفي: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾. قال ابن سلاَّم: (أي: أظهروا الإيمان)[4]، لكن الهواري رأى أن هذا التفسير لا يوافق رأيهم في النفاق فبدّل الشرك بالمعصية، وبدّل ألفاظ الآية بما سبق ذكره، لتوافق رأي الإباضية في المنافق، وأنه موحِّد لم يستكمل الفرائض.

---

(١) ينظر: الحور العين لنشوان الحميري ص ٥٠، التفسير والمفسّرون ج ٢ ص ٣٦٣.

(٢) تفسير هود الهواري ج ١ ص ٨٥.

(٣) ينظر: كلام المحقق لتفسير هود بالحاج شريفي ص ٣٥.

(٤) المرجع السابق.

وإن كانت المعصية ضمن معنى الإفساد لكنه غير ما يراه الهواري فإن أكبر معصية وفساد عند المنافقين هي الكفر، وفسّر معظم المفسّرين الإفساد: بالكفر والمعاصي(١)، لا كما يريده الهواري من المعصية التي دون الكفر.

ولتأكيد أنه يقرر مذهب الإباضية في النفاق، لنرجع لقوله تعالى: ﴿وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٥]، فإن الريبة هي الشك، وارتابت أي: شكّت في الله ﷻ، كما جاء عن أغلب المفسّرين(٢)، ومنهم ابن أبي زَمنين (ت: ٣٩٩) وتفسيره اختصار لتفسير ابن سلاّم أيضاً(٣)، ولكن الهواري (ت: ٢٨٠) قال فيها: «وشكّت قلوبهم في أن لا يعذبهم الله بالتخلف عن الجهاد بعد إقرارهم بالله والنبي.. ولم يكن ارتيابهم شكاً في الله، وإنما كان ارتيابهم وشكهم في أن لا يعذبهم الله بتخلفهم عن نبي الله بعد إقرارهم وتوحيدهم»(٤).

الرد على التحريف:

تعريف النفاق:

أولاً: النفاق في اللغة: مأخوذ من النفق، وهو السرب في الأرض الذي يُستَتَر فيه، وسُمي المنافق به لأنه يستر كفره(٥).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج ١ ص ٢٩١، تفسير ابن أبي حاتم ج ١ ص ٤٥، أحكام القرآن للجصاص ج١ ص ٣، الكشف والبيان للثعلبي ج ١ ص ١٥٤، تفسير القرآن للسمعاني ج ١ ص ٤٩، تفسير البغوي ج١ ص ٥١، أحكام القرآن لابن العربي ج١ ص٢٠، المحرر الوجيز ج١ ص٩٣، زاد المسير ج١ ص٣٢، تفسير القرطبي ج١ ص٢٠٢، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ج١ ص١٥٤، الدر المنثور ج١ ص٧٦، تفسير أبي السعود ج١ ص٤٣، تفسير السعدي ص٤٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج ٤ ص ١٥٩، تفسير السمرقندي ج ٢ ص ٦٣، تفسير ابن أبي زَمنين ج٢ ص ٢٠٨، تفسير الواحدي ج ١ ص ٤٦٦، تفسير النسفي ج ٢ ص ٩١، فتح القدير ج ٢ ص ٣٦٦، روح المعاني ج١٠ ص١١٠، أيسر التفاسير لأسعد حومد ص ١٢٨١.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ١٨٩، طبقات المفسّرين للسيوطي ص١٠٤.

(٤) تفسير الهواري ج ١ ص ٣٥.

(٥) ينظر: العين ج ٥ ص ١٧٨، لسان العرب ج ١٠ ص ٣٥٧.

وقيل: إنه مأخوذ من نافقاء، والنافقاء موضع يُرقِّقُه اليربوع من جحره[١]، فإذا أُتي من قِبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق، أي: خرج، ومنه اشتقاق النفاق؛ لأن صاحبه يكتم خلاف ما يُظهر فكأنما يخرج من الإيمان في خفاء[٢].

قال ابن رجب (ت: ٧٩٥): «والذي فسّره به أهل العلم المعتبرون أن النفاق في اللغة هو من جنس الخداع والمكر، وإظهار الخير وإبطان خلافه»[٣].

ثانياً: النفاق شرعاً: النفاق عند أهل السنة والجماعة[٤] هو: «إظهار الخير وإبطان الشر».

وهذا التعريف أشمل من القول المشهور أن النفاق: (إظهار الإسلام وإبطان الكفر)، لأن الأول يدخل فيه النفاق الاعتقادي، والنفاق العملي، أو يقال:

النفاق: إظهار الإسلام والخير، وإبطان الكفر والشر[٥].

والنفاق نوعان:

[١] النفاق الاعتقادي:

وهو أن يُظهر الإيمان، ويُبطن الكفر وهذا كفر أكبر، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، وهم الذين عناهم الله تعالى في الآيات التي في سورة البقرة، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، وهذا النوع من النفاق هو حال

(١) ينظر: غريب الحديث لابن سلاَّم ج ٣ ص ١٣، كتاب الحيوان للجاحظ ج ١ ص ٣٣٢، التبيان في تفسير غريب القرآن لشهاب الدين الهائم ص ١٧٢.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة ج ٥ ص ٤٥٥، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم للأزدي الحميدي ص ١٩٨.

(٣) جامع العلوم والحكم ص ٤٣٠.

(٤) ينظر: صفة المنافق للفريابي ص ٤٩، رياض الجنة لابن أبي زَمنين ص ٢٤٣، العقيدة الأصفهانية ص ١٣١، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٦٠، البحوث العلمية لهيئة كبار العلماء ج ٤ ص ١٩، نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز العبد اللطيف ص ٧١.

(٥) ينظر: الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة ص ١٣٥.

المنافقين، الذين نزل فيهم القرآن وفضحهم، وهؤلاء كفرهم أشد من كفر من لم يتظاهر بالإسلام[(١)]، لأنه يخادع المسلمين، وعذابهم أشد من عذاب عبدة الأصنام، ولا تزال الأمة تبتلى بأمثالهم ممن يكيدون للدين وأهله.

وهؤلاء لا يمكن وصفهم بأنهم موحِّدون، أو أنهم كفار نعمة، أي: معصية فقط، لما عُلم بالآيات الكريمة أنهم منافقون نفاق أكبر اعتقادي، وعليه فإن قول الإباضية فيهم باطل، قال السعدي: (ت: ١٣٧٦) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]: «وأما النفاق الاعتقادي المخرج عن دائرة الإسلام، فهو الذي وصف الله به المنافقين في هذه السورة وغيرها»[(٢)].

٢- النفاق العملي:

وهذا يصدر من بعض المؤمنين بأن يفعل فعلاً من صفات المنافقين[(٣)]، كما ورد في قوله ﷺ: **(آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان)**[(٤)].

وهذا النوع العملي لا يخرج صاحبه من الملة لكنه كبيرة من كبائر الذنوب، وفيه خصلة من خصال المنافقين، تنقص إيمانه، وعليه وعيد شديد[(٥)]، وهو وسيلة وذريعة للنفاق الأكبر والعياذ بالله.

قال ابن رجب (ت: ٧٩٥): «والنفاق في الشرع ينقسم إلى قسمين: أحدهما: النفاق الأكبر؛ وهو أن يظهر الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، ونزل

---

(١) ينظر: اعتقاد أهل السنة ج ٦ ص ١٠٢٣، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٦٠.

(٢) تفسير السعدي ص ٤٢.

(٣) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٤٧، فتح الباري ج ١ ص ٩٠.

(٤) سبق تخريجه ص ٣٩٤.

(٥) ينظر: الكبائر للذهبي ص ١٢٥، الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي ج١ ص٢١٠.

القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أنهم في الدرك الأسفل من النار، والثاني: النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانيةً صالحة، ويبطن غير ذلك[١].

فهذا المنهج الوسط هو رأي أهل السنة والجماعة في النفاق، فلم يكفروا صاحب النفاق العملي كما فعلت الإباضية التي تسميه كافر نعمة، وإن لم تخرجه من الإيمان لكنها تخلده في النار في الآخرة، فهي توافق المعتزلة والخوارج في ذلك.

ولم تطلق اسم الإيمان على المنافقين في الاعتقاد، كما تزعمه الإباضية لهم.

أما استدلال الإباضية بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، فليس لهم دليل في هذه الآية على أن العاصي المُوحِّد والمنافق يُسمى كافراً كفر نعمة، بل الآية هي في الكفر بالرسالة التي جاء بها النبي ﷺ، قال ابن جرير (ت: ٣١٠): «وكان تبديلهم نعمة الله كفرا في نبي الله محمد ﷺ، أنعم الله به على قريش، فأخرجه منهم، وابتعثه فيهم رسولاً رحمة لهم، ونعمة منه عليهم، فكفروا به، وكذبوه، فبدلوا نعمة الله عليهم به كفرا»[٢].

أما استدلالهم بأن المنافق نفاق أكبر لا يخرج عن مسمى الإيمان لقوله تعالى في المنافقين: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣]، فهي دليل عليهم لا لهم، لأنهم لا ينسبون إلى الإيمان، قال ابن كثير (ت: ٧٧٤): «مخيرين بين الإيمان والكفر، فلا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطناً، ولا مع الكفار ظاهراً وباطناً، بل ظواهرهم مع المؤمنين، وبواطنهم مع الكافرين»[٣].

وقال السيوطي (ت: ٩١١): «قال مجاهد: لا إلى أصحاب محمد ولا إلى اليهود»[٤].

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ٤٣٠، بتصرف يسير.

(٢) تفسير ابن جرير ج ١٦ ص ٥.

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٩.

(٤) مفحمات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي ص ٧.

ومعظم المفسّرين على هذا التفسير[(١)].

[٩] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

التحريف في معنى ﴿ٱلنَّاس﴾:

قال السُّلمي (ت: ٤١٢): «قيل فيه: إن الناس اسم جنس، واسم الجنس لا يخاطب به الأولياء»[(٢)].

سبب التحريف:

من معتقدات الصوفية الباطلة الغلو في الأولياء، وهم يرون فيهم من العلم والمنزلة ما لا يكون لغيرهم حتى من الأنبياء، ويسمونهم أهل العرفان والحقيقة وغيرها من مصطلحات الصوفية الغالية، وقد سبق الرد عليهم عند قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]، ولا أرى سبباً لتفريق السُّلمي بين الأولياء والناس سوى هذا المعتقد الباطل، وقد ذكر القرطبي (ت: ٦٧١) في تفسيره أن علماء الصوفية يرون أن (الناس) اسم جنس لا يخاطب به الأولياء[(٣)].

رد التحريف:

الناس جمع إنسان وإنسانة[(٤)]، قال الفيومي (ت: ٧٧٠) في المصباح المنير: «الإنسان من الناس اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والواحد والجمع، واختلف في اشتقاقه، مع اتفاقهم على زيادة النون الأخيرة، فقال البصريون: من الأنس فالهمزة أصل ووزنه فعلان،

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج ٩ ص ٣٣٢، زاد المسير ج ٢ ص ٢٣٢، الدر المنثور ج ٢ ص ٧٢٠، القرطبي ج ٥ ص ٤٢٤، تفسير السعدي ص ٢١١، مختصر تفسير البغوي لعبد الله الزيد ج ٢ ص ٢٦٤، الوسيط لسيد طنطاوي ص ٢٤، أيسر التفاسير لأسعد حومد ص ٦٣٦.

(٢) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٥١.

(٣) تفسير القرطبي ج ١ ص ١٩٢.

(٤) ينظر: مختار الصحاح ج ١ ص ١١، خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي ج ٧ ص ٣٩٣.

وقال الكوفيون: مشتق من النسيان، فالهمزة زائدة، ووزنه إفعان على النقص، والأصل إنسيان على إفعلان»[١].

والإنسان مفرد ناس؛ تكرر في القرآن (٦٥) مرة[٢]، أطلق في عمومها على جنس البشر، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤]، ولفظ الناس تكرر في القرآن (٢٤١) مرة[٣]، والله تعالى حينما يخاطب الناس بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فالخطاب لجميع البشر مؤمنهم وكافرهم، وحتى الأنبياء داخلون في هذا الخطاب، ألا وهو لفظة الناس، فهم بشر خلقهم الله من آدم أبي البشر، قال ابن عباس (ت: ٦٨): (نسي آدم عهد الله فسمي إنساناً)[٤]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، وقال ﷺ: **(نسي آدم فنسيت ذريته)**[٥]، وإذا كان الأنبياء من جنس الناس، فمن باب أولى من دونهم من الأولياء والصالحين.

ولفظ الناس في هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، دخلت عليه من التبعيضية، فيكون الخطاب خاصًّا بطائفة من

---

(١) المصباح المنير ص ١٨.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي ص ٩٣، ٩٤.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ينظر: تفسير القرطبي ج ١ ص ١٩٣.

(٥) جزء من حديث طويل أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، ج٥ ص ٢٦٥ برقم ٣٠٧٦، البزار في مسنده ج ١٥ ص ٣٣٥، ٣٣٦ برقم ٨٨٩٢، أبو يعلى في مسنده ج ١١ ص ٤٥٣، ٤٥٤ برقم ٦٥٨٠، ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق ج١٤ ص ٤٠، ٤١ برقم ٦١٦٧، والحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان ج١ ص ١٣٢ برقم ٢١٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وذكره الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ج٧ ص ٣٦٨ وقال حسن صحيح.

الناس وهم المنافقون(١).

وليس كل الناس يقولون: آمنا، وما هم بمؤمنين، فخص اللفظ العام بالمنافقين، ولا يخصص هذا العام إلا بدليل.

[١٠] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣]:

التحريف في معنى قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا﴾ و﴿أَنُؤْمِن﴾:

قال هود الهواري (ت: ٢٨٠) في معناهما: «وإذا قال لهم النبي ﷺ والمؤمنون: ءامنوا كما ءامن الناس، أي: أكملوا إيمانكم بالفعل الذي ضيعتموه»(٢)، وقال في قوله تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: «يعيبونهم بالوفاء والكمال»(٣).

سبب التحريف:

الذي حدا بهود الهواري (ت: ٢٨٠) لهذا التفسير معتقده الإباضي في المنافق، وأنه موحد كافراً كفر نعمه، فلم يخرج عن مسمى الإيمان، وكفره دون الشرك، إلا أنه لم يستكمل الفرائض ولم يعمل مع إيمانه، فهو كالعاصي الموحد.

لذلك يفسر الإيمان بما سبق.

الرد على التحريف:

النفاق في هذه الآية نفاق أكبر اعتقادي، والمنافقون هؤلاء ليس معهم أصل الإيمان، فضلاً عن استكمال الإيمان بالعمل، كما يزعم الهواري، وقد سبق الرد بشيء من التفصيل عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني ج ١ ص ٣٩، الدر المنثور ج ١ ص ٧٣، تفسير أبي السعود ج ١ ص ٣٩.

(٢) تفسير الهواري ج ١ ص ٨٥.

(٣) المرجع السابق.

[١١] **قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [**البقرة: ١٣**]، **وقوله تعالى:** ﴿وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [**البقرة: ١٤**]:

التحريف في معنى قوله تعالى ﴿ءَامِنُوا﴾:

قال الماتريدي (ت: ٣٣٣) في معنى ﴿ ءَامِنُوا ﴾ في الآية الأولى: «والإيمان عندنا هو التصديق بالقلب»[(١)].

قال الرازي (ت: ٦٠٦) في معنى ﴿ءَامَنَّا﴾ في الآية الثانية: «أخلصنا بالقلب»[(٢)].

سبب التحريف:

تعريف الإيمان بأنه التصديق بالقلب فقط يرجع لقول جمهور الأشاعرة والماتردية لمعنى الإيمان، وهو كما يعرفه الماتريدي والرازي: التصديق بالقلب، وهذا مخالف لمعناه عند أهل السنة والجماعة.

الرد على التحريف:

مر بنا الرد على هذا التحريف عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣].

والصحيح في معنى الإيمان أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان و عمل بالأركان.

[١٢] **قوله تعالى:** ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [**البقرة: ١٥**]:

التحريف في معنى ﴿يَسْتَهْزِئُ﴾:

قال الماتريدي (ت: ٣٣٣): «حمل على الجزاء، لما لا يجوز إضافة المكر، والخداع، والاستهزاء،مبتدأ إلى الله؛ لأنه مذموم من الخلق إلا على المجازاة، فكيف من الله ﷻ؟!»[(٣)].

(١) تفسير الماتريدي ج ١ ص ٤٧.

(٢) تفسير الرازي ج ٢ ص ٧٦.

(٣) تفسير الماتريدي ج ١ ص ٤٩.

وقال السُّلمي (ت: ٤١٢) في معناها: «أي: يحسن في أعينهم قبائح أفعالهم»[١].

وتأوّل الرازي (ت: ٦٠٦) الآية بعدة تأويلات تصرف الآية عن ظاهرها، حتى لا ينسب إلى الله تعالى الاستهزاء، وأعرب عن ذلك بقوله: «كيف يجوز وصف الله تعالى بأنه يستهزئ، وقد ثبت أن الاستهزاء لا ينفك عن التلبيس، وهو على الله محال، ولأنه لا ينفك عن الجهل، لقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾، والجهل على الله محال، ثم ذكر تلك التأويلات، ومنها: حمل الاستهزاء على آثاره من الهوان والحقارة، أو أن ضرر استهزائهم راجع عليهم[٢].

قال محمد رضا (ت: ١٣٥٤): « أصل الاستهزاء الاستخفاف وعدم العناية بالشيء في النفس، وإن أظهر المستخف الاستحسان والرضا تهكما، وهذا المعنى محال على الله تعالى»[٣].

قال الجوهري (ت: ١٣٥٨): «يستهزئ بهم: يجزيهم»[٤].

سبب التحريف:

لفظ الاستهزاء وأشباهه من الألفاظ، كالمكر، والخداع، لما كان غالب استعمالها في المعاني المذمومة، ظنت المعطلة أن ذلك هو حقيقتها في الآيات التي نسبها الله إلى نفسه تعالى علواً كبيراً، وإن كانت لغير الذم في حقه تبارك وتعالى فهم مع ذلك يسارعون إلى تأويلها بحجة أنها قبيحة لا تجوز في حق الله ﷻ، وهذا يرجع لخلل كبير في معتقداتهم الباطلة، وهو تشبيه الله تعالى بخلقه فأدّى بهم لتأويل كثير من النصوص.

وأما الماتريدي وإن حمل الآية على المجازاة؛ وهي بالتأكيد مجازاة من الله تعالى لأولئك إلا أنه لما كان منهجه التأويل تجده يخشى من المثلية ولا يثبت الصفة لله تعالى كصفة كمال يفعلها متى شاء، كما سيأتي بيانه.

---

(١) تفسير السلمى ج ١ ص ٥٢.
(٢) تفسير الرازي ج ١ ص ٧٧.
(٣) تفسير المنار ج ١ ص ١٦٣.
(٤) تفسير الجوهري ج ١ ص ٢٩.

الرد على التحريف:

الحق أن هذه الآية خلاف هذا الظن عند المفسّرين رحمهم الله تعالى، فإن الصفات على ثلاثة أقسام[١]:

١- صفات كمال مطلق ثابتة لله ﷻ على الإطلاق؛ كالعزة، والعلم، والجبروت، والقدرة،... ونحو ذلك.

٢- صفات كمال بقيد، فهذه لا يوصف الله بها على الإطلاق إلا مقيداً، مثل: الاستهزاء، والمكر، والخداع... وما أشبه ذلك، فهذه الصفات كمال بقيد، إذا كانت في مقابلة من يفعلون ذلك، فهي كمال، فما كان منها بحق، ومجازاة، وعدل، فهو حسن محمود[٢]، فإن المخادع بباطل وظلم، حسن من المجازي له أن يخدعه بحق وعدل، وهذا يدل على القدرة والعزة، ولذلك كاد سبحانه ليوسف عليه السلام لما دخل عليه إخوته، جزاءً لهم على كيدهم له من قبل، وهذا أعدل الكيد[٣] قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]، ومكر بالرهط التسعة الذين مكروا بصالح لقتله هو وأهله ليلاً[٤]، قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠]، فالمكر بهؤلاء محمود، ويدل على قوة الماكر، وأنه غالب على خصمه[٥]، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ

---

(١) ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي ج ٢ ص ٤٣٧، درء التعارض ج ٢ ص ١٧٥، شرح المقاصد في علم الكلام للتفتازاني ج ٢ ص ٦٦، القوانين الفقهية لابن جزي الكلبي ص ١٠، التنبيهات اللطيفة للسعدي ص ٣٩، وله بهجة قلوب الأبرار ص ٢٤٤.

(٢) ينظر: الأسماء والصفات للنسائي ص ٢٠٥، الصفدية ج ١ ص ١٠٢، الاستغاثة في الرد على البكري ج ١ ص ٢٨٠، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام لابن القيم ص ٣٠٤، المسائل الاعتزالية ج ١ ص ١٨٤، توحيد الأسماء والصفات لمحمد الحمد ص ١٥.

(٣) ينظر: تفسير العز بن عبد السلاّم ج ٢ ص ٤٧٠، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص ١١. المفسّرون بين التأويل والإثبات للمغراوي ج ٢ ص ٥٢٤.

(٤) ينظر: أيسر التفاسير ج ٢ ص ٢٢٣

(٥) المرجع السابق.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢]، فعلم أنه لا يجوز ذم هذه الأفعال على الإطلاق، كما لا تمدح على الإطلاق، ولهذا لا يصح تسميته بالمستهزئ أو الماكر أو الخادع، بل تقيد، لأن الله تعالى قيدها، فيقال: مستهزئ بالمنافقين، ماكر بالماكرين، كائد للكافرين، وهكذا كما ذكرها الله تعالى في كتابه، فلا يشتق من هذه الصفات أسماء يسمى بها، فلا يقال: الماكر أو المستهزئ تعالى الله عن ذلك، ومن ظن هذا فقد فاه بأمر عظيم(١).

٣- صفات نقص مطلق، فهذه لا يوصف الله تعالى بها بأي حال من الأحوال(٢)، كالعاجز، والخائن، والأعمى، فلا يوصف الله بها، لأنها نقص على الإطلاق، وانظر إلى الفرق بين صفة الكمال المقيد (الخداع) وبين صفة النقص المطلق (الخيانة) بالنظر لمواردها في القرآن: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢]، فأثبت خِدَاعه لمن خَادَعَه، لكن قال في الخيانة: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡ﴾ [الأنفال: ٧١]، لم يقل: فخانهم، لأن الخيانة خداع في مقام الائتمان، وهو نقص وليس فيه مدح أبداً(٣)، وقد نهى الله ﷻ عنه، بل ولا يحب الخائن، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

من تفاسير أهل السنة لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ..﴾ الآية:

قال محمد بن عثيمين (ت: ١٤٢١) في تفسيره: «والاستهزاء هنا في الآية على حقيقته؛ لأن استهزاء الله بهؤلاء المستهزئين دال على كماله، وقوته، وعدم عجزه عن مقابلتهم، فهو صفة كمال هنا في مقابل المستهزئين، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾ [الطارق: ١٥-١٦]، أي: أعظم من كيدهم، فالاستهزاء من الله تعالى حق على حقيقته، ولا

(١) ينظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لابن عثيمين ص١١، المسائل الاعتزالية ج١ ص١٨٤.

(٢) ينظر: درء التعارض ج ١ ص ٤١٩.

(٣) ينظر: تفسير ابن عثيمين ج ١ ص ٥٨.

يجوز أن يفسر بغير ظاهره، فتفسيره بغير ظاهره محرم، وكل من فسر القرآن على غير ظاهره بلا دليل صحيح فقد قال على الله مالم يعلم... بل نحن نؤمن بأن الله جل وعلا يستهزئ بالمنافقين استهزاءً حقيقياً؛ لكن ليس كاستهزائنا؛ بل أعظم من استهزائنا، وأكبر، وليس كمثله شيء، وهذه القاعدة يجب أن يسار عليها في كل ما وصف الله به نفسه»[(١)].

[١٣] قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]:

التحريف في معنى ﴿يَمُدُّهُمۡ﴾:

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨): «فإن قلت: فكيف جاز أن يوليهم مدداً في الطغيان وهو فعل الشياطين..»[(٢)].

سبب التحريف:

سبب هذا القول الفاسد يرجع لأصلين فاسدين عند المعتزلة، وهما: وجوب فعل الأصلح للعبد على الله[(٣)].

والثاني: أن أفعال العباد مخلوقة لهم، لذلك نسب الإمداد بالطغيان للشياطين.

وقد تعقب ابن المنيّر (ت: ٦٨٣) الزمخشري معلقاً على هذا التحريف بقوله: «ما يمنعه أن يقره على ظاهره ويبقيه في نصابه، إلا أنه توحيد محض، وحق صرف، والقدرية من التوحيد على مراحل»[(٤)].

رد التحريف:

الآية واضحة في أن الإمداد هو من فعل الله تعالى، وليس من فعل الشياطين، كما زعم الزمخشري، ومعنى الآية: أن الله تعالى يملي لهم، ويزيدهم في الضلال عقاباً لهم على

---

(١) تفسير ابن عثيمين ج ١ ص ٥٧.

(٢) الكشاف ج ١ ص ١٠٥.

(٣) ينظر: جامع الرسائل ص١٢٩، طرح التثريب في شرح التقريب لزين الدين العراقي ج٩ ص١٧٢، المختصر في أخبار البشر لابن كثير ج١ ص٢٠٩، نقض أصول العقلانيين لسليمان الخراشي ج٤ ص٢١، مفهوم القدر عند أوائل الصوفية لمحمود عبد الرازق ص٣٧.

(٤) الانتصاف ج ١ ص ٧٥.

إعراضهم عن الحق، وتماديهم في الباطل ومعاندتهم وتكبرهم[١]، فإن الله تعالى ليس بظلام للعبيد، بل فعله بهم هذا جزاءً وفاقاً، ونظائر هذه الآية كثير في كتاب الله تعالى وقد سبق التعرض لقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: ٧]، وما قيل في الرد على تحريف نسبة الختم لله تعالى يقال في الرد على من أنكر نسبة الإمداد لله في هذه الآية، ومما يدخل في هذه الآية قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗا﴾ [البقرة: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٥٥]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف: ٥]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون ٣]، وأشباهها من الآيات، وفي نفس هذه الآيات التي جاء فيها الختم، والطبع، والغشاوة، ونحو ذلك، يدل على أن هذه عقوبة من الله تعالى بسبب كفرهم وإصرارهم عليه، فهم مستحقون لذلك[٢]، وتفيد هذه الآيات أمرين هامين[٣]:

١-إن الإنسان إذا لم يكن له إقبال على الحق، وكان قلبه مريضاً فإن الله تعالى يعاقبه بالزيادة في الضلال.

٢-إن أسباب إضلالُ الله العبْدَ هو من العبد، وما ربك بظلام للعبيد.

وأما صرف الآية ليكون الإمداد من الشياطين فإنه تحريف، ألجأ المعتزلة إليه قياسهم الفاسد، الذي يوجبون فيه على الله ﷻ ما حكمت به عقولهم أنه أصلح، ويحرمون عليه أيضاً ما حكمت عقولهم بقبحه[٤]، وهذا كلام أجهل الخلق بالله تعالى وبعظمته، وأقبح تشبيه ينزه

---

(١) ينظر: تفسير مجاهد ج١ ص٤٧، تفسير السمعاني ج١ ص٥١.

(٢) ينظر: تفسير النسفي ج ١ ص ١٥، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ج ٤ ص ٨٩، أضواء البيان ج ٣ ص١٦١.

(٣) تفسير ابن عثيمين ج ١ ص ٣٧.

(٤) ينظر: في الرد عليهم الغنية في أصول الدين لأبي سعيد عبد الرحمن بن محمد ص ١٢٩، غاية المرام للآمدي ص ٢٢٤، منهاج السنة ج ١ ص ٤٤٧، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني لعلي العدوي ج١ ص ٩.

الله عنه، فليس ما يراه الناس في عقولهم من صالح وقبيح هو ما يُلزم به الله تعالى عما يقولون علوّاً كبيرا، وهؤلاء المعتزلة ومن وافقهم قد أساؤوا الأدب مع الله ﷻ في إيجابهم الأصلح على الله، والأصلح إنما تحكم عليه أهواؤهم وعقولهم الفاسدة، وقد سبق التفصيل في مسألة التحسين والتقبيح ووجوب الأصلح نتيجة لها، فيرجع لها عند قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: ٧].

[١٤] قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩].

التحريف في معنى ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

قال هود الهواري: (ت: ٢٨٠): «والله محيط بالمنافقين، وهو دون كفر الشرك، يقول: هو من وراء المنافقين حتى يخزيهم بنفاقهم وكفرهم»[١].

سبب التحريف:

قول الهواري بأن النفاق دون كفر الشرك، راجع لعقيدته الإباضية في النفاق، وكون المنافق موحد، وكَفَر كُفر نعمة بالمعاصي وترك العمل، وقد سبق بيانه عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

الرد على التحريف:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ختم الله الآيات في المنافقين بوصفهم بالكافرين، لأن نفاقهم نفاق اعتقادي أكبر، فكفرهم هو أحد أقسام الكفر، وهو كفر النفاق[٢]، والدليل على كفر النفاق قول الله ﷻ في المنافقين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣][٣].

---

(١) تفسير الهواري ج ١ ص ٨٧.

(٢) ينظر: الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة لمحمد بن عبد الوهاب ص ٨، الوجيز في عقيدة السلف الصالح لعبد الله الأثري ص ١٠٣.

(٣) ينظر: كتاب التوحيد لصالح الفوزان ص ١٧، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء ص٨٦، شرح رياض الصالحين للعثيمين ج ٢٦ ص ٧.

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨) في الآيات الخاصة بالمنافقين في سورة البقرة: "افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله، وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم، ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم، ثم ثنّى بالذين محضوا الكفر ظاهراً وباطناً، قلوباً وألسنة، ثم ثلث بالذين ءامنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، وأبطنوا خلاف ما أظهروا، وهم الذين قال فيهم ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣] وسمّاهم المنافقين، وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم إليه وأمقتهم عنده؛ لأنهم خلطوا بالكفر تمويهاً وتدليساً، وبالشرك استهزاءً وخداعاً، ولذلك أنزل فيهم ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥] ووصف حال الذين كفروا في آيتين، وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية، نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم، وفضحهم وسفههم، واستجهلهم واستهزأ بهم، وتهكم بفعلهم، وسجل بطغيانهم، وعمههم، ودعاهم صماً بكماً عمياً، وضرب لهم الأمثال الشنيعة»[١].

[١٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]:

التحريف في معنى ﴿قَدِير﴾:

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨) محرفاً لصفة القدرة: «فإن قلت: كيف قيل: (على كل شيء قدير) وفي الأشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر؟ قلت: مشروط في حد القادر أن لا يكون الفعل مستحيلاً؛ فالمستحيل في نفسه عند ذكر القادر على الأشياء كلها، فكأنه قيل: على كل شيء مستقيم قدير...»[٢].

سبب التحريف:

الذي أجرأ الزمخشري على هذا الباطل؛ معتقده الاعتزالي المبني على سلب صفات الكمال عن الله ﷻ، فقد حرفت المعتزلة المعنى المفهوم من هذه الآية، فقالوا: إن معناها أنه

---

(١) الكشاف ج ١ ص ٩٣.

(٢) الكشاف ج ١ ص ١٢٠.

قادر على كل ما هو مقدور له[١]، فسلبوا صفة كمال قدرته على كل شيء، حتى جعلوا أفعال العباد خارجة عن قدرة الله سبحانه وتعالى.

الرد على التحريف:

هذا مثال من زلاّت كثيرة وعظيمة للمخالفين لمنهج السلف في أسماء الله تعالى وصفاته وغيرها من نصوص الشرع، والقدرة من صفات الكمال لله عز وجل، وأهل السنة يؤمنون أن الله على كل شيء قدير، وكل ممكن فهو مندرج في هذا، أما المحال لذاته، مثل كون الشيء الواحد موجودا معدوماً في حال واحدة، فهذا لا حقيقة له، ولا يتصور وجوده، ولا يسمى شيئاً باتفاق العقلاء، ومن هذا الباب قول من يقول: خلق مثل نفسه وإعدام نفسه، وأمثال ذلك من المحال[٢].

أما المعدوم الممكن فالتحقيق فيه، أنه ليس بشئ في الخارج، ولكن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون ويكتبه، وقد يذكره[٣]، ويخبر عنه كقوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، فيكون شيئا في العلم، والذكر، والكتاب، لا في الخارج، كما قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩]، أي: لم تك شيئا في الخارج، وإن كان شيئاً في علمه تعالى[٤]، والمعدوم في هذا المفهوم يدخل تحت عموم قدرته تعالى المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

والصحيح أن الشيء لفظ لما يوجد في الأعيان، ولما يتصور في الأذهان، فما قدّره الله وعلم أنه سيكون هو شيء في التقدير، والعلم، والكتاب، وإن لم يكن شيئاً في

(١) ينظر: المسائل الاعتزالية ج ١ ص ١٩٦.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ج ٨ ص ١٠،٨، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٣.

(٣) ينظر: بغية المرتاد ص ٣٥٣، المسائل الاعتزالية ج ١ ص ١٩٦.

(٤) ينظر: منهاج السنة ج ٢ ص ٢٩٣.

الخارج[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ولفظ الشيء يتناول كل ما وجد ومالم يوجد، وما تتصوره الأذهان، فالله جل وعلا له القدرة العظيمة، وما من شئ إلا وهو داخل تحت قدرته، ولا يستثنى من ذلك شيء، ومما يدخل تحت قدرته أفعال العباد التي أخرجتها القدرية عن قدرته جل وعلا حتى لا يكون فاعلاً للقبيح ولا يكون ظالماً تعالى عمّا يقولون، ويدخل في لفظ شيء ما شاءه ومالم يشأْهُ خلافاً للأشاعرة ومن وافقهم، فإنهم يقولون: إن الله على ما يشاء قدير، وهذا ما يقرره ابن المنير (ت: ٦٨٣) في تعقبه[٢] للزمخشري (ت: ٥٣٨) وهذا لا شك أنه باطل، وذلك أن الله تبارك وتعالى بيّن أن قدرته متعلقة بكل شئ، ومالم يشأْهُ داخل في هذا العموم[٣]، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، والآية واضحة في أن الله قادر على إنزال هذا العذاب ولكنه لم يشأْهُ.

وصفة القدرة صفة كمال لله ﷻ، واسم الله القدير مبالغة عن ذلك تدل على اتصافه بتلك الصفة اتصافاً عظيماً، فينزه تبارك وتعالى عن أقوال المحرفين الذين تجرؤوا على صفات كماله.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ج ٨ ص ٨، ٩.

(٢) الانتصاف ج ١ ص ٩٤.

(٣) ينظر: في الرد على المعتزلة والأشاعرة في هذه المسألة: التبصير في الدين ص١٧، شرح أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٢٦، فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ج ١ ص ١٧٨، تخريج الطحاوية للألباني ص ٤، الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعلماء نجد جمع عبد الرحمن بن قاسم ج ٤ ص ٢٢٦.

[١٦] **قولـه تعـالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ **[البقرة: ٢١].**

التحريف في معنى ﴿لَعَلَّكُم﴾:

زعم الزمخشري (ت: ٥٣٨) أن لعل في الآية على المجاز، وعلّل ذلك بقوله: «لعلكم تتقون. لا يجوز أن يحمل على رجاء الله تقواهم، لأن الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة، وحمله على أن يخلقهم راجين للتقوى، ليس بسديد، ولكن (لعل) واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة»(١).

وقال الرازي (ت: ٦٠٦): «كلمة لعل للترجي والإشفاق.. والترجي والإشفاق لا يحصلان إلا عند الجهل بالعاقبة، وذلك على الله تعالى محال، فلابد فيه من التأويل»(٢)، ومما ذكره من التأويلات قوله: «إن من عادة الملوك والعظماء أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون أنفسهم على إنجازها أن يقولوا لعل وعسى ونحوهما من الكلمات، أو للظفر منهم بالرمزة، أو الابتسامة أو النظرة الحلوة، فإذا عثر على شئ من ذلك لم يبق للطالب شك في الفوز بالمطلوب، فعلى هذا الطريق ورد لفظ لعل في كلام الله تعالى»(٣).

سبب التحريف:

أما الزمخشري (ت: ٥٣٨) فإن الآية تفضح معتقده الباطل عند المعتزلة، وهو خلق أفعال العباد، لذلك يجعلها مجازاً، ويرفض أن يجعلها في حق المخلوقين الذين يخلقون أفعالهم عند المعتزلة، والرازي (ت: ٦٠٦) وإن ذكر بعض الأوجه الصحيحة في تأويل لعل لكن من تأويلاته ما لا يليق بحق الله ﷻ.

---

(١) الكشاف ج ١ ص ١٢٣.

(٢) تفسير الرازي ج ٢ ص ٩٢.

(٣) المرجع السابق.

الرد على التحريف:

أشهر معاني (لعل) في القرآن اثنان:

الأول: ما قاله بعض أهل العلم بالتفسير من أنّ كل (لعل) في القرآن للتعليل، إلا التي في سورة الشعراء، وهي في قوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٩] قالوا: فهي بمعنى كأنكم[١]، ومجيء (لعل) للتعليل معلوم من لغة العرب[٢] ومنه:

قول الشاعر:

وقلتم كفوا الحروب لعلنا نكف ووثقتم لنا كل موثق[٣]

أي: لأجل أن نكف الحرب ولو كانت لعل ههنا شكاً لم يوثقوا لهم كل موثق، وهذا اختيار قطرب (ت: ٢٠٦) والطبري (ت: ٣١٠)[٤].

وعلى هذا المعنى لا إشكال في الآية ولا حاجة للتأويل.

الثاني: أن (لعل) للترجي وإنما يكون ذلك في حيز البشر.

أي: رجاء منكم أن تتقوا، وعزاه القرطبي (ت: ٦٧١) لكبراء أهل اللسان كسيبويه (ت: ١٨٠) وغيره[٥].

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي ج١ ص٢٦٨، تفسير الدر المصون ج١ص٣٨، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص٥٢٩، القواعد الحسان في تفسير القرآن ص٣٩، أضواء البيان ج٢ص١٠٢.

(٢) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك لمحمد الصبان ج١ ص ٥٣٩، إشارات الإعجاز لسعيد النورسي ص ١٧٠، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ج٤ ص ٧٧، جامع الدروس العربية لمصطفى الغلاييني ج٦٠ ص ١.

(٣) قال أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير ابن جرير: «لم أعرف قائله، رواه ابن الشجري نقلاً عن الطبري، فيما أرجح في أماليه ج١ص٥١»، ينظر: تفسير الطبري ج١ ص٣٦٤، ولم أجده فيما بين يديّ من مراجع.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ج١ ص٣٦٤، القرطبي ج١ ص ٢٦٨، الأمالي الشجرية ج١ ص٥١.

(٥) ينظر: تفسير القرطبي ج ١ ص ٢٦٨.

قال الشنقيطي (ت: ١٣٩٣) جامعاً بين القولين: «وكونها للتعليل لا ينافي معنى الترجي، ولأن وجود المعلول يرجى عند وجود علته»(١).

[١٧] قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]:

التحريف في معنى ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

قال هود الهواري (ت: ٢٨٠): «من كافر مشرك، أوكافر منافق، وهو كفر فوق كفر، وكفر دون كفر»(٢).

سبب التحريف:

قول هود: كفر دون كفر، يرجع لقوله: كافر منافق، فإن عقيدته الإباضية تجعل المنافق موحداً لكنه كفر بارتكابه الكبائر كفر نعمة، فهو عندهم دون كفر الشرك.

الرد على التحريف:

تكرر معنا الرد على معتقد الإباضية في النفاق، وأيضاً تخليدهم مرتكب الكبيرة في النار، وذلك عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩].

وأما قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ فيقول ابن جرير (ت: ٣١٠) في تفسيرها: «أعدت النار للجاحدين أن الله ربهم المتحدي بخلقهم وخلق الذين من قبلهم، الذي جعل لهم الأرض فراشا، والسماء بناءً، وأنزل من السماء ماءً فأخرج من الثمرات رزقاً لهم، المشركين معه في عبادته الأنداد والآلهة، وهو المتفرد لهم بالإنشاء والمتوحد بالأقوات والأرزاق»(٣).

---

(١) أضواء البيان ج٢ ص ١٠٢.

(٢) تفسير الهواري ج ١ ص ٨٩.

(٣) تفسير الطبري ج ١ص ٣٨٢.

[١٨] **قوله تعالى:** ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [**البقرة: ٢٥**]:

التحريف في معنى الإيمان:

قال الماتريدي (ت: ٣٣٣): «الآية تنقض قول من جعل جميع الطاعات إيماناً؛ لما أثبت لهم اسم الإيمان، دون الأعمال الصالحات»[(١)].

قال الرازي (ت: ٦٠٦): «هذه الآية تدل على أن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان لأنه لما ذكر الإيمان ثم عطف عليه العمل وجب التغاير، وإلا لزم التكرار وهو خلاف الأصل»[(٢)].

سبب التحريف:

قول الماتريدي (ت: ٣٣٣) والرازي (ت: ٦٠٦) مرجعه عقيدة الإرجاء في الإيمان، فإن جمهور الأشاعرة والماتردية ترى أن الإيمان هو التصديق فقط فلا تدخل فيه الأعمال، لذا نجد هذه العقيدة ظاهرة في التفسيرين السابقين.

الرد على التحريف:

سبق الرد على هذا القول الباطل في أكثر من موضع من هذا البحث، وبيّنا أن القول الحق في مسمى الإيمان هو قول أهل السنة والجماعة: أنه (نطق باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان)[(٣)].

أما استدلال المرجئة بهذه الآية، وأن العمل الصالح عطف على الإيمان، والعطف يقتضي المغايرة فيرد عليه بالآتي:

---

(١) تفسير الماتريدي ج ١ ص ٧٤.

(٢) تفسير الرازي ج ٢ ص ١٣٩.

(٣) راجع الرد عليهم عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] ص ٣٢٦.

١-الآية دليل عليهم في أن الأعمال الصالحة شرط الإيمان، ولا يدخل في الآية إلا من أتى بالإيمان والعمل جميعاً، فإن الإيمان أساس والعمل كالبناء، عليه ولا غَناء بأساس لا بناء له(١).

٢-العطف في الآية من باب عطف الجزء على الكل، وعطف الأجزاء على الكل جائز لغرض من الأغراض، مثل التشريف كقوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨](٢).

٣-أيضاً أجاب شيخ الإسلام عن الاستدلال بمثل هذه الآية بقوله: «وأما قولهم: إن الله فَرَّقَ بين الإيمان والعمل الصالح في مواضع، فهذا صحيح، وقد بينا أن الإيمان إذا أطلق أدخل الله ورسوله فيه الأعمال المأمور بها، وقد يقرن به الأعمال.. وذلك لأن أصل الإيمان هو ما في القلب، والأعمال الظاهرة لازمة لذلك، لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع الأعمال، بل متى نقصت الأعمال الظاهرة؛ كان لنقص الإيمان الذي في القلب، فصار الإيمان متناولاً للملزوم واللازم، وإن كان أصله ما في القلب، وحيث عطفت عليه الأعمال، فإنه أريد أنه لا يكتفي بإيمان القلب، بل لابد معه من الأعمال الصالحة»(٣).

١٩-قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

التحريف في معنى ﴿لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ﴾:

ذكر الماتريدي (ت: ٣٣٣) وجهين في معنى صفة الاستحياء في حق الله تعالى، وقال في الثاني: «وقال آخرون: لا يجوز إضافته إلى الله تعالى، لأن تحته الإنكاف والأنفة، وذلك

---

(١) ينظر: فتح القدير ج ١ ص ٥٤، روح المعاني ج ١ ص ٢٠٠.

(٢) ينظر: تفسير النيسابوري ج ١ ص ١٣٥، نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف لمحمد الوهيبي ج١ ص ١٤٣.

(٣) مجموع الفتاوى ج ٧ ص ١٩٨.

على الله تعالى مَنْفِيٌّ، ولكن الحياء هو الرضا هاهنا، والحياء الترك؛ أي لا يترك ولا يدع»[١]، ولم يتعقب هذا القول بالقبول أو الرد.

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨) في صفة الاستحياء: «إن قلت: كيف جاز وصف القديم[٢] سبحانه به[٣]، ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم، وذلك في حديث سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفراً حتى يضع فيهما خيراً)**[٤] قلت: هو جار على سبيل التمثيل، مثل تركه تخييب العبد، وأنه لا يردّ يديه صفراً من عطائه لكرمه..»[٥].

قال الرازي: (ت: ٦٠٦): «اعلم أن الحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم،... وإذا ثبت هذا استحال الحياء على الله تعالى، لأنه تغير يلحق البدن، وذلك لا يعقل إلا في حق الجسم»[٦] وتأول الصفة بترك الفعل[٧].

---

(١) تفسير الماتريدي ج ١ ص ٧٩.

(٢) القديم ليس من أسماء الله تعالى، بل هو مبتدع لم يدل عليه نص، وأسماء الله ﷻ إنما مرجعها الشرع، فهي توقيفية، لكن معناه في اسم الله الثابت (الأول) ينظر: تنوير الأفهام إلى بعض مفاهيم الإسلام لمحمد شقرة ص٢٤

(٣) أي بالاستحياء.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الدعاء ج ٢ ص ٢٥١ برقم ٣٢٥٠، أبوداود في سننه، كتاب الصلاة، باب الدعاء ج ٢ ص ٧٨ برقم ١٤٨٨، الترمذي في سننه، كتاب الدعوات عن النبي ﷺ ج٥ ص٥٥٦ برقم ٣٥٥٦، ابن حبان في صحيحه، كتاب الأدعية، ذكر الأخبار عما يستحب للمرء عند إرادة الدعاء رفع اليدين ج ٣ ص ١٦ برقم ٨٧٦.

(٥) الكشاف ج ١ ص ١٤١.

(٦) تفسير الرازي ج ١ ص ١٤٤.

(٧) المرجع السابق ج ١ ص ١٤٥.

قال محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤): «والتحقيق أن الحياء انفعال النفس، وتألمها من النقص والقبيح بالغريزة الفضلى غريزة حب الكمال»(١).

سبب التحريف:

من أهم أسباب التحريف عند معطلة أسماء الله تعالى وصفاته تشبيهها بصفات المخلوقين، وهو واضح من التحريف السابق، فهم يقيسون حياء الله تعالى بحياء خلقه، لذلك نفوا عنه الصفة زعماً منهم أنهم ينزهونه، والحق أن ينزه الله عن مثل تحريفهم وتشبيههم له بالمخلوقين، وزاد الرازي (ت: ٦٠٦) سبباً آخر لتعطيله الصفة، وهو اقتضاؤها الجسمية عنده.

الرد على التحريف:

كلامهم هذا في صفة الحياء هو من جنس كلامهم على صفة الرحمة في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣]، والغضب في قوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة:٧]، والاستهزاء في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٥] وليس في هذه الصفات شيء مما توهموه، ولو أنهم أضافوها إلى الله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته؛ لما تاهوا في التعطيل والتحريف، فإن ذات الله تعالى وصفاته ليست كذوات المخلوقين وصفاتهم، ولا يدخل القياس في أسمائه وصفاته حتى لا يتعرض لها مثل هذه الأقوال من الانكسار والخوف وغيره مما لا يليق بجلاله تبارك وتعالى، فيجب حينئذ إثبات ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، إثباتاً كاملاً على ما يليق به سبحانه من غير تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل، وهذه هي طريقه العلماء المحققين من سلف الأمة وخلفها، وهو الذي يوجب الأدب مع كلام الله، وكلام رسوله ﷺ، الذي هو أبلغ الكلام وأفصحه(٢).

وصفة الحياء صفة كمال لله تعالى، وهو حياء على وجه يليق بالله جل وعلا، لا يشبه أحداً من خلقه، قال ابن القيم (ت: ٧٥١): «وأما حياء الرب تعالى من عبده،

---

(١) تفسير المنار ج ١ ص ٢٣٦.

(٢) ينظر: المسائل الاعتزالية ج ١ ص ٢٠٢.

فذاك نوع آخر لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول، فإنه حياء كرم وبر وجود وجلال»[(١)].

ومن التفاسير السلفية للآية قول محمد بن عثيمين فيها، حيث قال في تفسيره: «من فوائد الآية: إثبات الحياء لله ﷻ، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا﴾ ووجه الدلالة: أن نفي الاستحياء عن الله في هذه الحال دليل على ثبوته فيما يقابلها؛ وقد جاء ذلك صريحاً في السنة، كما في قول النبي ﷺ: **(إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً)**[(٢)]؛ والحياء الثابت لله ليس كحياء المخلوق»[(٣)].

فهو اسم لله تعالى لقوله ﷺ: **(إن ربكم حَيِيٌّ كريم..)** الحديث، وصفة كمال، كما في الآية[(٤)].

أما قول الرازي (ت: ٦٠٦) أن صفة الحياء تغير يلحق بالبدن، ولا يكون ذلك إلا في الجسم، هذا قول باطل وهو من طرق المشبهة الذين إذا ذكرت أسماء الله تعالى وصفاته انقدح في عقولهم التشبيه، واضطرهم هذا القياس الفاسد لتعطيل الأسماء والصفات، فعطلوا العلو، والاستواء، والنزول، والمجيء[(٥)] وغيرها من الأسماء والصفات، لأنها تقتضي التجسيم عندهم، وهذا قياس فاسد ألجأهم إليه تشبيه الله تعالى بالمخلوقين، وسيأتي مزيد من التوضيح عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

---

(١) مدارج السالكين ج ٢ ص ٢٦١.

(٢) سبق تخريجه ص ١٧٤.

(٣) تفسير العثيمين ج ١ ص ٩٨.

(٤) ينظر: القواعد المثلى ج ٤ ص ١١.

(٥) ينظر: درء التعارض ج٥ ص٣٢٥، إيضاح الدليل في قطع أهل التعطيل لبدر الدين بن جماعة ص٧٧.

[٢٠] قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[البقرة: ٢٦]:

التحريف في معنى ﴿يُضِل﴾ و﴿يَهْدِى﴾:

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨): «وإسناد الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى السبب؛ لأنه لما ضرب المثل فضلَّ به قوم واهتدى به قوم، تسبب لضلالهم وهداهم»[(١)].

سبب التحريف:

جرى في تفسير هذه الآية على معتقد المعتزلة، الذين يزعمون أن الهدى والضلال من فعل العبد، بل كل أفعاله مخلوقة له، فهو الذي يضل نفسه أو يهديها، والهدى والإضلال من الله إنما تسمية هذا مهتدٍ، وهذا ضال بعد اختيار العبد له بزعمهم، ولم تجوّز عقولهم نسبة الهدى والإضلال إلى الله تعالى.

الرد على التحريف:

الآية الكريمة ظاهرة المعنى، لكن الزمخشري يأبى أن يدعها على ظاهرها، لأنها تتعارض مع معتقده، فالزمخشري وأشباهه من القدرية ينكرون أن يكون الهدى والإضلال من الله، وإنما ذلك محض الفعل، أما الجبرية فعلى النقيض من ذلك، إذ يثبتون لله مشيئة محضة عارية من الحكمة والتعليل[(٢)]، فإضلال الله لهذا وهدايته لذاك ليس إلا لمحض المشيئة، فأنكروا فعل العبد وقدرته، وأن يكون له تأثير في الفعل البتة[(٣)]!

وهذه الآية ترد على الفريقين:

ففيها: أن الله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء، ويضل من يشاء.

---

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ١٤٧، ١٤٨.

(٢) ينظر: الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا ص ٨٨، شعار أصحاب الحديث لأبي أحمد محمد بن الحاكم ص٣٣، مفاتيح العلوم للخوارزمي ص٢٠، الفصل في الملل ج٣ ص١٥.

(٣) ينظر: شفاء العليل ص ١٤١، المسائل الاعتزالية ج ١ ص ٢٠٤.

وفيها: أن الإضلال إنما كان من نصيب الفاسقين الخارجين عن طاعة الله، المعاندين لرسل الله، فاقتضت حكمته تعالى إضلالهم، لعدم صلاحيتهم للهدى، كما اقتضى فضله وحكمته هداية من اتصف بالإيمان، وتحلى بالأعمال، فسبحان من فاوت بين عباده(١)، فإنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وما ربك بظلام للعبيد، وقد سبق الرد على القدرية والجبرية عند قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: ٧].

[٢١] قال تعالى: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]:

التحريف في معنى ﴿أَمۡوَٰتٗا﴾:

قال السُّلمي (ت: ٤١٢) في معنى الآية عدة أقوالٍ باطلة، هي من إشارات الصوفية، ولا تحتملها الآية، ومما قاله: «كنتم أمواتاً بالظواهر، فأحياكم بمكاشفة السرائر»(٢)، ومنها: «كنتم أمواتاً عنه، فأحياكم به»(٣)، ومنها: «كنتم أمواتاً بشواهدكم، فأحياكم بشاهده»(٤).

سبب التحريف:

يفسر السُّلمي (ت: ٤١٢) الآية على طريقته الصوفية في الإشارات التي لا تحتملها الآيات، ويدّعون أنها معاني باطنة للآية، فتناولوا كتاب الله تعالى بتفسيرات ما أنزل الله بها من سلطان، ومنها ما ذكره السُّلمي في الآية.

الرد على التحريف:

تتبعت أقوال المفسّرين في التفاسير التي بين يديّ فلم أجد قولاً يوافق ما جاء به السُّلمي أو دليلاً يدل عليه، وإنني أظن أن قوله لا معنى له أصلاً، بل إن الصوفية أنفسهم

---

(١) ينظر: تفسير السعدي ص ٤٧.

(٢) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٥٣.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

يقولون: إن إشاراتهم لا يفهمها إلا هم، فهي هذيان لا مكان له في تفسير كتاب الله تعالى، فالله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وقد سبق البحث في مثل هذه الأقوال عند السُّلمي (ت: ٤١٢) عند قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

أما معنى الآية كما جاء عن الكثير من أهل العلم؛ أن قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ أي: نطفاً في أصلاب آبائكم، وفي أرحام أمهاتكم، لا تُعرفون ولا تُذكرون، وقوله: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ أي: بإنشائكم بشراً سوياً حتى حَيِيتم وعُرِفْتُم، ثم يميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم رفاتاً، ثم يحييكم بعد ذلك بنفخ الروح فيكم لبعث الساعة، وصيحة القيامة[1]، والآية تثبت حياتين وموتتين، كما في الآية: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١][2].

(١) ينظر: تفسير الثوري ص٤٣، تفسير الطبري ج١ ص٤٢٤، تفسير ابن أبي حاتم ج ١ ص ٧٣، تفسير ابن أبي زمنين ج١ ص١٣٠، تفسير الثعلبي ج١ ص١٧٣، النكت والعيون ج١ ص٩١، تفسير السمعاني ج١ ص٦٣، تفسير البغوي ج٤ ص٩٣، الكشاف ج١ ص١٥١، المحرر الوجيز ج٤ ص٥٤٩، تفسير العز بن عبد السلاَّم ج ١ ص ١١٢، تفسير القرطبي ج ١٥ ص ٢٩٧، تفسير الخازن ج ١ ص ٤٣، تفسير النيسابوري ج ١ ص ١١١، البحر المحيط ج ١ ص ٢٥٩، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢١٢، نظم الدرر ج ١ ص ٨٠، تفسير الثعالبي ج ١ ص ١٧٢، اللباب لابن عادل ج١ ص٢١٨، الدر المنثور ج١ ص١٠٥، فتح القدير ج٤ ص٤٨٦، التحرير والتنوير ج١ ص٣٧٣، وغيرها من التفاسير.

(٢) ينظر: المحلى لابن حزم ج ١ ص ٢٢، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الأصفهاني ص٣٢، الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية لمحيي الدين الطائي ج١ ص٤٧٠، رسالة في تحقيق الشكر لابن تيمية ص١١٠، الروح لابن القيم ص٣٥، فتاوى السبكي ج٢ ص٢٠٥.

[٢٢] قوله تعالى: ﴿ثُم إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]:

التحريف في معنى ﴿تُرْجَعُونَ﴾:

قال الرازي (ت: ٦٠٦): «تمسك المجسمة[١] بقوله: ﴿ثُم إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ على أنه تعالى في مكان وهذا ضعيف، والمراد أنهم إلى حكمه يرجعون، لأنه تعالى يبعث من في القبور، ويجمعهم في المحشر، وذلك هو الرجوع إلى الله تعالى، وإنما وصف بذلك لأنه رجوع إلى حيث لا يتولى الحكم غيره، كقولهم: رجع أمره إلى الأمير، أي إلى حيث لا يحكم غيره»[٢].

سبب التحريف:

السبب في تحريف الرازي لمعنى الآية هو ما طعن به أهل السنة ونسبه إليهم من التجسيم لمّا أثبتوا لله علواً يليق بجلاله، والرازي ومن وافقه من المبتدعة ينزهون الله تعالى عن ألفاظ ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان مثل الجسمية و الجهة وغيرها، وتركوا ما نزه الله عنه نفسه ونزهه عنه رسوله وإثبات ما جاء في الكتاب والسنة.

الرد على التحريف:

هذه المصطلحات المستحدثة التي تكثر في طرق المبتدعة المتكلمين لم ترد في الشرع، ولم تعرف عن السلف الصالح، بل هي من عبارات المبتدعة، ولابد فيها من التفصيل لبيان نفيها

---

(١) يقصد بالمجسمة، الذين يثبتون لله الصفات، ومنهم أهل السنة والجماعة، الذين يثبتون لله العلو، والاستواء، والوجه، واليد، وغيرها، مما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ، وهم يرمون أهل السنة بها والحق أن المجسمة الذين يثبتون لله الصفات ولكنهم يشبهونه بالمخلوقين فيقولون ـ تعالى الله عما يقولون ـ له يد كأيدينا، وعين كأعيننا، ووجه كوجوهنا ومن هؤلاء: داود الجواربي، وهشام ابن الحكم الرافضيين وهذا كفر يخرج من الملة، والله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أما الأشاعرة، ومنهم الرازي فهم على طرف نقيض، فيعطلون الصفات خوفاً من الجسمية، وقد ضلوا عن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وأهل السنة والجماعة يثبتون لله صفات تليق بجلاله من غير تشبيه، ينظر: درء التعارض ج٥ ص٣٢٥، العقيدة وآثرها في بناء الجيل لعبد الله عزام ص٥٤.

(٢) تفسير الرازي ج ٢ ص ١٦٦.

أو إثباتها، ولما اتهم أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١) بإثبات الجسم لله تعالى قال: «نقول: إن الله أحد صمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحداً، وأن هذه الكلام لا يدرى مقصود صاحبه به، فلا نطلقه لا نفياً ولا إثباتاً، أما من جهة الشرع، فلأن الله ورسوله وسلف الأمة لم يتكلموا بذلك نفياً ولا إثباتاً، فلا قالوا هو جسم، ولا قالوا هو ليس بجسم»(١).

فهذه قاعدة عظيمة أرساها أكابر السلف، وهي أن كل المعاني المحدثة أو الألفاظ التي تحتها معاني محدثة، فلا تُثبت ولا تُنفى، وإنما المرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما عدا ذلك يُفَصّل، فإن أريد به معنى حق قبل، ولكن يصحح اللفظ المبتدع بما يغني عنه في الشرع، وإن كان معنىً باطلاً ينفى عن الله تعالى، ولذلك يقال في هذه الآية التي نفى الرازي أن تكون دالةً على المكان والجسمية:

إن أريد نفي الأعضاء ومشابهة الله تعالى للمخلوقين وأنه بائن عن المخلوقات فهذا حق(٢)، ويغني عنه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وإن أريد أن الله تعالى ليس داخل العالم ولا خارجه، ونفي جهة العلو عنه تعالى، وأنه ليس مستو فوق عرشه بائن عن مخلوقاته فهذا باطل، وهذه هي عقيدة جمهور الأشاعرة، ومنهم الرازي فهو يقررها في أكثر من موضع من كتبه(٣)، فهؤلاء وقعوا في تناقض عجيب، ينزهون الله تعالى عما ابتدعوه من الجهة والمكان، ولا ينزهونه عن إنكار علوه اللائق بجلاله.

وهم أيضاً بتنزيههم المزعوم يصفون الله تعالى بالعدم - تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا - فإن الذي خارج العالم ولا داخله هو المعدوم(٤).

---

(١) ينظر: منهاج السنة ج ٢ ص ٦١٠.

(٢) ينظر: درء التعارض ج ١ ص ٢٢٧.

(٣) ينظر: على سبيل المثال التفسير الكبير ج١ ص٩٨، ١٥٢ ج٤ ص٢٠، أساس التقديس ص١٥، ٢٥، ٢٩.

(٤) ينظر: الاستقامة ج ٢ ص ٣٤٨، شفاء العليل ص ٣٠٦.

ومن عجيب تناقضهم أنهم ينفون الجهة، ويثبتون رؤية الله تعالى يوم القيامة من غير جهة، وهذا يستحيل وقوعه[(١)]. وكيف لهذه الأقوال المتناقضة أن تقف أمام العقيدة النقية الصريحة في أن الله جل جلاله عال على خلقه، مستو على عرشه، وهذه عقيدة المسلمين وأتباع الرسل قديماً وحديثاً، فهي محل إجماع لرسالات الله تعالى، وأصحاب الفطر السليمة من المؤمنين: عالمهم وعاميّهم، وتضافرت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة، وقد استدل السلف الصالح بألف دليل على علو الله[(٢)] ﷻ أو أكثر، وأنه في السماء مستو على عرشه ﷻ، كما أخبر الله جل وعلا بذلك، وأخبر به نبيه ﷺ، ودلت عليه الأدلة العقلية أيضاً.

أما نفي الجهات جميعها عن الله، وعدم الاعتراف له بمكان يليق بجلاله فإنه سوء أدب مع الله تعالى، بل إن من العلماء من قال: من لم يقر بأن الله تعالى على عرشه قد استوى فوق سبع سماواته فهو كافر[(٣)]، وقد كفّر أبوحنيفة الذي يتوقف في علوه في السماء، فكيف بالجاحد لعلوه؟![(٤)] وماذا أسوق من آلاف الأدلة التي تثبت صفة العلو والفوقية لله تعالى؟! قال شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨): «وهذا كتاب الله من أوّله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ وكلام الصحابة والتابعين، وكلام سائر الأئمة مملوء مما هو نص أو ظاهر في أن الله ﷻ فوق كل شيء، وإنه فوق العرش فوق السموات مستوٍ على عرشه»[(٥)]، فحسبي هنا التذكير بشيء منها:

---

(١) ينظر لمزيد من الرد كتاب التوحيد لابن خزيمة ج ١ ص ٢٣٣، دفع شبه التشبيه بأكف التنـزيه لابن الجوزي ص١٥١، الاستقامة ج٢ ص٣٤٨، العين والأثر في عقائد أهل الأثر لعبد الباقي المواهبي ص١١١.

(٢) ينظر: بيان تلبيس الجهمية ج١ ص٥٥٥، إعلام الموقعين ج٢ ص٣٠٣، شرح العقيدة الطحاوية ص١٧٤.

(٣) رواه الحاكم عن أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في معرفة علوم الحديث ص ١٢٥.

(٤) ينظر: الفتاوى الكبرى ج ١ ص ٢٩٢.

(٥) نقله عنه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ج ١ ص ٤٥.

١ - القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]، وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] وغيرها من الأدلة الكثيرة في كتاب الله تعالى[1].

٢ -السنة الشريفة:

١ -قصة المعراج، وهي متواترة، وتجاوز النبي ﷺ السموات سماء سماء، حتى انتهى إلى ربه فقربه وأدناه[2].

٢ -والحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: **(لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إنّ رحمتي سبقت غضبي)**[3].

٣ -وفي صحيح مسلم، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: (**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**)[4].

---

(١) ينظر: لمزيد من الأدلة: إثبات صفة العلو لابن قدامة جميع الكتاب، العلو للعلي الغفار للذهبي ص١ إلى آخر الكتاب، ومختصره للألباني.

(٢) ينظر: صحيح البخاري ج٣ ص١٤١٠ كتاب فضائل الصحابة باب المعراج حديث المعراج ٣٦٧٤ وما بعده.

(٣) سبق تخريجه عند قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] ص٣٦٩.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب قوله عليه السلام: **(إن الله لا ينام)** ج١ ص١٦١ برقم ١٧٩.

والسنة مليئة بأمثال هذه الأدلة(١).

الأدلة الفطرية:

العباد جميعهم برهم وفاجرهم إذا أصابهم كرب وجهوا أبصارهم للسماء استغاثة بالله عز وجل(٢).

[٢٣] قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]:

التحريف في معنى ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾:

ذكر الماتريدي (ت: ٣٣٣) أوجه باطلة في معنى استوى منها: «استوى: تمَّ كقوله: (بلغ أشده واستوى) أي تمَّ»(٣).

ومنها: «استوى: أي استولى»(٤).

ثم قال: «والأصل عندنا في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] و﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣] وغيرها من الآيات من قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، من الآيات التي ظنت المشبهة أن فيها تحقيق وصف الله تعالى بما يستحق كثير من الخلق الوصف به على التشابه»(٥).

قال الرازي: (ت: ٦٠٦): «الاستواء في كلام العرب قد يكون بمعنى الانتصاب وضده الاعوجاج، ولما كان ذلك من صفات الأجسام، فالله تعالى يجب أن يكون منزهاً

(١) ينظر: المراجع السابقة لمزيد من الأدلة.

(٢) ينظر المراجع السابقة.

(٣) تفسير الماتريدي ج ١ ص ٨٣.

(٤) تفسير الماتريدي ج ١ ص ٨٣.

(٥) المرجع السابق.

عن ذلك، ولأن في الآية ما يدل على فساده، لأن قوله ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ يقتضي التراخي، ولو كان المراد من هذا الاستواء العلو بالمكان لكان ذلك العلو حاصلاً أولاً، ولو كان حاصلاً أولاً لما كان متأخراً عن ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لكن قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ يقتضي التراخي، ولمّا ثَبتَتَ هذا وجب التأويل وتقريره: أن الاستواء هو الاستقامة»[١].

سبب التحريف:

أفصح كل من الماتريدي والرازي عن سبب تحريفهما للاستواء؛ أما الماتريدي فإنه يرفض صفة الاستواء، ويحرف معنى استوى، ويرد على الذين يثبتونها وهم من سماهم بالمشبهة، وهي كتسمية الرازي لهم بالمجسمة في التحريف السابق، أما الرازي فبين سبب تحريفه وهو أن صفة الاستواء للأجسام، وهذا لا يليق بالله ﷻكما قال، وهذا هو مذهب جمهور الأشاعرة والماتردية[٢].

الرد على التحريف:

الرد على تحريف صفة الاستواء يكون من خلال ثلاثة محاور:

١- ورود الاستواء في القرآن الكريم.

٢- معنى الاستواء في اللغة.

٣- مذهب أهل السنة والجماعة في استواء الله تعالى على عرشه.

أولاً: ورود الاستواء في القرآن الكريم:

(أ) أخبر الله ﷻ في سبعة مواضع من كتابه بأنه استوى على عرشه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن

---

(١) تفسير الرازي ج ٢ ص ١٦٩.

(٢) ينظر كلام الرازي السابق، وهو مؤصل للأشعرية، أما الماتريدية فقد نص على معتقدهم هذا أبو منصور الماتريدي في كتابه التوحيد ص ٧٢ وهو شيخ الماتردية.

شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٣]، وقوله عز من قائل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢]، وفي طه ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وفي الفرقان: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وآخرها: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤].

(ب) أخبر أنه استوى إلى السماء في موضعين من كتابه، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١].

ثانياً: معنى الاستواء في اللغة:

حصر ابن القيم (ت: ٧٥٢) لفظ الاستواء بنوعين في كلام العرب[(١)] وهما:

١- مطلق.

٢- مقيد.

١-المطلق: وهو ما لم يوصل معناه بحرف، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ..﴾ وهذا معناه: كَمُلَ وتَمَّ[(٢)] كقولنا: استوى النبات، واستوى الطعام، ولا صحة لإطلاق الماتريدي والرازي هذا المعنى على الآية التي عدي فيها الاستواء بإلى.

٢-المقيد: وهو على ثلاثة أضرب:

أحدها: ما كان مقيداً بإلى كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، آية

---

(١) الصواعق المرسلة ج ١ ص ١٩٥.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج ١٩ ص ٥٣٥، معاني القرآن للنحاس ج ٥ ص ١٦٤، تفسير ابن كثير ج ٦ ص٢٢٤، لسان العرب ج٣ ص٢٣٦، تاج العروس ج ٨ ص٢٤٣، الصواعق المرسلة ج١ ص١٩٥.

فصلت، ومنه قولهم: استوى فلان إلى السطح، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف، كما سنوضحه بعد قليل.

والثاني: المقيد بعلى كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٩].

وهذا أيضاً معناه العلو الارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة[١].

والثالث: المقرون بواو مع التي تعدي المفعول إلى المفعول معه نحو استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها.

هذا ملخص ما قاله ابن القيم (ت: ٧٥١) في معنى استوى عند العرب، وليس فيها شيء مما ذكره المخالفون من معنى الاستواء، ولم يذكر أنه يأتي بمعنى استولى، ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم، وإنما قاله متأخرو النحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية[٢].

وقد قيل: إن الاستواء المعدى بإلى مثل ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩] معناه قصد، أو أقبل، أو عمد، كما ذكره بعض المفسّرين[٣]، ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية (ت:٧٢٨) أنه تفسير مبتدع، لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين، بل المفسّرون على خلافه، ولا يُعرف في اللغة[٤].

---

(١) ينظر: كتاب العين ج ٧ ص ٣٢٥، تهذيب اللغة ج ٢ ص ١٤٤، الاستذكار ج ٢ ص ٥٢٧، التحفة المدنية لآل معمر ص ٥٠، ١٤٦ جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لنعمان الألوسي ص ٣٧٦.

(٢) ينظر: الصواعق المرسلة ج ١ ص ١٩٥، والمراجع السابقة من كتب اللغة.

(٣) ينظر: غريب القرآن للسجستاني ص ١١٣، تفسير الواحدي ج ١ ص ٩٨، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٢٧٣، تفسير الجلالين ج ١ ص ٨، تفسير المنار ج ١ ص ٢٤٧، وغيرهم.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى ج ٥ ص ٤٠٩، ٥٢١.

قال البغوى (ت: ٥١٦) في معنى (ثم استوى إلى السماء): «قال ابن عباس: وأكثر مفسري السلف أي: ارتفع إلى السماء»[(١)]، وذكره البخاري (ت: ٢٥٦) في صحيحه أنِ استوى إلى: علا وارتفع[(٢)].

وهو اختيار ابن جرير (ت: ٣١٠)[(٣)]، وبهذا فسره إمام اللغة الخليل بن أحمد (ت:١٧٥)[(٤)].

وقد حكى جمع من العلماء إجماع أئمة السلف على ذلك[(٥)].

وأما ما أورده الرازي (ت: ٦٠٦) من اعتراض على هذه الآية، من أن الآية تدل على التراخي، ولو كان المراد من الاستواء العلو، فكيف يقال: ثم ارتفع، وهو لا يزال عالياً على المخلوقات! فجوابه أن هذا من قبيل ما أخبر الله تعالى أنه ينزل إلى السماء الدنيا، وروي ثم يعرج، وهو سبحانه لم يزل فوق العرش فإن صعوده من جنس نزوله وإذا كان في نزوله لم يصر شيئ من المخلوقات فوقه، فهو سبحانه يصعد وإن لم يكن منها شيء فوقه[(٦)]، فهو نزول وصعود يليق بجلاله.

ثالثاً: مذهب أهل السنة والجماعة في استواء الله على عرشه:

مذهب أهل السنة والجماعة في الاستواء كمذهبهم في سائر صفات الله ﷻ؛ يثبتون لله ﷻ ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه

---

(١) تفسير البغوي ج ١ ص ٥٩.

(٢) ينظر: صحيح البخاري كتاب التوحيد باب (وكان عرشه على الماء) ج ٦ ص ٢٦٩٨.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ج ١ ص ٤٥٧.

(٤) كتاب العين ج ٧ ص ٣٢٥.

(٥) ممن حكاه ابن أبي شيبة في كتابه العرش ص ٥٠، ابن تيمية في أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٧٢، الذهبي في العلو ص ٩٥، ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ج ١ ص ١٤١.

(٦) هذا جواب شيخ الإسلام في الفتاوى ج ٥ ص ٤٠٩، وينظر: قدم العالم وتسلسل الحوادث لكاملة الكواري ص ٨٢.

عنه رسوله ﷺ، ويسكتون عما سكت الله ورسوله ﷺ عنه، فسلموا من التحريف، والتمثيل، والتعطيل، والتكييف، فهم يجمعون بين الإثبات والتنزيه[١]، وعلى هذا المنوال مذهبهم في الاستواء، أن علوه جل وعلا على العرش كما يليق بجلاله من غير تمثيل، وهذا متفق عليه عندهم ينقله المتأخر منهم عن المتقدم، وهذا التفسير للاستواء معروف عنهم، ومشهور منذ زمن متقدم، وقد رواه البخاري (ت: ٢٥٦) عن مجاهد (ت: ١٠٤)، ومنه قول مالك بن أنس (ت: ١٧٩): «الاستواء منه غير مجهول، والكيف منه غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[٢]، قال الذهبي (ت: ٧٤٨): «هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعه شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة، أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها، وأن استواءه معلوم، كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به»[٣].

الرد على شبه محرفي صفة الاستواء:

اضطربت آراء المخالفين لمنهج أهل السنة في بيان المراد من استواء الله على عرشه، فلم يكن لهم منهج ولا حجة صحيحة من كتاب الله أو السنة أو لغة العرب.

فذهبت الجهمية، والمعتزلة[٤]، ومن تأثر بهم من الرافضة، وجمهور الأشاعرة، والماتريدية وكثير من الإباضية[٥]، وغيرهم إلى تحريف معنى الاستواء إلى معاني لم تعرف باللغة مثل:

---

(١) ينظر: العقيدة لأحمد بن حنبل ص ١٠٨، كتاب التوحيد لابن خزيمة ج ١ ص ١٠٧، أقاويل الثقات ص ٨٩، مجلة البحوث الإسلامية ج ٥٣ ص ١٩٣.

(٢) سبق تخريجه ص٥٣.

(٣) العلو ص ١٣٩.

(٤) ينظر: الكشاف ج ٣ ص ٥٤ فالزمخشري يؤصل للمعتزلة وقد فسر الاستواء بالملك.

(٥) مثاله تفسير هود الهواري لقوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ قال: أمره في بريته.

باللغة مثل: استولى، اعتدل، أقبل، قهر، وهذه كلها لا تُعرف من معنى استوى المعدى بإلى عند العرب، بل إن استوى المعدى بإلى ليس فيه إلا معنى واحد، وهو العلو كما سبق.

ثم الاستيلاء فيه معنى المغالبة، والله تعالى لا يغلبه على ملكه أحد.

أما ما استدلوا به من قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف أو دم مهراق[(١)]

فالجواب عنه كما بينه العلماء:

أنه منحول لم يعرفه أهل اللغة المتقدمون، ولم يذكروه في كتبهم[(٢)]، ولذا أنكره غير واحد من أهل العلم، فقال: ابن الجوزي (ت: ٥٩٧): «والبيتان لا يعرف قائلهما، كذا قال ابن فارس اللغوي»[(٣)]، وقال ابن القيم (ت: ٧٥١): «فحملوا لفظ القرآن على الشعر المولد الحادث بعد نزوله، ولم يكن من لغة من نزل القرآن عليه»[(٤)]. فلا يستبعد أنه موضوع، ويعد التحريف في آيات الاستواء من أشهر تحريفات أهل البدع بل هو أشهرها على الاطلاق وقد تتبع ابن القيم ما استدلوا به من أدلة واهية حتى أبطلها من أربعين وجهاً[(٥)]، فإذا كان أشهر تحريفاتهم التي يتمسكون بها بهذا السقوط فغيره أسهل في الرد لشدة سقوطه وانحرافه.

---

(١) ينظر: فتح الباري، ج١٣ ص٤٠٥، عمدة القاري ج٢٥ ص١١١، لسان العرب ج١٤ص٤١٤.

(٢) ينظر في كتب اللغة المتقدمة على سبيل المثال كتاب العين ج٧ ص٣٢٥ وتهذيب اللغة ج٢ ص١٤٤.

(٣) زاد المسير ج ٣ ص ٢١٣.

(٤) الصواعق المرسلة ج ٢ ص ٦٧٥.

(٥) المرجع السابق ج ١ ص ٢٩٢.

[٢٤] **قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [**البقرة: ٣٠**]:

التحريف في معنى ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾:

يثبت محمد رشيد (ت: ١٣٥٤) وشيخه قولاً مخالفاً لما جاء في الكتاب والسنة في خلق الملائكة، وإليك شيئً مما قالاه: «قال الأستاذ: وذهب بعض المفسّرين مذهباً آخر في فهم معنى الملائكة، وهو أن مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من إنماء نبات، وخلقة حيوان، وحفظ إنسان، وغيره، ذلك فيه إيماء إلى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة؛ وهو أن هذا النمو في النبات لم يكن إلا بروح خاص نفخه الله في البذرة، فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة، وكذلك يقال في الحيوان والإنسان، فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في إيجاده، فإنما قوامه بروح إلهي سُمي في لسان الشرع ملكاً، ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف، يسمي هذه المعاني القوى الطبيعية إذا كان لا يعرف من عالم الإمكان إلا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة، والأمر الثابت الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمراً هو مناطها، وبه قوامها ونظامها لا يمكن لعاقل أن ينكره، وإن أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكاً وزعم أنه لا دليل على وجود الملائكة، أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموساً طبيعياً، لأن هذه الأسماء لم ترد في الشرع(١). فالحقيقة واحدة والعاقل من لا تحجبه الأسماء عن المسميات»(٢).

ولا يستبعد محمد عبده أن تكون الملائكة هي ما نُحسُّ فيه من النوازع التي نتردد فيها بين فعل الشيء أو تركه، فيقول: «يشعر كل من فكر في نفسه ووازن بين خواطره عندما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير، ووجه للباطل أو للشر بأن في نفسه تنازعاً كأن الأمر قد

---

(١) على كلامه لا فرق بين من آمن بالملائكة ومن أنكر وجودها.

(٢) تفسير المنار ج ١ ص ٢٦٧، ٢٦٨.

عُرض فيها على مجلس شورى، فهذا يورد وذاك يدفع.. فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا، ونسميه قوة وفكراً وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه، وروح لا تكتنه حقيقتها، لا يبعد أن يسميه الله تعالى ملكاً، أو يسمي أسبابه ملائكة»[١].

ويبرر محمد رضا لقول أستاذه فيقول: «الإمام الغزالي سبق إلى بيان هذا المعنى وعبّر عنه بالسبب، وقال: إنه سمي ملكاً... فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكاً، وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطاناً»[٢].

ورد محمد عبده على المخالفين له فيما ذهب إليه في الملائكة، وسماهم متشددين ومرضى ومخدجين[٣].

وعلى هذا التفسير لحقيقة الملائكة سار أحمد المراغي[٤]، وغيره من تلاميذ المدرسة العقلية[٥].

وهذا شيء يسير مما قالوه في الملائكة، ولهم طامات تزيد على ما ذُكِر، مقتدين بأستاذهم محمد عبده، واطّرد هذا التحريف في الملائكة عندهم على آيات الكتاب ونصوص السنة في الملائكة وأقرب مثال الآية: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] فقد طبق عليها مفهومه في الملائكة، فقال: «خلق بعد ذلك الإنسان وأعطاه قوة يكون بها مستعداً للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها في عمارة الأرض، وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير»[٦].

---

(١) تفسير المنار ج١ ص٢٦٨.

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٢٧٠، ٢٧١.

(٤) ينظر: تفسير أحمد مصطفى المراغي المسمى تفسير المراغي ج ١ ص ٨٧.

(٥) ينظر للمزيد المدرسة العقلية ج ٢ ص ٦٢١، الانحراف الفكري ج ١ ص ٢١١.

(٦) ينظر: تفسير المنار ج ١ ص ٢٦٩.

وأما الأحاديث الشريفة فقد تأولوا تمثل الملائكة للأنبياء عليهم السلاَّم تأويلاً باطلاً، ينسف كثيرا من نصوص الشرع، وحرّف محمد عبده تمثل الملائكة للأنبياء عليهم السلاِّم بقول جريء قال فيه: «أما تمثل الصوت وأشباح لتلك الأرواح في حس من اختصه الله بتلك المنزلة، فقد عهد عند أعداء الأنبياء ما لا يبعد عنه في بعض المصابين بأمراض خاصة على زعمهم، فقد سلّموا أن بعض معقولاتهم يتمثل في خيالهم، ويصل إلى درجة المحسوس، فيصدق المريض في قوله: إنه يرى ويسمع، بل يجالد ويصارع، ولا شيء من ذلك في الحقيقة بواقع، فإن جاز التمثل في الصور المعقولة ولا منشأ لها إلا في النفس، وأن ذلك يكون عند عروض عارض على المخ، فلم لا يجوز تمثل الحقائق المعقولة في النفوس العالية، وأن يكون ذلك لها عندما تنزع عن عالم الحس، وتتصل بحظائر القدس، وتكون تلك الحال من لواحق صحة العقل في أهل تلك الدرجة لاختصاص مزاجهم بما لا يوجد في مزاج غيرهم؟»[(١)].

إلى آخر ما شطحوا به من تأويلات باطلة وخوض في المغيبات.

سبب التحريف:

هذا هو منهج الكثير من المنتسبين للمدرسة العقلية أمام الأمور الغيبية في ديننا الحنيف، فيقومون بصرفها عن حقيقتها الغيبية، التي جاء الشرع بها وأمر بالإيمان بها، إلى ما يوافق عقولهم، والسبب في ذلك قد أفصح عنه محمد رشيد (ت: ١٣٥٤) في أكثر من موضع، ومما قاله: «إن غرض الأستاذ من هذا التأويل الذي عبر عنه بالإيماء وبالإشارة إقناع منكري الملائكة بوجودهم بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم»[(٢)].

وقال: «..أراد بهذا أن يحتج على الماديين ويقنعهم بصحة ما جاء به الوحي من طريق علمهم المسلّم عندهم»[(٣)].

---

(١) رسالة التوحيد لمحمد عبده ص ١١٣.

(٢) تفسير المنار ج ٢ ص ٢٧٠.

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٢٧٤.

إذن هي الانهزامية أمام الماديين، فراموا تقريب الدين لعقول أولئك على حساب عقيدتهم، فخرجوا من العقيدة الصحيحة في الإيمان بالملائكة وغيرها من المغيبات إلى عقيدة باطلة وآراء مزجاة غير مقنعة.

ومن الأسباب تأثر رجال المدرسة العقلية بالمعتزلة في اعتماد العقل في تقرير مذاهبهم الباطلة، ومن هنا سُموا معتزلة اليوم[1].

الرد على التحريف:

ما ذكره أصحاب المدرسة العقلية لا يقوم على أي مستند من الكتاب، أو السنة، بل خاضوا في أمور لا تدرك إلا بالوحي، واكتفوا فيه بما أملته عليهم عقولهم وخيالاتهم، وأدى بهم ذلك إلى اضطراب في العقيدة، بل إن بعض ما ذكروه يخالف القرآن الكريم، فهم يشككون في نصوص الشرع، ويستبعدون أن النور له قوام أو يستطيع التشكل على هيئة البشر - والنور أصل خلقة الملائكة - ويشككون في مكان الملائكة وأين تجلس؟! وغيرها من التشكيك بثوابت الدين[2].

يقول محمد الصادق عرجون في وصف مذهب محمد عبده وتلاميذه: «إن هذا الطريق في تفسير آيات القرآن الكريم بتسليط التأويل على كل ما يتعاصى فهمه على بعض العقول، وإحالة استبعاد ظاهر المعنى إلى ضرب من التمثيل، هو الذي يخشى أن ينفذ منه (المتقرمطون) إلى تحريف الكلم عن مواضعها ابتغاء فتنة الجماهير من عامة المؤمنين.. إن هذا القرآن العظيم أنزله الله تعالى بلسان عربي هدى للناس ورحمة، ولم ينزل بالإشارات والإيحاءات...»[3].

---

(١) ينظر: اتجاهات التفسير في العصر الراهن لعبدالمجيد المحتسب ص٢٦٥، المدرسة العقلية ج٢ ص٦٢٩.

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٧١، ٢٧٣.

(٣) نحو منهج لتفسير القرآن ص ٣٩، ٤٠.

أما الإيمان بالملائكة فقد أجمع علماء المسلمين استناداً إلى نصوص الوحيين على أن الإيمان بالملائكة ركنٌ من أركان الإيمان، لا يتم ولا يقوم إيمان المرء إلا به، والقرآن يكرر على وجوب الإيمان بهم قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، والسنة جاءت بمثل ذلك قال ﷺ: **(الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر، خيره وشره)**[١]، وقد خلق الله تعالى الملائكة من نور، كما قال ﷺ: **(خلقت الملائكة من نور)**[٢]، ومن صفاتهم عدم الأكل، والشرب، والتناسل، ولهم القدرة على التشكل في صورة بشرية وغيرها، ويقوم كل منهم بالمهام الموكلة إليه[٣]، كالتسبيح، والتحميد، وكتابه أعمال العباد، وحمل العرش، وسؤال القبر، والقيام بشؤون السحاب، والمطر، والجبال، والشمس، والقمر، والجنة، والنار، وغيرها من الوظائف الكثيرة التي دل عليها الكتاب والسنة[٤]، وهم مجبولون على طاعة الله، قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ولا يعلم عددهم إلا الله سبحانه، ولهذا فنحن نؤمن بهم إجمالاً وتفصيلاً من عرفنا اسمه ومن لم نعرف، وبما أن الملائكة من الغيبيات فالواجب الإيمان بوجودها على ضوء الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التي تحدثت عنهم، دون

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ج١ ص٣٧ برقم ٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة ج ٤ ص ٢٢٩٤ برقم ٢٩٩٦.

(٣) يقول شارح الطحاوية: «كل حركة في العالم ناشئة عن الملائكة قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾». ينظر: شرح الطحاوية ص ٣٣٥.

(٤) ينظر: للاستزادة العظمة للأصبهاني ج ٢ ص٧٢٥، التبصرة لابن الجوزي ج ٢ ص ١٧٤، الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي ص ١٠، أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب ص ٨٨، وشرحه لابن عثيمين ص ٢٥، العقائد الإسلامية لعبد الحميد باديس ص ٧٨.

إقحام العقل بتأويل ما لا يستطيعه(١)، وهو منهج المؤمنين الذين أثنى الله عليهم في كتابه ووصفهم بالهدى والفلاح، فقال عز من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ٣-٥].

[٢٥] قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨﴾ [البقرة: ٣٠-٣٨]:

التحريف في معنى قصة آدم عليه السلام:

قال محمد رضا (ت: ١٣٥٤) نقلاً عن شيخه: «وأما تفسير الآيات على طريقة الخلف في التمثيل، فيقال فيه: إن القرآن كثيرا ما يصور المعاني بالتعبير عنها بصيغة السؤال والجواب أو بأسلوب الحكاية، لما في ذلك من البيان والتأثير، فهو يدعو بها الأذهان إلى ما وراءها من

(١) الانحراف الفكري المعاصر ج ١ ص ٢١١.

المعاني، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، فليس المراد أن الله يستفهم منها وهي تجاوبه، وإنما هو تمثيل لسعتها، وكونها لا تضيق بالمجرمين مهما كثروا»[(١)].

وأخذ يقرر هذا على قصة آدم عليه السلام وسجود الملائكة له، فيقول: «وتقرير التمثيل في القصة على هذا المذهب هكذا: إن إخبار الله الملائكة بجعل الإنسان خليفة في الأرض، هو عبارة عن تهيئة الأرض، وقوى هذا العالم، وأرواحه التي بها قوامه، ونظامه، لوجود نوع من المخلوقات يتصرف فيها، فيكون به كمال الوجود في هذه الأرض»[(٢)].

هذا ما يفهمه محمد عبده من الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وأما قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيقول: «وسؤال الملائكة عن جعل خليفة يفسد في الأرض لأنه يعمل باختياره، ويعطي استعداداً في العلم والعمل لاحدّ لهما، هو تصوير لها في استعداد الإنسان لذلك، وتمهيد لبيان أنه لا ينافي خلافته في الأرض»[(٣)].

وعن قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، يقول: «وتعليم آدم الأسماء كلها بيان لاستعداد الإنسان لعلم كل شيء في هذه الأرض، وانتفاعه به في استعمارها، وعرض الأسماء على الملائكة وسؤالهم عنها وتنصلهم في الجواب تصوير لكون الذي يصاحب كل روح من الأرواح المدبرة للعوالم محدوداً لا يتعدى وظيفته»[(٤)].

---

(١) تفسير المنار ج ١ ص ٢٨٠.

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٢٨٠.

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٢٨١.

(٤) المرجع السابق.

وتأول سجود الملائكة تأويلاً يصرفه عن حقيقته، فقال: «وسجود الملائكة لآدم عبارة عن تسخير هذه الأرواح والقوى له، ينتفع بها في ترقية الكون بمعرفة سنن الله تعالى في ذلك، وإباء إبليس واستكباره عن السجود تمثيل لعجز الإنسان عن إخضاع روح الشر وإبطال داعية خواطر السوء، التي هي مثار التنازع والتخاصم والتعدي والإفساد في الأرض...»[(١)].

وجعل الجنة في قوله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ والراحة والنعيم والشجرة التي نهى الله تعالى آدم الأكل منها بمعنى الشر والمخالفة[(٢)].

وعلى هذا المنوال يفسر محمد عبده قصة آدم في الجنة، وهو مذهب لم يذهب إليه في هذه القصة فحسب؛ بل هو منهج سار عليه وبعض تلاميذه[(٣)] في معظم قصص القرآن وأخبار القرآن الكريم، وسوف يعرض لنا هذا المنهج في القصص الأخرى في سورة البقرة، وأفصح محمد عبده عن منهجه في قصص القرآن في أكثر من موضع، ومما قاله: «بيّنا غير مرة أن القصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والاعتبار، لا لبيان التاريخ، ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين»[(٤)].

وتلميذه محمد رضا لا يكتفي بإيراد أقوال شيخه، بل يؤيد منهجه في مواطن عدة، فيقول متبنياً هذا المنهج: «ولا يشترط أن تكون القصة في مثل هذا التعبير واقعة، بل يصح

---

(١) تفسير المنار ج١ ص٢٨١.

(٢) المرجع السابق ج١ ص٢٨٢.

(٣) ينظر: اتجاهات التفسير في العصر الراهن ص ١٣١، المدرسة العقلية ج ١ ص ٤٥٧.

(٤) تفسير المنار ج ١ ص ٣٩٩.

مثله في القصص التمثيلية»[١]، ويقول في موطن آخر: «قد جرى على هذا الأسلوب كتاب القصص المخترعة، والأساطير التي يسمونها الروايات في هذا العصر»[٢].

قال الجوهري (ت: ١٣٥٨): «سجود الملائكة لآدم تسخيرهم وانقيادهم للسعي لمنافع آدم وبنيه فيما يكفل معاشهم»[٣].

سبب التحريف:

التقول في كتاب الله تعالى وتقديم العقل فيما لا مجال له فيه، ولقد سار كثير من تلاميذ المدرسة العقلية على هذا المنهج في قصص القرآن الكريم، ومحاولتهم في صرف هذه القصص عن ظاهرها لمخاوف منهم أن تعارض شيئاً من واقع التاريخ، لا يجدون لها تفسيراً في عقولهم، فيقعون في حرج أمام الماديين، فيرجع كل تعديهم النصوص الصريحة من الكتاب والسنة التي تتعاضد في إثبات الواقع التاريخي لبعض القصص لتلك الانهزامية، وذلك إنما يدلل عليه تعليلات في ثنايا كلامهم عن القصص في القرآن[٤].

الرد على التحريف:

والقصص في القرآن يحكي أموراً واقعة، ومضامينها صادقة، وجميع الأسماء التي فيها معبرة عن ذوات دالة على مسمياتها حقيقة، ولم يكن تمثيلاً أو خيالاً، والواجب الوقوف عند نص الآيات الكريمة وعدم تحميلها ما لا تحتمل، أو تحكيم العقل والهوى الشخصي فيها[٥]، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن

---

(١) تفسير المنار ج ٢ ص ٤٥٧.

(٢) المرجع السابق ٣٤٧.

(٣) تفسير الجوهري ج ١ ص ٥٣.

(٤) ينظر: اتجاهات التفسير، الانحراف الفكري في التفسير ج٢ ص ٥٤٤.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى ج٧ ص ١٨٦، الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري لعبد المحسن المطيري ص ٥٤، شبهات المشككين لمجموعة من العلماء ص ١٠، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن لعبد الراضي عبد المحسن ص ٥ وما بعدها.

تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، فقصصه تعد أصدق الوثائق التاريخية على الإطلاق، لا مجال فيها للأسطورة ولا لزخرف القول وباطله، الذي ينفيه الله تعالى عن كتابه، فقال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

واشتمال القرآن على قصص الأولين من وجوه إعجازه، فقد أخبر عن أمم بائدة وشرائع منسوخة وغيرها من المغيبات التي لم يمكن معرفتها من دون الوحي، وكان أهل الكتاب والمشركون يستخبرونه في بعض الوقائع التاريخية والمسائل الغيبية، فيخبرهم الله تعالى، فيذعنون بتصديقه، ويجدون ما يقوله لهم موجوداً عندهم في كتبهم، ولم يُحك عن واحد منهم أنه أنكر شيئاً مما جاء به، أو كذبه، مع شدة عدواتهم له وحرصهم على تكذيبه، وكثيراً ما كان ﷺ يحتج بهذه القصص عليهم(١)، ويخبرهم عن أنبيائهم وأسرار شرائعهم وما في كتبهم، وهم مذعنون لا يقدرون على الإنكار.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٥-٣٨].

التحريف في معاني ألفاظ الآية:

عمد بعض المفسّرين إلى صرف الآيات عن معناها الصحيح الظاهر وتحريفها، تطويعاً لها لمعتقد يرونه، ومنها هذه الآيات التي حرّف بعض المفسّرين معنى بعض الألفاظ فيها، لتطاوع القول بعصمة الأنبياء عن الصغائر، ولست أورد هذه المسألة، لأن القول بذلك

---

(١) ينظر: الانحراف الفكري في التفسير ج٢ ص٥٢٧، القصص في القرآن الكريم لإسلاّم دربالة ص١ وما بعدها، منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر لعدنان آل عرعور ص ١٩٣.

تحريف، فليس هذا هو المقصود، بل المراد هنا هو الإفراط والغلو في صرف الآيات وتحريفها لتطاوع هذا القول الذي هو بحد ذاته من حيث القبول والرد أخف وطئاً من تحريف آية في كتاب الله تعالى، قال شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨) بعد عرض كلام الناس في المسألة: «واعلم أن المنحرفين في مسألة العصمة على طرفي نقيض، كلاهما مخالف لكتاب الله من بعض الوجوه: قوم أفرطوا في دعوى امتناع الذنوب، حتى حرفوا نصوص القرآن المخبرة بما وقع منهم من التوبة من الذنوب، ومغفرة الله لهم، ورفع درجاتهم بذلك، وقوم أفرطوا في أن ذكروا عنهم ما دلّ القرآن على براءتهم منه، وأضافوا إليهم ذنوباً، وعيوباً، نزههم الله عنها[1]، وهؤلاء مخالفون للقرآن، ومن اتبع القرآن على ما هو عليه من غير تحريف كان من الأمة الوسط، مهتدياً إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين»[2].

وأذكر لك أمثلة على النوع الأول الذين ذكرهم شيخ الإسلام (ت:٧٨٢) وهم الذين صرفوا معنى الآيات عن ظاهرها لتدل على العصمة المطلقة للأنبياء من خلال الآيات التي معنا:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

قال الماتريدي (ت:٣٣٣): «احتمل معنى النهي عن التناول منها وجوهاً: أحدها: إيثار الحق عليه، وقد يكون هذا أن ينهى الرجل عن التناول من شيء إيثاراً لآخر عليه»[3]، ويحتمل النهي عن التناول من الشيء لداءٍ يكون فيه لما يخاف الضرر به...ويحتمل أيضاً النهي عن التناول من الشيء على جهة الحرمة، فإذا كان ممكناً هذا

---

(١) مثل اليهود والنصارى، ومن نقل إسرائيلياتهم التي نسبوا فيها الكبائر لأنبياء الله تعالى، ينظر: تنزيه الأنبياء عما نسبه إليهم حثالة الأغبياء للسبتي الأموي ص ٣٢، رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ لعماد الشربيني ص ٧ وما بعدها.

(٢) مجموع الفتاوى ج ١٥ ص ١٥٠.

(٣) تفسير الماتريدي ج ١ ص ١٠٨.

محتملاً حمل آدم وحواء على التناول منها لما اشتبه عليهما، ولم يعرفا معنى النهي بأنه نهيُ حرمة، أو إيثار غيره عليه، أو نهي داءٍ، لأنهما لو كان يعلمان أن ذلك النهي نهي حرمة لكانا لا يأتيان ولا يتناولان»(١).

وقال في معنى ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

«أي الضَّارِّين» وقال احتمال أن آدم وحواء نسيا النهي ونسيا المعصية: «ونسي قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أو ذَكَرا وعَرَفا أن الظلم قد يقع على الضرر كقوله: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ [الكهف: ٣٣]، ولم تنقص منه، والنقصان في النفس ضرر»(٢)، فهو يفسر الظلم بالنقص.

ثم حمل الآية على أوجه أخرى لا تحتملها مثل الأمر بالمعروف، أي أن المنع كالأمر بالمعروف، أو أن آدم أكل ناسياً للحرمة وغيرها من التأويلات الباطلة(٣).

وقال محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤) في معنى الآية: «قال الأستاذ الإمام...ويصح أن يراد بالشجرة معنى الشر والمخالفة، كما عبّر الله تعالى في مقام التمثيل عن الكلمة الطيبة بالشجرة وفُسّرت بكلمة التوحيد...»(٤).

وقال في موضع آخر: «وقد يكون الذي وقع من آدم نسياناً، فسُمّي تفخيماً لأمره عصياناً، والنسيان والسهو مما لا ينافي العصمة، فإن جعلنا الكلام كله تمثيلاً فحديث الإخلال بالعصمة مما لا يمرّ بذهن العاقل»(٥).

وأما الطباطبائي (ت:١٤٠٤) وهو من الرافضة الذين يدّعون العصمة المطلقة للأنبياء من ولادتهم حتى موتهم، وللأئمة حتى عن السهو والنسيان، فقد قال في معنى الآية:

---

(١) تفسير الماتريدي.

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١١٤.

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١١٤، ١١٥.

(٤) تفسير المنار ج ١ ص ٢٨٢.

(٥) المرجع السابق، ج١ ص ٢٨٠.

«فالظلم منهما، إنما هو ظلمهما لأنفسهما، لا بمعنى المعصية المصطلحة والظلم على الله سبحانه، ومن هنا يظهر أيضاً أن هذا النهي أعني قوله: ولا تقربا؛ إنما كان نهياً تنزيهياً إرشادياً، يرشد به إلى ما فيه خير المكلف وصلاحه في مقام النصح لا نهياً مولوياً»(١) ولما رأى أن التأويل لا يسعفه في كثير من العبارات جعل قصة آدم عليه السلام وإسكانه الجنة وإنزاله منها من قبيل التمثيل(٢)، كما زعمه محمد رشيد وشيخه.

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨) وهو يدلي بدلوه في عصمة الأنبياء برأي المعتزلة فيها، وهم يوجبون لمن اجتنب الكبائر أن يغفر له الصغائر، فخطيئة آدم عليه السلام صغيرة واجبة التكفير والمحو، غير مؤاخذ عليها، وقد قال في معناها: «الخطيئة التي أُهبط بها آدم عليه السلام: ما كانت إلا صغيرة مغمورة بأعمال قلبه من الإخلاص والأفكار الصالحة، التي هي أجل الأعمال، وأعظم الطاعات»(٣).

الرد على التحريف:

لا يصل الاختلاف في عصمة الأنبياء عن الصغائر إلى حد التحريف بحد ذاته، وإنما الغلو في هذا القول وليّ أعناق النصوص لتوافقه هو ما عنيته بالتحريف والرد عليه. والقول الحق في عصمة الأنبياء: إنهم معصومون عن الكبائر دون الصغائر(٤)، وهو قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة، والصحابة والتابعين وتابعيهم، إلا ما يوافق هذا القول(٥).

(١) تفسير الميزان ج ١ ص ١٣٠.

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٣٢.

(٣) الكشاف ج ١ ص ١٣٣.

(٤) ينظر: كتاب الشفا للقاضي عياض ج ٢ ص ٩٧ وما بعدها، المحصول للرازي ج ٣ ص ٣٣٩، النبوات لابن تيمية ص ٦، الروض الباسم لابن الوزير ج ١ ص ٣٩.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى ج ١٥ ص ١٥٠، الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي ج ٢ ص ٢٦٣.

وعامة ما ينقل عنهم أنهم معصومون عن إلاقرار على الصغائر ولا يقولون إنها لا تقع بحال[١]، وهذا ما ينطق به صريح الكتاب والسنة في الذنوب الصغيرة التي يعجل الله تعالى لهم التوبة منها.

وأول من نقل عنهم من طوائف الأمة، القول بعصمة الأنبياء مطلقاً، وأعظمهم قولاً لذلك الرافضة[٢]، فإنهم يعصمونهم من السهو والنسيان أيضاً، ثم نقل عن بعض المعتزلة، ووافقهم عليه طائفة من المتأخرين، مثل الماتردية وبعض الأشاعرة وغيرهم[٣].

وأما التأويلات المتعسفة السابقة لدى المفسّرين، فقد رد أمثالها شيخ الإسلام (ت:٧٢٨) ووسمها بالتحريف، فقال: «وذنب أبي الإنس كان ذنباً صغيراً ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ وهو إنما فعل المنهي عنه، وهو الأكل من الشجرة، وإن كان كثير من الناس المتكلمين في العلم يزعم أن هذا ليس بذنب، وأن آدم تأوّل، حيث نهي عن الجنس بقوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ فظن أنه الشخص فأخطأ؛ أو نسي، والمخطئ والناسي ليسا مذنبين، وهذا القول يقوله طوائف من أهل البدع، والكلام، والشيعة، وكثير من المعتزلة، وبعض الأشعرية، وغيرهم ممن يوجب عصمة الأنبياء من الصغائر، وهؤلاء فرّوا من شيء، ووقعوا فيما هو أعظم منه في تحريف كلام الله عن مواضعه، وأما السلف قاطبة من القرون الثلاثة الذين هم خير قرون الأمة؛ وأهل الحديث، والتفسير؛ وأهل كتب قصص الأنبياء والمُبْتَدأَ وجمهور الفقهاء والصوفية؛ وكثير من أهل الكلام كجمهور الأشعرية وغيرهم وعموم المؤمنين؛ فعلى ما دل عليه الكتاب، والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] وقوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، بعد أن قال لهما: ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا

---

(١) ينظر: المواقف ج ٣ ص ٢١٥، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد الصالحي ج ١١ ص ٤٦٤، المسائل الاعتزالية ج ١ ص ٢٢١.

(٢) ينظر: منهاج السنة ج ٢ ص ٣٩٣، أصول مذهب الشيعة الإمامية ج ١ ص ٤٥.

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق ص ٢٠٠.

عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ مع أنه عوقب بإخراجه من الجنة»[١].

ثم قال متعقباً لمن تأولها باطلاً: «وهذه نصوص لا تُرد إلا بنوع من تحريف الكلام عن مواضعه؛ والمخطئ والناسي إذا كانا مكلفين في تلك الشريعة فلا فرق، وإن لم يكونا مكلفين امتنعت العقوبة، ووصف العصيان والإخبار بظلم النفس، وطلب المغفرة والرحمة، وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾»[٢].

هذا رد شيخ الإسلام على تلك التأويلات الباطلة سقته بطوله لقوة حجته في الرد عليهم.

أما ادعاء محمد رضا، والطباطبائي أن القصة من قبيل التمثيل فقد سبق الرد عليه عند قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، والحق أن الذين تعسفوا تلك الأقوال ليس لهم حجة من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ولا لغة العرب، واحتجوا بآراء ضعيفة وباطلة.

ومثاله تفسير الماتريدي الظلم بالنقص[٣].

وادّعاؤهم أن النهي للتنزيه يرد عليه ما ترتب على الأكل من عقوبة.

والقول الحق: أن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر، وأنهم معصومون عن الإقرار على الصغائر، وذلك لا يُنقص من مكانة الأنبياء العلية، بل هو ابتلاء لرفع درجاتهم بالتوبة وتبليغاً لهم إلى محبته وفرحه لهم، فإن الله يُحب التوابين، ويفرح بتوبة التائب أشدَّ فَرَحٍ، فالمقصود كمال الغاية لا نقص البداية[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى ج ٢٠ ص ٨٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) تفسير الماتريدي ج١ ص ١٠٩.

(٤) ينظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ج ٢٠ ص ٨٩.

وأختم مسألة عصمة الأنبياء بكلام نفيس للشنقيطي (ت: ١٣٩٣) بعد أن ذكر الأقوال فيها: «الذي يظهر لنا أن الصواب في هذه المسألة، أن الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم - لم يقع منهم ما يُزري بمراتبهم العلية، ومناصبهم السامية... ولو فرضنا أنه وقع منهم بعض الذنوب إلا أنهم يتداركون ما وقع منهم بالتوبة والإخلاص، وصدق الإنابة إلى الله، حتى ينالوا بذلك أعلى الدرجات، فتكون بذلك درجاتهم أعلى من درجة من لم يرتكب شيئاً من ذلك، ومما يوضح هذا قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١-١٢٢]، فانظر أي أثر يبقى للعصيان والغي بعد توبة الله عليه، واجتبائه أي اصطفائه إياه، وهدايته له، ولا شك أن بعض الزلات ينال صاحبها منها، درجة أعلى من درجته قبل ارتكاب الزلة(١).

[٢٧] قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]:

التحريف في معنى ﴿كَلِمَٰتٖ﴾:

قال الطباطبائي (ت: ١٤٠٤): ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾: سأله بحق محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين»(٢).

سبب التحريف:

يظهر الأثر العقدي المنحرف الذي يفسر به الطباطبائي الآية، ولما كان المفسّر من الرافضة فإن غلوه في الأئمة وآل البيت يتضح كسبب جليّ لتحريف بعض الآيات، وإن كان الطباطبائي لم يحمله التعصب للطعن في الصحابة رضي الله عنهم فيما قرأته من تفسيره، إلا أنه لا يُعذر في ذكر هذه الروايات التي تُحرّف معنى الآية بسبب التعصب.

---

(١) أضواء البيان ج٤ ص ١١٩.

(٢) تفسير الميزان ج١ ص ١٤٨،.

الرد على التحريف:

ما ذكره المفسّر لا يدل عليه دليل بل هو تحريف وليس تفسير، والآية في حق آدم عليه السلام قبل أن يخلق أحد من بنيه، والدعاء الذي ذكره من توسل بحق الآخرين؛ هو من الأدعية الباطلة التي ينزه أن يقولها الأنبياء، وإنما الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه كما فسرها أهل العلم بالتفسير قوله في الأعراف ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. وهو قول جمع من المفسّرين(١)، وما ذكر من أقوال أخرى فهي مقاربة له من أدعية طلب أبينا آدم عليه السلام المغفرة من ربه.

[٢٨] قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]:

التحريف في معنى ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾:

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨): «فإن قلت: لم جيء بكلمة الشك وإتيان الهدى لا محالة لوجوبه؟ قلت: للإيذان بأن الإيمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وإنزال الكتب، وأنه إن لم يبعث رسولاً ولم ينزل كتاباً، كان الإيمان به وتوحيده واجباً، لما ركّب فيهم من العقول ونصب لهم من الأدلة، ومكنهم من النظر والاستدلال»(٢).

(١) ينظر: تفسير مقاتل ج ١ ص ٤٣، تفسير الطبري ج ١ ص ٥٤١، تفسير ابن أبي حاتم ج ١ ص ٩٢، تفسير السمرقندي ج ١ ص ٧٣، تفسير الواحدي ج ١ ص ١٠١، تفسير السمعاني ج ص٧٠، تفسير البغوي ج ١ ص ٦٥، الكشاف ج ١ ص ١٥٧، زاد المسير ج ١ ص ٧٠، التبصرة لابن الجوزي ج ١ ص ١٧، تفسير العز بن عبد السلاّم ج ١ ص ١٢٠، تفسير النسفي ج ١ ص ٣٩، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ص ١٣٣٥، تلخيص كتاب الاستغاثة لابن كثير ج ١ ص ٦٨، وتفسيره ج ١ ص ٢٣٨، الدر المنثور ج ١ ص ١٥٢، تفسير أبي السعود ج١ ص ٩٢، تفسير السعدي ص ٥٠.

(٢) الكشاف ج ١ ص ١٥٨.

سبب التحريف:

ليّ نص الآية وصرفها عن ظاهرها إلى معنى باطل سببه اعتزاليات الزمخشري التي يدسها في تفسيره، وقد ذكر في كلامه السابق ثلاثة أصول اعتزالية باطلة، وهي[1]:

١ – أن الهدى واجب على الله تعالى.

٢ – إثبات الوجوب وأحكام التكليف الأخرى بالعقل قبل ورود الشرع.

٣ – معرفة الله تعالى عندهم لا تنال إلا بالعقل.

الرد على التحريف:

سيكون الرد على التحريف من خلال تناول هذه المحاور بالترتيب.

أولاً: قولهم: الهدى واجب على الله:

قول المعتزلة هذا مبني على قاعدتهم في الصلاح والأصلح، ومعناها عندهم: إنه يجب على الله أن يفعل الأصلح من الأمور لعباده، فإنه لو فعل ما يضرهم لكان ظلماً لهم، والظلم منتف عنه، والتفوه بهذا القول يدل على أن هؤلاء المعتزلة لم يقدروا الله حق قدره[2]، فإن الله تعالى لا أحد يوجب عليه فعل شيء أو تركه، فإنه سبحانه ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، ﴿لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وهو ﷻ ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وهو تعالى عما يقولون لا يفعل شيئاً إلا لحكمة مقصودة، إذ أنه منزه عن العبث، فأحكامه سبحانه تراعي مصالح البشر بشكل عام وليست مقصورة على المصلحة الدنيوية بل تشمل خيري الدنيا والآخرة.

وما صلح في عقول البشر القاصرة لا يمكن إيجابه على علاّم الغيوب.

وقد تكرر الرد على هذا الأصل الفاسد عند المعتزلة، عند قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة:٧].

---

(١) ينظر: رسائل ابن حزم ج ٣ ص ٣٥، بيان تلبيس الجهمية ج ص ٢٤٥، حقيقة الإيمان لعبد الله القنائي ص ٥١، المسائل الاعتزالية ج ١ ص ٢١٦.

(٢) ينظر: درء التعارض ج٣ ص ٨١، ج٥ ص ١٢٤، أحكام أهل الذمة لابن القيم ص ١٧٩.

ثانياً: إثباتهم الوجوب وغيره من أحكام التكليف بالعقل قبل ورود الشرع:

ترى المعتزلة أن العقل يمكنه الاستقلال بمعرفة الحسن والقبح في الأشياء كلها[١]، فالزمخشري (ت: ٥٣٨) يبني قوله على أساس قاعدتهم في التحسين والتقبيح.

وقد تعقبه ابن المنير (ت:٦٨٣) برأي جمهور الأشاعرة[٢] إذ هم على نقيض المعتزلة، فنفوا التحسين والتقبيح العقليين، وكلا الطائفتين على طرفي نقيض، وقد أخطأوا بغلوهم في المسألة، فهدى الله تعالى أهل السنة والجماعة للحق فهم وسط بين هذين القولين؛ فهم يفرِّقون بين أمرين[٣] في هذا المقام:

١-أن الأفعال والأشياء مشتملة على صفات يمكن للعقل معرفتها وتقييمها.

٢-ترتيب الثواب والعقاب والأحكام على تلك الصفات.

فالأفعال والأشياء لها صفات ذاتية يمكن للعقل إدراكها، كالعدل الذي فيه مصلحة العالم، والظلم الذي فيه فساده، ولكنهم لا يرتبون عليه ثواباً ولا عقاباً، وورود الشرع بتحسين العدل وتقبيح الظلم ليس إثبات صفة لهما لم تكن من قبل، وإنما أثبت حكماً شرعياً لا يمكن للعقل إثباته، وإن عرف الحسن والقبيح، فإنها وظيفة الشرع وحده[٤]، قال ابن قدامة (ت: ٦٢٠): «اعلم أن الأحكام السمعية لا تدرك بالعقل، لكن دل العقل على براءة الذمة من الواجبات، وسقوط الحرج عن الحركات والسكنات قبل بعثة الرسل، فالنظر في الأحكام إما في إثباتها وإما في نفيها، فأما الإثبات فالعقل قاصر عنه، وأما النفي فالعقل قد دل عليها إلى أن يرد دليل السمع الناقل عنه، فينتهض دليلاً على أحد الشطرين..»[٥].

---

(١) ينظر: الفرق بين الفرق ص٨٤، غاية الوصول في شرح لب الأصول لزكريا الأنصاري ص٨٣.

(٢) ينظر: الإنصاف ج١ ص١٣٣، موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود ج١ ص٣٧٨.

(٣) ينظر: درء التعارض ج ٣ ص ٨١، المسائل الاعتزالية ج ١ ص ٢١٦.

(٤) ينظر: المسائل الاعتزالية ج١ ص٢١٧.

(٥) روضة الناظر ص ١٥٥.

والحسن والقبح قد يكونان صفة لأفعالنا، وقد يدرك بعض ذلك بالعقل، وأحكام الشارع فيها يحكم به تارة تكون كاشفة للتصرفات الفعلية ومؤكدة لها، وتارة تكون مبينة للفعل صفات لم تكن له قبل ذلك، والفعل تارة يكون حُسْنُهُ من جهة نفسه وتارة من جهة الأمر به، وتارة من الجهتين جميعاً[(١)].

ثالثاً: زعمهم أن معرفة الله لا تنال إلا بالعقل:

هذا القول والقولان السابقان عند المعتزلة بينهما ترابط، إذ يجمعهما غلو المعتزلة في العقل وإعطائه الاستقلالية فيما لا يطيقه، وهذا القول عندهم وهو استقلال العقل بمعرفة الله قول محدث في الإسلام، ابتدعه المتكلمون من المعتزلة ونحوهم، الذين اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمهم، وقد نازعهم في ذلك طوائف أخرى[(٢)]. وإن كانت على خلاف منهج أهل السنة والجماعة لكنهم وافقوهم في خطورة زعم المعتزلة في تحكيم العقل في أحكام الشرع ومعرفة الخالق، فالعقل عندهم بمثابة الرسل، وعليه فإنهم يقللون من شأن الرسل والرسالات التي أخرج الله تعالى بها الناس من الظلمات إلى النور، وأين عقولهم قبل البعثة، وقد كانوا يعيشون في ظلمات الجهل. والعقل وإن كان يمكن الاستدلال به على وجود الخالق ووحدانيته وعظمته، إلا أنه يعجز عن إدراك تفاصيل أسماء الله وصفاته، وما ينبغي له وما يُنفى عنه، وقد تاهت بهؤلاء عقولهم فلم يقدروا الله حق قدره.

والله تعالى يعلم حاجة العقل في الهداية والإرشاد إلى توحيد الله وعبادته، فأرسل رحمة بالبشر رسلاً تدلهم الطريق، ومن تبلغه رسالة الرسل فقد أعذره الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥].

والفطرة التي فُطر الإنسان عليها قد يعرض لها ما يفسدها، فيحتاج حينئذ لمن يبصره، وهناك أيضا من الأمور الغيبية التي أخبرت بها الرسل مثل أسماء الله وصفاته، والملائكة، والجنة والنار، وأحوال الآخرة وغيرها مما لا يدركه العقل.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ج ٨ ص ٤٣٥، المسائل الاعتزالية ج ١ ص ٢١٥، ٢١٦.

(٢) ينظر: الإحكام في أصول القرآن لابن حزم ص٣٣، المسودة لابن تيمية ج١ ص٤٠٥.

[٢٩] قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ **[البقرة: ٤١]:**

التحريف في معنى ﴿ٱلتَّقۡوَىٰ﴾:

قال السُّلمي (ت: ٤١٢): «التقوى على أربعة أوجه: للعامة تقوى الشرك، وللخاص تقوى المعاصي، وللعارفين تقوى التوسل، ولأهل الصفوة تقواهم منه إليه، والتقوى النظر إلى الكون بعين النقص»[(١)].

سبب التحريف:

هذا التقسيم للناس في تقواهم لله ﷻ هو من طرق الصوفية في تقسيم أحوال الناس مع الله تعالى، فيدّعون أنهم أهل العرفان والحقيقة ومعرفة الأسرار، وهناك من لم يصل إلى هذه الدرجة من العامة الذين يتقون المعاصي والشرك، أما العارفون فيزعمون أنهم تجاوزوا مرحلة الخوف من المعاصي والشرك فتقواهم توسل فقط.

الرد على التحريف:

وجّه الله تعالى في كتابه نداءً عاماً لجميع البشر بتقوى الله، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحج: ١]، والناس اسم جنس يشمل جميع البشر، وقد أمرهم بهذا النداء بالتقوى على حد سواء، وهذه وصيته للأولين والآخرين: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا﴾ [النساء: ١٣١]، والتقوى: هي اتخاذ الوقاية من عذاب الله ﷻ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه[(٢)]، وهذا

---

(١) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٥٨.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ج٣ ص٤١٦، بدائع الفوائد ج٣ ص٧٧٩، فتح الباري لابن رجب ج١ ص٧، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ج٤ ص٤٢٩، الشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين ج٤ ص١٥٨، وشرح العقيدة السفارينية له ص٤١، مجموع فتاوى ومقالات ابن باز ج٣ ص٣١٩.

أجمع ما قيل في تعريف التقوى، ويدخل في التعريف الخوف من الشرك والمعاصي صغيرها وكبيرها، فلا يستثنى منه نبي ولا ولي، وتقسيم الصوفية الأولياء بتقوى أرقى من تقوى العامة بدعة، غلا فيها المتصوفة في الولي حتى جعلوه قسيم النبي أو أعلى منه درجة، وزعموا أنه لا يُخشى عليه الذنوب، فقد وصل للعرفان والتحقيق، فيُسقط بعضهم عنه التكليف لأنه أن تحقق هدفه وهو القرب من الله بزعمهم(١)، وقد قال تعالى في حق رسوله وخليله ﷺ وأصحابه: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦]، قال ابن عباس (ت: ٦٨) في تفسيرها: (شهادة أن لا إله إلا الله، فهي رأس كل تقوى)(٢)، قال القرطبي (ت: ٦٧١): «وكلمة التقوى هو التي يتقي بها من الشرك»(٣)، وكل مؤمن مأمور بها، فيرجو الله الثبات عليها ويخشى الفتنة، فهو بين الرجاء والخوف، حتى يلقى الله تعالى ولا يأمن الفتنة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، فقرن التقوى بالثبات على الدين، قال ابن كثير (ت: ٧٧٤): «حافظوا على الإسلام في حال صحتكم لتموتوا عليه»(٤).

ولا يخرج من هذا النداء أحد، بل كل مأمور به، وقدوتنا خليل الله وصفيه من خلقه، الذي كان أكثر دعائه: (**اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**)(٥)، يدعو بذلك وهو

---

(١) ينظر: الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف لمحمد الصنعاني، تحقيق عبد الرزاق بدر ص ٣٥، طلائع الصوفية لجاد الكريم ص ٣١.

(٢) ذكره ابن جرير في تفسيره ج ٢٣ ص ٢٥٤.

(٣) تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٢٨٩.

(٤) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٨٧.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، باب الدعاء ج١٠ ص٤٤٢ برقم ١٩٦٤٧، أحمد في المسند ج ٣ ص١١٢ برقم ١٢١٢٨، والبخاري في الأدب المفرد باب دعوات النبي ﷺ ص ٢٣٧ برقم ٦٨٣، والحاكم في المستدرك ج١ ص٧٠٦ برقم ١٩٢٦، والنووي في الأذكار، فصل في أذكار السعي ج١ ص١٩٧ برقم ٥٥٦، وذكره الألباني في صحيح الأدب المفرد ج١ ص ٢٥١.

أتقى الخلق لله[١]، ومن هو الذي لا يخشى الفتنة في الدين؟ وقد كان هذا أكثر ما يدعو به ﷺ، وكان ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه[٢]، فأين أولياء الصوفية الغلاة من هديه ﷺ، وقد أسقطوا عن أنفسهم التكليف، وزعموا أنهم لا يخشون الشرك والذنوب! قال ﷺ: (**ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه**)[٣]، فقوله: (**ما من قلب**) عام يدخل فيه كل أحد، فكل على وجل من هذا الحديث، تزيد تقواه أو تنقص، والله المستعان.

[٣٠] قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦]:

التحريف في معنى ﴿يَظُنُّون﴾:

قال السُّلمي (ت: ٤١٤): «قيل: من وحّد الله بأفعاله وطاعته كان توحيده على الظن، ألا تراه يقول: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ﴾، وقال بعضهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ أي: لو حققوا التوحيد كانت صلواتهم وخشوعهم عليهم ريناً[٤]، فلما ركنوا على أفعالهم كان توحيدهم ظناً وطاعتهم عليهم شيناً، قال الله عز من قائل: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]»[٥].

---

(١) جاء في صحيح البخاري قوله ﷺ: (**قد علمتم أني أتقاكم لله..**). الحديث كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب نهي النبي ﷺ على التحريم إلا ما تعرف إباحته ج٦ ص٢٦٨١ برقم ٦٩٣٣.

(٢) ينظر: صحيح البخاري كتاب الكسوف، باب قيام النبي ﷺ حتى تتفطر قدماه، جميع أحاديث الباب ص ١ ج ٣٨٠.

(٣) أخرجه عبد حميد في مسنده ج ١ ص ٤٤٣ برقم ١٥٣٤، وابن ماجه في سننه، باب في ما أنكرت الجهمية ج١ ص٧٢ برقم ١٩٩، النسائي في السنن الكبرى ج٤ ص ٤١٤ برقم ٧٧٣٩، ابن حبان في صحيحه ج٣ ص٢٢٣ برقم ٩٤٣، الطبراني في المعجم الكبير ج٢٣ ص٣٣٨ برقم ٧٨٥.

(٤) الرين: هو الطبع والدنس، والرين: الصدأ الذي يعلو السيف والمرآة، وران الذنب على القلب: غلب عليه وغطاه، ينظر: لسان العرب ج ١٣ ص ١٩٢.

(٥) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٥٩.

سبب التحريف:

يفسر السُّلمي الآية بغير هدى، وقد حَرّف معناها إلى معنى باطل غير مراد، وهو ينهج طرق الصوفية في التقليل من شأن العبادة بفعل الطاعات واجتناب المنهيات، ويجعل من يركن إليها توحيده ظني، فجعل الآية التي تمتدح أهل الصبر والصلاة جعلها ذماً لهم بأن توحيدهم ظني بسبب ركونهم إلى العمل.

رد التحريف:

الظن في الآية على خلاف ما يفسره السُّلمي، فإن الظن في الآية يفيد اليقين، وقد فسره بذلك جمع من المفسّرين، واستدلوا بشواهد من كلام العرب أكثر من أن تحصى[(١)]، منها قول دُرَيْد بن الصُّمّة[(٢)](ت: ٨):

فقلت لهم ظُنُّوا بألفي مُدَجَّجٍ   سُرَاتُهُمُ في الفَارِسِيّ المُسَرَّدِ[(٣)]

---

(١) ينظر: تفسير الثوري ص٤٥، تفسير الطبري ج١ ص٣٠٠، تفسير ابن أبي حاتم ج١ ص ١٠٣، زاد المسير ج ١ ص ٧٥، تفسير العز بن عبد السلاّم ج ١ ص ١٢٢، تفسير القرطبي ج ١٢ ص ١٠٣، تفسير النسفي ج ٢ ص ١٣٦، لباب التأويل ج ١ ص ٥٥، دقائق التفسير ج ٢ ص ٣٠٠، تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٢٧، التحبير شرح التحرير ج ١ ص ٢٣٠، الدر المنثور ج ١ ص ١٥٩، تفسير السعدي ص٥١، أضواء البيان ج١ ص٣٥، أيسر التفاسير ج١ ص٢٥، التفسير الميسر ج١ ص٦٠.

(٢) دريد بن الصمة من سادات (جشم)، ويُكنى (أبا قرة) وهو فارس غطفان، ودريد من فحول الشعراء، ويعد من أشهر الفرسان، أدرك الإسلام ولم يسلم، وخرج مع قومه هوزان لقتال المسلمين يوم حنين، وكان شيخاً كبيراً لا فضل فيه للحرب وإنما أخرجوه لرأيه ومشورته، فقتله المسلمون، ينظر: المعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني ص٨، الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٦٠، تاريخ الطبري ج٢ ص ١٦٦، العقد الفريد لأحمد بن عبد ربه ج١ ص ١٢١، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء لأبي القاسم الآمدي ص ٥٠، المصون في الأدب للعسكري ص ٢٨، معجم الشعراء للمرزباني ص ٩٧.

(٣) ينظر: الأصمعيات ص٢٣، شرح الحماسة للتبريزي ج٢ ص١٥٦، غريب الحديث للخطابي ج٣ ص٢٦، لسان العرب ج١٣ ص ٢٧٢، والسراة جمع سري: وهم خيار القوم من فرسانهم، والفارسي المسرد: يعني الدروع الفارسية.

يعني بذلك: تيقنوا ألفي مدجج تأتيكم[(١)].

والآية على غرار قوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣]، قال ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠): «إن قال لنا قائل: كيف أخبر الله جل ثناؤه عمن قد وصفه بالخشوع له بالطاعة، أنه يظن أنه ملاقيه، والظن: شك، والشاك في لقاء الله كافر؟ قلنا له: إن العرب قد تسمي اليقين: ظناً... والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن الظن في معنى اليقين أكثر من أن تحصى»[(٢)].

فالله تعالى يمتدح عباده الذين استعانوا بالصبر وخشعوا بالصلاة بأنهم يوقنون بلقاء الله، ولا معنى لما ذكره السُّلمي في أن هؤلاء شاكون في توحيدهم، وزعمه أن توحيد أهل العمل وعبادة الله على الظن الذي هو الشك طريقة صوفية غالية، فإذا لم يترجم التوحيد والإيمان إلى عمل فكيف يريد هؤلاء من الموحد أن يعبد ربه ويترجم إيمانه، الحق أن هذا تملص من التكليف، ولا إيمان بلا عمل، والله تعالى يقول في الحديث القدسي: (**ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه..**) الحديث[(٣)].

ولا يعقل أن الموصوفين بالحديث وقد اجتهدوا في التقرب إلى الله تعالى شاكين في توحيدهم، بل عملهم أحب شيء لله تعالى كما دل الحديث، والله أعلم.

[٣١] قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦].

التحريف في معنى ﴿رَٰجِعُون﴾:

قال الرازي (ت: ٦٠٦): «المراد من الرجوع إلى الله تعالى الرجوع إلى حيث لا يكون لهم مالك سواه، وأن لا يملك لهم أحد نفعاً ولا ضراً غيره، كما كانوا كذلك في أول الخلق، فجعل مصيرهم إلى مثل ما كانوا عليه أولاً رجوعاً إلى الله من حيث كانوا في سائر أيام حياتهم، قد

(١) ينظر: تفسير الطبري ج١ ص ١٨.

(٢) تفسير الطبري ج ١ ص ٣٠٠، بتصرف يسير.

(٣) سبق تخريجه ج١ ص ٣٢٤.

يملك غيره الحكم عليهم، ويملك أن يضرهم وينفعهم، وإن كان الله تعالى مالكاً لهم في جميع أحوالهم، وقد احتج بهذه الآية فريقان من المبطلين، الأول: المجسمة، فإنهم قالوا: الرجوع إلى غير الجسم محال، فلما ثبت الرجوع إلى الله وجب كون الله جسماً»[1].

سبب التحريف:

أراد الرازي بهذا التأويل الباطل نفي الجهة والجسمية والمكان عن الله تعالى، وهذه الألفاظ من ابتداعات المتكلمين التي عطّلوا بها كثيراً من النصوص والأسماء المتعلقة بذات الله تعالى، تنزيها له عن ألفاظ ابتدعوها هم ما أنزل الله بها من سلطان.

الرد على التحريف:

هذه الآية وكثير من الآيات والأحاديث تدل أن الله تعالى في جهة العلو، والخلق جميعاً راجعون إليه، هذا ما تصرح بها النصوص من غير تحريف وصرف للنصوص عن ظاهرها، أما الجسمية[2] فإن أرادوا به جسماً له أعضاء كهيئة البشر فهذا لم يقل به أهل السنة ولا يصفون الله به، وإن أرادوا أن له سبحانه ذاتاً موصوفة بصفات؛ كالسمع، والبصر، واليد، والوجه، ونحو ذلك؛ فهذا لا ينفى عن الله بل يثبت كا ورد في النصوص، لكن لا يطلق الجسم لأنه لم يرد في النصوص، ولا نشبهه بالمخلوقين بل نثبت له ذات مقدسة كما أثبتها لنفسه، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، فإنه ليس عدماً جل جلاله.

وأما إطلاق هذه الألفاظ المبتدعة مثل الجسمية، والتحيز التي لم ترد بالشرع، فإنها تعرض عليه ليعرف الحق من الباطل، فما كان حقاً فإن ما عبر به الشارع موافق له فيه غنية، وما كان باطلاً يُرد، ومرت بنا مثل هذه الآية وتم الرد عليها بالتفصيل عند قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

(١) تفسير الرازي ج ٣ ص ٤٩.

(٢) ينظر: بيان تلبيس الجهمية ج ١ ص ٢٢.

[٣٢] قولـه تعـالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨]:

التحريف في معنى ﴿شَفَٰعَةٞ﴾:

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨): «فإن قلت: هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة؟ قلت: نعم لأنه نفى أن يقضي نفس عن نفس حقاً أخلت به من فعل أو ترك، ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنها لا تقبل للعصاة...» (١).

سبب التحريف:

أنكرت المعتزلة الشفاعة لأهل الكبائر من الأمة في أن يعفو الله عنهم وأن يخرجهم من النار، وتبعهم على ذلك طوائف أخرى مثل الخوارج(٢)، والرافضة، والمعنزلة تجعل مرتكب الكبيرة بمنزلة بين منزلتي الإيمان والكفر، وأما الرافضة والخوارج فإنهم يُكفرون مرتكب الكبيرة، ولذلك حرموهم من الشفاعة(٣).

الرد على التحريف:

اختلف الناس في الشفاعة إلى أقوال متعددة يمكن إجمالها فيما يلي:

١- **شفاعة مجمع عليها**، وهي شفاعة النبي ﷺ العظمى لأهل الموقف أن يحاسبوا؛ وقد مكثوا زمناً طويلاً في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وهم في شدة كرب ينتظرون الحساب، فيشفع لهم النبي ﷺ بعد اعتذار الأنبياء عليهم السلاَّم، كما جاء في الحديث الطويل حديث الشفاعة(٤)، وقد جاءت فيها عدة أحاديث أُخر.

---

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ١٦٥.

(٢) في تفسير هود الهواري الذي اختصر فيه تفسير ابن سلاَّم تجد هوداً غيّر تفسير الآيات التي لا توافق معتقده، ومنها تفسير آية الشفاعة، فقال: إنها للمؤمنين فقط. وهذا الوصف عند الإباضية لا يدخل فيه أهل الكبائر في الآخرة، لذلك لم ينقل أحاديث الشفاعة وهي موجودة في تفسير ابن سلاَّم لا شك، لأن ابن أبي زمنين أوردها، وهو قد اختصر تفسير ابن سلاَّم أيضاً، والله أعلم.

(٣) ينظر: مقالات الإسلامين ص٢٧٠، اجتماع الجيوش الإسلامية ص٨٥، كشف الخفاء ج٢ ص١٤.

(٤) سيأتي تخريجه قريباً.

٢-**شفاعة لأهل الكبائر**، وهي نوعان[(١)]:

الأول: أهل الكبائر وهم قوم رَجَحَتْ سيئاتهم على حسناتهم، فأمر بهم إلى النار فيُشفع فيهم في أن لا يدخلوا النار فلا يدخلوها.

الثاني: أهل كبائر دخلوا النار فيُشفع فيهم أن يخرجوا فيخرجوا منها.

وهذه الشفاعة ثابتة لنبينا ﷺ وتشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون، وقد تواترت على ثبوتها الأحاديث[(٢)]، وعميت على من أنكرها فخالفوا الحق جهلاً وعناداً.

ومن الأدلة عليها:

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه (ت:٩٣): قال: قال رسول الله ﷺ: **(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)**[(٣)]، وفي حديث الشفاعة الطويل عنه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **(...فيأتوني فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخِرُّ له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يارب أمتي، أمتي، أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان... إلى آخر الحديث، وفيه: ثم أعود**

(١) ينظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة ج٢ ص ٦٥٣، البعث والنشور للبيهقي ج١ ص ٣، الأحكام الشرعية الكبرى لعبد الحق الإشبيلي ج١ ص ١٧٦، الشفاعة لمقبل الوادعي ص ٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج٦ ص ١٠٨٩، توحيد الإلوهية لابن تيمية ص ١١٦، اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٨٥، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٤، مسند الربيع للربيع الأزدي ص ٣٧٩، المسائل الاعتزالية ج١ ص ٢٢٦.

(٣) أخرجه الطيالسي في مسنده ج١ ص ٢٣٣ برقم ١٦٦٩، أحمد في المسند ج٣ ص ٢١٣ برقم ١٣٢٤٥، أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب الشفاعة ج٤ ص ٢٣٦ برقم ٤٧٣٩، الترمذي في صفة يوم القيامة، باب شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته ج ٤ ص ٦٢٥ برقم ٢٤٣٥، والحديث صحيح بطرقه وشواهده، ينظر: ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني ج٢ ص ٩١، وله صحيح وضعيف سنن أبي داود ج١ ص ٣٢٩.

الرابعة...فأقول: يارب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي، وكبريائي، وعظمتي، لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله)[١].

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد رضي الله عنه (ت:٧٤) [٢] مرفوعاً قال: (...**فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط)** [٣].

وأما استدلال الزمخشري (ت:٥٣٨) بالآية على نفي هذه الشفاعة فلا صحة له، وقد أحسن ابن المنير (ت:٦٨٣) في الرد عليه في الانتصاف بقوله: «أما من جحد الشفاعة فهو جدير ألا ينالها، وأما من ءامن بها وصدقها، وهم أهل السنة والجماعة، فأولئك يرجون رحمة الله، ومعتقدهم أنها تنال العصاة من المؤمنين، وإنما ادخرت لهم، وليس في الآية دليل لمنكر بها، لأن قوله (يوما)أخرجه منكَّرا، ولا شك أن القيامة مواطن، ويومها معدود بخمسين ألف سنة، فبعض أوقاتها ليس زماناً للشفاعة، وبعضها هو الوقت الموعود»[٤].

٣-**هناك أنواع من الشفاعة** اختلف فيها العلماء من أهل السنة والجماعة وغيرهم، وليست من الخلافات العقدية التي تخرج عن معتقد السنة، لأنه قد يثبت الشفاعة من رَأَى صحة الحديث، وقد ينفيها آخر لعدم ثبوت الدليل عنده، فهي محل اجتهاد[٥].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ج١ ص ٢٧٢٧ برقم ٥٧٠٧٢.

(٢) هو الصحابي سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد الخدري، من الملازمين للنبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه أحاديث كثيرة، غزا اثنتي عشرة غزوة وله (١١٧٠) حديثاً، ينظر: حلية الأولياء ج١ ص٣٦٩، الاستيعاب ج٢ ص٦٠٢، صفة الصفوة ج١ ص٧١٤، من يعرف بكنيته للأزدي ص٤٥.

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية ج١ ص١٦٠٧ برقم ١٨٣.

(٤) الانتصاف ج١ ص ١٣٩.

(٥) ينظر: أصول الفقه لمحمد الصنعاني ص ١٦٧، شرح كتاب التوحيد ص ٩٢، الشفاعة لمقبل الوادعي ص ٥، ٦،٧، ٨.

[٣٣] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤]:

التحريف في معنى ﴿عجل﴾ و﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾:

قال السُّلمي (ت:٤١٤): «عجل كل إنسان نفسه ممن أسقطه وخالف مراده وهواه فقد برئ من ظلمه»(١)، وقال في قتلهم أنفسهم: «ارجعوا إليه بأسراركم وقلوبكم، واقتلوا بالتبري منها، فإنها لا تصلح لبساط الأنس»(٢)، وقال في تفسيرها أقوالاً لا معنى لها ومما قاله: «فما دام يصحبك تمييز وعقل فأنت في عين الجهل حتى يضل عقلك ويذهب خاطرك ويفقد نسبك إذ ذاك وعسى ولعل»(٣).

سبب التحريف:

يفسر السُّلمي قتل النفس بالتلف وإهمال الجسد على طريقة الصوفية في إهمال الجسد والتبري من ضرورياته حتى يتلف، ويزعمون أنه تقرب إلى الله بالرياضة والمجاهدة(٤)، وما قاله في الآية صرف لها عن معناها الذي أراده الله تعالى، ومخالفة لإجماع المفسّرين فيها.

الرد على التحريف:

خالف السُّلمي أقوال المفسّرين في معنى الآية، وهي في قوم من بني إسرائيل اتخذوا لهم إلهاً صنعوه من حليهم على هيئة عجل، ثم أمرهم الله تعالى بالتوبة على لسان نبيه

---

(١) تفسير السُّلمي ج١ ص ٦٠.

(٢) تفسير السُّلمي ج١ ص ٦٠.

(٣) المرجع السابق.

(٤) سبق الرد على مثل هذه الأقوال عند الصوفية بشيء من التفصيل عند قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦].

موسى عليه السلام بأن يقتل بعضهم بعضا فعفا الله عنهم[(١)].

هذا خلاصة ما ذكره العلماء في هذه الآية، وليس لما ذكره السُّلمي وجه فيها ولا معنى.

أمّا قوله: «حتى يضل عقلك..» فإن هذا من خرافات الصوفية، فإنهم يغلون في ترك الدنيا و السعي في الصحراء بدعوى الزهد، فكأن عابدهم معتوه[(٢)]، والحق أن من كانت هذه صفته فإن الله تعالى رفع عنه التكليف حتى يفيق، والإسلام قد صان العقل وأمر بما يُقوِّم الجسد، فلا إفراط ولا تفريط.

[٣٤] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥]:

التحريف في معنى الرؤية:

قال الزمخشري (ت:٥٣٨): «وفي هذا الكلام دليل على أن موسى عليه السلام رادّهم القول، وعرّفهم أن رؤية ما لا يجوز عليه أن يكون في جهة محال، وأن من استجاز على الله الرؤية، فقد جعله من جملة الأجسام أو الأعراض...»[(٣)].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج٢ ص٧٢، تفسير ابن أبي حاتم ج١ ص١١٠، تفسير السمرقندي ج١ ص٨٠، تفسير ابن أبي زمنين ج١ ص ١٤٠، تفسير الواحدي ج١ ص ١٠٥، تفسير السمعاني ج١ ص ٨٠، تفسير البغوي ج١ ص ٧٣، المحرر الوجيز ج٢ ص ٢٧، زاد المسير ج١ ص ٨١، تفسير العز بن عبدالسلاّم ج١ ص١٢٦، تفسير القرطبي ج١ ص ٣٩٦، تفسير النسفي ج١ ص٤٤، تفسير الخازن ج١ ص٥٩، البحر المحيط ج١ ص٣٥٩، تفسير ابن كثير ج١ ص ٢٦١، تنوير المقباس ج١ ص ٩، تفسير ابن عرفة ج١ ص ٢٩٠، تفسير الجلالين ص ١٢، الدر المنثور ج١ ص ١٦٨، السراج المنير ص ١٣٠، تفسير السعدي ص ٥٢، أضواء البيان ج١ ص ١٨٨، وغيرها.

(٢) ينظر: تلبيس إبليس ص ٢٥٣، الرد على المنطقيين ص ٤٨٢، بلوغ الأماني في الرد على مفتاح التيجاني، لأحمد العلوي الشنقيطي، ص ٢١٧، التصوف لإحسان ظهير ص ٥٥.

(٣) الكشاف ج١ ص ١٧٠.

سبب التحريف:

صرّح الزمخشري بسبب تحريف الآية، وهو نفي رؤية الله تعالى يوم القيامة لتوافق معتقده الباطل؛ وزعم تنزيه الله تعالى عن الجهة والجسم، ومنطلق هذا التحريف الذي يزعمون أنه تنزيه؛ منطلقه من السبب الأول لتعطيل المعطلة وهو التشبيه، إذ ينقدح في عقولهم القاصرة تشبيه الله تعالى بخلقه، وانتهوا إلى تعطيل أسمائه وصفاته تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

الرد على التحريف:

من المسائل التي تضافرت على إثباتها دلائل الكتاب والسنة، مسألة رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، حيث دلت الأدلة الشرعية على أن المؤمنين يرون ربهم عيانا، ومنعت ذلك الجهمية[١]، والمعتزلة، والخوارج[٢] وجمهور الرافضة[٣]، ولكن أهل السنة والجماعة استدلوا عليهم بأدلة دامغة من القرآن والسنة، وفضحوا أدلتهم الواهية، فمن الأدلة في كتاب الله تعالى على الرؤية:

١ - قول الحق سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢- ٢٣]، وهي من أظهر الأدلة على ثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة، فإن إضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في الآية، وتعديته بأداة ﴿إِلَى﴾ الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه، حقيقة صريحة، في أن الله تعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب تبارك وتعالى[٤].

---

(١) ينظر: الرد على الزنادقة والجهمية ص ١٣، الرد على الجهمية للدارمي ص ١٢١، الرد على الجهمية لابن منده ص ٥٥.

(٢) ينظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٦٠، الفصل في الملل ج٣ ص ٣، ومما يجدر التنبيه إليه أن هود الهواري من الإباضية في تفسيره المشمول بالبحث حرّف الرؤية عند قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، قال: «تنتظر الثواب».

(٣) ينظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٦٠.

(٤) ينظر: الورع لأحمد بن حنبل ص ١٩٩، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٢٠٨، شرح الإسلام والإيمان وتسمية الفرق والرد عليهم للزبير بن أحمد ص ١٠٧، رسالة لأهل الثغر لأبي الحسن الأشعري ص ٢٣٧، رؤية الله للدارقطني ص ٧٤، الصفدية ج٢ ص ١٦٤.

واعترضت المعتزلة ومن وافقها ممن منع الرؤية بتأويلات باطلة ظاهرة الفساد، من ذلك قولهم: إن المراد بالنظر في الآية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ هو انتظار الثواب لا النظر بالأبصار(١)، وأجاب أهل السنة عن ذلك بأن تفسير النظر في الآية بمعنى الانتظار خطأ بيّن، لأن النظر إذا عُدِّي بإلى كان ظاهراً في نظر الأبصار، وقد رفضه علماء اللغة.

يقول أبو منصور الأزهري (ت:٣٧٠) في كتابه تهذيب اللغة: «ومن قال: إن معنى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ بمعنى منتظرة فقد أخطأ، لأن العرب لا تقول: نظرت إلى الشيء بمعنى انتظرته، وإنما تقول: نظرت فلاناً أي: انتظرته، ومنه قول الحطيئة(٢):

وقد نَظَرتكُم أبْنَاءَ صَادِرةٍ ... لِلْوِرْدِ طال بها حَوْزِي وتَنْساسِي(٣)

فإذا قلت: نظرت إليه لم يكن إلا بالعين، وإذا قلت: نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكراً، وتدبراً بالقلب»(٤).

---

(١) ينظر: الانتصار في الرد على المعتزلة ج٢ ص ٦٣٩، العقيدة الواسطية ص ١٨، مجموع الفتاوى ج٦ ص ٤٨٩، اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٨٣، عظيم المنة في رؤية المؤمنين ربهم في الجنة لعبدالرحمن الأهدل ص ٣.

(٢) هو الشاعر المشهور جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو مليكة، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، لقب بالحطيئة لقربه من الأرض فقد كان قصيراً، كان هجاءً للناس، لم يكد يسلم من هجائه أحد، وهجا أمه وأباه ونفسه، وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر فشكاه إلى عمر رضي الله عنه، فسجنه بالمدينة، فاستعطفه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس، قيل: إنه ارتد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، توفي سنة ٤٥، ينظر: طبقات فحول الشعراء للجمحي ج١ ص ٩٧، الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٦٣، الأغاني للأصبهاني ج٢ ص ١٥٧، التذكرة الحمدونية لابن حمدون ج٧ ص ٣٧٣.

(٣) ذَكر البيت بألفاظ متغايرة، كل من الخطابي في غريب الحديث ج٣ ص ٧٣، ابن سلاّم في غريب الحديث ج٣ ص ٣٠٩، ابن منظور في اللسان ج٥ ص ٢١٧- ٣٤٠، والحوز: السير اليسير. والتنساس: السير الشديد.

(٤) تهذيب اللغة ج٥ ص ١١٥.

٢-ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، فالحسنى الجنة(١)، والزيادة فسرها النبي ﷺ بالرؤية، كما روى ذلك مسلم (ت:٢٦١) عن صهيب رضي الله عنه (ت:٨٣) عن النبي ﷺ قال: (**إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتُنَجِّنا من النار، قال: فيكشف الحجاب فما أُعطوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**)، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(٢)، وما جاء من أوجه أخرى لتفسير الزيادة عند علماء التفسير لا ينافي تفسيرها بالرؤية(٣).

أما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية، فمتواترة(٤) رواها أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد، عن نحو ثلاثين صحابياً(٥) ومنها:

١-حديث أبي هريرة رضي الله عنه (ت:٥٩): أن ناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: (**هل تُضارّون في القمر ليلة البدر؟**) قالوا: لا يا رسول الله، قال: (**هل تُضارّون الشمس ليس دونها سحاب؟**) قالوا: لا، قال: (**فإنكم ترونه كذلك...**) الحديث(٦).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج١٥ ص ٦٢، لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة لإمام الحرمين الجويني ص ١١٧، رياض الجنة لابن أبي زمنين ص ١٢٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة ج١ ص ١٦٣ برقم ١٨١.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ج١٥ ص ٦٢.

(٤) وقد حكى التواتر جمع من العلماء مثل الكتاني في نظم المتناثر ص ٢٤٢، وابن حجر في فتح الباري ج١ ص٥٤١، والعيني في عمدة القاري ج١ ص ٩١، وابن تيمية في درء التعارض ج٥ ص ١٣٢، وغيرهم كثير.

(٥) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٠، أعلام السنة المنشورة للحكمي ١٧٢.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية ج١ ص١٦٤ برقم ١٨٢.

٢-ومنها حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه(ت:٥١)[١]، قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: (**إنكم سترون ربكم عياناً، كما ترون هذا القمر، لا تُضَامُّون في رؤيته**)[٢].

وأمّا استدلال المعتزلة بهذه الآية وأشباهها فإنه ضعيف لا يقاوم الأدلة المتواترة في ثبوت الرؤية، والآية تنفي الرؤية في الدنيا التي طلبها بنو إسرائيل[٣]، وأما قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، فليس لهم فيها دليل، ويجاب عليهم بما أجاب ابن عباس (ت:٦٨) الرجل الذي عارضه الرؤية بهذه الآية، فقال له: (ألست ترى السماء فقال: بلى، قال: أتراها كلها؟ قال: لا)[٤]، فبين أن نفي الإدراك لا يقتضي نفي الرؤية.

قال شارح الطحاوية ابن أبي العز (ت:٧٩٢): «فإن المعنى أنه يُرى ولا يُدرك ولا يُحاط به، فقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾، يدل غاية عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية»[٥].

وهذه الأدلة الفاسدة لمانعي الرؤية، وغيرها من الأدلة التي لا تقل عنها فساداً تُبين تعنت هؤلاء في تحريفهم لآيات الرؤية وأحاديثها، ولا يخالف منهج السلف بتلك الحجج الدامغة إلا صاحب هوى، والله أعلم.

(١) هو الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي، أبو عبد الله، أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين يوماً وقيل غير ذلك، وكان له في الحروب بالعراق أثر عظيم، وكانت بجيلة متفرقة جمعهم عمر رضي الله عنه، وجعل عليهم جريراً، ينظر: رجال مسلم للأصبهاني ج ص ١١٥، الاستيعاب ج١ ص ٢٣٦، الإيثار بمعرفة رواة الآثار لابن حجر ص ٥٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة،باب فضل صلاة الفجر ج١ ص٢٠٩ برقم٥٤٧.

(٣) ينظر: التصديق بالنظر للآجري ص٢٩، اعتقاد أئمة الحديث ص٦٣، رؤية الله للدارقطني ص٧٤، الإنصاف ص ٣٧، حادي الأرواح ص ٢٣٥.

(٤) ينظر: تفسير ابن جرير ج١٢ ص١٣، تفسير ابن أبي حاتم ج٤ ص١٣٦٣، تفسير ابن كثير ج٣ ص٣١٠.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٨.

٣٥-قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ **[البقرة:٥٥- ٥٦]:**

التحريف في معنى (البعث بعد الموت):

-قال محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤): «ذهب الأستاذ الإمام إلى أن المراد بالبعث هو كثرة النسل؛ أي: إنه بعد ما وقع فيهم الموت بالصاعقة وغيرها وظنوا أنهم سينقرضون بارك الله في نسلهم»(١).

سبب التحريف:

يحاول جمهور المدرسة العقلية صرف الآيات التي لا تفهمها عقولهم مثل المعجزات وكثير من القصص والأمور الخارقة للعادة، فيصرفونها عن حقيقتها، حتى لا تسبب لهم حرجاً أمام الذين لا يؤمنون بالغيب من الماديين والملحدين، وعلى رغم أن هؤلاء انهزموا أمام الغرب إلا أن كثيراً من الغرب يؤمنون بمعجزات أنبيائهم ولم يحرفوها لتوافق عقولهم أو عقول معارضيهم، وقد سبق التعرض لهذا المنهج عند المدرسة العقلية عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

الرد على التحريف:

ما ذكره محمد رضا عن شيخه لا دليل عليه، وهو خلاف ما ذكره عليه المفسّرون في معنى الآية ولا يفهم من ظاهرها؛ وخلاصة ما ذكروه أنها في السبعين من خيار بني إسرائيل الذين اختارهم موسى عليه السلام لطلب التوبة من الله تعالى لهم ولمن خلفهم من الذين عبدوا العجل(٢)، ثم تجرؤوا على الله ورسوله باشتراطهم رؤية الله تعالى لإيمانهم، فأخذهم الله

(١) تفسير المنار ج١ ص ٣٢٢.

(٢) قال ابن كثير: «ولم يحك كثير من المفسّرين سواه» ينظر: تفسيره ج١ ص٢٦٥، قصص الأنبياء له ج٢ ص ١٢٦.

بالصاعقة، وماتوا على الراجح من أقوال علماء التفسير، فقام موسى عليه السلام يناشد ربه في خيار بني إسرائيل، فرد الله إليهم أرواحهم فكانت محنة ومنة لبني إسرائيل لعلهم يشكرون، ولم أجد في ما بين يدي من تفاسير دليلاً لما ذكره محمد عبده(١).

٣٦-قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة:٥٨، ٥٩]:

التحريف في معنى ﴿فَبَدَّلَ﴾:

ورد في السنة الشريفة تفسير لتبديل بني إسرائيل لما أُمروا به من قول: ﴿حِطَّةٌ﴾ وجاء في حديث متفق عليه تفسير النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الآية بقوله: (**قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً، وقولوا: حطة، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعيرة**)(٢)، فلا يتعدى تفسير النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كنا قد ذكرنا بعض التحريفات لبعض المفسّرين الذين خالفوا إجماع المفسّرين بقول منكر في الآية، فإن رد تفسير النبي صلى الله عليه وسلم لآية لا شك أشد تحريفاً، بل إنه أشد التحريفات في التفسير، ومحمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤) ردّ هذا التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل ج١ ص ٥٠، تفسير الطبري ج٢ ص ٨٠، تفسير ابن أبي حاتم ج١ ص ١١١، تفسير السمرقندي ج١ ص ٨٠، أحكام القرآن للجصاص ج٤ ص ٢٠٩، تفسير ابن أبي زمنين ج١ ص ١٤١، تفسير الثعلبي ج١ ص ١٩٨، النكت والعيون للماوردي ج١ ص ١٢٣، تفسير الواحدي ج١ ص ١٠٦، تفسير السمعاني ج١ ص ٨١، تفسير البغوي ج١ ص ٧٤، الكشاف ج١ ص ١٦٩، المحرر الوجيز ج١ ص ١٤٧، زاد المسير ج١ ص ٨٣، تفسير العز بن عبد السلام ج١ ص١٢٧، تفسير القرطبي ج١ ص٤٠٣، تفسير الخازن ج١ ص٦٢، البحر المحيط ج١ ص٣٦٢، تفسير ابن كثير ج١ ص ٢٦٤، تفسير الجلالين ص ١٢، الدر المنثور ج١ ص ١٦٩، تفسير أبي السعود ج١ ص ١٠٣، فتح القدير ج١ ص ٨٨، روح المعاني ج١ ص ٢٦٢، التحرير والتنوير ج١ ص ٥٠٥، تفسير السعدي ص ٥٢.

(٢) سبق تخريجه ص٢١.

الثابت في الصحيحين اقتداء بأستاذه محمد عبده، ومما يقول في تفسيره: «ولا ثقة لنا بشيء مما روي في هذا التبديل من ألفاظ عبرانية ولا عربية، وإن خرج بعضه في الصحيح والسنن موقوفا ومرفوعاً، كحديث أبي هريرة المرفوع في الصحيحين وغيرهما، قيل لبني إسرائيل ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا: حنطة حبة في شعرة وفي رواية شعيرة، رواه البخاري في تفسير السورتين[١]، من طريق همام ابن منبه[٢] أخي وهب[٣]، وهما صاحبا الغرائب في الإسرائيليات، ولم يصرح أبو هريرة بسماع هذا من النبي ﷺ فيحتمل أنه سمعه من كعب الأحبار[٤] إذ ثبت أنه روى عنه، وهذا مدرك عدم اعتماد الأستاذ رحمه الله تعالى على مثل هذا من الإسرائيليات وإن صح سنده»[٥].

---

(١) البقرة والأعراف.

(٢) هو همام بن منبه بن كامل بن سيج الأنباوي الصنعاني أخو وهب بن منبه، وكان أكبر من وهب، وهمام تابعي، سمع ابن عباس، وأبا هريرة، ومعاوية رضي الله عنهم، وروى عنه أخوه وهب، ومعمر بن راشد، وعقيل ابن معقل، واتفقوا على توثيقه، توفي نحو إحدى وثلاثين ومائة، ينظر: الثقات لابن حبان ج٥ ص ٥١٠، رجال مسلم ج٢ ص ٣٢١، التعديل والتجريح للباجي ج٣ ص ١١٧٨، تهذيب الأسماء ج٢ ص ٤٣٨، تحفة الأشراف ج١٠ ص ٣٩٣، مغاني الأخيار للعيني ج٥ ص ٢١٢.

(٣) هو وهب بن منبه من خيار التابعين ولد آخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، روى عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وابن عباس، وابن عمر رضي الله عنهم، وغيرهم، وروى عنه عمرو بن دينار، وابناه عبدالله وعبد الرحمن، وغيرهم، وأخرج له البخاري، وأبو داود، والترمذي، وغيرهم، ووثقه جمهور العلماء، مات سنة عشر ومائة، ينظر: المنتخب من ذيل المذيل لابن جرير الطبري ص١٢٨، رجال صحيح البخاري ج٢ ص٧٦٠، تهذيب الكمال ج٣١ ص١٤٠، التعديل والتجريح ج٣ ص١٣٦٢.

(٤) هو كعب بن مانع بن عمرو بن قيس من آل ذي رعين، وقيل غير ذلك في نسبه، يكنى أبا إسحاق، كان يهودياً عالماً بكتبهم لذلك لقب بكعب الأحبار، أسلم في خلافة عمر رضي الله عنه على الأشهر، وغزا الروم في خلافته، أثنى عليه العلماء واتفقوا على توثيقه، ينظر: الثقات ج ٥ ص ٣٣٣، تاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص١١، سير أعلام النبلاء ج٣ ص٤٩٠، تهذيب التهذيب ج ٨ ص٣٩٣.

(٥) تفسير المنار ج ٩ ص ٣٤٨.

وتبريراته هذه في رد الحديث الصحيح تفسير ما ذكره في موضع آخر بقوله: «وأقول أن ما اختاره الجلال مروي في الصحيح ولكنه لا يخلو من علة إسرائيلية»[١].

سبب التحريف:

أورد د. فهد الرومي في كتابه المدرسة العقلية شواهد على ردّهم لكثير من الأحاديث التي تفسر بعض آيات من القرآن الكريم، وذكر السبب في ردهم للأحاديث الصحيحة بقوله: «فردّوا كثيرا من السنة النبوية الطاهرة التي تفسر بعض آيات من القرآن الكريم، أو تتعلق بذلك، لم يردوها لضعف في سندها أو لمخالفة ما هو معلوم من الشريعة، وإنما فعلوا ذلك لأنها لا تتفق مع ما ذهبوا إليه في تفسير الآية، وبنوا ما ذهبوا إليه على عقولهم القاصرة، فردّوا أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث»[٢].

فالسبب هو تحكيم العقل في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

الرد على التحريف:

لا خلاف بين السلف في قبول المأثور الثابت عن النبي ﷺ في تفسير كتاب الله تعالى والاكتفاء به، وعدم اعتراضه بأقوال الرجال، فإن تفسيره عليه السلام يأتي في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم، وهو المبين لآياته، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤].

وأنزل علماء السلف هذا التفسير عنه ﷺ منزلته اللائقة به، وأقوالهم التي تنبه على وجوب التزامها وعدم تعديها كثيرة، قال الشاطبي (ت:٧٩٠): «إن السنة توضح المجمل وتخصص العموم، فتخرج كثيراً من الصيغ القرآنية عن ظاهر مفهومها في أصل اللغة، وتعلم بذلك أن بيان السنة هو مراد الله تعالى من تلك الصيغ، فإذا طرحت واتبع ظاهره بمجرد الهوى، صار صاحب هذا النظر ضالاً في نظره، جاهلاً بالكتاب، خابطاً في عمياء

---

(١) تفسير المنار ج ١ ص ٣٤٤.

(٢) المدرسة العقلية ج ١ ص ٣٤٤.

لا يهتدي إلى الصواب فيها، إذ ليس للعقول من إدراك المنافع والمضار في التصرفات الدنيوية إلا النزر اليسير، وهي في الأخروية أبعد على الجملة والتفصيل»[١].

وأفرد المحدثون منهم كالبخاري (ت:٢٥٦) ومسلم (ت:٢٦١) وغيرهما أبواباً جمعوا فيها أقوال النبي ﷺ في التفسير.

ولكن جمهور المدرسة العقلية يظهر منهم عدم الحماس لمثل هذه الأقوال عند السلف فيما جاء في السنة، وهذا يدلل عليه كثير من كتاباتهم في هذا الموضوع، ومنها قول محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤) مبيناً منهج أستاذ المدرسة العقلية محمد عبده: «ولقد كان الأستاذ الإمام يقول: إن الإسلام الصحيح هو ما كان عليه أهل الصدر الأول قبل ظهور الفتن، ولم يكن يثق إلا بأقل القليل مما روي في الصحاح من أحاديث الفتن»[٢]، ويعرب هو عن رأيه بقوله: «وقد ثبت أن الصحابة رضي الله عنهم كان يروي بعضهم عن بعض، وعن التابعين، حتى عن كعب الأحبار وأمثاله، والقاعدة عند أهل السنة أن جميع الصحابة عدول فلا يخل جهل اسم راوٍ منهم بصحة السند، وهي قاعدة أغلبية لا مطردة، فقد كان في عهد النبي ﷺ منافقون...»[٣]، وقال أيضاً: «ولا شك في أن أكثر الأحاديث قد رُوي بالمعنى كما هو معلوم، واتفق عليه العلماء، ويدل عليه اختلاف رواة الصحاح في ألفاظ الحديث الواحد حتى المختصر منها، وما دخل على بعض الأحاديث من المدرجات... فعلى هذا كان يروي كل أحد ما فهمه، وربما وقع في فهمه الخطأ، لأن هذه أمور غيبية»[٤].

وهذا المنهج عند هؤلاء يشكل خطراً على الدين؛ إذ فيه هدم لجانب كبير في السنة ثاني مصادر التشريع، المبينة لمراد الله تعالى في كتابه وطعن في عدالة الصحابة رضي الله عنهم المجمع عليها أهل العلم، وسبق أن ذكرنا هذا المنهج في أشد أنواع التحريف[٥].

---

(١) الموافقات ج ٤ ص ٢١.
(٢) تفسير المنار ج ٩ ص ٤٦٥.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.
(٥) ينظر: ص١٦٣، ١٩٣.

وهم يردون الأحاديث دون تفريق بين الصحيح والسقيم، واستدركوا ببضاعتهم القليلة في الحديث على أربابه مثل الشيخين، الذين تلقت الأمة صحيحيهما بالقبول، وهم يشهدون أنفسهم بعدم أهلية أستاذهم لذلك، فيقول محمد رضا: «أثبت أنه كان مقصراً في علوم الحديث من حيث الرواية والحفظ والجرح والتعديل»(١)، وإذا كان الأمر كذلك فهل يحق لهم الخوض في هذا العلم بالتصحيح والتضعيف حتى يتطاول بعضهم على صحابة الرسول ﷺ، الذين عدّلهم الله تعالى في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ واكتفى علماء الجرح والتعديل بصحبتهم فلم يبحثوا من ورائها عن العدالة فيهم، لكن بعض رجال المدرسة العقلية قد أساء الأدب مع هؤلاء العظماء، وطعنوا في تبليغهم عن النبي ﷺ، وأقوال محمد رشيد السابقة تدل على ذلك، وتناول بعض التابعين بالطعن والجرح، وقد عدّله علماء الجرح والتعديل ووثقوا به، ومنهم كعب الأحبار (ت: ٣٢) فقال في حقه: «.. بمثل هذه الخرافات كان كعب الأحبار يغش المسلمين ليفسد عليهم دينهم وسنتهم، وخدع به الناس لإظهاره التقوى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»(٢)، وقال في موضع آخر: «ولكن البلية في الرواية عن مثل كعب الأحبار وممن روى عنه أبو هريرة وابن عباس ومعظم التفسير المأثور مأخوذ عنه وعن تلاميذه»(٣)، وقال أيضاً: «وقد هدانا الله من قبل إلى حل بعض مشكلات أحاديث أبي هريرة المعنعنة على الرواية عن كعب الأحبار الذي أدخل على المسلمين كثيراً من الإسرائيليات الباطلة والمخترعة وخفي على كثير من المحدثين كذبه ودجله لتعبده»(٤)، ويحكم عليه بقوله: «كعب الأحبار الذي أجزم بكذبه بل لا أثق بإيمانه»(٥).

---

(١) تاريخ الأستاذ الإمام لمحمد رشيد رضا ج ١ ص ٥.

(٢) تفسير المنار ج ٩ ص ٣٥٩.

(٣) المرجع السابق ج ٩ ص ٤٦٦.

(٤) المرجع السابق ج ٨ ص ٤٩٩.

(٥) مجلة المنار لمحمد رشيد رضا ج ٩ مجلد ٢٧ ص ٦٩٧.

وقال عن وهب بن منبه (ت: ١١٠): «... وهذا من الخرافات التي اختلقها وهب ليس لها أصل عند اليهود ولا عند المسلمين، ولولا جنون الرواة بكل ما يقال عن بني إسرائيل لما قبلوا من مثله أن يشرب مئات الألوف أو الملايين من حجر صغير... وقد عدّوه مع أمثال هذه الخرافات ثقة في الرواية»[(١)]، عند روايته أن موسى عليه السلام كان يقرع لهم أقرب حجر فتنفجر منه عيون»[(٢)].

هذه بعض أقوال محمد رضا ووافقه بعض رجال المدرسة العقلية عليها، وهو يطعن فيهما، ويعترف أن الأئمة عدّلوهما ووثقوا بهما، بل إن أبا هريرة وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة قد رووا عن كعب، فهل هؤلاء أكثر علماً ومعرفة من الصحابة وعلماء الحديث الذين ضربوا أروع الأمثلة في دقة البحث والتعديل، وأيضاً لا يلزم البحث في صحة الرواية الطعن بالثقات والنيل منهم.

ورواية الصحابة رضي الله عنهم عنه شهادة وتزكية لكعب، وهل يظن هؤلاء أن الصحابة أقل حرصاً منهم على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؟!.

وقد أخرج له مسلم (ت: ٢٦١) في صحيحه[(٣)]، وأبو داود (ت: ٢٧٥)[(٤)]، والترمذي (ت: ٢٧٩)[(٥)]، والنسائي (ت: ٣٠٣)[(٦)].

ولا تجد لكعب ذكراً في كتب الضعفاء والمتروكين، بل اتفق نقاد الحديث على توثيقه[(٧)].

---

(١) تفسير المنار ج ٩ ص ٣٤٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج ٢ ص ١٢١.

(٣) ينظر: صحيح مسلم ج١ ص١٨٨ كتاب الإيمان باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته.

(٤) سنن أبي داود ج ١ ص ٢٧٤.

(٥) سنن الترمذي ج ٥ ص ١٨٨.

(٦) سنن النسائي ج ٥ ص ٢٥٦.

(٧) ينظر: التفسير والمفسّرون ج٢ص١٥٠، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص١٠٠.

أما وهب بن منبه فقد أخرج له البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، قال الذهبي (ت: ٧٤٨) في الميزان: «كان ثقة صادقاً»[١]، وكان البخاري يثق به ويعتمد عليه، وقال أبوزرعة (ت: ٢٨١) والنسائي (ت:٣٠٣): ثقة[٢]، وذكره ابن حبان (ت: ٣٥٤) في الثقات[٣].

وما روي عنهما من كذب لا يعني أنهما تعمّداه، فقد يكون من غيرهما أو لم يعرفا كذبه، وهذا ما اعتذره العلماء عنهما[٤].

ورغم كل هذه الأقوال لرجال المدرسة العقلية وتحذيرهم من الإسرائيليات إلا أنهم قد أوردوها في تفاسيرهم[٥]، ولم يكتفوا بذلك بل رجعوا أنفسهم للكتب السابقة المحرفة ونقلوا منها في تفسير بعض الآيات[٦].

يقول د. فهد الرومي: «وأباحوا لأنفسهم ما لم يُبيحوه لسواهم، فنقلوا من الإسرائيليات ما خالف نصّ القرآن الكريم، ولم ينقدوه أو يبطلوه وحرفوا معاني نصوص القرآن الكريم، لتوافق ما جاءوا به من تلك الإسرائيليات»[٧]، وقال: «ولم يقل أحد منهم في نفسه ما قالوه في كعب ووهب»[٨].

ويقول محمد حسين الذهبي في نقل محمد رشيد رضا من الكتب المحرفة: «كثيراً ما ينقل عن الكتاب المقدس أخباراً وآثاراً يفسر بها بعض مبهمات القرآن، أو يرد بها على

(١) الميزان ج ٤ ص ٣٥٢.

(٢) ينظر: تقريب التهذيب ج ١ ص ٤٤٦.

(٣) ينظر: الثقات لابن حبان ج ٥ ص ٣٣٣.

(٤) ينظر: فتح الباري ج ١٣ ص ٣٣٥.

(٥) ينظر: تفسير المنار ج ١ ص ٣٥١، ج ٢ ص ٤٨٤.

(٦) ينظر: المرجع السابق ج ١ ص ٢٩٥، ٣٢٣، ٣٥١.

(٧) المدرسة العقلية ج ١ ص ٣٢٥.

(٨) المرجع السابق.

أقوال بعض المفسّرين، وكان الأجدر بهذا المفسّر الذي يشدد النكير على عشاق الإسرائيليات أن يكف هو أيضاً عن النقل عن كتب أهل الكتاب، وخصوصاً وهو يعترف أنه قد تطرّق إليها التحريف والتأويل»[(١)].

وأما الحديث الذي ردّه محمد رشيد في معنى التبديل في قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]، فإنه في الصحيحين[(٢)]، ولا يصح تعديه وإنكاره لآراء شخصية لا يعضدها دليل.

[٣٧] قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠]:

التحريف في معنى ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾:

قال السُّلمي (ت: ٤١٤): «قيل: فيه مشرب كل أحد حيث أنزله رائده، فمن كان رائده نفسه فمشربه الدنيا، ومن كان رائده قلبه فمشربه الآخرة، ومن كان رائده سره فمشربه الجنة، ومن كان رائده روحه فمشربه السلسبيل، ومن كان رائده ربه فمشربه في الحضرة على المشاهدة يقول: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾، به عن كل ما سواه»[(٣)].

سبب التحريف:

سبب التحريف يرجع لتلك الإشارات الباطلة التي اخترعها الصوفية، وقد جعلوها إشارات لبعض الآيات، ويزعمون أنها معاني باطنة فهموها منها، في حين لا صلة لها بالآية من قريب ولا من بعيد، وهي في نفسها إشارات مبتدعة لم ينزل الله بها من سلطان، مثل قول السُّلمي في هذه الآية التي معنا، وأيضاً الآية من سورة الإنسان التي استدل بها.

---

(١) التفسير والمفسّرون ج ٢ ص ١٥٠.

(٢) سبق تخريجه في الفصل الأول ص٢١.

(٣) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٦١.

الرد على التحريف:

ما ذكره السُّلمي معنى باطل ليس له صلة بالآية، ولا تدل عليه لغة، وليس عليه دليل، وهو مخالف لأقوال علماء التفسير بأن المقصود الماء الذي فجره الله تعالى لبني إسرائيل من الحجر المذكور في الآية. قال ابن جرير (ت: ٣١٠): «جعل الله لكل سبط من الأسباط الاثني عشر، عينا من الحجر الذي وصف صفته في هذه الآية، يشرب منها دون سائر الأسباط غيره، لا يدخل سبط منهم في شرب سبط غيره، وكان مع ذلك لكل عين من تلك العيون الاثنتي عشرة، موضع من الحجر قد عرفه السبط الذي منه شربه، فلذلك خص جل ثناؤه هؤلاء بالخبر عنهم: أن كل أناس منهم كانوا عالمين بمشربهم دون غيرهم من الناس»(١).

وعلى هذا المعنى سار جمهور المفسّرين(٢)، وليس فيها شيء مما ذكره السُّلمي، وأما قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ فإن المقصود أهل الجنة وعليه جمهور العلماء(٣)،

---

(١) تفسير الطبري ج٢ ص ١٢٢.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل ج١ ص ٥٢، تفسير الصنعاني ج١ ص ٤٦، تفسير ابن أبي حاتم ج١ ص ١٢٢، تفسير السمرقندي ج١ ص ٨٤، تفسير ابن أبي زمنين ج١ ص ١٤٤،تفسير الثعلبي ج١ ص ٢٠٢، النكت والعيون ج١ ص ١٢٨، تفسير الواحدي ج١ ص ١٠٩، تفسير السمعاني ج١ ص ٨٥، تفسير البغوي ج١ ص ٧٧، الكشاف ج١ ص ١٧٢، زاد المسير ج١ ص ٨٧، تفسير العز بن عبد السلاّم ج١ ص ١٢٨، تفسير القرطبي ج١ ص ٤٢١، تفسير النسفي ج٢ ص ٤٢، تفسير الخازن ج١ ص ٦٤، غرائب القرآن للنيسابوري ج١ ص ٢٩٧، الرسالة القبرصية لابن تيمية ص ٦٠٥، البحر المحيط ج١ ص ٣٧٧، تفسير ابن كثير ج١ ص ٢٧٨، الدر المنثور ج١ ص ١٧٥، فتح القدير ج٢ ص ٢٥٦، روح المعاني ج١ ص ٢٧١، تفسير السعدي ص ٥٣.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل ج١ ص٣٩٢، الزهد لابن السري ج١ ص ٧٣، صفة الجنة لابن أبي الدنيا ص ١٣٣، تفسير الطبري ج٢٤ ص ١١٢، إعراب القرآن للنحاس ج٥ ص ١٠٦، نوادر الأصول في أحاديث الرسول لأبي عبد الله الحكيم ج٣ ص ١٧٤، تفسير السمرقندي ج٣ ص ٥٠٦، تفسير ابن أبي زمنين ج٥ ص ٧٤، تفسير الثعلبي ج١٠ ص ١٠٢، شرح صحيح البخاري لابن بطال ج٣ ص ٢٤٨، تفسير السمعاني ج٦ ص ١٢١، زاد المسير ج١ ص ١٤، تفسير القرطبي ج١ ص ١٤٥، المجموع للنووي ج١ ص ١٢٦، البحر المحيط ج٦ ص ٤٦٣، حادي الأرواح ج١ ص ١٢٧، روضة المحبين ص ٢٣٥، التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ١٢٦، النهاية في الملاحم لابن كثير ج٢ ص ٣٧٣، تفسير ابن كثير ج٨ ص ٢٩٢، تفسير أبي السعود ج٩ ص ٧٥، أضواء البيان ج٨ ص ٣٩٧.

وسياق الآيات كلها في سياق أهل الجنة وليس للدنيا فيه نصيب، فأي حضرة تلك التي فيها يشاهد العبد المريد ربه أو غير ذلك من الخرافات؟!.

[٣٨] **قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [**البقرة: ٦١**]:

التحريف في صفة غضب الله تعالى:

قال الرازي (ت: ٦٠٦): «وأما غضب الله فهو إرادة الانتقام»[١].

سبب التحريف:

يدّعي كثير من المعطِّلة الذين يُحرّفون أسماء الله وصفاته أنهم ينزهونه عن مشابهة المخلوقات، فينفون عنه ما أثبت لنفسه، وهم بمرض التشبيه الذي تتصوره عقولهم القاصرة قد حرفوا كثيرة من نصوص الشرع، وكان ينبغي أن ينزهوا الله تعالى بإثبات ما أثبت لنفسه دون تشبيه وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، فيسلموا من التحريف.

الرد على التحريف:

ما ذكره الرازي أثر من آثار الغضب، وليس هو الصفة، ولا يلزم من الغاضب أن ينتقم، وفي الآية إثبات لصفة الغضب لله تعالى؛ فالله تعالى يغضب غضباً يليق بجلاله فلا يشبه بصفاته أحداً من خلقه، وهذا منهج السلف الصالح في أسماء الله وصفاته، وسبق الرد على تحريف صفة الغضب للرب عند قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧].

---

(١) تفسير الرازي ج٣ ص ١١٠.

[٣٩] **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ **[البقرة: ٦٢]:**

التحريف في معنى ﴿ءَامَنُوا﴾:

قال محمد رضا (ت: ١٣٥٤): «ولا إشكال في عدم اشتراط الإيمان بالنبي ﷺ؛ لأن الكلام في معاملة الله تعالى لكل الفرق أو الأمم المؤمنة بنبي ووحي بخصوصها، الظانة أن فوزها في الآخرة لا محالة لأنها مسلمة، أو يهودية، أو نصرانية، أو صابئة مثلاً، فالله يقول: إن الفوز لا يكون بالجنسيات الدينية، وإنما يكون بإيمان صحيح له سلطان على النفس، وعمل يصلح به حال الناس»(١).

وأورد معنى الإيمان الصحيح نقلاً عن أستاذه في تفسيره للآية فقال: «وأما أنساب الشعوب وما تدين به من دين، وما تتخذه من ملة، فكل ذلك لا أثر له في رضا الله ولا غضبه، ولا يتعلق به رفعة شأن قوم ولا ضعتهم، بل عماد الفلاح ووسيلة الفوز بخيري الدنيا والآخرة إنما هو صدق الإيمان بالله تعالى بأن يكون التصديق به سطوعاً على النفس من مشرق البرهان، أو جيشاناً في القلب من عين الوجدان، فيكون الاعتقاد بوجوده وصفاته خالياً من شوب التشبيه والتمثيل، واليقين في نسبة الأفعال إليه خالص من وساوس الوهم والتخييل، ويكون المؤمن قد ارتقى بإيمانه مرتقى يشعر فيه بالجلال الإلهي»(٢).

وهذا لا يكفي في تعريف الإيمان الصحيح كما سيأتي.

سبب التحريف:

أفصح محمد رشيد وأستاذه في غير هذا الموضع عن رفضهما إطلاق الكفر على اليهود والنصارى، ولذلك تجد هذا التعريف للإيمان عند محمد عبده وعدم اشتراط تلميذه

---

(١) تفسير المنار ج١ ص ٣٣٦.

(٢) تفسير المنار ج١ ص ٣٣٤.

للإيمان بالنبي ﷺ، لصحة إيمانهم، وسيأتي مزيد من أقوالهم الأكثر تصريحاً ووضوحاً في منهجهم في اليهود والنصارى، وسبب هذا التوجه ما يزعمونه من التقريب بين الديانات وطرح الخلافات انهزاماً أمام تلك الأمم الهالكة.

الرد على التحريف:

يمكن الرد على هذا التحريف من وجهين:

١-أن إيمان الأمم السابقة من اليهود، والنصارى، والصابئين[١]، لا يكون صحيحاً إلا بالإيمان بالنبي ﷺ؛ لأن الإيمان به من الإيمان بكتبهم وتصديق أنبيائهم، فبشارة نبوته موجودة في كتبهم، ومن لم يؤمن به فإنه يكذب نبيه، وكتابه الذي أنزل عليه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، قال ابن عرفة (ت: ٨٠٣) في تفسيره: «لأن النصارى إذا داموا على الإيمان بملة نبيهم يؤمنون بمحمد ﷺ؛ لأن من ملة نبيهم عليه السلام الإيمان بملة سيدنا محمد ﷺ، وإن لم يؤمنوا به فلم يؤمنوا بملتهم قط»[٢] وكذلك يقال في اليهود.

٢-الإيمان الصحيح ليس كما يذكره الإمام وتلميذه، ولا يعني قوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أن يصح الإيمان بمجرد التصديق بوجود الله فقط، فإن المشركين كانوا يصدقون بوجود الخالق، بل إن الإيمان تصديق بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم

(١) على القول بأنهم طائفة من أهل الكتاب: وأما إذا اعتبرنا قول من قال: إنهم لا دين لهم فإنهم مأمورون كغيرهم بالإيمان الحق الذي سيأتي بيانه في الأسطر القادمة.

(٢) تفسير ابن عرفة ج١ ص ٣١١.

الآخر، والنطق بها، والعمل بموجبها[١]، وأجاب ابن جرير (ت: ٣١٠) عن هذا الإشكال؛ بأنها خطاب للمذكورين في الآية بأن من ءامن منهم بالله واليوم الآخر، وترك (منهم) لدلالة الكلام عليه، ثم قال: «معنى إيمان المؤمن في هذا الموضع، ثباته على إيمانه وتركه تبديله، وأما إيمان اليهود والنصارى والصابئين، فالتصديق بمحمد ﷺ وبما جاء به، فمن يؤمن منهم بمحمد، وبما جاء به واليوم الآخر، ويعمل صالحاً، فلم يبدل ولم يغير حتى توفي على ذلك، فله ثواب عمله وأجره عند ربه، كما وصف جل ثناؤه»[٢].

والإيمان بالله في الآية متضمن للإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال فيمن يكفر ببعض الرسل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[النساء: ١٥٠- ١٥١] فحكم على من لم يؤمن بجميع الرسل بالكفر المحقق.

فمن كذَّب برسول الله بعد العلم به فإنه مكذِّب بجميع الأنبياء، واليهود والنصارى الذين كفروا برسالة النبي ﷺ وكفروا بالإسلام، وقالوا نؤمن بما أُنزل علينا ونكفر بما رواءه. وذكر القرآن إعلانهم لكفرهم في أكثر من موضع، فلا شك في كفرهم وهو معلوم

(١) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص ١٨١، مجموع الفتاوى ج٧ ص ١٤٤، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٣، مؤلفات محمد بن عبد الوهاب في العقيدة ص ١١.

(٢) تفسير الطبري ج٢ ص ١٤٨.

بالاضطرار من دين الإسلام، وقد تواترت به نصوص الكتاب والسنة(١)، بل هم يعترفون برفضهم الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال ﷺ: (**والذي نفس محمدٍ بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**)(٢).

فمن الأصول العظام في الإسلام أنه يجب كفر كلِّ من لم يدخل فيما جاء به محمد ﷺ وهو الإسلام، ولهذا فقد كفّر جمهور العلماء من هذه الأمة، من لم يكفّر اليهود والنصارى أو شك في كفرهم(٣).

قال القاضي عياض (ت: ٥٤٤) في سياق ذكره ما هو كفر بالإجماع: «ولهذا نكفّر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل، أو وقف فيهم، أو شك، أو صحح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام، واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك»(٤).

وقال شيخ الإسلام (ت: ٧٢٨): «فلابد في الإيمان من أن تؤمن أن محمداً ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده، وأن الله أرسله إلى جميع الثقلين الجن والإنس، فكل من لم يؤمن به، وبما جاء به فليس بمؤمن »(٥).

---

(١) ينظر: منهاج السنة ج١ ص ٧٥، الصارم المسلول على شاتم الرسول ج٣ ص ٩٧١، حجة الله البالغة للدهلوي ص ٣٤٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ج١ ص ١٣٤ برقم ٧٠.

(٣) ينظر: مراتب الإجماع لابن حزم ص ١١٩، بغية المرتاد ص ١١٥، الرسائل الشخصية لمحمد بن عبد الوهاب ص ٢٣٠.

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج٢ ص٢٨٦.

(٥) تأولوا جهاد النبي ﷺ تأويلاً باطلاً وجعلوه للدفاع عن النفس فقط، وأنكروا ابتداءه لإعلاء كلمة الله تعالى، وهذا تعطيل وتحريف لمعنى الجهاد، ينظر: الانحراف الفكري ج١ ص٣٦٩.

ولا يخفى كفر اليهود والنصارى الذين حاربوا الرسالة وجحدوا نعت النبي ﷺ لمّا قدم المدينة، وعداؤهم للمسلمين وقتال الرسول ﷺ لهم، وأبناؤهم وأحفادهم يرثون عنهم هذا الحقد على المسلمين وواقعنا أكبر شاهد.

أما تفسير محمد رضا لعدم اشتراط الإيمان بالرسول ﷺ، وإيراده لمعنى الإيمان عند شيخه، فإنني قرأت تفسيره لأشباه هذه الآية في محاولة لتبرير قوله والاعتذار له، لكنني أجد عكس ما أريد من أقواله التي تدل على منع إطلاق الكفر على اليهود والنصارى، وقدوته أُستاذه الذي يفصح عن ذلك في أكثر من موضع، وإليك بعض أقوالهما:

قال محمد رشيد: «وأما لفظ الكفر فيُطلق في عرف كُتاب اليوم على الملاحدة، فمهما أطلقنا لقب الكافر أو اسم الكفر في كلامنا فنريد به ما ذكرنا، ولا نطلقه على المخالفين لنا في الدين من أصحاب الملل الأخرى، لأنهم ليسوا كفاراً بهذا المعنى، بل نقول بعدم جواز إطلاقه عليهم شرعاً، لأنه صار في هذه الأيام من أقبح الشتائم، وأجرح سهام الامتهان، وذلك مما تحظره علينا الشريعة باتفاق علماء الإسلام، ولا يصدنك عن قبول هذا القول إطلاق ما ذكر في العصر الأول للملة على كل ما خالف، فإنه لم يكن في زمن التشريع يرمي به لهذا الغرض، بل كان من ألطف الألفاظ التي تدل على المخالف من غير ملاحظة غميزة ولا ازدراء، فضلاً عن إرادة الشتم والإيذاء المخالفة لمقاصد الدين وآدابه، ذلك أن معنى الكفر في أصل اللغة الستر والتغطية»[(١)].

وعَرَّف المراد بالإسلام في موضع آخر نقلاً عن شيخه، فقال: «وبذلك تعلم أن المسلم الحقيقي في حكم القرآن من كان خالصاً من شوائب الشرك بالرحمن، مخلصاً في أعماله مع الإيمان، من أي ملة كان، وفي أي زمان وجد ومكان، وهذا هو المراد بقوله ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]»[(٢)]، ثم قال: «نحن المسلمين نعتقد أن دين المسيح عليه السلام هو الإسلام الذي بينا معناه آنفاً»[(٣)].

---

(١) مجلة المنار المجلد الأول ج١ ص ١٧، ١٨.

(٢) تفسير المنار ج٣ ص ٢٥٧.

(٣) تفسير المنار ج٣ ص ٢٥٩.

والآية تبطل قوله وتنافي مراده، إذ هي واضحة الدلالة لا يمكن صرفها عن أن الله تعالى لا يقبل إلا الإسلام.

وأما محمد عبده (ت: ١٣٢٣) فقد فسر الإيمان بقوله: «إن الإيمان هو اليقين بالله، ورسله، واليوم الآخر، بلا قيد في ذلك إلا احترام ما جاء على ألسنة الرسل»[١].

وقال عن الإيمان بالنبي ﷺ: «لا إشكال في عدم اشتراط الإيمان بالنبي ﷺ، ويكفي احترام ما جاء على لسانه»[٢]، ولا أعلم ما معنى الاحترام بعد الكفر به وتكذيبه؟! وأدى هذا التحريف لأهم مسائل العقيدة وهي معنى الإيمان، والإسلام، والكفر، إلى ضعف الإحساس بالفوارق الدينية بين المسلمين واليهود والنصارى، ونشأ نوع من الموادة، والموالاة الدينية[٣] المنهي عنها لليهود والنصارى من قبل المنهزمين أمامهم تحت دعاوى مزيفة مثل وحدة الأديان[٤]، وغيرها مما انخدع به بعض المنهزمين من المسلمين.

---

(١) رسالة التوحيد ص ١٨٩.

(٢) المرجع السابق.

(٣) للاطلاع على صور من هذه الموالاة راجع مخاطبات الإمام وتلميذه لأئمة الكفر من القساوسة والرهبان وغيرهم، وفيه الدعاء والترحم لهم ووصفهم بالملهمين، ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام لمحمد رشيد ج١ ص ٨٢٧، تحريف المصطلحات القرآنية ص ٣١.

(٤) الدعوة إلى وحدة الأديان دعوة قديمة، وجدت عند ملاحدة الصوفية من أهل الحلول والاتحاد، كابن سبعين، وابن هود، والتلمساني، وهؤلاء يجوزون التهود والتنصر والإسلام، وتَزَعَّمها أيضاً التتار ووزراؤهم، قال ابن تيمية: «وكذلك الكبار من وزرائهم وغيرهم يجعلون دين الإسلام كدين اليهود والنصارى» مجموع الفتاوى ج١٤ ص ١٦٤، ج٢٨ ص ٥٢٣، وخمدت هذه الدعوة حيناً من الدهر متحجرة في صدور قائليها؛ المظهرين للإسلام، المبطنين للكفر والإلحاد، حتى تبنتها حركة (صن مون التوحيدية) ويقال: (المونية)، وقبلها (الماسونية) وهي منظمة يهودية للسيطرة على العالم ونشر الإلحاد والإباحية تحت غطاء نبذ التعصب ووحدة الأديان بجامع الإيمان بالله، وانتسب إليها جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده حتى ألفوا مع أمثالهم (جمعية التأليف والتقريب) أي بين الأديان، كما تراه مفصلاً في كتاب (تاريخ الأستاذ) ج ١ ص ٨١٧، والآن تعود من جديد بأسماء وشعارات مختلفة، ينظر: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره لبكر أبو زيد ص ٢٠، تحذير أهل الإيمان من التقارب بين الأديان لناصر السوهاجي ص ١٣٩.

أمّا هؤلاء الكفرة الذين يخدعونهم بزخرف القول، فالله قد فضحهم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩]، فغرّوا المنخدعين بهم وطووا نواياهم الخبيثة في طمس هُوية الإسلام، لكن ضعاف النفوس من المسلمين فركضوا وراءهم ونافحوا عنهم، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

[٤٠] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة: ٦٢]:

التحريف في معنى العندية:

قال الرازي (ت: ٦٠٦): «فليس المراد تيقن جار مجرى الحاصل عند ربهم»[1].

سبب التحريف: بالعندية المكانية، فإن ذلك محال في حق الله تعالى، ولا الحفظ كالودائع، بل المراد أن أجرهم م

نفى جمهور الأشاعرة ومن وافقهم عندية المكان، لأنها تستلزم بزعمهم أن يكون الله تعالى جسماً متحيزاً في جهة، ولهذا الأصل الفاسد عندهم نفوا عنه العلو الذي هو من صفات كماله اللائقة به تعالى، وهذا ما يقرره الرازي في تفسيره للآية.

---

(١) تفسير الرازي ج٣ ص ١١٣.

الرد على التحريف:

نصوص العندية من النصوص الكثيرة التي قابلها المحرِّفون بعقولهم لمّا انقدح مرض التشبيه فيها، فصرفوها إلى معانٍ عطّلت حقيقتها وحرفت معناها الذي أراد الله تعالى منها؛ فقالوا: العندية تعني العلم، أو الكرامة، والتشريف(١). ورفضوا أن تأتي معنى عندية المكان، لأن المكان بزعمهم محال على الله، فيصفونه بأنه لا خارج العالم ولا داخله، ولا مكان له ولا جهة(٢)، فوصفوه بأوصاف المعدوم تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهم ابتدعوا عبارات وزعموا أنهم ينزهون الله تعالى عنها، والحق أن تنزيه الله تعالى بإثبات ما أثبت لنفسه من غير تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل، ونفي ما نفاه عن نفسه في كتابه وسنة نبيه ﷺ.

وأما عندية المكان فهي ثابتة بنصوص كثيرة، وتعني الفوقية، والعلو الثابت له سبحانه، وسبق الحديث عنه(٣)، وعندية المكان تعني القرب من الله تعالى، وأيضاً تحمل معنى التشريف والتكريم، ومثاله قوله تعالى في الشهداء: ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقوله تعالى في الملائكة: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]، وفي المتقين: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [القمر: ٥٥].

والله ﷻ يبين في آيات كثيرة اختصاصه بعض عباده بالقرب منه في علاه، فالعندية تدل على العلو والفوقية(٤).

وجاء في السنة الشريفة أحاديث تفيد وجود بعض الأشياء عنده فوق عرشه؛ قال ﷺ: **(لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي)**(٥).

---

(١) ينظر: على سبيل المثال أساس التقديس ص ١١٥، فتح الباري ج٣ ص ١٥٧، نيل الأوطار ج٤ ص١٥٢ وغيرهم ممن تأول العندية.

(٢) ينظر: درء التعارض ج١ ص ١٠٥، شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٢.

(٣) سبق الحديث عند علو الله تعالى والرد على الألفاظ المبتدعة مثل الجهة والحيز والجسمية عند قوله تعالى: ﴿...ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨].

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى ج٥ ص١٦٥، شرح قصيدة ابن القيم ج١ ص٤٢١، التنبيه على المخالفات العقدية في الفتح لعلي الشبل ص ٢٣.

(٥) سبق تخريجه عند قوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] ص٣٦٩.

والحديث يثبت معنى العلو والفوقية، وكون الكتاب عنده عندية مكان، لقوله: (فوق عرشه)، فلا مجال للتأويلات الباطلة فيها.

والآية التي حرّفها الرازي تفيد إثبات العندية لله ﷻ، لقوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ وهي تفيد القرب منه، وفيه دلالة على أن الله تعالى في مكان عليّ لائق بجلاله، واختص من أراد تشريفه بقربه الحقيقي منه، لا على سبيل التشريف المعنوي فقط، كما أن الآية ترد على من قال: إن الله حال في كل مكان أو في بعض مخلوقاته وهم الحلولية[1]، بل له مكانه اللائق به سبحانه الذي لا يشبهه به ولا بغيره من صفاته أحدٌ من مخلوقاته.

والآية أيضاً قد تشمل المعنى الذي نفاه الرازي، وهو الحفظ والالتزام بوفاء العهد الذي وعدهم الله به من الأجر والمثوبة، وفيه سكنى الجنة، وهذا الثواب يكون في الجنة التي سقفها عرش الرحمن؛ وهذه عندية مكانية فلا تنافي عندية العهد والالتزام بالوفاء، فتكون الآية شاملة للمعنيين[2].

[٤١] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة:٦٥]:

تحريف عقاب المسخ:

قال محمد رشيد (ت:١٣٥٤) في معنى المسخ: «أي كانوا بحسب سنة الله في طبع الإنسان وأخلاقه: كالقردة المستذلة المطرودة من حضرة الناس، والمعنى أن هذا الاعتداء الصريح لحدود هذه الفريضة قد جرّأهم على المعاصي والمنكرات بلا خجل ولا حياء، حتى صار كرام الناس يحتقرونهم، ولا يرونهم أهلاً لمجالستهم ومعاملتهم»[3] ثم قال:

---

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم ج٢ ص ٣١٥، رأس الحسين لابن تيمية ص ٩٣، الرد على القائلين بوحدة الوجود ص ٥٣.

(٢) ينظر: تفسير ابن عثيمين ج٣ ص ٣١٣.

(٣) تفسير المنار ج ١ ص ٣٤٤.

«وذهب الجمهور أيضاً إلى أن معنى ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾ أن صورهم مسخت فكانوا قردة حقيقيين والآية ليست فيه، ولم يبق إلا النقل ولو صح لما كان في الآية عبرة ولا موعظة للعصاة، لأنهم يعلمون بالمشاهدة أن الله لا يمسخ كل عاص فيخرجه عن نوع الإنسان، إذ ليس ذلك من سننه في خلقه، وإنما العبرة الكبرى في العلم بأن من سنن الله تعالى في الذين خلوا من قبل أن من يفسق عن أمر ربه، ويتنكب الصراط الذي شرعه له، ينزل عن مرتبة الإنسان ويلتحق بعجماوات الحيوان، وسنة الله واحدة، فهو يعامل القرون الحاضرة بمثل ما عامل به القرون الخالية»[(١)]، واستدل بقول مجاهد (ت:١٠٤) في الآية: «مسخت قلوبهم، ولم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله لهم، كمثل الحمار يحمل أسفاراً»[(٢)].

وقال الجوهري (ت:١٣٥٨) متبعاً لمنهج محمد رشيد في تفسير الآية: «فمسخوا قردة في أعمالهم، وصاروا في صورة إنسانية ونفوس قردية»[(٣)].

سبب التحريف:

تحكيم العقل في نصوص الكتاب والسنة ينتج عنه مثل هذه التحريفات التي يتأول بها أصحابها ما عارضه من غير هدى ولا دليل صحيح، وقد سار جمهور المدرسة العقلية على تقديم العقل على كثير من الأدلة من الكتاب وصحيح السنة وإجماع سلف الأمة، ومن هنا شابهوا منهج المعتزلة فسُموا معتزلة اليوم[(٤)].

الرد على التحريف:

ما قاله محمد رشيد والجوهري ومن وافقهما في تعطيل معنى المسخ هو صرف للآية عن حقيقتها من غير دليل، ومخالف لقول جمهور المفسّرين في أن صورهم مسخت، فكانوا

---

(١) تفسير المنار ج ١ ص ٣٤٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، ج١ ص١٣٣ برقم ٦٧٢، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ج١ ص١٨٥، إليه وإلى ابن المنذر، ينظر: تفسير الطبري ج٢ ص١٧٣، تفسير ابن كثير ج١ ص٢٨٩.

(٣) تفسير الجوهري ج ١ ص ٧٦.

(٤) ينظر: العصريون معتزلة اليوم ليوسف كمال ص ٥٣ ـ ٧٢.

قردة حقيقيين[١]، ونقل محمد رشيد رأي مجاهد (ت:١٠٤) لما وافق هواه، وذكر أن قول مجاهد قد رواه ابن جرير (ت:٣١٠) وابن أبي حاتم (ت:٣٢٧) ولكنه لم ينقل اعتراض العلماء عليه وردهم له، فإن قول مجاهد الذي ذكره محمد رشيد «مسخت قلوبهم، ولم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله لهم، كمثل الحمار يحمل أسفاراً»[٢]، قول شاذ رده الأئمة العظام، وعَدُّوه من سقطه، وغمروه في حسنات هذا التابعي المفسّر الجليل، والذي يقرأ ردود العلماء لا يرتاب في بطلان قول مجاهد، ومنهم ابن جرير حيث قال: «وهذا القول الذي قاله مجاهد قول لظاهر ما دَلّ عليه كتاب الله مخالف له، وذلك أن الله أخبر في كتابه أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت»[٣]. وقال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧) متعقباً قول مجاهد «وهو قول بعيد»[٤].

وقال القرطبي (ت:٦٧١) في قول مجاهد: «ولم يقله غيره من المفسّرين فيما أعلم»[٥].

وممن تعقبه ابن كثير (ت:٧٧٤) حيث قال عن الأثر: «وهذا سند جيد عن مجاهد، وقول غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام وفي غيره»[٦]، ثم قال بعد أن ساق

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل ج١ ص٥٤، تفسير الصنعاني ج١ ص٤٨، تفسير الطبري ج ٢ ص ١٧٤، تفسير ابن أبي حاتم ج ٤ ص ١٠٥، تفسير السمرقندي ج ١ ص ٨٨، تفسير ابن زمنين ج١ ص١٤٨، تفسير الثعلبي ج١ ص٢١٢، تفسير السمعاني ج١ ص٩٠، تفسير البغوي ج١ ص٢٢٤، الكشاف ج١ ص١٧٥، المحرر الوجيز ج ١ ص ٧٧، زاد المسير ج ١ ص ٩٤، تفسير العز بن عبدالسلاّم ج١ ص١٣٢، تفسير القرطبي ج٢ ص٩٠، تفسير الخازن ج١ ص٦٨، البحر المحيط ج١ ص٤٠١، تفسير ابن كثير ج١ ص٢٨٩، الدر المنثور ج١ ص١٨٤، تفسير أبي السعود ج١ ص١١٠.

(٢) تفسير الطبري ج١ ص ١٧٣، تفسير ابن كثير ج١ ص ٢٨٩.

(٣) تفسير الطبري ج ٢ ص ١٧٣.

(٤) زاد المسير ج ١ ص ٩٥.

(٥) تفسير القرطبي ج ١ ص ٤٤٣.

(٦)تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٨٩.

نقولاً كثيرة عن علماء التفسير على أن المسخ على حقيقته: «والغرض من هذا السياق عن هؤلاء الأئمة بيان خلاف ما ذهب إليه مجاهد، رحمه الله، من أن مسخهم إنما كان معنوياً لا صورياً، بل الصحيح أنه معنوي صوري»(١)، وكلام ابن كثير واضح، ويعني أنه يشمل مسخ صورهم، ويشمل مسخ أخلاقهم، ولا حاجة لما ذكره محمد رشيد متعقباً ابن كثير بقوله: «فما مراده بذلك؟»(٢).

وقال محمد رشيد أيضاً: «ليس في تفسير الآية حديث مرفوع إلى النبي ﷺ نص فيه على كون ما ذكر مسخاً لصورهم وأجسامهم»(٣).

يلزم على قوله هذا أن الآية التي لم يرد فيها حديثٌ تصرف عن ظاهرها وحقيقتها، وكثير من الآيات فسرها الصحابة رضي الله عنهم، ومنها هذه الآية التي أخبروا بحقيقة المسخ فيها مثل ابن عباس (ت:٦٨)، ونقل جمع من التابعين قوله، فَلِم يطرح هذا القول الذي عليه جمهور العلماء، ويتبع أثراً قد ردّه العلماء وحكموا عليه بالشذوذ؟ وإذا لم يرد حديثٌ في تفسير الآية فإن العلماء يرجعون لقول الصحابة، فهم أعلم بالقرآن بعد النبي ﷺ، وفسّر هذه الآية ترجمان القرآن وحبر الأمة ابن عباس وعامة الصحابة والتابعين، ولم ينكروا حقيقة المسخ؛ والحق أن هذا ليس عذراً صادقاً، فإن محمد رشيد قد رد الحديث المتفق على صحته، كما مر بنا عند قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [البقرة:٥٩].

والمسخ قد دلت آيات من كتابه تبارك وتعالى على جواز وقوعه عقلاً، وشرعاً، عقوبة، ونكالاً، فالله تعالى يفعل ما يريد، وهو عزيز ذو انتقام، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ﴾ [يس:٦٧]، وفسّر جمهور المفسّرين

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٩١.

(٢) تفسير المنار ج ١ ص ٣٤٥.

(٣) المرجع السابق.

المسخ هنا بأنه تغيير الخلقة إلى حجر أو بهيمة أو جماد(١).

[٤٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]:

تحريف معنى الاستهزاء:

قال الماتريدي (ت:٣٣٣): «وليس هذا بشيء، ولا يحتمل ما قالوا، ولكن يُحمل على المجازاة، كأنهم قالوا: أتجازينا بهذا لما مضى منا وسبق؛ من العصيان بك، والخلاف لك؟ لما لم يعلموا أنه من عند الله يأمر بذلك، وهذا وأمثاله على المجازاة جائز على ما ذكرنا من الاستهزاء، والمخادعة والمكر كله على المجازاة جائز»(٢).

سبب التحريف:

يحاول الماتريدي صرف معنى الاستهزاء عن حقيقته إلى المجازاة، وسبب هذا التحريف ما ورد في قراءة ابن محيصن (ت:١٢٣)(٣).

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل ج٣ ص٩١، تفسير الطبري ج٢٠ ص٥٤٧، تفسير ابن أبي حاتم ج١٠ ص٣١٩٩، تفسير السمرقندي ج٣ ص١٢٣، تفسير ابن أبي زمنين ج ٤ ص ٥٠، تفسير الثعلبي ج ٨ ص ١٣٥، تفسير السمعاني ج ٤ ص ٣٨٦، تفسير البغوي ج ٤ ص ١٨، الكشاف ج٤ ص ٢٨، زاد المسير ج٧ ص٣٣، تفسير القرطبي ج ١٥ ص ٥٠، تفسير الخازن ج ٦ ص ١٤، تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٥٨٧، فتح القدير ج ٤ ص ٣٧٨، روح المعاني ج ٢٣ ص ٤٥.

(٢) تفسير الماتريدي ج ١ ص ١٨٧.

(٣) محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، ثقة، روى له مسلم، عَرَض على مجاهد ابن جبير، ودرباس مولى ابن عباس، وسعيد بن جبير، عرض عليه شبل بن عباد، وأبو عمرو بن العلاء، وسمع منه حروفاً إسماعيل بن مسلم المكي، وعيسى بن عمر البصري، وغيرهم، وكان ابن محيصن من قريش نحوياً، قرأ القرآن على مجاهد، ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ص٣٥٠، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة لشمس الدين القيسي ج ٨ ص٧٩.

وعاصم الجحدري (ت:١٢٨)[١] ﴿أَتَتَّخِذُنَا﴾ بالياء، أي: أيتخذنا الله هزوا[٢]، فتحريف الماتريدي لمعنى الاستهزاء تعطيل لهذه الصفة بزعم التنزيه لله ﷻ عن الاستهزاء الذي فيه ما يشبه المخلوقين من السخرية واللعب.

الرد على التحريف:

ما ذكره الماتريدي غير صحيح، والمفسّرون على أن الاستهزاء في هذه الآية السخرية[٣]، والواجب تنزيه الله ﷻ وصفاته، وأفعاله، وذاته عن كل تمثيل. وإثبات ما أثبته لنفسه في كتابه وسنة نبيه ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، وصفة الاستهزاء قد أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه، ولا حاجة لهذه التمحلات الناتجة عن مرض التشبيه، فإن استهزاء الله تعالى بأولئك الكفرة والمنافقين يدل على قدرته، فهي صفة كمال فعلية لائقة بجلال الله تعالى، يفعلها متى شاء مثل المكر، والخداع، وقد مضى تفصيل ذلك عند قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥]، أما على قراءة الجمهور ﴿أَتَتَّخِذُنَا﴾ بالتاء؛ فالخطاب فيها لموسى عليه السلام، وقد ظن قومه لما أخبرهم بأمر الله تعالى بذبح البقرة؛ ظنوا أنه يهزأ بهم ويسخر منهم، ولم يكن لهم أن يظنوا ذلك بنبي الله، وهو يخبرهم أن الله تعالى هو الذي أمرهم بذبح البقرة، فردّ عليهم موسى عليه السلام بما حكاه الله تعالى عنه بقوله: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧][٤].

---

(١) عاصم بن أبي الصباح العجاج الجحدري البصري، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان بن قتة عن ابن عباس وقرأ أيضاً على نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، وروى حروفاً عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قرأ عليه سلاّم بن سليمان، وعيسى بن عمرو، غيرهم، قال ابن معين: عاصم صاحب القراءة ثقة، ينظر: الوافي بالوفيات ج ١٦ ص ٣٢٤، غاية النهاية ص ١٥٤.

(٢) ينظر: القراءات الشاذة لابن خالويه ص ٦، تفسير الثعلبي ج ١ ص ٢١٤، المحرر الوجيز ج ١ ص ١٦١، تفسير القرطبي ج ١ ص ٤٤٦، تفسير ابن عرفة ج ١ ص ٣٢٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ج٢ ص١٨٢، تفسير السمرقندي ج١ ص٨٩، النكت والعيون ج١ ص١٣٧، تفسير العز بن عبد السلاّم ج١ ص١٣٣، تفسير البغوي ج١ ص١٠٦، تفسير القرطبي ج ص٤٤٦، تفسير السعدي ص٥٤.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ج٢ ص ١٨٣.

[٤٣] **قوله تعالى:** ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ﴾[**البقرة:٦٨**].

تحريف قصة بني إسرائيل مع القتل:

صرف محمد رشيد (ت:١٣٥٤) وشيخه محمد عبده (ت:١٣٢٣) معنى الآية عن أن تكون قصة واقعية، أحيا الله فيها القتيل ليكون آية للناس، وأنكرا هذه المعجزة وجعلا الآيات لبيان نوع من التشريع الموجود عند بني إسرائيل، يتوصل به إلى معرفة القاتل؛ فقال محمد رشيد: «والظاهر مما قدّمنا أن ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل في الدماء عند التنازع في القاتل إذا وجد القتيل قرب بلد ولم يعرف قاتله ليعرف الجاني من غيره...ومعنى إحياء الموتى على هذا؛ حفظ الدماء التي كانت عرضة لأن تسفك بسبب الخلاف في قتل تلك النفس، أي: يحييها بمثل هذه الأحكام، وهذا الإحياء على حد قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ [المائدة:٣٢]، وقوله: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٩]، ويريكم آياته بما يفصل بها في الخصومات، ويزيل من أسباب الفتن والعداوات، فهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ [النساء:١٠٥]»[(١)].

واستدل على هذا التحريف بنقولات من التوراة؛ قال: «إن ما أشار إليه الأستاذ من حكم التوراة المتعلق بقتل البقرة هو في أول الفصل الحادي والعشرين من سفر تثنية الاشتراع ونصه...»[(٢)]، ثم نقل نص التوراة في تفسيره.

وكل ما ذكره من تحريف قد اقتفى فيه أثر شيخه.

سبب التحريف:

خالف محمد رشيد وشيخه ظاهر القرآن وما عليه جمهور المفسّرين، فصرفا الآية وأنكرا معجزة إحياء الموتى، وإنكار المعجزات، والكرامات، والأمور الغيبية، منهج متبع

---

(١) تفسير المنار ج ١ ص ٣٥١.

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٣٤٧.

لأكثر رجال المدرسة العقلية، ومرّ مثاله في عدد من الآيات، مثل إنكار الملائكة، وتأويل قصة آدم وخروجه من الجنة؛ وعلى هذا المنهج يحرّف هذه الآية وغيرها من الآيات، التي تسبب لهم حرجاً مع المستشرقين وأهل الكتاب، الذين لا تتسع عقولهم إلا للمحسوسات، فأرادوا أن يتقربوا لهم بتحريف آيات من القرآن الكريم، وتحكيم نصوص الكتب المحرفة فيها.

الرد على التحريف:

سبق الرد على منهج تعطيل القصة عن حقيقتها وصدق وقوعها، وجعلها من قبيل التمثيل والخيال عند قصة خروج آدم عليه السلام من الجنة، وفي هذه القصة المفسرون على أن الله على تعالى أحيا القتيل ليدل على قاتله، ونص عليه ظاهر القرآن مما لا مجال فيه لهذه التعسفات، والواجب الإيمان بما قصه الله علينا في كتابه، وهو جزء من الإيمان بالغيب الذي امتدح الله تعالى المؤمنين به بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]. والذي حاولوا الهروب منه، تلك المعجزة وهي إحياء القتيل، قد تكرر مثلها في آيات أخر أحيا الله فيها الأموات[١]، للاستدلال بها وإقامة الحجة على منكري البعث، وحتى أهل الكتاب أنفسهم سمعوا ذلك من النبي ﷺ واستزادوه من علم الوحي اختباراً له، فلم يُسجل اعتراض أحد منهم على ما قصّه عليهم من أسرارهم مع أنبيائهم، وهم لديهم من القصص الخرافية، وادعاء بعض الكرامات، والمعجزات دون تبرء منها مجاملة لأحد أو انهزامية إمامه.

قال ابن جرير (ت: ٣١٠) في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾: «أمرهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من إحياء قتيل بني إسرائيل بعد مماته في الدنيا»[٢].

---

(١) ذكر الله تعالى في سورة البقرة خمسة مواضع أحيا الله تعالى فيها الموتى وهي: إحياء بني إسرائيل بعد الصاعقة، وهذه القصة، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف، وقصة الذي مرّ على قرية، وقصة إبراهيم والطيور، ينظر: من عاش بعد الموت لابن أبي الدنيا ص ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥١.

(٢) تفسير الطبري ج ٢ ص ٢٢٩.

وقال ابن كثير (ت:٧٧٤): «أي: فضربوه فحيي، ونبّه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل»[١].

وعلى هذا التفسير جمهور المفسّرين[٢].

واستدلال الشيخ وتلميذه بالنقل من التوراة مخالف لتوجيه شرعنا في أهل الكتاب أنهم قد حرّفوا، وأتوا بكلام من عندهم يزعمون أنه كلام الله تعالى، ومن السنة ما رواه البخاري (ت:٢٥٦) من حديث أبي هريرة (ت:٥٩) مرفوعاً: (**لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾**)[٣]، وأمّا حديث عبدالله بن عمرو بن العاص (ت:٦٥): (**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**)[٤]، فالمراد ما أخبرنا الله تعالى، أو رسوله ﷺ بصدقه، وإلا فمن أين لنا السند إلى موسى عليه السلام، والمحدثون رحمهم الله يضعفون المرسل، فكيف بما ليس له سند.

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٠٢.

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ج١ ص١٤٥، النكت والعيون ج١ ص١٤٢، تفسير الواحدي ج١ ص١١٢، تفسير السمعاني ج١ ص٩٤، الكشاف ج١ ص١٨١، المحرر الوجيز ج١ ص ١٦٥، زاد المسير ج١ ص١٠١، التفسير الكبير ج١ ص٦٨، التبيان في إعراب القرآن للعكبري ج١ ص ٧٨، تفسير القرطبي ج١ ص٤٥٧، تفسير البيضاوي ج١ ص٣٤٤، تفسير النسفي ج١ ص٥١، تفسير الخازن ج١ ص٧٢، البحر المحيط ج١ ص٨٥٢، مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري ص٨٥٢، الدر المنثور ج١ ص١٩٣، فتح القدير ج١ ص١٠٠، التحرير والتنوير ج٧ ص٢٠٨، تفسير السعدي ص٥٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: (**لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء**) ج ٦ ص ٢٦٧٩ برقم ٦٩٢٨.

(٤) أخرجه الحميدي في مسنده ج٢ ص٤٩١، ابن أبي شيبة في مصنفه ج٥ ص٣١٨، أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة ج٢ ص٤٧٤، أبو داود في سننه ج٣ ص٣٢٢، النسائي في السنن الكبرى ج ٣ ص٤٣١، ابن حبان في صحيحه ج ١٤ ص ١٤٧، الطبراني في مسند الشاميين ج ١ ص ١٣٧.

قال مالك بن أنس (ت:٧٩): «المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمرهم حسن، أما ما علم كذبه فلا»(١).

والتحدث عنهم فيما لم يعلم صدقه من كذبه راجع لقوله: عليه السلام **(لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم...)** الحديث(٢).

أما ما علم كذبه فلا شك في ردِّه.

وأشد من ذلك كله القراءة في تلك الأسفار المحرّفة والاستدلال بها على ما حرفوه من كتاب الله عز وجل؛ فعن جابر بن عبد الله (ت:٧٨) أن عمر بن الخطاب (ت:٢٣) أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم فغضب، فقال: **(أَمُتَهَوِّكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني)**(٣).

[٤٤] قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة:٧١]:

التحريف في معنى ﴿ذَلُول﴾، ﴿شِيَة﴾:

قال السُّلمي: (ت:٤١٢): «معناه: لا يصلح لكرامتي وإظهار ولايتي عليه إلا من لم يذلل نفسه بالسكون إلى شيء من الأكوان، ولم يَسعَ في طلبِ الحوادثِ بحالٍ، مسلمةٍ من

(١) ينظر: فتح الباري ج ٦ ص ٤٩٩.

(٢) سبق تخريجه ص١٥١. وانظر: الصفحة السابقة.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ج ٥ ص ٣١٢، برقم ٢٦٤٢١، أحمد في مسنده، مسند جابر بن عبدالله ج٣ ص ٣٨٧ واللفظ له، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج١ ص ١٧٤: «رواه أحمد، وأبويعلى، والبزار، وفيه مجالد بن سعيد ضعفه أحمد، ويحيى بن سعيد، وغيرهما». بينما قال العيني في عمدة القاري ج٢٥ ص ٧٤: «ورجاله ثقات إلا أن في مجالد ضعفاً».

منون عوارض الخلافِ»[(١)].

وقال في معنى ﴿لا شِيَةَ فِيهَا﴾: «لا أثر عليه لأحد بالسكون إليه والاعتماد عليه، فهو القائم بي، والناظر إليّ، والمعتمد عليّ، أظهرت عليه آيات قدرتي، وجعلته أَحَدَ شواهد عزتي، فمن شاهده استغرق في مشاهدتِهِ؛ لأنه قد ألبس رِدَاء العِزّ»[(٢)].

سبب التحريف:

تكرر فيما مضى سبب تحريف السُّلمي للآيات بمثل هذه القرمطة؛ وهو ادعاء إشارات خفية للآيات ومعاني باطنة تدل عليها.

الرد على التحريف:

ما ذكر السُّلمي لا معنى له ولا يفهم منه شيء، فلا يصح إيراد مثل هذه الأقوال في كتاب الله تعالى، وقد خالف المشهور في معنى الآية لدى جمهور المفسّرين، من أن الآيات في أوصاف البقرة التي أمر بنو إسرائيل بقتلها ليحيي الله بها القتيل فيدل على القاتل، قال أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠): «لا ذلول، أي: لم يذللها العمل، فمعنى الآية: إنها بقرة لم تذللها إثارة الأرض بأظلافها، ولا سُنِيَ عليها الماء فيسقى عليها الزرع»[(٣)].

وقال الزمخشري (ت:٥٣٨): «لا ذلول صفة لبقرة، بمعنى بقرة غير ذلول، يعني لم تذلل للكراب وإثارة الأرض»[(٤)].

وقال ابن الجوزي (ت:٥٩٧) في معنى ﴿لا شِيَةَ فِيهَا﴾: «ليس فيها لون يفارق سائر لونها»[(٥)].

وأقوال المفسّرين متقاربة على أنها أوصاف للبقرة.

---

(١) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٦١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) تفسير الطبري ج ٢ ص ٢١٣.

(٤) الكشاف ج ١ ص ١٧٩.

(٥) زاد المسير ج ١ ص ٩٩.

[٤٥] **قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٧٣].**

التحريف في معنى ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ﴾:

قال السُّلمي (ت:٤١٢) في معنى الآية: «قيل فيه: إن الله أمر بقتل حَي ليحيي ميتهم: أعلمك بذلك أنه لا يُحيي قلبك لأنوار المعرفة ولا لفهم الخطاب إلا بعد أن تقتل نفسك بالاجتهاد والرياضات، فيبقى جسمك هيكلاً لا صفة له من صفاته، ولا يؤثر عليه بقاء صُورتها شيئا، فتُحيي قلبك، وتكونُ نفسك رسماً لا حقيقة لها، وقلبُك حقيقةً ليس عليه أثر من المريبين»[(١)].

سبب التحريف:

مرّ في المثال السابق أمثال هذه التحريفات عند السُّلمي، وهو هنا يذكر إشارات أخرى، ومعاني باطلة عند غلاة الصوفية، وهي تعذيب الجسد بالرياضة، والمجاهدة، وحرمانه من ضرورياته التي أوجبها الله تعالى لئلا يهلك الإنسان، لكن غلاة الصوفية تزعم أنها طريق لحصول الكرامة والولاية وما يسمونه بالعرفان والمكاشفة.

الرد على التحريف:

سبق في أكثر من موضع الرد على أمثال هذه المصطلحات عند الصوفية[(٢)]، والآية ليست دليلاً على ما ذكره السُّلمي لا في الظاهر ولا في الباطن، كما يدّعون، بل إن الله تعالى ذكرها على البعث، كما هو صريح في الآية، والله أعلم.

[٤٦] **قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٨١]:**

التحريف في معنى ﴿سَيِّئَةً﴾:

قال الزمخشري (ت:٥٣٨): «(من كسب سيئة من السيئات) يعني كبيرة من

---

(١) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٦٢.

(٢) راجع ذلك عند قوله تعالى ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

الكبائر...وقيل في الإحاطة: كان ذنبه أغلب من طاعته»[١].

سبب التحريف:

فسّر السيئة بالكبيرة لتنطبق الآية على مذهب المعتزلة؛ وهو أن فاعل الكبيرة مخلد في النار.

الرد على التحريف:

مذهب أهل السنة والجماعة أنه لا يخلد في النار إلا الكافر، وسبق الرد[٢] على المعتزلة، وبيان الأدلة من الكتاب، والسنة على منهج أهل السنة والجماعة، وفي هذه الآية فسّر علماء التفسير من السلف (الخطيئة) بالشرك، قال ابن عباس (ت:٦٨): «هي الشرك يموت عليه صاحبه»[٣]، وقال ابن جرير (ت:٣١٠) في معنى السيئة والخطيئة: «أي: من عمل مثل أعمالكم، وكفر بمثل ما كفرتم به، حتى يحيط كفره بما له من حسنة، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون»[٤] وأقوال الصحابة والتابعين متقاربة في نفس المعنى[٥].

[٤٧] قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[البقرة:٨١]:

التحريف في معنى ﴿سَيِّئَة﴾:

قال الطباطبائي (ت:١٤٠٤) في بحوثه الروائية: «﴿مَن بَلَى كَسَبَ سَيِّئَةً﴾، قال: إذا جحدوا ولاية أمير المؤمنين فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون»[٦].

سبب التحريف:

هذا القول الباطل تعصب للمذهب الرافضي الغالي في الأئمة فغلوهم في أئمتهم قادهم إلى تحريف الدين.

---

(١) الكشاف ج ١ ص ١٨٥.

(٢) راجع آية ٣، ٦، ٤٨ من سورة البقرة.

(٣) تفسير الخازن ج ١ ص ٧٨.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ج ٢ ص ٢٨٠.

(٥) ينظر: تفسير الطبري ج٢ ص ٢٨١.

(٦) تفسير الميزان ج ١ ص ٢١٦.

الرد على التحريف:

تكرر في أكثر من آية أمثال هذا التعسف[(١)] في صرف الآية وتحريفها واضح البطلان، وهو من زعامات غلاة الرافضة، وقد سبق قول السلف في الآية.

[٤٨] **قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ **[البقرة:٨٢]:**

التحريف في معنى الآية:

قال الرازي (ت:٦٠٦) في تفسير الإيمان، والعمل الصالح: «العمل الصالح خارج عن مسمى الإيمان، لأنه تعالى قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فلو دّل الإيمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الإيمان تكراراً»[(٢)].

سبب التحريف:

قول الرازي أن العمل خارج عن مسمى الإيمان موافق لعقيدة جمهور الأشاعرة، وغيرهم من المرجئة، الذين يُخرجون العمل عن مسمى الإيمان، ويستدلون بمثل هذه الآيات، التي عُطف فيها العمل الصالح على الإيمان.

الرد على التحريف:

القول الحق أن الإيمان تصديق بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالأركان؛ وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وهو يزيد وينقص، لا كما ترى المعتزلة، والخوارج وغيرهم، ممن يرون أنه لا يتجزأ، فجعلوا مرتكب الكبيرة كافراً، وأيضاً ليس كما تقول المرجئة: إن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان.

وأجابوا على الاستدلال بالآيات التي تفرق بين الإيمان والعمل الصالح، بأن الإيمان إذا أطلق أدخل الله ورسوله فيه الأعمال المأمور بها، وأن أصل الإيمان في القلب والأعمال الظاهرة لازمة له، وقد سبق تناول هذه المسألة بشيء من التفصيل[(٣)].

---

(١) راجع آية ٦ من سورة الفاتحة.

(٢) تفسير الرازي ج ٣ ص ١٤٨.

(٣) راجع ذلك عند آية ٣، ٢٥ من سورة البقرة.

[٤٩] **قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ **[البقرة:٨٥]:**

التحريف في معنى ﴿أُسَٰرَىٰ﴾:

نقل السُّلمي (ت:٤٢١) في معنى الآية نقولاً لا تمت لتفسيرها بأي رابط، ومما نقله: «وإن يأتوكم غرقى في رؤية أفعالهم تنقذونهم من ذلك برؤية المنن»[(١)].

ومنها: «وإن يأتوكم أسارى في أسباب الدنيا تنقذونهم إلى قطع العلائق والأسباب، فإن الحق أبى أن يتجلى لقلبٍ متعلق بشيء»[(٢)].

ومنها: «وإن يأتوكم أسارى في صفاتهم ونعوتهم تُفادوهم أي تحلوا عنهم وثاق صفاتهم بصفات الحق ونعوته»[(٣)].

سبب التحريف:

هذه الأقوال من الإشارات الصوفية الباطلة التي لا علاقة لها بمعنى الآية، فلم تدل عليها لغة، ولم يرد بها نص، وهي في غالبها لا يُفهم منها شيء، وتكرر في أكثر من مثال من هذه الإشارات أنها غرض السُّلمي من التأليف.

الرد على التحريف:

أكتفي هنا ببيان المعنى الصحيح للآية، إذ قد سبق الرد على مثل هذه التحريفات عند الصوفية.

---

(١) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٦٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

هذا الفعل المذكور في الآية فعل اليهود الذين كانوا في زمن الوحي بالمدينة؛ فإن الأوس والخزرج كانوا قبل مبعث النبي ﷺ يقتتلون على عادة الجاهلية، فنزلت عليهم الفرق الثلاثة من اليهود؛ بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، فكل فرقة حالفت فرقة من المدينة، فكانوا إذا اقتتلوا أعان اليهودي حليفه على مقاتليه، فيقتل اليهودي اليهودي، ويخرجه من دياره إذا حصل جلاء ونهب، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها يفدي اليهودي الأسارى من اليهود.

وقد فرض على اليهود الأمور الثلاثة؛ ألا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرج بعضهم بعضاً، وأن يفدوا أسيرهم، فعملوا بالأخير وتركوا الأولين، فأنكر الله عليهم بقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وهو فداء الأسرى، ﴿وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٍ﴾ وهو القتل، والإخراج، وهذا المعنى هو المشهور من معنى الآية عند علماء التفسير(١).

[٥٠] قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]:

التحريف في معنى الآية:

قال الزمخشري (ت:٥٣٨): «...ثم ردّ الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك(٢)؛ لأنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق، بأن الله لعنهم، وخذلهم بسبب كفرهم، فهم الذين غلّفوا قلوبهم، بما أحدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة، وتسببوا بذلك لمنع الألطاف التي تكون للمتوقع إيمانهم وللمؤمنين...»(٣).

سبب التحريف:

هذا من تعسفات الزمخشري لتنزيل الآيات على معتقده الباطل؛ فإنه يسلك في ذلك أنواعاً من التأويلات الباطلة الموافقة لاعتزالياته ثم يجعلها هي المرادة من كلام الله، وفسّر هذه الآية وفقاً لما يعتقده في أن العباد هم الخالقون لأفعالهم استقلالاً.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج٢ ص ٣٠٦، تفسير البغوي ج١ ص ١١٧، تفسير القرطبي ج٢ ص ٢٢، تفسير ابن كثير ج١ ص ٣١٨، تفسير السعدي ص ٥٨.

(٢) أي: غلف.

(٣) الكشاف ج١ ص ١٨٩.

الرد على التحريف:

تقدم الرد[(١)] على هذا المعتقد الباطل، وبيان مخالفته لمذهب أهل السنة والجماعة، وأن مذهبهم: أن العباد لهم قدرة وإرادة، واختيار لأفعالهم، لكنها ليست مستقلة عن قدرة الله، وإرادته كما تقول القدرية، ولا كما تقول الجبرية ومن وافقهم بأنها قدرة الله وإرادته وأما العبد عندهم فهو مجبور[(٢)].

فَفِعْل العبد عند أهل السنة والجماعة فعل له على الحقيقة، ولكنه مخلوق لله، ومفعول له، وليس هو فعل الله.

والآية الكريمة ليست دليلاً على أن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم، مستقلين عن تقدير الله وإرادته وعلمه، وإنما هي ردّ على الكفار الذين يزعمون أن قلوبهم غلف، فلا استطاعة لهم على الإيمان، فردّ الله عليهم بأن الطبع على قلوبهم عقوبة بسبب كفرهم، وعنادهم، واختيارهم الكفر على الإيمان، فهو مجازاة وعقوبة لهم[(٣)]، لا كما يقول الزمخشري: إنهم هم الذين خلقوا ذلك في قلوبهم[(٤)].

[٥١] قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة:٩٠]:

التحريف في صفة الغضب:

قال الرازي (ت:٦٠٦): «الغضب عبارة عن التغير الذي يعرض للإنسان في مزاجه عند غليان دم قلبه بسبب مشاهدة أمر مكروه، وذلك محال في حق الله تعالى، فهو محمول

(١) عند قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧].

(٢) ينظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ج١ ص ١٩٠، الملل والنحل ج١ ص ٣٠، مجموع الفتاوى ج٨ ص ٣٧٤.

(٣) ينظر: المسائل الاعتزالية ج ١ ص ٢٣٣.

(٤) ينظر: المرجع السابق.

على إرادته لمن عصاه؛ الإضرار من جهة اللعن والأمر بذلك»[١].

سبب التحريف:

يرجع كثير من تحريف أسماء الله تعالى وصفاته وتعطيلها لمرض التشبيه، وما قاله الرازي هو تحريف سببه مرض التشبيه الذي انقدح في عقله، فظن أن غضب الله تعالى هو كما يعلمه من المخلوقين، فزعم تنزيه الله عن ذلك بتعطيل الصفة وتأوّلها بالإضرار أو العقاب.

الرد على التحريف:

مضى في أكثر من آية[٢] بيان منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته، وهم يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه وسنة نبيه ﷺ، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه في كتابه وسنة نبيه ﷺ، وفي هذه الآية وغيرها من الآيات والأحاديث إثبات لصفة الغضب، لكن كما يليق بجلاله، لا يشبه أحداً من خلقه، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وما ذكره الرازي هو ما عُهد من غضب المخلوقين، فلا يوصف الله تعالى به، وإرادة الإضرار هي من آثار الغضب، التي قد يفعلها الغاضب وقد يتركها، فهي غير الغضب، ولا يشترط وقوعها مع كل غضب، فحصر الغضب في إرادة الانتقام والإضرار لا يصح، وقد سبق تفصيل ذلك عند صفة الغضب في سورة الفاتحة.

[٥٢] قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤].

التحريف في معنى العندية:

قال الرازي (ت:٦٠٦): «وأما قوله تعالى: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ فليس المراد المكان، بل المنزلة، ولا يبعد أيضاً في حمله على المكان، فلعل اليهود كانوا مشبهة فاعتقدوا العندية المكانية، فأبطل الله كل ذلك بالدلالة التي ذكرها»[٣].

---

(١) التفسير الكبير ج ٣ ص ١٦٨.

(٢) ينظر: آية ٢، ٧ من سورة الفاتحة.

(٣) التفسير الكبير ج ٣ ص ١٧٤.

سبب التحريف:

العندية تستلزم عند الرازي ومن وافقه الجهة، والجسمية بزعمهم، وحرّفوا معناها لتنزيه الله تعالى عما ابتدعوه من ألفاظ.

الرد على التحريف:

أمّا ما أرادوا تنزيه الله عنه من ألفاظ مبتدعة مثل الجهة، والجسمية، وغيرها، فإن الشرع لم يأت بإثباتها ولا بنفيها، وهي محل تفصيل لما فيها من الخلط بين الحق والباطل، وقد سبق بيان ذلك(١).

والعندية هي عندية مكان وجهته العلو والفوقية الثابتة لله ﷻ، ولا يشبهه فيها أحد، وهذا منهج أهل السنة والجماعة، فهم يثبتون لله ﷻ ما جاء في الكتاب والسنة دون تشبيهه بأحد(٢)، فلفظ المشبهة أبعد ما يكون عنهم، بل هو بمن يعرض أسماءه وصفاته على ما عرفه من أسماء وصفات المخلوقين أقرب، فإنما كان تحريفهم وتعطيلهم بسبب التحريف، وقد سبق الرد على تحريف العندية بشيء من التفصيل(٣).

[٥٣] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[البقرة:٩٩].

التحريف في معنى ﴿أَنزَلْنَآ﴾:

قال الرازي (ت:٦٠٦): «الإنزال عبارة عن تحريك الشيء من الأعلى إلى الأسفل، وذلك لا يتحقق إلا في الجسمي، فهو على هذا الكلام محال، لكن جبريل عليه السلام لمّا نزل به من الأعلى إلى الأسفل وأخبر به سُمي ذلك إنزالاً»(٤).

---

(١) ينظر: آية ٢٨ من سورة البقرة.

(٢) ينظر: العقيدة لأحمد بن حنبل رواية أبي بكر الخلال ص ١١١، نهاية الإقدام في علم الكلام ص ١٣، درء التعارض ج٣ ص ٧٧.

(٣) ينظر: آية ٦٢ من سورة البقرة.

(٤) التفسير الكبير ج ٣ ص ١٨٢.

قال محمد رشيد (ت:١٣٥٤): «الوحي من الله للنبي يسمى تنزيلاً، وإنزالاً، ونزولاً لبيان علو مرتبة الربوبية،لا أن هناك نزولاً حسياً من مكان مرتفع إلى مكان منخفض»[(١)].

سبب التحريف:

هذا قول باطل ينكر علو الله تعالى، وزاد الرازي إنكار نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا. وأما محمد رشيد فإنه يجعل نزول جبريل عليه السلام نزولاً معنوياً لا حقيقة له، وكلا التحريفين نتيجة لتحكيم العقل في كتاب الله وسنة نبيه.

الرد على التحريف:

أرسل الله تعالى جبريل بالقرآن إلى محمد ﷺ، وجبريل أقرب الملائكة لله تعالى، وحين يسمع القرآن من الله تعالى ينزل به إلى الأرض، حيث المرسل إليه النبي ﷺ، وكل ذلك بأمره تعالى، لذا يأتي لفظ الإنزال في بعض الآيات بالجمع (أنزلنا)، والنصوص متواترة في الكتاب والسنة على هذا المعنى، فهو نزول حقيقي، وقول محمد رشيد: «لا أن هناك نزولاً حسياً» تحريف لما أطبق عليه السلف وتواترت به النصوص، وسبق إنكاره لخلق الملائكة ومهامهم. وتأوّل محمد عبده (ت:١٣٢٣) لتمثيل الملائكة إلى الأنبياء عليهم السلاّم أنه خيالات في عقولهم[(٢)].

وفي القول تشكيك لتلقي النبي ﷺ للقرآن من جبريل عن الله تعالى، وهو موافق لشبه المستشرقين[(٣)]، الذين يدّعون أن النبي ﷺ أتى بالقرآن من عند نفسه، وإن كان نزول القرآن غير حسي عند الشيخ وتلميذه، فكيف كانت طريقة الوحي له عندهما؟! ونصوص لقاء جبريل للنبي ﷺ في الكتاب والسنة لا تحصى،ومنكرو ذلك ينكرون صدق نبوته عليه السلام.

---

(١) تفسير المنارج ص ٣٩٥.

(٢) رسالة التوحيد ص ١١٢.

(٣) ينظر: مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم لمحمد مهر علي ص ١ وما بعدها.

والرازي ينفي النزول لأنه يقتضي الجسمية بزعمه، وهو ينزه الله عن هذا اللفظ الذي ابتدعوه، والنزول قد وردت به السنة، وحديثه متواتر[(١)]، رواه عن النبي ﷺ نحو ثمانية وعشرون صحابياً، وهذا يعني أن النبي ﷺ قال: (**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا...**)[(٢)] أكثر من مرة، وتكرر ذلك منه، وهو أفصح الناس، وأبلغهم، وأنصحهم، وبلّغ ما أنزل إليه أتم البلاغ، وهو أحسن خلق الله وأعظمهم تنزيهاً لله عما لا يليق به، وأثبت لله تعالى صفة النزول، وهو يعلم أنه لا ينافي عظمة الرب، لأنه نزول لائق بجلاله، والصحابة والتابعون وأئمة السلف لم ينقل[(٣)] عن أحدٍ منهم أنه قال عن شيء من أسمائه وصفاته: إنّ هذا لا يليق بالله. أو إنها تقتضي الجسمية، أو الحركة، أو غيرها من التبريرات المبتدعة، ولم نرى تجرء معطلة النصوص الذين يحرفون كلام الله تعالى ورسوله ﷺ بدعوى التنزيه عن أمور ما أنزل الله بها من سلطان، والأولى تنزيه الله تعالى بإثبات ما أثبت لنفسه في كتابه وسنة نبيه ﷺ وننزهه عما نزه نفسه فيهما، ومما أثبته لنفسه صفة النزول فهي صفة فعلية متعلقة بمشيئته، نثبتها لله ﷻ على الوجه اللائق به تبارك وتعالى قال ﷺ: (**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حيث يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**)[(٤)].

فهذا النزول معلوم المعنى مجهول الكيفية، نؤمن به، ونمر النص كما هي عقيدة سلفنا الصالح دون تحريف، كما تتأول المبتدعة نصوص الكتاب والسنة تأويلات باطلة متعسفة،

---

(١) ينظر: مسائل الإمام أحمد وابن راهويه للمروزي ج ٢ ص ٥٣٥، النزول للدارقطني ص ٦، عمدة القاري ج ٧ ص ١٩٩، الصارم المنكي، النظم المتناثر ص ٣٠٤، العلو للذهبي ص ٧٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الكسوف، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ج١ ص ٣٨٤ برقم ١٠٩٤.

(٣) ينظر: الغنية عن الكلام وأهله للخطابي ص ٢٩، اعتقاد أئمة الحديث ص ٦٢، رسالة في إثبات الاستواء والفوقية لأبي محمد الجويني ص ٧٣، صفات الرب للواسطي ص ٢٣، العقيدة الواسطية ص ١٨، الصواعق المرسلة ٣٨٧.

(٤) المرجع السابق.

ومنها قولهم: إن الذي ينزل أمره أو الرحمة أو الملك. وهذا لا يخفى بطلانه، إذ لا يمكن أن تقول الرحمة أو الملك من يدعوني فأستجيب له...، فلا يقدر على قول ذلك إلا الله تعالى[(١)]، ومثله من قال: إن نزوله الإقبال على الداعي. فإنه تحريف للفظ النزول وتغيير للمراد منه في اللغة والشرع، والله أعلم.

[٥٤] **قوله تعالى:** ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢]:

التحريف في معنى ﴿ٱلسِّحۡرَ﴾:

قال الزمخشري (ت:٥٣٨): «علم السحر الذي يكون سبباً في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه، كالنفث في العقد، ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك، والنشوز، والخلاف ابتلاء منه، لا أنّ السحر له في نفسه»[(٢)].

وقال محمد رشيد (ت:١٣٥٤): «وقد وصف الله السحر في القرآن بأنه تخييل يخدع الأعين... وفي هذه الآية التي نفسرها أن السحر كان يؤخذ بالتعليم...ومجموع هذه النصوص يدل على أن السحر إما حيلة وشعوذة، وإما صناعة علمية خفية يعرفها بعض الناس ويجهلها الأكثرون، فيسمون العمل بها سحراً، لخفاء سببه ولطف مأخذه، ويمكن أن يعد منه تأثير النفس الإنسانية في نفس أخرى لمثل هذه العلة»[(٣)]، وقد استطرد بكلام

(١) للتوسع في الرد عليهم ينظر المراجع في حاشية (٤) ص ٤٤٣.

(٢) الكشاف ج ١ ص ١٩٩.

(٣) تفسير المنار ج ١ ص ٤٠٠.

طويل استنتج منه أن السحر وهم وخيال، هذا وقد نقل رأي أستاذه محمد عبده (ت:١٣٢٣) فقال: «بيّنا غير مرة أن القصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والاعتبار، لا لبيان التاريخ، ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين...فحكاية القرآن لا تعدو موضع العبرة، ولا تتجاوز موطن الهداية»[1].

سبب التحريف:

معارضة النصوص بالعقل وتحكيمه في الشرع سبب للتحريفات عند المعتزلة ومن نحا نحوهم من رجال المدرسة العقلية وغيرهم، فأنكروا حقيقة السحر وجعلوه خيالاً، وأما محمد عبده وتلميذه فهو على منهجه في إنكار القصص القرآنية وادّعاء أنها تمثيل لا واقع له.

الرد على التحريف:

للسحر حقيقة ثابتة كوناً وشرعاً؛ فأما كوناً فالحوادث الدالة على تأثيره كثيرة مشتهرة لا ينكرها إلا مكابر، وأما شرعاً فقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنة تدل على أن له حقيقة مؤثرة بإذن الله تعالى؛ مثل هذه الآية التي تثبت أن له تأثيراً لا يضر إلا بإذن الله، ومنها أمر الله تعالى بالاستعاذة منه كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:١-٥]، وقد اتفق[2] المفسّرون على أن سبب نزولها ما كان من سحر لبيد بن الأعصم للنبي ﷺ والحديث في الصحيحين[3]، وغيره من الأحاديث الثابتة التي تثبت حقيقة السحر.

ومعتقد أهل السنة والجماعة الإيمان بنصوص الكتاب والسنة من غير تحريف أو مصادمة بعقل أو غيره، وءامنوا بأن للسحر حقيقة، وعرّفه فقهاؤهم بأنه: رقى وعزائم

---

(١) تفسير المنار ج ١ ص ٣٩٩.

(٢) نقل اتفاقهم القرطبي في تفسيره ج ٢ ص ٤٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب السحر ج ٥ ص ٢١٧٦ برقم ٥٤٣٣، ومسلم في صحيحه، كتاب السلاّم، باب السحر ج ٤ ص ١٧١٩ برقم ٢١٨٩.

وعقد، ينفث فيها، فيكون سحراً يضر حقيقة، ويمرض حقيقة، ويقتل حقيقة[١]، ويُتقرب فيه للشياطين، لتقوم بهذا التأثير، ولهذا فإن السحر شرك بالله جل وعلا[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لا يدل على القول بأن السحر لا حقيقة له؛ بل يدل على أن له حقيقة، وتأثيره يقع بإذن الله وإن شاء أبطله.

قال القرطبي (ت:٦٧١): «ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة، وذهب عامة المعتزلة إلى أن السحر لا حقيقة له، وإنما هو تمويه وتخييل وإيهام، لكون الشيء على غير ما هو به، وأنه ضرب من الخفة والشعوذة... ولا ننكر أن يكون التخييل وغيره من جملة السحر، ولكن ثبت وراء ذلك أمور جوّزها العقل وورد بها السمع، فمن ذلك ما جاء في هذه الآية من ذكر السحر وتعليمه، ولو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعليمه، ولا أخبر تعالى أنهم يُعلِّمونه الناس...فدل على أن له حقاً وحقيقة، فهو مقطوع به بإخبار الله تعالى ورسوله على وجوده ووقوعه، وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع، ولا عبرة بحثالة المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق، ولقد شاع السحر وذاع في سابق الزمان وتكلم الناس فيه، ولم يبد من الصحابة والتابعين إنكار لأصله»[٣].

وبمثل رد القرطبي على المعتزلة في عصره، يُرد على معتزلة اليوم ومن وافقهم.

---

(١) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج ٧ ص ١٢٠٩، الحجة في بيان المحجة ج ١ ص ٥١٩، المغني ج١٠ ص١٠٤، والكافي في فقه الإمام أحمد ج٤ ص٦٤، المبدع شرح المقنع لابن مفلح المقدسي ج٩ ص٤٣٨، المجموع للنووي ج١٩ ص ٢٤٥، الفروق للقرافي ج٤ ص ٢٩٢، معارج القبول ج٢ ص ٥٤٨.

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية تحقيق أحمد شاكر ص ٣١٥، التمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ ص ٤١٨، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد لصالح الفوزان ج ١ ص ٣٤٤، التشريع الجنائي في الإسلام لعبد القادر عودة ج ٤ ص ٢٨٦.

(٣) تفسير القرطبي ج ٢ ص ٤٦ بتصرف يسير.

وأما ما نقله محمد رشيد عن شيخه في إنكار واقع القصة في الآية فإنه مخالف لأقوال جماهير المفسّرين في أن الآية في سياق بيان ما عليه اليهود من الشر، والفساد، والكفر، وتعلم السحر[(١)]، بعد نبذهم التوراة، وتكرر الرد على منهج الشيخ وتلاميذه في تكذيب القصص القرآنية[(٢)].

[٥٥] قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠٣]:

التحريف في معنى ﴿وَلَو﴾:

قال الزمخشري (ت:٥٣٨): «﴿وَلَو أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ تمنياً لإيمانهم على سبيل المجاز عن إرادة الله إيمانهم واختيارهم، كأنه قيل: وليتهم ءامنوا»[(٣)].

سبب التحريف:

هذا صرف للآية عن حقيقتها وتحريف ظاهر الفساد، سببه تعصب الزمخشري لمعتقده الاعتزالي الذي يصف الله تعالى بما لا يليق من عدم القدرة والتمنّي، لكي يقرّر أن أفعال العباد من خلقهم، وليس لله فيها شيء تعالى الله عما يقولون.

الرد على التحريف:

ليس في هذه الآية شيء من التمنّي، بل هي إخبار من الله تعالى بأن هؤلاء الذين يتعلمون من الملكين السحر لو أنهم آمنوا واتقوا الله فخافوا عقابه، لكان جزاء الله وثوابه لهم خيراً لهم من السحر الذي اكتسبوه[(٤)]، وليس هذا من التمنّي، فإنه لا يصح في حق الله تعالى، إذ لو شاء الله لهدى الناس جميعاً، فهو على كل شيء قدير، والآية خبر صرف[(٥)].

---

(١) ينظر: أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ج ١ ص ٤٣.

(٢) راجع آية ٥٦، ٥٩، ٦٧ من سورة البقرة.

(٣) الكشاف ج ١ ص ١٩٩.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ج ٢ ص ٤٥٧.

(٥) ينظر: المسائل الاعتزالية ج ١ ص ٢٣٦.

[٥٦] قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠٣]:

التحريف في معنى ﴿ءَامَنُوا﴾:

قال الطباطبائي (ت:١٤٠٤): «﴿وَلَو أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾ أي: اتّبعوا الإيمان والتقوى، بدل اتّباع أساطير الشياطين، والكفر بالسحر، وفيه دليل على أن الكفر بالسحر كفر في مرتبة العمل كترك الزكاة، لا كفر بمرتبة الاعتقاد، ولو كان السحر كفراً في الاعتقاد لقال تعالى: (ولو أنهم ءامنوا لمثوبة)، واقتصر على الإيمان ولم يذكر التقوى فاليهود ءامنوا ولكن لما لم يتقوا ولم يرعوا محارم الله، لم يعبأ بإيمانهم فكانوا كافرين»[(١)].

سبب التحريف:

يظهر من قول الطباطبائي معتقد الرافضة في التكفير بفعل المحرمات واعتبار فاعلها من الكافرين، لكن هذا المعتقد الفاسد ليس هو السبب في كفر اليهود، فهم لم يؤمنوا أصلاً حتى يُوصفوا بالإيمان كما زعم الطباطبائي.

الرد على التحريف:

الآية صريحة في نفي الإيمان عن اليهود فقوله تعالى: ﴿وَلَو أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ يدّل على أنهم ليسوا بمؤمنين، ووصف اليهود بالمؤمنين تحريف لمعنى الإيمان، فهم لم يقتصروا على ارتكاب المحرمات كما زعم الطباطبائي، ولكنهم كفروا بالله، ونبذوا كتابه، وقتلوا الأنبياء، واتبعوا الشياطين لتعلّم السحر، يقول ابن جرير (ت: ٣١٠) في معنى الآية: «لو أن الذين يتعلّمون من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴿ءَامَنُوا﴾ فصدقوا الله ورسوله وما جاءهم به من عند ربهم و﴿وَٱتَّقَوْا﴾ ربهم فخافوه وخافوا عقابه، فأطاعوه بأداء فرائضه وتجنبوا معاصيه لكان جزاء الله إياهم، وثوابه لهم على إيمانهم به وتقواهم إياه، خيراً لهم من السحر وما اكتسبوا به»[(٢)].

---

(١) تفسير الميزان ج ١ ص ٢٣٦.

(٢) تفسير الطبري ج ٢ ص ٤٥٧.

وقال الرازي (ت: ٦٠٦): «أما قوله تعالى: ﴿ءَامَنُوا﴾ فاعلم أنه تعالى لما قال: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١]، ثم وصفهم بأنهم اتبعوا ما تتلوا الشياطين، وأنهم تمسكوا بالسحر، قال من بعد: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ يعني بما نبذوه من كتاب الله، فإن حملت ذلك على القرآن جاز؛ وإن حملته على كتابهم المصدِّق للقرآن جاز؛ وإن حملته على الأمرين جاز، والمراد من التقوى الاحتراز عن فعل المنهيّات وترك المأمورات»(١).

وقول الطباطبائي: إن السحر لا يصل إلى الكفر الاعتقادي. غير صحيح، فإن من السحرة من يتقرب للشياطين بأنواع من العبادة لا تصرف إلا لله، وهذا شرك بالله ﷻ(٢).

[٥٧] قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]:

التحريف في معنى: ﴿نَنسَخْ﴾:

قال السُّلمي (ت: ٤١٢) في معنى الآية: «ما نقلتك من حالة إلا أوصلناك إلى مقام أشرف منها وأعلى، إلى أن تنتهي بك الأحوال إلى محل الندامى والخطاب من غير واسطة بقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ٨-١٠]»(٣).

سبب التحريف:

هذا التحريف سببه القول على الله بغير علم، وادّعاء معاني باطنة للآيات، هي من قرمطة الصوفية وإشاراتهم، ومرّ بنا أكثر من مرة أمثال هذا التحريف.

---

(١) التفسير الكبير ج ٣ ص ٢٠٢.

(٢) ينظر: كتاب الأم ج ١ ص ٢٩٣، معرفة السنن والآثار للبيهقي ج ٦ ص ٢٧٦، نواقض الإسلام لعبد العزيز بن باز ص ٣.

(٣) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٦٣.

الرد على التحريف:

لا يعد ما ذكره السُّلمي شيئاً في معنى الآية، بل هو تحريف واضح خالف فيه المفسّرين قاطبة، بل لا معنى لما ذكره واستدلاله بالآية أيضاً باطل، فإن قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ في نسخ الأحكام، وسيأتي بيانه بعد أسطر، أما قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ فهي على غير المعنى الذي يريد، فالآية في إرسال رب العزة لجبريل يوحي إلى النبي ﷺ ما شاءه الله من وحي السماء، وليست كما يدّعيه بالوحي بغير واسطة.

ولا أعلم ما يريد بقوله محل الندامى، فإن الصوفية لها اصطلاحات باطلة تطلقها على مقامات الأولياء كما يزعمونه، ومنها أهل العرفان، والحقيقة، والمكاشفة، وسبق الكلام عنها[1]، ولعله أراد أن يكون نديما لله، تعالى الله عما يقول الظالمون.

[٥٨] قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]:

التحريف في معنى النسخ:

قال محمد رشيد (ت: ١٣٥٤): «والمعنى الصحيح الذي يلتئم مع السياق إلى آخره: أن الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الأنبياء من الدلائل على نبوتهم، أي ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ نقيمها دليلاً على نبوة نبي من الأنبياء أي: نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها، أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها، فإننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك نأتي بخير منها في قوة الإقناع وإثبات النبوة أو مثلها في ذلك، ومن كان هذا شأنه في قدرته، وسعة ملكه فلا يتقيد بآية مخصوصة يمنحها جميع أنبيائه»[2].

ونقل الطباطبائي (ت: ١٤٠٤) في بحوثه الروائية في الآية قوله: «إن النسخ من البداء المشتمل عليه قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]،

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

(٢) تفسير المنار ج ١ ص ٤١٧.

... وفي بعض الأخبار عن أئمة أهل البيت عد عليه السلام [١] موت إمام، وقيام إمام آخر مقامه من النسخ»[٢].

سبب التحريف:

أما قول الطباطبائي فيدل دلالة واضحة على عقيدة الرافضة في تجويز البداء على الله تعالى عما يقولون علواً كبيراً، وأما محمد رشيد فلا وجه لصرفه الآية عن معناها، إلا إن كان يريد الهروب من القول بالنسخ لادعاء اليهود أنه يستلزم البداء، والله أعلم.

الرد على التحريف:

تواطئت أقوال المفسّرين تقريباً في معنى النسخ في الآية، وتقاربت أقوالهم في تعريفه، فقالوا: النسخ: «رفع حكم دليل شرعي متقدم، أو لفظه بدليل من الكتاب والسنة متأخر، فالمتقدم يسمى منسوخاً، والمتأخر يسمى ناسخاً»[٣]، ومعنى الآية من قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ أي: حكم الآية، قال ابن جرير (ت: ٣١٠): «ما ننقل من حكم آية، إلى غيره فنبدله ونغيره، وذلك أن يحوّل الحلال حراماً، والحرام حلالاً والمباح محظوراً، والمحظور مباحاً، ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي، والحظر والإطلاق، والمنع والإباحة، فأمّا الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ»[٤].

وخالف محمد رشيد ما عليه أغلب علماء التفسير في معنى الآية التي يقع عليها النسخ في هذه الآية وهو الحكم.

---

(١) يريد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) تفسير الميزان ج ١ ص ٢٥٥.

(٣) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٤٤، الناسخ والمنسوخ للمقري ص ٤١٠، نواسخ القرآن ص١٤ والمصفى في الناسخ والمنسوخ ص ١١ كلاهما لابن الجوزي، الناسخ والمنسوخ لمرعي الكرمي ص ٢٢، مناهل العرفان ج ٢ ص ١٢٦.

(٤) ينظر: المراجع السابقة.

واتفق جمهور علماء الأمة على جواز النسخ عقلاً وشرعاً[(١)]، يقول الشوكاني (ت:١٢٥٠): «وأما الجواز[(٢)] فلم يحك الخلاف فيه إلا عن اليهود»[(٣)]، فمنعوا النسخ ليُبقوا على شرعهم المحرّف، وزعموا أن نسخ شرائعهم برسالة محمد ﷺ يستلزم البداء وهو محال على الله تعالى، فنفوا عنه النسخ وألزموا منه البداء، رغم وجود نصوص محرفة في التوراة تنسب إلى الله تعالى البداء[(٤)].

ولقد تسربت هذه العقيدة اليهودية الخبيثة إلى بعض الرافضة ومن تأثر بهم، ولكن الغلاة الروافض منهم كانوا أشد من اليهود، فجَوَّزوا النسخ والبداء على الله تعالى؛ واجتمعت اليهود وبعض الرافضة على ضلالة استلزام النسخ للبداء، لكنهم افترقوا بعد ذلك إلى ناحيتين خطيرتين، فاليهود أسرفوا في إنكار النسخ لاستلزامه في زعمهم البداء، وعليه كفروا برسالة خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلاّم، أما بعض الرافضة فأثبتوا النسخ وجَوَّزوا البداء على الله تعالى صراحة ووقاحة[(٥)]، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

والبداء محال على الله تعالى ولا يعرفه أهل السنة والجماعة، واجتمعوا مع الطوائف الأخرى من الخوارج، والمعتزلة، وجمهور الأشاعرة، وغيرهم على مقت من نسب إلى الله تعالى ذلك النقص الذي لا يليق بكماله ﷻ، فإن البداء يعني: التغيير في العلم من حال إلى

---

(١) ينظر: الإحكام لابن حزم ج ٤ ص ٤٧٠، التبصرة في أصول الفقه للشيرازي ص ٢٥١، التلخيص في أصول الفقه لأبي المعالي الجويني ج ٢ص ٤٦٧، نواسخ القرآن ص ١٤، أصول السرخسي ج ٢ ص ٥٤، المنخول للغزالي ص٣٨٣، المسودة ص ١٧٥، الفواكه العذاب ج ٣ ص٧٤، أضواء البيان ج٢ ص٤٤٦.

(٢) جواز النسخ.

(٣) إرشاد الفحول ص ٣١٣.

(٤) ينظر: إفحام اليهود لابن يحيى المغربي ص١٣٣، إغاثة اللهفان ج٢ ص٣٢١، هداية الحيارى ص١١٥.

(٥) ينظر: فرق الشيعة للحسن ص ٦٥، اللمع في أصول الفقه لإبي إسحاق الشيرازي ص٢٩، منهاج السنة ج٢ ص ٣٩٥، أخبار الشيعة وأحوال رواتها ص ٤٧.

حال: كالظهور بعد الخفاء، أو استحداث رأي جديد لم يكن معلوماً[(١)]، وأي ضلال أكبر من نسبة هذا الباطل لله، الذي أحاط بكل شيء علما، ولكن اليهود تلزم به من قال بالنسخ لتبقى على دينها المحرف، وبعض الرافضة تمسكت به لتبرر للناس أخبار أئمتهم التي تتحدث عن المستقبل فيأتي الواقع بتكذيبها، لذا أرادوا إزالة هذا التناقض وإبعاد صفة الكذب عنهم، فنسبوا ذلك التناقض إلى الله، ولكن عدّلوا في العبارة، فقالوا: (قد بدا لربكم) تعالى الله عن ذلك، وهي ذريعة يتذرعون بها كالتقية عندهم[(٢)].

أما الفرق بين النسخ والبداء[(٣)]، فهو أن النسخ ليس مسبوقاً بالجهل، وليس من لوازمه البداء، بل علم الله سابق على النسخ، والله عالم بما يشرع من أحكام، حتى إذا انقضت المدة التي جعلها الله لذلك الحكم نسخه بما سبق في علمه أنه سيكون، أما البداء فيستلزم سبق الجهل، وهذا مناف لكمال الله تعالى، فلا يجوز القول بما يؤدي إلى نفي كمال الله أو إثبات نقص في حقه ﷻ.

قال القرطبي (ت: ٦٧١): «وليس هذا من باب البداء، بل هو نقل العباد من عبادة إلى عبادة، وحكم إلى حكم، لضرب من المصلحة، إظهاراً لحكمته وكمال مملكته، ولا خلاف بين العقلاء أن شرائع الأنبياء قصد به مصالح الخلق الدينية والدنيوية، وإنما كان يلزم البداء لو لم يكن عالماً بمآل الأمور، وأما العالم بذلك فإنما تتبدل خطاباته بحسب تبدل المصالح، كالطبيب المراعي أحوال العليل، فراعى ذلك في خليقته بمشيئته وإرادته، لا إله إلا هو، فخطابه يتبدل، وعلمه وإرادته لا تتغير، فإن ذلك محال في جهة الله تعالى»[(٤)].

---

(١) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٦٢، الفروق اللغوية للعسكري ص ٥٣٨، الاختيارات العملية لابن اللحام ص ٧، التعريفات ص ٦٢، مناهل العرفان ج ٢ ص ١٣٠.

(٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية الرافضة عرض ونقد لناصر القفاري ج ٢ ص ٩٢٣، بين الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ص ١٧٣.

(٣) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس ص٤٤، الإحكام للآمدي ج ٣ ص ١٢٠، الناسخ والمنسوخ للكرمي ص ٦٥، مختصر إظهار الحق لرحمة الله الهندي ص ١٥٧.

(٤) تفسير القرطبي ج ٢ ص ٦٤.

وأما استدلال بعض الرافضة بقوله تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُ﴾ شطط وتعسف بالغ، ذلك أن المحو والإثبات بعلمه وقدرته وإرادته، من غير أن يكون جاهلاً بذلك تعالى عما يقولون، والله تعالى ختم الآية بهذا المعنى، وأن كل ذلك مسطور عنده في أم الكتاب، فالآية في النسخ(١)ولا يتطرق إليها البداء، فالمحو والإثبات جارٍ وفق ما عنده سبحانه وتعالى في أم الكتاب ولذلك قال: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، ولم يقل: ﴿...فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

وقول الطباطبائي أن موت الأئمة من البداء يكشف عن تسترهم بالبداء لخداع العوام وتبرير تناقضهم وأكاذيبهم.

والقول بتجدد علم الله جل وعلا كفر بإجماع أئمة أهل السنة(٢)، قال أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١): «من قال: إن الله تعالى لم يكن عالماً حتى خلق لنفسه علماً فعلم به، فهو كافر»(٣).

[٥٩] قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]:

التحريف في معنى ﴿يَحۡزَنُون﴾:

قال السُّلمي (ت: ٤١٢): «ولا هم يحزنون بأن يشغلهم عنه بالجنة»(٤).

سبب التحريف:

يعد السُّلمي الاشتغال بطلب الجنة حزناً وهذه من مصائب الصوفية، إذ يزعمون أنهم لا يعبدون الله لطلب الجنة وغيرها من الأجور التي وعد الله بها المؤمنين، ويدّعون أنها تشغلهم عن العبادة للحب وحده.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج ١٦ ص ٤٧٧، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٦٨، تفسير البغوي ج ٣ ص ٢٣.

(٢) ينظر: الإبانة ص ١٦٢، التبصير في الدين ص ٤٠، الجواب الصحيح ج ٣ ص ٢٢٥، الرد على المنطقيين ص ٤٦٤

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد ج ٢ ص ٣٨٥.

(٤) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٦٣.

الرد على التحريف:

خالفت الصوفية في المعتقد الفاسد الكتاب والسنة، ونقضت أصلاً عظيماً بني عليه أكثر نصوص الشرع في الترغيب في الجنة، والترهيب من النار، فصارت الجنة حادي أرواح المؤمنين وأقضّت النار مضاجع الأنبياء، والأولياء، والمرسلين، وعلى هذا اتفقت الشرائع السماوية، وجاءت أدعية الأنبياء والمرسلين في الجنة التي يرى المؤمنون بها ربهم، ويترفع عنها الصوفية، وقد تقدم الرد على مثل هذا التحريف الباطل(١).

وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يقول ابن كثير (ت: ٧٧٤): «ضَمِن لهم تعالى على ذلك تحصيل الأجور، وآمنهم مما يخافونه من المحذور فـ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلونه، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما مضى مما يتركونه»(٢).

[٦٠] **قوله تعالى**: **﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة:١١٣]**:

التحريف في معنى ﴿شَيْءٍ﴾:

قال الزمخشري (ت:٥٣٨): «أي: ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ يصح ويعتد به، وهذه مبالغة عظيمة، لأن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء...»(٣).

سبب التحريف:

هذا التفسير وإن كان صحيحاً، إلا أن تعليله باطل، وهو مما تسرب لبعض المعتزلة ومن وافقهم من الفلسفة الأفلاطونية(٤)، التي ترى أن المعدوم شيء يكتسب صفة

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٨٥.

(٣) الكشاف ج١ ص ٢٠٤.

(٤) نسبة إلى أفلاطون من مشاهير فلاسفة اليونان، وهو تلميذ سقراط ومعلم أرسطو، توفي عام ٣٤٧ ق.م. ينظر: أخبار العلماء بأخبار الحكماء لجمال الدين القفطي ص٨، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٧٦.

الوجود فيُخلق، فقولهم: المعدوم والمحال شيء؛ شبيه القول بقدم العالم[(١)]، وقدم الصفات، وفيه تنقيص من صفات كمال الله تعالى، وتقدم مثله[(٢)] في صفة القدرة والخلق، فعندهم الخلق ليس سوى نقل من العدم إلى الوجود من غير خالق[(٣)].

الرد على التحريف:

المحال والمعدوم ليس بشيء، وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة وعامة عقلاء بني آدم، ودلّ على ذلك الكتاب، والسنة، والإجماع[(٤)]، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم:٩]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم:٦٧]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [مريم:٦٠].

والتحقيق في المسألة: أن المعدوم ليس بشيء في الخارج، ولكن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون ويكتبه، وقد يذكره، ويخبر به، كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج:١]، فيكون شيئاً في العلم، لا في الخارج[(٥)]، وعليه ينبغي أن يُفرق بين ثبوت الشيء ووجوده في نفسه، فإن الأول وجوده الخارجي الحقيقي، والثاني وجوده في العلم، والله تعالى يحيط بكل شيء علماً، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، والله تعالى يشمل علمه الأزلي الوجود العلمي، والوجود الخارجي، ولا خالق غير الله تعالى، فإن من المعتزلة والشيعة من ادّعى أن المعدوم شيءٌ ثابتٌ في العدم غنيٌّ عن الله تعالى، ولم يسبقهم لهذا القول أحد من أهل الملل[(٦)].

---

(١) وهو أيضاً من مذاهب أرسطو الفيلسوف ومن تابعه من تلاميذه، ويعنون بقدم العالم أنه موجود من غير إرادة الله تعالى، بمعنى أنه لم يخلقه والعياذ بالله، ينظر: إغاثة اللهفان ج١ ص ٢٦٦.

(٢) عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠].

(٣) ينظر: الاستقامة ج١ ص ٧٢.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى ج٢ ص ١٥٦.

(٥) ينظر: المرجع السابق، المسائل الاعتزالية ج١ ص ٢٣٨.

(٦) ينظر: الإقدام في علم الكلام ص٢٥، غاية المرام للآمدي ص٢٧٤، درء التعارض ج٩ ص٢٥٥.

[٦١] **قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥]:**

التحريف في معنى ﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾:

قال هود الهواري (ت:٢٨٠) في معنى ﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾: «أي: فثم الله»[١].

وقال الماتريدي (ت:٣٣٣): «وقيل ثم وجه الله؛ ثم الله على ما ذكرنا من جواز التكلم بالوجه على إرادة الذات، أي: ليس عنهم بغائب، وقيل: ثم رضاء الله...»[٢].

وقال الرازي (ت:٦٠٦): «الآية من أقوى الدلائل على نفي التجسيم وإثبات التنزيه...ولو كان الله تعالى جسماً وله وجه جسماني لكان وجهه مختصاً بجانب معين وجهة معينة، فما كان يصدق قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ فلما نص الله تعالى على ذلك علمنا أنه تعالى منزه عن الجسمية، واحتج الخصم أن الآية تدل على ثبوت الوجه لله تعالى...»[٣].

وفي تفسير محمد رشيد (ت:١٣٥٤): «لما كان الله سبحانه منزهاً عن المادة والوجهة، واستقباله بهذا المعنى مستحيلاً؛ شرع للناس مكاناً مخصوصاً يستقبلونه في عبادتهم إياه»[٤].

وقال الجوهري (ت:١٣٥٨): «أي: جهة رضاه وليس الله مختصاً بمكان»[٥].

سبب التحريف:

تشبيه الله تعالى بالمخلوقين مرض أدّى بالمعطلة إلى تعطيل أسماء الله وصفاته، وتحريف كثير من نصوص الكتاب والسنة، وتحكيم العقل عليها، وهذا سبب تحريف معنى ﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ في هذه الآية.

---

(١) تفسير الهواري ج١ ص ١٣٨.

(٢) تفسير الماتريدي ج١ ص ٢٦٣.

(٣) تفسير الرازي ج٤ ص ٢٠.

(٤) تفسير المنار ج١ ص ٤٣٤.

(٥) تفسير الجوهري ج١ ص ١١٤.

الرد على التحريف:

فسر كثير من السلف الصالح أهل السنة والجماعة الوجه في هذه الآية بالقبلة، وقد ورد عن مجاهد[(١)] (ت:١٠٤)، ورجحه الشافعي[(٢)] (ت:٢٠٤)، وابن تيمية (ت:٧٢٨)[(٣)] وبيّنا أن قول مجاهد في الآية صحيح، وردّا على من خطأه[(٤)] بأن هذه الآية ليست من آيات الصفات، والسياق يوجب هذا التفسير، وعلى هذا التفسير جمهور من الصحابة والتابعين[(٥)].

لكن الآية من الآيات التي يستدل بها في إثبات الوجه لله تعالى كما يليق بجلاله، وذلك من فوائد الآية، وقد تعددت النصوص التي فيها إثبات الوجه للباري، ومنها قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨]، وقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧].

ولا يخالف كون الآية في الجهة والقبلة، وأن فيها إثبات الوجه لله تعالى، فإن المصلي إذا توجه إلى الله في صلاته، فهي القبلة التي يقبل الله صلاته إليها وثمّ أيضاً وجه الله حقاً[(٦)]، وحينئذ يكون المعنيان لا يتنافيان[(٧)]، والله أعلم.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج٢ ص ٥٣٤، تفسير ابن أبي حاتم ج١ ص ٢١٢، تفسير ابن كثير ج١ ص ٣٩١، الدر المنثور ج١ ص ٢٦٥.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للشافعي ج١ ص ٦٤.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ج٣ ص ١٩٣.

(٤) ممن أنكره ابن خزيمة ينظر: المرجع السابق.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى ج٢ ص ٤٢٩.

(٦) قال ﷺ: **(إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قِبل وَجْهِهِ، فإن الله قِبَلَ وَجْهِهِ إذا صلى)**أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب حك البُزَاق باليد في المسجد ج١ ص ١٥٩ برقم ٣٩٨، والحديث يرد على قول محمد رشيد في قوله السابق، أن استقبال الله بهذه الصورة محال.

(٧) ينظر: مجموع الفتاوى ج٦ ص ١٦.

ومنهج أهل السنة والجماعة في الوجه هو كغيره من الصفات، التي يثبتونها لله ﷻ من غير تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل[(١)]. بل يقولون: إن لله وجهاً لائقاً بجلاله، وهو صفة من صفاته، التي لا يشبهه بها أحد من خلقه.

ومضى الرد على تعطيل أسماء الله تعالى وصفاته تنزيها له عما ابتدعوه من ألفاظ مثل الجسمية، والجهة، والتحيز، وغيرها عند محمد رشيد والجوهري وغيرهما.

[٦٢] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥]:

التحريف في معنى ﴿وَٰسِع﴾:

أورد الرازي (ت:٦٠٦) إشكالاً على منهجه في أسماء الله تعالى فقال: «وصف نفسه بكونه واسعاً، والسعة من صفة الأجسام»[(٢)]، وأجاب عنه بقوله: «لا شك أنه لا يمكن حمله على ظاهره وإلا لكان متجزئاً متبعضاً فيفتقر إلى الخلق، بل لا بد أن يحمل على السعة في القدرة والملك، أو على أنه واسع العطاء والرحمة، أو على أنه واسع الإنعام»[(٣)].

سبب التحريف:

تكرر معنا أمثال هذا التحريف في أسماء الله تعالى وصفاته، وسببه تَوَهُّم التشبيه بالمخلوقين في الإثبات مما أدّى إلى التعطيل لأسمائه تعالى وصفاته.

الرد على التحريف:

والواسع اسم من أسماء الله تعالى تكرر في كتابه، ومنهج أهل السنة والجماعة إمرار النصوص من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ومعنى ﴿وَٰسِع﴾ أي: واسع الفضل والصفات، عظيمها[(٤)]، فهو سبحانه وتعالى واسع الصفات، والنعوت، ومتعلقاتها بحيث لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه[(٥)].

---

(١) ينظر: نقض الدارمي ج٢ ص ٧٠٤، كتاب التوحيد ج١ ص ٢٦، الإبانة ج٣ ص ٣١٩، الحجة في بيان المحجة ج١ ص٢١٥، بيان تلبيس الجهمية ج١ ص٣٥، شرح قصيدة ابن القيم ج٢ ص٣٠٠.

(٢) تفسير الرازي ج٤ ص ٢١.

(٣)تفسير الرازي ج٤ ص ٢١.

(٤) تفسير السعدي ص ٦٣.

(٥) ينظر: تفسير ابن جرير ج٢ ص ٥٣٧.

وأما ما زعمه الرازي من الجسمية فإنه لفظ مبتدع، لا بد فيه من التفصيل، وقد سبق ذلك في أكثر من مثال(١).

[٦٣] قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة:١٢١]:

التحريف في معنى ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ﴾:

نقل الطباطبائي (ت:١٤٠٤) في بحوثه الروائية قوله: «وفي الكافي(٢) عنه عليه السلام(٣) وفي الآية قال عليه السلام: هم الأئمة»(٤).

سبب التحريف:

الغلو في الأئمة عند بعض الرافضة من الشيعة سبب لتحريف كثير من الآيات، ومرّ بنا أمثاله عند الطباطبائي.

الرد على التحريف:

فضلاً عن هذا المعتقد الباطل والغلو في البشر، فإن هذا تحريف لكتاب الله تعالى وليس في الآية شيء مما افتروه، فإن الآية في المؤمنين من أهل الكتاب الذين امتدحهم الله تعالى بقوله: ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي: يتّبعونه حق اتّباعه، والتلاوة: الإتّباع، فيحلّون الحلال ويحرّمون الحرام، ويؤمنون بالنبي ﷺ، ولا يكتمون نعته الذين يجدونه في كتبهم(٥).

---

(١) ينظر: آية ٢٨ من سورة البقرة.

(٢) الكافي للكليني.

(٣) يريد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد ابتلوه بمعتقداتهم الباطلة.

(٤) تفسير الميزان ج١ ص ٢٦٠.

(٥) ينظر: تفسير الطبري ج٢ ص ٥٦٤، تفسير ابن كثير ج١ ص ٤٠٣، تفسير القرطبي ج٢ ص ٩٥، الكشاف ج١ ص٢٠٩، تفسير السعدي ص ٦٥.

[٦٤] **قوله تعالى:** ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[**البقرة:١٢٤**]:

التحريف في معنى ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾:

نقل الطباطبائي (ت:١٤٠٤) في معنى ﴿أَتَمَّهُنَّ﴾ نقولات باطلة، قال فيها: «فأتمهن بمحمد، وعلي، والأئمة، من ولد علي في قول الله: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٣٤]»(١).

سبب التحريف:

معتقد الرافضة الذي ينتمي إليه المفسّر هو السبب في هذا التحريف، كما مضى في المثال السابق.

الرد على التحريف:

سبق الحديث عن هذا الغلو عند الرافضة، وبيان معتقدهم الفاسد الذي نسبوه للأئمة من آل البيت، وافتروا عليهم من الأباطيل ما هم منه براء.

أمّا ما حرّفه من معنى ﴿أَتَمَّهُنَّ﴾ فإنه مردود وهو ظاهر البطلان، إذ خالف فيه قول جماهير المفسّرين على أن الآية في إتمام إبراهيم ﷺ ما ابتلاه الله تعالى به من الأوامر والنواهي، فشكر له الله تعالى إكماله وإتمامه ما أمره به، فقال له: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، أي: يقتدون بك في الهدى(٢).

وأما قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فإنها في اصطفاء آل إبراهيم وآل عمران، إذ سياق الآيات في الحديث عنهم، قال أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠): «يعني بذلك: إن الله اصطفى آل إبراهيم وآل عمران ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾»(٣).

---

(١) تفسير الميزان ج١ ص ٢٧٩.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج٣ ص ٧، تفسير البغوي ج١ ص ١٤٤، تفسير القرطبي ج٢ ص ١٠٦، تفسير ابن كثير ج١ ص ٤٠٥، تفسير السعدي ص ٦٥.

(٣) تفسير الطبري ج٦ ص ٣٢٧.

[٦٥] **قوله تعالى:** ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [**البقرة:١٢٤**]:

التحريف في معنى ﴿إِمَامًا﴾و﴿ٱلظَّٰلِمِين﴾:

فسّر الطباطبائي (ت:١٤٠٤) (إماما) بالإمامة على مذهبه الرافضي، فقال: «إماما أي: مقتداً يقتدي بك الناس، ويتبعونك في أقوالك وأفعالك، فالإمام هو الذي يقتدي ويأتم به الناس، ولذلك ذكر عدة من المفسّرين أن المراد به النبوة...لكنه غاية في السقوط»(١)، ويجعل قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بيان لشروط الإمام ومنها العصمة والعدل، فيقول: «المراد بالظالمين في قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مطلق من صدر عنه ظلم ما، من شرك أو معصية، وإن كان منه في برهة من عمره، ثم تاب وصلح»(٢)، ويشترط في استخراج شروط الإمامية من الآية بقوله: «وقد ظهر مما تقدم من البيان أمور: الأولى: أن الإمامة لمجعولة، الثاني: أن الإمام يجب أن يكون معصوماً بعصمة إلهية، الثالث: أن الأرض وفيه الناس، لا تخلو عن إمام حق، الرابع: أن الإمام يجب أن يكون مؤيداً من عند الله تعالى، الخامس: أن أعمال العباد غير محجوبة عن علم الإمام، السادس: أنه يجب أن يكون عالماً بجميع ما يحتاج إليه الناس في أمور معاشهم ومعادهم، السابع: أنه يستحيل أن يوجد فيهم من يفوقه في فضائل النفس، فهذه سبعة مسائل هي أمهات مسائل الإمامة، تعطيها الآية الشريفة بما ينضم إليها من الآيات»(٣).

الرد على التحريف:

الإمامة هي المحور الذي تدور عليه عقيدة الرافضة من الشيعة، لذلك نُسبوا إليها وسُمّوا بها، فعليها بنوا معتقداتهم الباطلة، وإليها ينسبون افتراءاتهم الشنيعة، وهم يرون أن الإمامية هو الأصل الذي امتازت به وافترقت عن سائر فرق المسلمين(٤).

---

(١) تفسير الميزان ج١ ص ٢٧٠.

(٢) المرجع السابق ج١ ص ٢٧٤،٢٧٥.

(٣) المرجع السابق ج١ ص ٢٧٤،٢٧٥.

(٤) أصل الشيعة وأصولها ص ٦٥.

ويعتقدون أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله، أو الإمام المنصوب إذا أراد أن ينص على الإمام من بعده، ويفترون على النبي ﷺ أنه نص بها إلى ابن عمه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أمينا للوحي وإماماً للخلق، ثم انتقلت إلى أبنائه وأحفاده، ومن هنا غلوا في الأئمة، وادّعوا لهم العصمة وعلم الغيب، ونسبوا لهم كثيراً من الروايات الباطلة وزعموا أنها وحي، وينتظرون آخرهم وهو المهدي المنتظر؛ الإمام المزعوم[1].

وهذا المعتقد الذي تدين به جماهير الرافضة إفك وبهتان، افتروه على الله ورسوله وآل البيت، ومنهج أهل السنة والجماعة أن الإمامة فرض واجب على الأمة، لأجل إقامة إمام يقيم شأن الدولة[2]، ويرون أن اختياره يُعقد بالاجتهاد، فلما كان أفضل الخلق بعد الأنبياء أبا بكر الصديق رضي الله عنه أثبتوا له الخلافة بعد النبي ﷺ تقديماً له على الأمة، ثم لعمر رضي الله عنه، ثم لعثمان رضي الله عنه ثم لعلي رضي الله عنه، فهؤلاء هم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون[3]، دون إفراط في حقهم ولا تفريط في الغلو بهم لكن غلاة الرافضة طعنوا في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ومنهم من يحكمون عليهم بالردة والعياذ بالله[4].

وقوله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ لا دليل لهم فيها، وليس فيها شيء مما قاله الطباطبائي، بل هي من ضمن الآيات الكثيرة التي حرَّفوها جرياً على معتقدهم الفاسد، فإن علماء التفسير على أن الإمامة في الآية النبوة والقدوة في الدين اللتان آتاهما الله تعالى إبراهيم عليه السلام، وما تزعمه الرافضة في أئمتهم محض افتراء وكذب، فضلاً عن الاستدلال بكتاب الله تعالى على ما افتروه من إمامتهم وعصمتهم[5].

---

(١) ينظر: غياث الأمم والتياث الظلم لأبي المعالي الجويني ص ٧٢، جامع الرسائل ص ٢٦٤، رسالة في الرد على الرافضة لمحمد بن عبد الوهاب ص ٢٨.

(٢) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص١٦١، المغني ج٩ ص٢٠، الاستقامة ج٢ ص٣١٧.

(٣) ينظر: تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة للأصبهاني ص ٢.

(٤) ينظر: التبصير في الدين، ص٤١، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ج٢ ص٤٤٩.

(٥) ينظر: منهاج السنة ج٢ ص ٢٢٨.

وقد تقدم الرد على أمثال هذا التحريف عند الطباطبائي[(١)].

[٦٦] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥]:

التحريف في معنى ﴿ٱلْبَيْتَ﴾:

قال السُّلمي (ت:٤١٢): «سمعت منصورا[(٢)] يقول بإسناده عن جعفر عليه السلام قال: البيت ها هنا محمد ﷺ، فمن ءامن به وصدّق برسالته دخل في ميادين الأمن والأمانة»[(٣)].

سبب التحريف:

بمثل هذه التحريفات يملأ الصوفية تفاسيرهم، ويزعمون أنها إشارات ومعانٍ باطنة للآيات، وهي معاني باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، لا تدل عليها لغة، ولم يرد بها نص، وإنما هي أوهام نفس.

الرد على التحريف:

البيت في الآية هو البيت الحرام، وما ذكره السُّلمي تحريف لمعناه، لم يذكره أحد من المفسّرين قديماً ولا حديثاً، وأطبقوا على أنه البيت الحرام[(٤)].

---

(١) ينظر: الآية [٣] من سورة البقرة.

(٢) هو منصور بن عمار ابن كثير أبو السري السُّلمي الدمشقي الواعظ الصوفي، كان حسن الموعظة والتذكير، سكن بغداد وحدث بها عن الليث، وابن لهيعة، ومعروف الخياط، وحفص بن زياد وغيرهم، ولكن علماء الجرح والتعديل ذكروه في الضعفاء والمجروحين كما سيأتي، حدث عنه: ابناه سُليم وداوود، وزهير بن عباد، وأحمد بن منيع وغيرهم، مات سنة ٢٢٥ وفيه خلاف، ينظر: طبقات الصوفية للأزدي ص٣١١، تاريخ بغداد ج١٣ ص٧١، الأنساب للسمعاني ج٢ ص٤٩٧، ديوان الإسلام لأبي المعالي الغزي ص ٧٩.

(٣) تفسير السُّلمي ج١ ص ٦٥.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ج٣ ص٢٥، تفسير ابن كثير ج١ ص٤١٢، الدر المنثور ج١ ص٢٨٩.

أمّا منصور بن عمار (ت:٢٢٥) فهو منكر الحديث؛ وشيوخه مجهولون إلى جعفر رضي الله عنه (ت:١٤٨)[١]، قال أبو حاتم (ت:٢٧٧): «ليس بالقوي»[٢]، وقال الدارقطني (ت:٣٨٥): «يَروي عن ضعفاء أحاديث لا يتابع عليها»[٣]، وقال ابن عدي (ت:٣٦٥) في الضعفاء: «منكر الحديث»[٤].

وروايته هذه منكرة مقطوعة؛ وهو وإن كان لا يتعمّد الكذب، كما قال ابن عدي[٥]؛ فإن الرواية كذب وافتراء على جعفر رضي الله عنه من جهة غير منصور، والله أعلم.

[٦٧] **قوله تعالى**: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [**البقرة:١٢٨**]:

التحريف في معنى ﴿مُسْلِمَيْنِ﴾:

أنكر الطباطبائي (ت:١٤٠٤) أن يسأل إبراهيم عليه السلام ربه الإسلام بمعناه المعروف، ويعرب عن السبب بقوله: «وإبراهيم عليه السلام ...أجل من أن يُتصور في حقه أن لا يكون قد ناله إلى هذا الحين»[٦]، ولذا يرى أن الإسلام الذي يسأله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلاّم غير ما نعرفه من معناه، وغير ما سألاه لذريتهما، وهو- أي: الإسلام المطلوب - غير ما كان من إسلاّمه الأول، ومما قاله: «فهذا الإسلام المسؤول غير المتداول المتبادر عندنا، فإن الإسلام مراتب...فالمراد بهذا الإسلام المطلوب غير ما كان عنده من الإسلام الموجود...وهو تمام العبودية»[٧].

---

(١) ينظر: كلام المحقق لتفسير السُّلمي ج١ ص ٦٥.

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج٨ ص ١٧٦.

(٣) ينظر: تاريخ مدينة دمشق ج٦٠ ص٣٢٨، ميزان الاعتدال ج٦ ص٥٢١، لسان الميزان ج٦ ص٩٨.

(٤) الكامل في الضعفاء ج٦ ص ٣٩٣.

(٥) المرجع السابق.

(٦) تفسير الميزان ج١ ص ٢٨٣.

(٧) تفسير الميزان ج١ ص ٢٨٣.

ويلخص رأيه في معنى الآية بقوله: «وعلى هذا يكون المراد بالإسلام في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾، ما يليق بشأن إبراهيم وإسماعيل، وفي قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسۡلِمَةً لَّكَ﴾، ما هو اللائق بشأن الأمة التي فيها المنافق، وضعيف الإيمان وقويّه، والجميع مسلمون»(١).

سبب التحريف:

يرجع قول الطباطبائي إلى الغلو في عصمة الأنبياء عن الصغائر(٢). وقد غلا كثير من الرافضة ومن وافقهم في عصمة الأنبياء، وزادوا عليهم أئمتهم المزعومة حتى أخرجوهم عن بشريتهم، فاستعظموا منهم طلب الثبات على دين الإسلام، وعَدُّوه غير لائقٍ بمقامهم البشرية، فتأوّل الطباطبائي الإسلام على غير معناه، والذي يُدلّل على أن هذا التأويل بسبب قولهم بعصمة الأنبياء عن الصغائر، قوله: «فقد تبين أن المراد بالإسلام والبصيرة في العبادة، غير المعنى الشائع المتعارف، وكذلك المراد بقوله تعالى: ﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآ﴾، لأن إبراهيم و إسماعيل كانا نبيّين معصومين بعصمة الله تعالى، لا يصدُر عنهما ذنب، حتى يصح توبتهما منه»(٣).

الرد على التحريف:

سأل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلاّم ربهما الإسلام لأنفسهما ومن اتبعهما من ذريتهما، ويوضح إمام المفسّرين أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠) معنى الآية بقوله: «يعنيان بذلك: واجعلنا مستسلمين لأمرك، خاضعين لطاعتك، لا نشرك معك في الطاعة أحداً سواك، ولا في العبادة غيرك، وقد دلّلنا فيما مضى على أن معنى "الإسلام": الخضوع لله

---

(١) المرجع السابق ج١ ص ٢٨٥.

(٢) سبق بيان منهج أهل السنة في عصمة الأنبياء عند قوله تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥].

(٣) تفسير الميزان ج١ ص ٢٨٤.

بالطاعة»(١)، وهو ما سألاه لبعض ذريتهما(٢)، لذلك يقول القرطبي (ت:٦٧١): «قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ أي: ومن ذريتنا فاجعل»(٣).

ويبين ابن كثير (ت:٧٧٤) وغيره من المفسّرين أن هذا دأب الصالحين في الدعاء لذريتهم فيقول: «وهذا الدعاء من إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلاّم، كما أخبر الله تعالى عن عباده المتقين المؤمنين، في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤]، وهذا القدر مرغوب فيه شرعاً، فإن من تمام محبة عبادة الله تعالى أن يحب أن يكون من صلبه من يعبد الله وحده لا شريك له..»(٤).

وأجاب جمهور المفسّرين على الاعتراض بأنهما كانا مسلمين، أنهما دعوا الله بالدوام والثبات على هذا الدين(٥).

وادّعاء الطباطبائي أن الإسلام الذي دعا به إبراهيم عليه السلام لذريته أقل درجة مما سأله لنفسه؛ يُعترض عليه بأن النبي صلى الله عليه وسلم من ذرية إبراهيم عليه السلام ولا شك أنه أفضل الأنبياء عليه السلاّم، وتفريقه بين الدعائين لا دليل عليه، ولم يقل به علماء التفسير، فهو قول ساقط وتحريف لمعنى الآية.

---

(١) تفسير الطبري ج٣ ص ٧٤.

(٢) خص إبراهيم عليه السلام بعض ذريته بالدعاء لما علم بإخبار الله تعالى أن من ذريته من يكون كافراً، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ينظر: تفسير ابن كثير ج١ ص ٢٣٤.

(٣) تفسير القرطبي ج٢ ص ١٢٦.

(٤) تفسير ابن كثير ج١ ص ٤٤٢.

(٥) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ج١ ص ٢٣٤، معاني القرآن للنحاس ج٣ ص ٥٣٥، تفسير البيضاوي ج١ ص٤٠١، تفسير الخازن ج١ ص١١٠، تفسير النيسابوري ج١ ص٤٠١، توحيد الألوهية ص١٨٤، الدر المنثور ج١ ص٣٣١، تفسير أبي السعود ج١ ص١٦١، فتح القدير ج١ ص١٤٢.

[٦٨] **قوله تعالى:** ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ **[البقرة:١٣٠-١٣١]:**

التحريف في معني الإسلام:

قال محمد رشيد (ت:١٣٥٤): «ومعنى الإسلام الذي دعا إليه القرآن تقوم به الحجة على المشركين، ويعترف به اليهود والنصارى لأنه روح كل دين، وهو الذي دعا إليه النبي ﷺ، والدعوة إلى اللقب لا معنى لها، قال الأستاذ الإمام بعد تقديره هذا المعنى: وبه يظهر خطأ من خصص الرغبة عن ملة إبراهيم بالميل إلى اليهودية أو النصرانية»[١].

سبب التحريف:

يرى محمد رشيد وأستاذه أن اليهود والنصارى يعترفون بالإسلام، وإنكار تفسير الرغبة عن ملة إبراهيم باليهودية والنصرانية يرجع إلى زعمهم أن اليهود والنصارى ليسوا كفاراً، بل هم مؤمنون بالله، وقد سبق ذكر مزيد من أقوالهم تُدلّل على ذلك عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٦٢].

الرد على التحريف:

الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترق معناهما؛ فيكون الإسلام ظاهر وهو الإقرار بالشهادتين، والإيمان باطن وهو أخص وأعلى مرتبة وهو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر إقراراً بالقلب، وتصديقاً باللسان، وعملاً بالأركان، وإذا افترقا فهما بمعنى واحد[٢]؛ وعلى كلا الأمرين فإن اليهود لا يعترفون به، بل لا يشهدون أن محمداً

---

(١) تفسير المنار ج١ ص ٤٧٨.

(٢) ينظر: شرح الإيمان والإسلام وتسمية الفرق والرد عليهم ج١ ص٣١، اعتقاد أئمة الحديث ص ٦٧، الإيمان لابن منده ج١ ص ٣١١، الكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر ص ١٤، شرح الأربعين للنووي ص ٧، مجموع الفتاوى ج٧ ص ٣٣٠، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٤، الفتاوى لمحمد عبد بن الوهاب ص ٥٦، وله عقيدة الفرقة الناجية ص ١٨.

رسول الله ﷺ، وأنكروا نعته وبعثته وحاربوه ونصبوا له العداء، فهم الكفار حقا لا شك في كفرهم، والشك في ذلك من نواقض الإسلام، وسبق الرد على مثل هذا التحريف عند آية ٦٢ من سورة البقرة، والرغبة عن ملة إبراهيم، هي رغبة عن دين الإسلام، لأن الإسلام يأمر بالإيمان بجميع الرسل، والرسول ﷺ خاتمهم وهو دعوة إبراهيم عليه السلام قال ﷺ: (**أنا دعوة أبي إبراهيم وهو يرفع القواعد في البيت** ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ﴾ [البقرة:١٢٩])[(١)]، وأول من رغب عن ملة إبراهيم عليه السلام؛ هم اليهود والنصارى، وسياق الآيات في الحديث عنهم، وذكر بعض المفسّرين أنها نزلت في اليهود الذين أحدثوا طريقاً ليست من عند الله، وخالفوا ملة إبراهيم فيما أخذوه[(٢)]، فلا وجه لرد محمد عبده (ت:١٣٢٣) هذا التفسير.

[٦٩] قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:١٣١]:

التحريف في معنى ﴿أَسۡلِم﴾:

أورد السُّلمي (ت:٤١٢) عبارات باطلة على غرار إشاراته الصوفية، ومما قاله: «وقيل أسلم: أي أظهر موافقة الخلة في حالي سرّائك وضرّائك ليعلم الحق منك ما تعلمه»[(٣)]، وقال: «وقيل: إن العرب تقول: أسلم أي: استأنس، وكأن الله يقول: استأنس فإن مثلك لا يحمل الطوارق بمحن الحوادث، بل يحدث إلى الاستغراق في بلايا القدم...»[(٤)].

سبب التحريف:

هذه التحريفات الباطلة على طريقة غلاة الصوفية في تفسير كتاب الله تعالى، وسبق أمثال هذه المعاني الباطنة والإشارات.

---

(١) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ج١ ص ٣٠٢، الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب ج٢ ص٤٥٣ برقم ٣٥٦٦، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد باب قدم نبوته ﷺ ج٢ ص١٦٢ برقم ١٣٨٤٥، والسيوطي في جامع الأحاديث ج٢ ص ٤٤٧.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ج١ ص ٤٤٥.

(٣) تفسير السُّلمي ج١ ص ٦٥.

(٤) المرجع السابق.

الرد على التحريف:

سبق الرد على أمثال هذه التحريفات عند السُّلمي، وما قاله في هذه الآية لا يمكن قبوله في تفسير كتاب الله تعالى، لأنه قول بلا زمام ولا خطام، وفي قوله تعالى: ﴿أَسْلِمْ﴾ يقوا ابن كثير (ت: ٧٧٤): «أمره بالإخلاص له والاستسلاَّم والانقياد»[(١)]، ومعنى الآية: أن الله تعالى طلب من خليله عليه السلام إخلاص العبادة لله تعالى والثبات على دين الإسلام، بدليل قوله: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢]، فالذي وصّى به لإبراهيم عليه السلام بنيه قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ فوصاهم بالدين وهو الإسلام والموت عليه، وهو ما طلب منه في قوله تعالى: ﴿أَسْلِمْ﴾ وطلب الإسلام من المسلم؛ أي: إخلاصه والثبات عليه[(٢)]، فأين ما حرّفه السُّلمي من القول الحق في تفسير الآية كما جاء عن أئمة التفسير.

[٧٠] قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦].

التحريف في المخاطب بقوله ﴿قُولُوٓاْ﴾:

نقل الطباطبائي (ت:١٤٠٤) في معناها نقولاً باطلة عن بعض علماء الشيعة، فقال: «إنما عنى بها عليًّا وفاطمة والحسن والحسين وجرت بعدهم في الأئمة...»[(٣)]، وتعقب هذه النقول مؤيداً بقوله: «ويستفاد ذلك من وقوع الخطاب في ذيل دعوة إبراهيم ومن

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص ٤٤٦.

(٢) تفسير الطبري ج٣ ص ٩٣، تفسير القرطبي ج٢ ص ١٣٤، تفسير البغوي ج١ ص ١٥٢.

(٣) تفسير الميزان ج١ ص ٣١٥.

ذريتنا أمة مسلمة لك...»[1].

سبب التحريف:

عقيدة المفسّر تملي عليه هذا الغلو الذي دانت به بعض الرافضة، وقد ادعوا حب آل البيت وجاوزوا فيهم الحق، ونسبوا إليهم دينهم الباطل وهو منهم براء.

الرد على التحريف:

سبق الرد على مثل هذا التحريف عند الطباطبائي[2]، وما ذكره من تخصيص للآية لا دليل عليه، وهو افتراء، ملأت غلاة الشيعة بأمثاله كتبهم، والآية عامة في خطاب المسلمين أجمعين[3].

[٧١] قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ **[البقرة:١٣٨]**:

تحريف معنى ﴿صِبْغَةَ﴾:

نقل الطباطبائي (ت:١٤٠٤) عن الكليني وغيره تحريفاً في معنى ﴿صِبْغَةَ﴾ بقوله: «صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق»[4]، وقال ناصراً لهذا التفسير: «وهو من باطن الآية..»[5].

سبب التحريف:

الولاية المحور الذي تدور عليه عقيدة غلاة الرافضة، وقد طوّعوا النصوص لهذا المعتقد الباطل محرفين لما يعترضهم من كتاب الله.

---

(١) تفسير الميزان ج١ ص ٣١٥.

(٢) ينظر: الآيات [٣، ١٢١، ١٢٤] من سورة البقرة.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ج٣ ص ١٠٩.

(٤) تفسير الميزان ج١ ص ٣١٥.

(٥) المرجع السابق.

الرد على التحريف:

الصبغة هنا هي صبغة الإسلام(١)، كما جاء في كتب التفسير، وما ذكره الطباطبائي فيها كذب وافتراء، معتقداً وتفسيراً، وسبق رده عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤].

[٧٢] قولــــــه تعــــــالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٦]:

التحريف في معنى ﴿رَٰجِعُون﴾:

قال الرازي (ت:٦٠٦): «واعلم أن الرجوع إليه ليس عبارة عن الانتقال إلى مكان أو جهة، فإن ذلك على الله محال، بل المراد أنه يصير إلى حيث لا يملك الحكم فيه سواه»(٢).

سبب التحريف:

هذا التحريف سببه نفي العلو عن الله تعالى، لأنه يلزم عند المشبهة أن يكون الله جسماً. والرازي هنا يفسر الرجوع إلى الله بالرجوع إلى ملكه هرباً من تلك الألفاظ التي ابتدعها المشبهة والمعطلة مثل الجهة والجسمية وغيرها.

الرد على التحريف:

ابتدع هؤلاء المتكلمون ألفاظاً غير معروفة في الشرع، وزعموا تنزيه الله عنها مثل الجسمية والجهة والمكان، ونفيهم يحمل معنى باطلاً وآخر حقاً، وقد سبق تفصيله(٣)، أما

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل ج١ ص ٨١، تفسير الثوري ج١ ص ٤٩، تفسير الطبري ج٣ ص ١١٧، تفسير ابن أبي حاتم ج١ ص٢٤٥، تفسير السمرقندي ج١ ص١٢٤، إعجاز القرآن للباقلاني ص٧٧، التبيان في إعراب القرآن للعكبري ج١ ص١٢٢، التحرير والتنوير ج١ ص٧٤٢، تفسير السعدي ص ٦٨.

(٢) تفسير الرازي ج٤ ص ١٧١.

(٣) ينظر: آية ٢٨، ٤٦ من سورة البقرة.

نفي علو الله تعالى فإنه باطل، فالله تعالى متعالي فوق عرشه فوق سماواته، وقد أنكر ذلك أهل التحريف ومضى الرد عليهم(١).

والواجب إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي ما نفاه عن نفسه في كتابه وسنة رسوله ﷺ، فإن أهل التحريف من المشبهة والمعطِّلة أثبتوا لله ما أملته عليهم عقولهم، ونفوا عنه ما أثبت لنفسه جَلَّ جَلالُه.

[٧٣] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨]:

التحريف في معنى ﴿ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾:

قال السُّلمي (ت:٤١٢): «سمعت منصوراً يقول بإسناده عن جعفر، قال: الصفا الروح لصفائها من درن المخالفات، والمروة: النفس لاستعمالها المروءة في القيام بخدمة سيدها، قال: الصفا: صفاء المعرفة، والمروة: مروءة العارف، وقال الصفا: التصفية من كدورات الدنيا وهوى النفس، والسعي هو الهروب إلى الله، فإذا اجتمع سعيك بالهرب إلى الله فلا تبطله بالنظر إلى غيره»(٢).

سبب التحريف:

سبب هذه التحريفات التي ملأ بها غلاة الصوفية كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، زعمهم أنها معانٍ باطنة أشارت إليها الآيات تقوّلاً على الله بغير علم.

الرد على التحريف:

هذا التحريف ساقط معلوم البطلان، وسبق الحديث عن رواية منصور عن جعفر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٣)، أما الصفا فهو جمع صفاة وهي الصخرة الملساء، وأما المروة فإنها الحصاة

---

(١) ينظر: آية ٢٩ من السورة.

(٢) تفسير السُّلمي ج١ ص ٦٩.

(٣) عند قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا...﴾ [البقرة: ١٢٥].

الصغيرة[(١)]، وإنما عني الله تعالى في هذه الآية؛ الجبلين المسمين بهذين الاسمين، اللذين في حرمه دون سائر الصفا والمرو، ولذلك أدخل فيهما الألف واللام، ليعلم عباده أنه عنى بذلك الجبلين المعروفين بهذين الاسمين دون سائر الأصفاء والمرو، وأعلم عباده أن السعي بينهما من مشاعر الحج التي فرض عليهم[(٢)].

[٧٤] قوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨]:

تحريف معنى ﴿شَاكِرٍ﴾:

قال الرازي (ت:٦٠٦): «فاعلم أن الشاكر في اللغة هو المظهر للإنعام عليه، وذلك في حق الله تعالى محال، فالشاكر في حقه تعالى مجاز...»[(٣)]، ثم صرف اسم الله تعالى الشاكر عن حقيقته، وجعله من قبيل التلطف مع العباد أو التشبيه أو قبول الطاعة[(٤)].

سبب التحريف:

مضى أمثال هذا التحريف الكثير، وسببه تشبيه أسماء الله تعالى وصفاته بالمخلوقين، مما اضطرهم هذا المرض (مرض التشبيه) إلى تعطيل أسماء الله وصفاته.

الرد على التحريف:

الشاكر اسم من أسماء الله تعالى التي أثبتها لنفسه، وهو سبحانه شكور، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٣٤]، ومن صفاته الشكر، فاسم الشاكر يدل على صفة الشكر؛ وشكر الله تعالى صفة ثابتة لله جلا وعلا نمرها كما جاءت، ومن معاني صفة شكر الله عز وجل أنه يثيب العامل أكثر من عمله، إلى

---

(١) ينظر: أساس البلاغة ص١٩٣، النهاية في غريب الأثر ج٣ ص٤١، ٧٣، لسان العرب ج١٤ ص٤٦٢، ج١٥ ص ٢٧٥، مختار الصحاح ج١ ص ١٥٣.

(٢) تفسير الطبري ج٣ ص ٢٢٤، ٢٢٥، بتصرف يسير.

(٣) تفسير الرازي ج٤ ص ١٧٩.

(٤) ينظر: المرجع السابق.

سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وهو الذي يشكر اليسير من الطاعة، ويعطي عليه الكثير من المثوبة، فاسم شاكر على الحقيقة لا على المجاز، وما ذكره الرازي من تأويلات من لازم الاسم والصفة لا هي نفسها(١).

[٧٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩]:

التحريف في معاني ألفاظ الآية:

قال الطباطبائي (ت:١٤٠٤) في بحوثه الروائية: «في تفسير العياشي عن بعض أصحابنا عن الصادق عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾، قال: نحن نُعنى بها-والله المستعان- إن الواحد منا إذا صارت إليه، لم يكن له أو لم يسعه إلا أن يبين للناس من يكون بعده»(٢).

ويقصدون أئمتهم المكذوبة؛ كل إمام ينصب الذي بعده.

وفي بحث آخر يقول: «وفي تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ قال: نحن هم...﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾، في عليّ»(٣).

سبب التحريف:

ملأ الرافضة الشيعة كتبهم بمثل هذه التحريفات، التي لا يقضي العالم منها عجبه، وتجرؤوا على الافتراء في كتاب الله عز وجل والوضع في الحديث، ليوافق ما أرادوا من باطل.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج٣ ص ٢٤٧، تفسير البغوي ج١ ص ١٧٥، تفسير العثيمين ج٢ ص ١٨٥، أسماء الله الحسنى في خواتم آيات سورة الفاتحة والبقرة لعلي العبيد ص ٣٨.

(٢) تفسير الميزان ج١ ص ٣٩١.

(٣) المرجع السابق ج١ ص ٣٩٢.

الرد على التحريف:

مضى في مواضع كثيرة[(١)] من البحث الرد على أمثال هذا التحريف؛ وما ذكره الطباطبائي تحريف لمعنى الآية، والمفسّرون على أن الآية في أهل الكتاب الذين جحدوا نعت النبي ﷺ الذي يجدونه في كتبهم.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ أي: أن أولئك الكاتمين تلعنهم البهائم، وسائر الخلق، كما يلعنهم الله تعالى[(٢)].

[٧٦] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾[البقرة:١٦٥]:

التحريف في معنى المحبة:

قال الماتريدي (ت:٣٣٣): «المحبة؛ محبة الشهوة والميل إليها، وهو في الخلق، لا يُحتمل في الله، ومحبته؛ الطاعة، وإيثار الأمر، والإعظام»[(٣)].

سبب التحريف:

كل تعطيل أو تحريف لأسماء الله وصفاته، وراءه مرض التشبيه (فكل معطل مشبه)[(٤)] والعكس صحيح، وهو سبب تحريف الماتريدي صفة المحبة وتأويلها بآثارها، ألا تراه يقول: «وهو في الخلق، لا يُحتمل في الله»، وهذه قاعدة رئيسة مضطردة عند نفاة الصفات، فعندما تمر عليهم آيات الأسماء والصفات ينقدح في عقولهم مرض التشبيه، فينفون عن الله ﷻ أسمائه وصفاته التي أثبتها لنفسه ظناً منهم أنهم ينزهون الله تعالى[(٥)].

---

(١) ينظر: على سبيل المثال آية ١٢٤ من سورة البقرة.

(٢) ينظر: تفسير الصنعاني ج١ ص ٦٤، ٥٧، تفسير الطبري ج٣ ص ٢٤٩، الكشاف ج١ ص ٢٣٥، تفسير القرطبي ج٢ ص١٨٤، التسهيل لعلوم التنزيل ج١ ص٦٦، تفسير ابن كثير ج١ ص٤٧٢.

(٣) تفسير الماتريدي ج ص ٣١٢.

(٤) ينظر: تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي لعبد الرزاق البدر ص ١٣٣، الصواعق المرسلة ج١ ص ٢٤٤.

(٥) ينظر: أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة لعمر الأشقر ص ١٧٥.

الرد على التحريف:

أثبت الله ﷻ محبته للمؤمنين، ومحبتهم له في كتابه وسنة نبيه ﷺ؛ فمن الآيات قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤]، وغيرها كثير من الآيات التي يثبت الله تعالى فيها محبته للتوابين، والمحسنين، والمتقين، ومن الآيات التي تثبت محبة المؤمنين لربهم هذه الآية.

ومن الأحاديث قوله تعالى في الحديث القدسي: (**لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه...**) الحديث[١]، وقوله ﷺ: (**إن الله يحب العبد التقيَّ الغنيَّ الخفيَّ**)[٢]، وحين سأل الأعرابي النبي ﷺ متى الساعة؟ فقال: (**ماذا أعددت لها؟**) قال: حب الله ورسوله، فقال ﷺ: (**أنت مع من أحببت**) [٣] ولم ينكر عليه.

وكثيرة هي النصوص التي تثبت حب الله للمؤمنين، وحبهم له على الحقيقة[٤]، دون تأويل إلى آثار المحبة فقط، أو تعطيل.

وحب الله تعالى صفة فعلية أثبتها لنفسه، فنثبتها على الوجه اللائق به ﷻ، وما أمر به من قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

---

(١) سبق تخريجه عند الآية [٦] من سورة الفاتحة ص٣٦٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقاق ج٤ ص ٢٢٧٧ برقم ٢٩٦٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب ج٤ ص ٢٠٣٢ برقم ٢٦٣٩.

(٤) ينظر: المتحابين في الله لابن قدامة ص ٢٥.

[٧٧] **قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [**البقرة:١٦٧**]:

التحريف في معنى ﴿وَمَا هُم﴾:

قال الزمخشري (ت:٥٣٨): «﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ هم بمنزلته في قوله:

هُـــمْ يَفْرِشُـــون اللِّبـــد كـــلّ طِمِـــرّة[(١)]

في دلالته على قوة أمرهم فيما أسند إليهم لا على الاختصاص»[(٢)].

سبب التحريف:

أراد الزمخشري تحريف معنى الآية التي تفيد اختصاص الكفار بالتخليد في النار، ليضم إليهم أهل الكبائر الموحِّدين على معتقده الاعتزالي، يقول ابن المنيّر (ت:٦٨٣) في الانتصاف: «أشد ما أخفى في هذه الكلمات معتقداً، وربّ صدره كلمات فهو ينفس عن نفسه خناق الكتمان، بما ينفثه منه في بعض الأحيان، وكشف ذلك أن يقال: لما استشعر دلالة الآية لأهل السنة[(٣)] على أنه لا يخلد في النار إلا الكافر، وأما العاصي - وإن أصرّ على الكبائر - فتوحيده يخرجه منها ولابد وفاءً بالوعد»[(٤)].

الرد على التحريف:

في الآية دلالة صريحة لأهل السنة على اختصاص الكفار بالخلود في النار، وأما صاحب الكبيرة فتوحيده يخرجه منها وعداً من الله تعالى، ووجه الدلالة أن الجملة ابتدأت

---

(١) لم أعثر عليه فيما بين يدي من المصادر، واللبد نوع من البُسط، والطمرة: البالي والخلق من الثياب ينظر: لسان العرب ج٣ ص ٣٨٦، ج٤ ص ٥٠٣.

(٢) الكشاف ج١ ص ٢٣٨.

(٣) يُسمي الأشاعرة أهل السنة.

(٤) الانتصاف على هامش الكشاف ج١ ص ٢١٠.

بضمير مبتدأ ﴿هُم﴾، ومثل هذه العبارة تقتضي الاختصاص والحصر لغة[١]، وقد احتال الزمخشري في تحريف الآية، والآية تفضح حيلته، فإن منطوقها يدل على أن الكافرين لا مطمع لهم في الخروج من النار، وهذا يُفهم منه بطريق المخالفة أن هناك من يخرج من النار بعد أن يدخلها؛ وهم عصاة الموحدين فإنهم على معتقد أهل السنة والجماعة لا يخلدون في النار، بل يخرجون منها برحمة أرحم الراحمين، ثم بشفاعة الشافعين[٢]، بل قبل هذا كله إن ماتوا قبل التوبة فهم تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم، وإن شاء عذبهم، ثم يخرجهم منها إلى الجنة[٣].

تقدم مثل هذا التحريف والرد عليه بشيء من التفصيل[٤].

[٧٨] قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢]:

التحريف في معنى ﴿مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾:

قال الزمخشري (ت:٥٣٨): «﴿مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ من مستلذاته، لأن كل ما رزقه الله لا يكون إلا حلالاً»[٥].

---

(١) ينظر: الجامع لمعمر بن رشد الأزدي ج١١ ص٤١١، تفسير الصنعاني ج٢ ص٢٠٥، معاني القرآن للنحاس ج٢ ص٣٠٤، نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ للحكيم الترمذي ج١ ص٢٢٠، تفسير السمرقندي ج١ ص٤١٢، الانتصار في الرد على المعتزلة ج٣ ص٦٩١، تفسير القرطبي ج٢ ص ٢٠٧.

(٢) ينظر: آية ٤٨ من سورة البقرة.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ج٢ ص ١٣٩، المسائل الاعتزالية ج١ ص ٢٤٠.

(٤) ينظر: آية ٣، ٦، ٤٨، ٨١ من السورة.

(٥) الكشاف ج١ ص ٢٤٠.

سبب التحريف:

حصر الزمخشري الرزق في الحلال فقط، وقد جرى على منهجه في تحريف الآيات وتطويعها للاستدلال بها على اعتزالياته، ومنها أن الرزق لا يكون إلا حلالاً، والآيات أدلة عليه لا له، وتفضح دسائسه لصراحتها، فهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الرد على التحريف:

هذه بدعة قدرية، فإنهم يرون أن الله تعالى لا يرزق إلا الحلال، أما الحرام فالعبد يرزقه لنفسه، وأمّا معتقد أهل السنة في الرزق أنه يشمل الحلال والحرام، وهو القول الحق، وخالفت المعتزلة الإجماع الحاصل في الأمة قبل ظهورها؛ أن لا رازق إلا الله، ولم يفرّقوا بين ما قدره الله كوناً، وما أوجبه ديناً وشرعاً(١)، وتقدم الرد على أمثال هذا التحريف(٢).

[٧٩] **قوله تعالى:** ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ **[البقرة:١٧٧]:**

التحريف في معنى ﴿ٱلْبِرَّ﴾:

قال الزمخشري (ت:٥٣٨): «﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ على تأويل حذف المضاف، أي: برّ من ءامن، أو يتأول البرّ بمعنى ذي البرّ، أو كما قالت:

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ج٨ ص ٥٤١.

(٢) ينظر: آية ٣ من سورة البقرة.

فـــــإنما هـــــي إقبـــــالٌ وإدبـــــارٌ[(١)]»

وعن المبرد: «لو كنت ممن يقرأ القرآن، لقرأت: ولكن البرّ، بفتح الباء..»[(٢)].

سبب التحريف:

حَكَّمَ الزمخشري اللغة على القراءة المتواترة في أكثر من موضع[(٣)] في كشافه، فأنكرها تبعاً لقياسه اللغوي، وغَلَّطَ بعض القراء السبعة، مما أدى إلى تحريف المعنى السليم الذي تضمنته القراءة، كما حرّف البرّ هنا، فرد القراءة المتواترة إلى معنى باطل لا يصح.

الرد على التحريف:

يوهم كلام الزمخشري أن اختلاف وجوه القرّاءة موكول إلى اجتهاد القراء، وما اقتضاه قياس اللغة جازت القراءة، وهذا خطأ عظيم، وطعن في القراءات وسندها، ومدخل للتحريف في كتاب الله تعالى، فإن القراءة سنة متبعة يعتمد فيها على سلاّمة النقل وصحة الرواية[(٤)]، فلا يجوز مخالفة القراءات المشهورة ولا المصحف الإمام، وليس لأحدٍ أن يقرأ قراءة بمجرد رأيه كما توهم المبرد والزمخشري، قال أبو عمرو الداني (ت:٤٤٤): «وأئمة القرّاء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل، وإذا ثبتت الرواية لم يردّها قياس عربية ولا فشو لغة، لأن القراءة سنة متبعة، يلزم قبولها والمصير إليها»[(٥)].

---

(١) عجز بيت للخنساء ترثي به أخاها صخراً، وصدره:

ترتـــــع مـــــا رتعـــــت حتـــــى إذا ادّكـــــرَتْ

ينظر: ديوان الخنساء ص ٣٥، وورد بألفاظ أخرى.

(٢) الكشاف ج١ ص ٢٣٤.

(٣) ينظر: على سبيل المثال الكشاف ج٢ ص ٦٥، المسائل الاعتزالية ج١ ص ٢٤١، ٤٤٦.

(٤) ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٤٩، نقط المصاحف لأبي عمرو الداني ص ٤٤، إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع لعبد الرحمن بن إسماعيل ج١ ص ٥، شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ص ٢٤٥، النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج١ ص ٢٠، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لأحمد الدمياطي ص ٤٩.

(٥) الإتقان في علوم القرآن ج١ ص ٢٠٤.

وبين ابن المنير (ت:٦٨٣) في ردّه على الزمخشري وجه الفصاحة في القراءة المعتمدة والمشهورة للآية، فقال: «وهذا خطأ محض، فالقراءات سنة متبعة لا مجال فيها للدراية، على أن ما قاله وقدّر أنه الأوجه ليس ببالغ ذروة فصاحة الآية إلا على القراءات المستفيضة، لأن الكلام مُصدّر بذكر البرّ الذي هو المصدر قولاً واحداً، فلو عدل إلى ذكر البرّ الذي هو الوصف لا يفك المطابقة ومعنى النظام، ولذلك كان تأويل الآية بحذف المضاف من الثاني على تأويل: بر من آمن، أوجه، وأحسن، وأبقى على السياق، ومن ظنّ أنه يشق غباراً أو يتعلق بأذيال فصاحة المعجز للفصحاء، فقد سوّلت له نفسه محالاً ومنّته ضلالاً»(١)، وما ذكره الزمخشري في معنى الآية، وهو قوله: «برّ من ءامن»، على تأويل حذف المضاف، هو أحد أشهر قولين رجحهما المفسّرون، والوجه الثاني أن الآية بمعنى (ولكن ذا البر)(٢)، ولو اكتفى بما ذكره، لوافق أحد أقوال المفسّرين، ولما احتاج لاعتراض المبرّد على القراءة المتواترة.

[٨٠] قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣]:

التحريف في معنى الإيمان:

قال الماتريدي (ت:٣٣٣) في معنى الإيمان: «قد خاطب جل ثناؤه بالصيام من قد ءامن...وهذا من أوضح ما يجب به العلم أن الإيمان ليس باسم لجميع القُرب، بل تحقيقه يُصيّر أفعال القُرب قُربا»(٣)

سبب التحريف:

أراد الماتريدي فصل العمل الصالح عن مسمى الإيمان، والاستدلال بالآية على ذلك، لتوافق ما ذهب إليه الماتريدية من الإرجاء في الإيمان ومن نحا نحوهم.

---

(١) الانتصاف ج١ ص ٢١٥.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي ج٢ ص ٢٣٩، البحر المحيط ج٢ ص ٣.

(٣) تفسير الماتريدي ج١ ص ٣٥٧.

الرد على التحريف:

الإيمان تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، وهذا القول الحق وهو معتقد أهل السنة والجماعة، فيدخل فيه جميع الأعمال الصالحة، وهو ما عبر عنه الماتريدي بالقُرب، ولا دليل من الآية على خروجها من مسمى الإيمان، وتقدم تقرير ذلك في أكثر من موضع والرد على أمثال هذه الشبهات التي يستشهد بها المخالفون(١).

[٨١] **قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:١٨٥].**

تحريف معنى ﴿ٱلْيُسْرَ﴾ و﴿ٱلْعُسْرَ﴾ و﴿الهداية﴾:

قال الطباطبائي (ت:١٤٠٤): «ورد في بعض الروايات أن اليسر هو الولاية، والعسر الخلاف وولاية أعداء الله»(٢).

الرد على التحريف:

الولاية التي تزعمها جماهير الرافضة وتدين بها بدعة باطلة، مضى الرد عليها عند قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤].

وأما قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ أي: يريد التسهيل عليكم بترخيصه الإفطار في السفر أو المرض، ولا يريد بكم المشقة والشدة عليكم،

---

(١) ينظر: آية ٣، ٨٢ من سورة البقرة.

(٢) تفسير الميزان ج٢ ص ٢٩.

فيكلفكم الصوم في هذه الأحوال[(١)].

وأما قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ فسّره العلماء بأنه سنة التكبير إذا رؤوا هلال شوال حتى يفرغوا من عيدهم، شكراً لله على نعمة الهداية والتوفيق لتلك العبادة في شهر رمضان[(٢)].

[٨٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِى وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]:

التحريف في معنى ﴿قَرِيب﴾:

قال الماتريدي (ت:٣٣٣): «وإذا سألك عبادي أين أنا عن إجابتهم، فقل لهم: إني قريب الإحسان، والبر، والكرامة لمن أطاعني، ويحتمل: أني قريب؛ قرب العلم والإجابة، لا قرب المكان والذات: كقرب بعضهم من بعض في المكان...»[(٣)].

قال الزمخشري (ت:٥٣٨): «﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾: تمثيل لحاله في سهولة إجابته لمن دعاه، وسرعة إنجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه»[(٤)].

قال الرازي (ت:٦٠٦): «اعلم أنه ليس المراد من هذا القرب بالجهة والمكان، بل المراد منه القرب بالعلم والحفظ»[(٥)]، واستطرد في إثبات ما ذهب إليه والرد على المخالفين.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج٣ ص ٤٢٣، التلخيص في أصول الفقه لأبي المعالي الجويني ج٢ ص ٤٨٢، المبسوط للسرخسي ج٣ ص ١٣٧، تفسير البغوي ج١ ص ١٩٨، تفسير القرطبي ج٢ ص ٢٨٠، مجموع الفتاوى ج ٢٥ ص ٢١١، تبيين الحقائق للزيلعي ج١ ص ٣٣٤، سبل السلاّم شرح بلوغ المرام للصنعاني ج٢ ص ٣٩، فتح س ج١٣ ص ٤٥١.

(٢) ينظر: الأم ج١ ص ٢٣١، أحكام العيدين لأبي بكر الفريابي ص ١٢٠، تفسير الطبري ج٣ص٤٧٨، أحكام القرآن للجصاص ج١ ص ٢٧٩، الدعوات الكبير للبيهقي ج٢ ص ٢٥٢، المغني ج٢ ص ١١٢، مجموع الفتاوى ج٢٤ ص ٢٢٤.

(٣) تفسير الماتريدي ج١ ص ٣٧٧.

(٤) الكشاف ج١ ص ٢٥٥.

(٥) تفسير الرازي ج٥ ص ١٠٣.

قال محمد رشيد (ت:١٣٥٤): «وأما معنى قرب الله تعالى فقد قالوا: إنه القرب بالعلم بمعنى: أن علمه محيط بكل شيء، فهو يسمع أقوال العباد ويرى أعمالهم...وقال الأستاذ الإمام: يصح أن يكون من قرب الوجود، فإن الذي لا يتحيز ولا يتحدد تكون نسبة الأمكنة وما فيها إليه واحدة، فهو تعالى قريب بذاته من كل شيء، إذ منه كل شيء إيجاداً وإمداداً وإليه المصير»[١]، وتعقّب محمد رشيد قول أستاذه مؤيداً له فقال: «وعبارة الأستاذ على إجمالها أقرب إلى مذهب السلف من تأويل المتكلمين...»[٢].

سبب التحريف:

يرجع هذا التحريف بزعمهم إلى تنزيه الله ﷻ عن المكان، والجهة، والجسمية، وهذا التشبيه، وتنزيه الله عما ابتدعوه من ألفاظ هو سبب تعطيل كثير من أسماء الله وصفاته، وهي سبب تحريف كثير من نصوص الكتاب والسنة.

الرد على التحريف:

أثبت الله تعالى لنفسه لائقةً بجلاله، فهو مستو على عرشه فوق سماواته بائنٌ عن خلقه، ونفي الجهة والمكان والجمسية وغيرها من ألفاظ مبتدعة قد يحمل معنى باطل وهو وصف الله بالعدم فلا تنفى ولا تثبت وقد سبق الرد على مثل هذا التحريف في أكثر من موضع[٣].

وقرب الله تعالى في الآية قرب حقيقي، ولا صحة للقول بالمجاز، أو التمثيل، أو ادعاء الإضافة؛ كقرب الملائكة وغيره، وأيضاً القول بالتأويل ليكون قربه بالعلم هو تأويل باطل.

وحين نثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه من قربه من عباده حين دعائهم، لا يلزم منه ما ابتدعه المخالفون من نقائص، بل هو قرب لائق بجلاله، وهذا منهج أهل السنة والجماعة

(١) تفسير المنار ج٢ ص ١٦٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ينظر: آية ٢٨، ٢٩ من سورة البقرة.

في أسماء الله وصفاته، إثبات ما أثبت لنفسه على الوجه اللائق به، ونفي ما نفى عن نفسه دون ابتداع، وقد سبق بيانه في غير موضع(١).

والله تعالى أثبت لنفسه القرب والعلو، ولا مجال للتناقض الذي يطرأ في عقول الخلق، لأن الله تعالى ليس كمثله شيء، فلا يُشبَّه بخلقه، فهو قريب في علوِّه، عليٌّ في دنوِّه(٢).

قال محمد العثيمين (ت:١٤٢١) في تفسيره: «ومن فوائد الآية إثبات قرب الله ﷻ؛ والمراد قرب نفسه؛ لأن الضمائر في هذه الآية كلها ترجع إلى الله؛ وعليه فلا يصح أن يحمل القرب فيها على قرب رحمته، أو ملائكته؛ لأنه خلاف ظاهر اللفظ، ويقتضي تشتيت الضمائر بدون دليل»(٣).

وأهل السنة والجماعة على إمرار هذه الآية دون تأويل، لأنه لا دليل عليه، فلما دلّ الدليل في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة:٨٥] أوّلها العلماء بقرب الملائكة بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق:١٦،١٧]، ولقوله تعالى في ختام الآية ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ أي: الملائكة(٤).

فالوقوف مع نصوص الشرع حيث الدليل هو منهج أهل السنة والجماعة؛ أهل الانتصاف والحق.

---

(١) ينظر: آية ٣ من سورة الفاتحة.

(٢) ينظر: تفسير العثيمين ج ٢ ص ٣٤٥.

(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ٣٤٤.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل ج٣ ص٣١٨، تفسير الطبري ج ٢٣ ص ١٥٧، تفسير السمعاني ج ٥ ص٣٦١، تفسير البغوي ج ٤ ص ٢٩١، المحرر الوجيز ج ٥ ص ٢٥٣، تفسير القرطبي ج ١٧ ص٢٣١، مجموع الفتاوى ج ٥ ص ٤٩٤، الروح ج ١ ص ٦٥، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ص ٣٦٢.

أما قول محمد رشيد: إن قول أستاذه أقرب إلى قول السلف، غير صحيح، فقول أستاذه أقرب لقول غلاة الصوفية، ومن وافقهم من القائلين بالحلول(١). وهو قُرب الله تعالى بذاته من كل شيء، والآية تبطل قوله، فقد خصّ القرب بعباده الذين يَدْعُونه، وكلام إمامه خطير يفضي إلى قول الحلولية، والله أعلم.

[٨٣] قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ **[البقرة:١٨٩]:**

التحريف في معنى ﴿أَبْوَٰبِهَا﴾:

قال الطباطبائي (ت:١٤٠٤): (وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: **(الأوصياء هم أبواب الله التي منها يؤتى، ولولاهم ما عُرف الله عز وجل، وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلقه)**)(٢).

سبب التحريف:

سببه التعصب العقدي، ومرّ مثاله في أكثر من موضع(٣).

الرد على التحريف:

ما نقله الطباطبائي تعسف وتحريف، ولا يعفيه أنه نقل من غيره، فإنه تحريف ظاهر لا يخفى.

والآية نزلت في قوم كانوا إذا أَحْرمُوا لا يدخلون بيوتهم من قِبَل أبوابها، بل يأتونها من ظهورها(٤)، فأخبرهم الله تعالى في هذه الآية أن صنيعهم هذا ليس من البر في شيء، وأمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها، والبرّ إنما هو التقوى.

---

(١) مرَّ الحديث عنهم عند آية ٢٩ من سورة البقرة.

(٢) تفسير الميزان ج ٢ ص ٥٩.

(٣) ينظر: على سبيل المثال آية ٣، ١٢٤، ١٥٩، ١٨٥ من سورة البقرة.

(٤) ينظر: أخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ١٨١، تفسير الطبري ج ٣ ص ٥٥٥، العجاب في بيان الأسباب لابن حجر ج ١ ص ٤٥٩.

ويؤيد هذا التفسير ما أخرجه البخاري (ت:٢٥٦) عن البراء رضي الله عنه (ت:٧٢) قال: (كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أَتَوا البيت من ظهره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾)[١].

[٨٤] قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١].

التحريف في معنى ﴿حَسَنَةً﴾:

قال السُّلمي (ت:٤١٢): «قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ الإعراض ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ ترك الاشتغال بها ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ وقنا نيران عذاب شهواتنا، فإن من شغل عنك مشؤوم...»[٢].

سبب التحريف:

تكرر أمثال هذه التحريفات الباطلة عند السُّلمي، ومرجعها إلى عقيدته الصوفية.

الرد على التحريف:

من شطحات الصوفية زعمهم أنهم لا يطمعون بجنة، ولا يخافون من نار، وزعموا أنها تشغلهم عن الله، وزعموا أنهم يحبونه لذاته، لا لجنة ولا لخوف من النار.

وسبق الرد على هذا التحريف الباطل، وبيّنا أن القول الحق وهو معتقد أهل السنة والجماعة: أن الله تعالى يعبد بالحب، والخوف، والرجاء، وادّعاء الصوفية هو إبطال للدين كله، إذ نصوص الشريعة أغلبها في الترغيب في الجنة، والترهيب من النار وسبق تفصيله[٣].

وذكر المفسّرون في معنى الحسنة في الآية أقوالاً متقاربة، بيّنها إمام المفسّرين أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠): «والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ ج٤ ص ١٦٤٠ برقم ٤٢٤٢، والبراء هو أبو عمارة البراء بن عازب.

(٢) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٧٢.

(٣) ينظر: الرد عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

عن قوم من أهل الإيمان به وبرسوله، ممن حجّ بيته، يسألون ربهم الحسنة في الدنيا، والحسنة في الآخرة، وأن يقيهم عذاب النار، وقد تجمعُ الحسنة من الله ﷻ العافية في الجسم، والمعاش، والرزق، وغير ذلك، والعلم والعبادة، وأمّا في الآخرة فلا شك أنها الجنة، لأن من لم ينلها يومئذٍ فقد حُرم جميع الحسنات، وفارق جميع معاني العافية، وإنما قلنا إن ذلك أولى التأويلات بالآية، لأن الله ﷻ لم يخصص بقوله مخبرا عن قائل ذلك من معاني الحسنة شيئاً، ولا نصب على خصوصه دلالة دالة على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فالواجب من القول فيه ما قلنا من أنه لا يجوز أن يخصّ من معاني ذلك شيء، وأن يحكم بعمومه على ما عمّه الله» [1].

[٨٥] **قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [البقرة:٢٠٨]:**

تحريف معنى ﴿ٱلسِّلۡمِ﴾:

قال الطباطبائي (ت:١٤٠٤): «..وفي بعض الروايات أن السلم هو الولاية..»[2].

سبب التحريف:

سبب التحريف العقيدة المحرّفة عند الرافضة والمفسّر يُطوِّع الآية لتوافق، ما يريده من باطل في ولاية الأئمة.

الرد على التحريف:

جمهور المفسّرين على أن السلم هو الإسلام[3]، والولاية عند الشيعة عقيدة محرّفة فضلاً عن تفسير كتاب الله بها، ومضى الرد على مثل هذا الباطل[4].

---

(١) تفسير الطبري ج ٤ ص ٢٠٦.

(٢) تفسير الميزان ج ١ ص ١٠٥.

(٣) ينظر: تفسير مجاهد ج١ ص١٠٤، تفسير الصنعاني ج١ ص٨٢، تفسير الطبري ج٤ ص٢٥٧، تفسير ابن أبي حاتم ج ٢ ص٣٧٠، تفسير ابن أبي زمنين ج ١ ص٢١٤، تفسير السعدي ص٩٤.

(٤) ينظر: الرد عند قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] وغيرها.

[٨٦] **قوله تعالى:** ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [**البقرة:٢١٠**]:

تحريف معنى: ﴿يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾:

قال الرازي (ت:٦٠٦): «اختلف أهل الكلام في قوله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وذكروا فيه وجوها: الوجه الأول: وهو مذهب السلف الصالح لما ثبت بالدلائل القاطعة: أن المجيء والذهاب على الله تعالى محال، علمنا قطعاً أنه ليس مراد الله تعالى من هذه الآية هو المجيء والذهاب، وأن مراده بعد ذلك شيء آخر، فإن عيّنا ذلك المراد لم نأمن الخطأ، فالأولى السكوت عن التأويل، وتفويض معنى الآية على سبيل التفصيل إلى الله تعالى...الوجه الثاني: وهو قول جمهور المتكلمين: أنه لا بد من التأويل على سبيل التفصيل، ثم ذكروا فيه وجوهاً (الأول) المراد ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: آيات الله فجعل مجيء الآيات مجيئاً له على التفخيم لشأن الآيات...والوجه الثاني في التأويل أن يكون المراد ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: أمر الله، ومدار الكلام في هذا الباب أنه تعالى إذا ذكر فعلاً، أضافه إلى شيء، فإن كان ذلك محالاً فالواجب صرفه إلى التأويل..»(١).

سبب التحريف:

يقرر الرازي قاعدةً سار عليها أهل التعطيل في تحريفهم لأسماء الله وصفاته، لزعمهم أنها تفضي إلى التشبيه، فصرفوها عن حقائقها، وعطّلوا مدلولها، وهم يظنون أنهم ينزهونه، تعالى عما يقولون.

الرد على التحريف:

ما نسبه الرازي إلى السلف الصالح من تفويض لمعنى الآية غير صحيح، فإن السلف الصالح يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه، وإنما يُفوّضون كيفية هذه الصفات لا معناها، فإن الله تعالى أثبت لنفسه في هذه الآية مجيئاً لائقاً بجلاله، فمذهب السلف إثباته وتفويض

---

(١) تفسير الرازي ج ٥ ص ٢٣١، ٢٣٢.

كيفيته لا معناه(١).

أما التأويل وإن كان حكاه بعض المفسّرين(٢)، إلا أن ابن جرير ذكره على سبيل التضعيف(٣)، والأولى بتفسير الآية أنه إتيان حقيقي لائق بالله ﷻ لا تُعلَم كيفيته، ولا يسأل عنها، كالاستواء، والنزول، وغيرها، قال محمد العثيمين (ت:١٤٢١): «...وقد ذهب أهل التعطيل، إلى أن المراد بإتيان الله: إتيان أمره؛ وهذا تحريف للكلم عن مواضعه، وصرف للكلام عن ظاهره بلا دليل، إلا ما زعموه دليلاً عقلياً، وهو في الحقيقة وهمي، وليس عقلياً؛ فنحن نقول: الذي نسب فعل الإتيان إليه هو الله ﷻ، وهو أعلم بنفسه؛ وهو يريد أن يبين لعباده، كما قال تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النساء:١٧٦]؛ وإذا كان يريد أن يبين، وهو أعلم بنفسه، وليس في كلامه عِيٌّ، وعجز عن التعبير بما أراد؛ وليس في كلامه نقص في البلاغة؛ إذاً فكلامه في غاية ما يكون من العلم؛ وغاية ما يكون من الصدق؛ فهل بعد ذلك يمكن أن نقول: إنه لا يراد به ظاهره؟! كلا؛ لا يمكن هذا، إلا إذا قال الله هو عن نفسه إنه لم يرد ظاهره؛ إذاً المراد إتيان الله نفسه؛ ولا يعارض ذلك أن الله قد يضيف الإتيان إلى أمره، مثل قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]، ومثل قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣] لأننا نقول: إن هذا من أمور الغيب؛ والصفات توقيفية؛ فنتوقف فيها على ما ورد؛ فالإتيان الذي أضافه الله إلى نفسه يكون المراد به إتيانه بنفسه؛ والإتيان الذي أضافه الله إلى أمره يكون المراد به إتيان أمره؛ لأنه ليس لنا أن

---

(١) ينظر: الرد على الجهمية للدارمي ص ٧٤، الأهوال لابن أبي الدنيا ص ١٥٦، السنة لعبد الله بن أحمد ابن حنبل ج٢ ص ٥٠٥، العقيدة الواسطية ص ١١، اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٩٩.

(٢) قال به من المفسّرين المشمولة تفاسيرهم بالبحث هود الهواري ج ١ ص ١٩٧، الماتريدي في تفسيره ج١ ص ٤٣٥، والزمخشري في الكشاف ج ١ ص ٢٥٠، محمد رشيد في تفسير المنار ج ٢ ص ٢٦٢، الجوهري في تفسيره ج١ ص ١٩٠، الطباطبائي في تفسيره ج ٢ ص ١٠٣، وأما السُّلمي فتأولها على إشاراته الصوفية الباطلة.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ج ٤ ص ٢٦٦.

نقول على الله ما لا نعلم؛ بل علينا أن نتوقف فيما ورد على حسب ما ورد»(١).

[٨٧] قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [البقرة:٢١٠]:

التحريف في معنى الرجوع:

قال الرازي (ت:٦٠٦): «من المجسمة(٢) من قال: كلمة إلى لانتهاء الغاية، وذلك يقتضي أن يكون الله تعالى في مكان ينتهي إليه يوم القيامة، أجاب أهل التوحيد(٣) عنه من وجهين: (الأول) أنه تعالى مَلَّكَ عباده في الدنيا كثيراً من أمور خلقه، فإذا صاروا إلى الآخرة فلا مالك للحكم في عباده سواه، كما قال: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ وهذا كقولهم: رجع أمرنا إلى الأمير إذا كان هو يختص بالنظر فيه، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ مع أن الخلق الساعة في ملكه وسلطانه. (الثاني) قال أبو مسلم(٤): إنه تعالى قد ملك كل أحد في دار الاختبار والبلوى أموراً امتحاناً، فإذا انقضى أمر هذه الدار ووصلنا إلى دار الثواب والعقاب كان الأمر كله لله وحده، وإذا كان كذلك فهو أهل أن يتقى ويطاع ويدخل في السلم كما أمر، ويحترز عن خطوات الشيطان كما نهى»(٥).

سبب التحريف:

نفي الجسمية، والتشبيه، والتحيز وغيرها من المصطلحات المبتدعة، التي زعم أهل التعطيل أنهم ينزهون الله تعالى عنها(٦)، فحرّفوا النصوص، وعطّلوا أسماء الله وصفاته، وجعلوه كالعدم الذي لا مكان يرجع إليه، تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

---

(١) تفسير العثيمين ج ٣ ص ١٥، ١٦.

(٢) يتهم أهل السنة بمثل هذه الكلمات وقد سبق بيانه عند آية (١) من سورة الفاتحة.

(٣) هذا جواب أهل التوحيد المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة.

(٤) هو أبو مسلم الأصبهاني، محمد بن علي بن مهر يزد، أديب عالم باللغة، وهو مفسر له تفسير كبير، وكان جدلياً من كبار المعتزلة (ت:٤٥٩) ينظر: ميزان الاعتدال ج٣ ص٦٥٥، لسان الميزان ج٥ ص ٢٩٨.

(٥) تفسير الرازي ج ٥ ص ٢٣٦.

(٦) ينظر: الرد عليهم عند آية ١ من سورة الفاتحة وآية ٢٨، ٢٩ من سورة البقرة.

الرد على التحريف:

الآية واحدة من آلاف الأدلة على أن الله تعالى علواً لائقاً بجلاله، فهو بائن من خلقه، مستوٍ على عرشه، وعرشه فوق سماواته، ومرجع الخلائق كلها إليه كما في الآية، فلا يوصف بالعدم، وهذا لا يعارض أن الرجوع إليه يشمل المعاني السابقة؛ أنه لا مالك سواه، أن الأمر كله لله دون نفي علوه اللائقة به سبحانه، وتقدم مراراً رد أمثال هذا التحريف ما أغنى عن تكراره(١).

[٨٨] **قوله تعالى:** ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ **[البقرة:٢١٢]:**

التحريف في معنى ﴿زُيِّن﴾:

قال الزمخشري (ت:٥٣٨): «المزين هو الشيطان؛ زيّن لهم الدنيا، وحسّنها بوساوسه، وحبّبها إليهم، فلا يريدون غيرها، ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خذّلهم حتى استحسنوها وأحبوها...» (٢).

سبب التحريف:

جعل تزيين الله تعالى على المجاز، وتزيين الشيطان على الحقيقة، جرياً على قاعدة المعتزلة في أفعال العباد؛ إذ يزعمون أنهم الخالقون لأفعالهم استقلالاً، وليس لقدرة الله، ومشيئته دخل في ذلك.

الرد على التحريف:

هذه الآية الكريمة لم ترد فيها نسبة التزيين لأحد، وورد التزيين في مواضع من كتاب الله تعالى منسوباً إلى الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ﴾ [الأنعام:١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [النمل:٤].

---

(١) ينظر: الرد عليهم عند آية ٢٨، ٢٩ من سورة البقرة.

(٢) الكشاف ج ١ ص ٢٨٢.

وورد في آيات أخرى نسبة التزيين إلى الشيطان، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام:٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال:٤٨][١].

فنسبة التزيين في كل واحدة من هذه الآيات حقيقة فيمن نسبت إليه، فإن النسبة إلى الله غير النسبة إلى الشيطان، فالتزيين من الله للكافرين حقيقة واقعة منه على سبيل المعاقبة لهم على غفلتهم، ومعناه خلق الدواعي لتلك الأفعال، وإيجادها في قلوبهم، وهذا لا يقدر عليه إلا الله تعالى[٢].

وتزيين الشيطان حقيقة، ومعناه الوسوسة في الصدر، والإغراء بالفعل، والحض عليه، وكل ذلك منه بمشيئة الله، وإرادته، وسابق علمه، وهذا الذي يُقرره أهل السنة والجماعة في هذه الألفاظ المشتركة[٣].

وسبق الرد على هذه الاعتزالية الباطلة عند قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٧].

[٨٩] قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[البقرة:٢١٢]:

التحريف في معنى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾:

قال الزمخشري (ت:٥٣٨): «فإن قلت: لم قال: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾؟ قلت: ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقي، وليكون بعثاً للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا بذلك...»[٤].

---

(١) ينظر: المسائل الاعتزالية ج ١ ص ٢٤٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج١٣ ص ٧، تفسير البغوي ج٣ ص ٣٦٥، تفسير السعدي ص ٣٢٢.

(٣) المسائل الاعتزالية ج ١ ص ٢٤٣، بتصرف.

(٤) الكشاف ج ١ ص ٢٨٢.

سبب التحريف:

يطمح الزمخشري لتطويع الآية لتوافق قاعدته الاعتزالية في وجوب وعيد العصاة، وأن أهل الكبائر مخلدون في النار، لا يمكن أن يسعدوا عند الله، فيجب على كلامه أن يكون كل مؤمن تقي.

الرد على التحريف:

تكررت هذه المحاولات عند الزمخشري في أكثر من مثال، حرّف فيها الآية ليستدل بها على وجوب وعيد عصاة الموحّدين، فإن الإيمان عند المعتزلة كما بينه الزمخشري: أن يعتقد الحق، ويعبر عنه بلسانه، ويصدِّقه بعمله، فمن أخل بالعمل فهو فاسق(١)، والفاسق عندهم بين منزلتين؛ بين منزلة المؤمن ومنزلة الكافر، هذا في الدنيا، لكنه في الآخرة مخلد في النار بزعمهم، وتعريفهم للإيمان ليس كتعريف أهل السنة والجماعة له، إذ اعتبر المعتزلة أن الإيمان وحدة واحدة لا تتبعض، فهو لا يزيد ولا ينقص، وإن ذهب منه جزء ذهب كله(٢)، ثم قالوا: إن الله توعّد هؤلاء الفاسقين بالنار مثل الكافرين، ولا بد أن ينفذ وعيده فيهم، لأن إخلاف الوعيد قبيح، كإخلاف الوعد(٣).

وغلوّهم هذا على خلاف وسطية أهل السنة والجماعة، فإنهم يرون أن الأعمال من مسمى الإيمان، لكنهم يقولون: إنه يزيد وينقص، فمن أتى بالتوحيد؛ أتى بأصل الإيمان، وكلما أطاع الله زاد إيمانه، وبارتكاب الكبائر ينقص إيمانه، فيكون مؤمناً ناقص الإيمان، لكنه لا يخرج إلى الكفر، إلا بارتكاب فعل مكفّر كفراً أكبر.

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين ص ٢٧٠، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٣٥، الفرق بين الفرق ص ٩٤، الملل والنحل ص ٣٠.

(٢) ينظر: مقالات الإسلاميين ص ٢٧٠، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٣٥، الفرق بين الفرق ص ٩٤، الملل والنحل ص ٣٠.

(٣) ينظر: المسائل الاعتزالية ج ١ ص ٢٤٥.

وصاحب الكبيرة لا يُنفى عنه مطلق التقوى، ولا يوصف بالتقوى الكاملة، لأن التقوى درجات كالإيمان، والناس في التقوى على حسب إيمانهم(١).

وسبق الرد بشيء من التفصيل عند قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٨١] وغيرها من الآيات(٢).

أما الوعيد فإن إخلافه كرم وعفو وتجاوز من الغفور الرحيم، فهو ينجز وعده، ومن توعّده تحت مشيئته إن شاء غفر له برحمته، وإن شاء عذبه بعدله(٣)، والله تعالى امتدح نفسه في أكثر من موضع في كتابه أنه لا يخلف وعده، ولم يقل في موضع واحد أنه لا يخلف وعيده(٤).

[٩٠] قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة:٢١٩]:

التحريف في معنى ﴿وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾:

قال السُّلمي (ت:٤٢١): «منافع للناس في تركها»(٥).

---

(١) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١ ص٢٠، التبصير في الدين ص ٢١، العقيدة الأصبهانية ص١٧٥، مجموع الفتاوى ج٧ ص٦٧٠، المواقف ج١ ص١٦١، شرح العقيدة الطحاوية ص٣٣٤.

(٢) ينظر: آية ٣، ٦ من سورة البقرة.

(٣) ينظر: حادي الأرواح ص ٢٤٨، المسائل الاعتزالية ج ١ ص ٢٤٥، ٢٤٦.

(٤) يرى ابن تيمية أن قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ۝٢٨ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ يضعف القول بإخلاف الوعيد، ويرى الجمع بين نصوص الوعد والوعيد كما يجمع بين الأمر والنهي من غير تبديل، ينظر: مجموع الفتاوى ج ١٤ ص ٤٩٨، المسائل الاعتزالية ج ١ ص ٢٤٦.

(٥) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٧٣.

سبب التحريف:

القول في كتاب الله تعالى بغير علم وصرف الآيات عن معناها الصحيح بغير دليل، منهج يسير عليه المحرّفون لكتاب الله، ومنها أقوال السُّلمي الصوفية.

الرد على التحريف:

خالف السُّلمي أقوال المفسّرين في الآية على أن قوله تعالى: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ يعني أثمانها قبل تحريمها، واللذة بشربها، وأما منافع الميسر فما يصيبون فيه من أنصباء الجزور[1] ونحو ذلك، وأقوال المفسّرين على اختلاف ألفاظها متقاربة فيما ذكرناه، وقوله تعالى: ﴿وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾ يدل على بطلان ما ذكره السُّلمي في معنى المنافع، إذ عليه يكون معنى الآية: إثمهما أكبر من تركهما، وهذا غير صحيح، والله تعالى أعلم.

[٩١] قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة:٢٤٣]:

التحريف في معنى ﴿مُوتُواْ﴾ و﴿أَحۡيَٰهُمۡ﴾:

جعل محمد رشيد (ت:١٣٥٤) وأستاذه محمد عبده (ت:١٣٢٣) القصة في الآية من قبيل التمثيل، وحرّفا معاني الألفاظ فيها، قال محمد رشيد: «ولا يشترط أن تكون القصة في مثل هذا التعبير واقعة، بل يصح مثله في القصص التمثيلية، إذ يراد من شأن مثلها في وضوحه أن يكون معلوماً حتى كأنه مرئي بالعين»[2].

(١) ينظر: الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلاّم ص ٣٨٨، تفسير الطبري ج ٤ ص ٣٢٦، تفسير ابن أبي حاتم ج ٢ ص ٣٥٦، الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٤٦، قطب السرور في أوصاف الخمور للقيرواني ص ١٠٦، الناسخ والمنسوخ لابن حزم ص ٢٨، مجموع الفتاوى ج ٢١ ص ٥٦٩، مفتاح دار السعادة ج ٢ ص ١٤، الموافقات ج ٢ ص ٧٧، أضواء البيان ج٢ ص ٤٠٤.

(٢) تفسير المنار ج ٢ ص ٤٥٧.

وأخذ يُحرّف معاني ألفاظ الآية لتوافق رأيه، فقال في معنى قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾: أي أماتهم بإمكان العدوّ منهم، فالأمر أمر التكوين لا أمر التشريع، أي: قضت سنته في خلقه بأن يموتوا بما أتوه من سبب الموت؛ وهو تمكين العدو والمحارب من أقفائهم بالفرار، ففتك بهم وقتل أكثرهم ولم يُصرّح أنهم ماتوا لأن أمر التكوين عبارة عن مشيئته سبحانه، فلا يمكن تخلفه، وللاستغناء عن التصريح بقوله بعد ذلك: ﴿ثُمَّ أَحۡيَـٰهُمۡ﴾ وإنما يكون الإحياء بعد الموت، والكلام في القوم لا في أفراد لهم خصوصية، لأن المراد بيان سنته تعالى في الأمم التي تجبن فلا تدافع العادين عليها، ومعنى حياة الأمم وموتها في عرف الناس جميعهم معروف، فمعنى موت أولئك القوم هو أن العدونكّل بهم فأفنى قوتهم، وأزال استقلال أمتهم، حتى صارت لا تعد أمة، بأن تفرق شملها، وذهبت جماعتها، فكل من بقي من أفرادها خاضعون للغالبين ضائعون في أنفسهم، وإنما وجودهم تابع لوجود غيرهم، ومعنى حياتهم هو عود الاستقلال إليهم، ذلك أن من رحمة الله تعالى في البلاء يصيب الناس أنه تأديباً لهم، ومطهراً لنفوسهم مما عرض لها من دنس الأخلاق الذميمة، أشعر أولئك القوم بسوء عاقبة الجبن والخوف والفشل والتخاذل بما أذاقهم من مرارتها، فجمعوا كلمتهم، ووثقوا رابطتهم، حتى عادت لهم وحدتهم قوية، فاعتزوا وكثروا إلى أن خرجوا من ذل العبودية التي كانوا فيها إلى عز الاستقلال، فهذا معنى حياة الأمم وموتها»[1].

سبب التحريف:

سبق التعرف[2] على هذا المنهج عند بعض رجال المدرسة العقلية في إنكار حقيقة القصة في القرآن، وجعلها من قبيل التمثيل، ومنهم الأستاذ وتلميذه، ويرجع تحريفهم للقصة القرآنية وإنكار وقوعها التاريخي؛ الانهزامية أمام الغرب والخوف من إنكارهم

---

(١) تفسير المنار ج ٢ ص ٤٥٨.

(٢) عند آية ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥ من سورة البقرة.

لبعض المعجزات والكرامات، والاعتراض عليها بالوقائع التي يُؤرخونها، ومرّ تفصيل ذلك عند قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥].

الرد على التحريف:

يحكي الله لنا هذه القصة للعظة والعبرة وهي حق لا تمثيل فيها ولا مجاز، بل إنها القصص الحق التي يحكيها علينا القرآن، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وذكر غير واحد من السلف، وتناقله جماهير المفسّرين؛ أن هؤلاء القوم، كانوا أهل بلدة في زمان بني إسرائيل، وقد اختلفوا في عددهم(١)، أصابهم وباء شديد، فخرجوا فراراً من الموت، هاربين إلى البرية، فأرسل الله إليهم ملائكة لقبض أرواحهم، فماتوا عن آخرهم موتة رجل واحد على الحقيقة، لا كما يدّعيه المحرفون، فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل، فسأل الله أن يحييهم، فأجابه الله تعالى، فأحياهم حقاً بعد موتهم. والمفسّرون على أنهم مكثوا دهراً أمواتاً، فكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على المعاد يوم القيامة، وفي القصة دليل وعبرة أيضاً على أنه لا يغني حذر من قدر، فهؤلاء خرجوا فراراً من الموت، وأرسله الله عليهم من حيث لم يحتسبوا(٢).

وما ذكره محمد رشيد اقتداءً بشيخه تحريف لما قصّه الله علينا في كتابه، ومنهج خطير في تكذيب القرآن الكريم، وتقدم الرد على هذا التحريف عند قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥]:

---

(١) قيل أربعة آلاف، وقيل ثمانية آلاف، وقيل أربعون ألفاً كلها عن ابن عباس، وقيل بضعة وثلاثون ألفاً، والله أعلم، ينظر: تفسير ابن كثير ج ١ ص ٦٦٠.

(٢) ينظر: تفسير السعدي ص ١٠٦.

[٩٢] **قوله تعالى:** ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [**البقرة:٢٤٥**]:

التحريف في معنى ﴿يَقْبِضُ﴾ و﴿وَيَبْصُۜط﴾:

ذكر السُّلمي (ت:٤١٢) في معناهما كعادته قرمطة وتحريفاً ظاهر البطلان، وغالبه لا يفهم منه شيء، ومما قاله: «قال بعض البغداديين في قوله: ﴿يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ قال: يقبض أي: يُوحى أهل صفوته من رؤية الكرامات، ويبسطهم بالنظر إلى الكريم»(١).

سبب التحريف:

كل ما يذكره السُّلمي من إشارات باطلة مرجعه لمعتقد الصوفية الباطل في ادّعاء هذه التحريفات معنى باطناً للآية وإشارات وألغاز لا يفهمها إلا هم.

الرد على التحريف:

لا شك أن ما ذكره السُّلمي باطل، وتكرر الرد على أمثال هذه التحريفات بما أغنى عن إعادته.

وقوله تعالى: ﴿يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ يعنى أن الله تعالى بيده قبض أرزاق العباد وبسطها دون غيره، وكذلك يقبض ويبسط في العلم والعمر، وفي كل ما يتعلق في الدنيا والآخرة(٢).

والقابض والباسط من أسماء الله تعالى التي يثنى على الله بهما مقترنين، كل واحد منهما مع الآخر، لأن الكمال المطلق من اجتماع الوصفين(٣).

---

(١) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٧٣.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ج١ ص ٦٦٤، زاد المسير ج١ ص ٢٤٩، تفسير العثيمين ج ٣ ص ٢٠٢.

(٣) ينظر: شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة لسعيد القحطاني ص ١٨٨.

[٩٣] **قوله تعالى:** ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ **[البقرة:٢٥٣]:**

تحريف معنى ﴿كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾:

قال الرازي (ت:٦٠٦): «اختلفوا في أن من كلّمه الله، فالمسموع هو الكلام القديم الأزلي، الذي ليس بحرف ولا صوت أم غيره؟ فقال الأشعري وأتباعه: المسموع هو ذلك، فإنه لما لم يمتنع رؤية ما ليس بمكّيف، فهذا لا يستبعد سماع ما ليس بمكّيف..»(١).

سبب التحريف:

كلام الله تعالى من المسائل التي غلط فيها جمهور الأشاعرة والمعتزلة على حد سواء، فالأشاعرة زعموا أن الكلام إنما هو ما كان قائماً بذاته تعالى، ولا تعلّق له بقدرته، ومشيئته، وأنكروا أن يكون بحرف وصوت، وهو ما تبناه الرازي في أكثر من موضع(٢)، وقد قابلتهم المعتزلة فأنكروا أن يكون الله متكلماً بكلام يقوم بذاته، وزعموا أن كلامه لا بد أن يقوم بغيره من الأجسام، أمّا هو فلا يمكن أن يصدر منه كلام(٣)، لأنه لو صدر منه كلام، لكان محلاً للحوادث بزعمهم.

الرد على التحريف:

من أكبر المسائل التي جادل فيها المخالفون لمنهج السنة والجماعة؛ كلام الله تعالى، وهي من أقدم المسائل، ونتج عنها محنة خلق القرآن(٤)، التي ابتلي بها علماء السنة

---

(١) تفسير الرازي ج ٦ ص ٢١٦.

(٢) ينظر: كلام الرازي عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] ج ٢ ص ١٦١.

(٣) ينظر: تفسير الزمخشري لقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ آية ١٤٣ من سورة الأعراف ج٢ ص١٤٣.

(٤) لازم نفيهم لكلام الله أنه لم يتكلم بالقرآن، بل خلقه على زعمهم، ينظر: الرد على من يقول القرآن مخلوق لأبي بكر النجاد ص ٣١، المحن لأبي العرب محمد بن أحمد التميمي، ص ٤٥٠.

والجماعة، فثبتوا وصَدَعوا بالحق، وبينوا المنهج السليم في كلام الله تعالى وفق كتابه وسنة نبيه ﷺ.

ففي كتابه العزيز يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥]، ومنها قوله ﷻ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، ومنها قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣].

وغيرها كثير من الآيات لا تحصر في إثبات الكلام لله تعالى، ومن السنة أحاديث عديدة فيها إثبات صفة الكلام لله ﷻ، منها مراجعة النبي ﷺ لربه في عدد الصلاة في الإسراء والمعراج، ونزول جبريل عليه بالأحاديث القدسية، وقبلها كلام الله تعالى بالقرآن الكريم الذي تلقاه جبريل عليه السلام من ربه فنزل به على النبي ﷺ.

وكلامه ﷻ صفة ذات وفعل، فالله تعالى يتكلم بمشيئته وقدرته كلاماً قائماً بذاته، وجميع أئمة الدين المقتدى بهم من سلف الأمــة، متفقون على ما جاء به الكتاب والسنة[1]، من أن كلام الله على الحقيقة اللائقة بجلاله من غير تحريف، أو تشبيه، أو تعطيل، وتعطيل كلامه تعالى يقتضي تعطيل التوحيد، فالذي لا يتكلم ولا يقوم به علم ولا حياة فهو كالميت[2]، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

---

(١) ينظر: الرد على الزنادقة والجهمية ص ٢٨، كتاب التوحيد لابن خزيمة ج ١ ص ٣٣٣، الرد على من يقول القرآن مخلوق ص ٣٧، بيان تلبيس الجهمية ج ١ ص ٤٨٦، الصواعق المرسلة ص ٢٠٢، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٢

(٢) ينظر: المسائل الاعتزالية ج ١ ص ٤٨٥.

وفنّد علماء السلف كل الشبهات التي تعلق بها المخالفون وبيّنوا عورها[١]، فلم تقاوم القول الحق الدامغ الذي بناه أئمة السلف على هدي من الكتاب والسنة.

أما نفي جمهور الأشاعرة للحرف والصوت في كلام الله تعالى لموسى عليه السلام، كما هو واضح في كلام الرازي، فأجاب عليه العلماء من عدة وجوه:

١-إن جمهور العقلاء يقولون: إن تصور هذا القول كاف في الجزم ببطلانه، وهو لا يتصور إلا كما يتصور المستحيلات من الممتنعات، وهذا المذهب مبني على إنكار قيام الأفعال الاختيارية بالرب تعالى، وحقيقة ذلك إنكار أفعاله وربوبيته وإرادته ومشيئته[٢].

٢-إن الله تعالى أخبر في غير موضع أنه نادى موسى، والنداء باتفاق أهل اللغة لا يكون إلا صوتاً مسموعاً، كما بيّن أنه كلّمه، وأكد ذلك بالمصدر، فقال: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، والكلام لا يكون إلا حروفاً منظومة[٣].

والسلف الصالح لم يقل أحد منهم إن الله يتكلم بلا حرف ولا صوت، بل قالوا: إن الله لم يزل متكلماً إذا شاء، وكلامه ليس بمخلوق، بل كلامه صفة له قائمة بذاته[٤].

[٩٤] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[البقرة: ٢٥٤]:

التحريف في معنى الشفاعة:

وقال هود الهواري (ت: ٢٨٠): «قوله: ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ أي: للكافرين»[٥].

---

(١) ينظر: نقض الدارمي ج ١ ص ١٥٥، الإبانة لابن بطة ص ٧٢، اعتقاد أئمة الحديث ص ٥٦، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به ص ٣٩، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج ٢ ص ٣٣١، الانتصار في الرد على المعتزلة ج ٢ ص ٥٤٠، الصفدية ج ١ ص ٢٠٤،

(٢) ينظر: شرح العقيدة الواسطية ص ١٨٤.

(٣) مجموع الفتاوى ج ١٢ ص ٤٠، شرح قصيدة ابن القيم ج ١ ص ٢٢٥.

(٤) العقيدة الأصفهانية ص ٥٥، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٠، المسائل الإعتزالية ج ١ ص ٤٨٦.

(٥) تفسير هود الهواري ج ١ ص ٢٥٤.

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨): «...وإن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب، لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم في حط الواجبات، لأن الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير»(١).

سبب التحريف:

يشمل قول هود لا شفاعة للكافرين؛ عصاة الموحدين، إذ هم في حكم الكفار عند الإباضية، كما مرّ في غير موضع، وكذلك قول الزمخشري، إذ هو مبني على مذهب المعتزلة في الشفاعة، وأنها لا تشمل الفسّاق الموحّدين، ولا شك أنه اشتراط باطل من هود والزمخشري ومن نحا نحوهم من الوعيدية، بل تشمل أهل الكبائر الموحّدين وغيرهم من المؤمنين، وهي ليست فقط زيادة في الفضل كما حصرها الزمخشري، بل زيادة في الفضل وتخفيف من العذاب، وقد بسطت الكلام في هذه المسألة في غير موضع ما أغنى عن إعادته(٢).

[٩٥] **قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[البقرة: ٢٥٤]:**

التحريف في معنى ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ﴾:

قال هود الهواري (ت: ٢٨٠): «﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ أي: لأنفسهم، وهو كفر دون كفر، وكفر فوق كفر»(٣).

سبب التحريف:

معتقد الإباضية في الفساق الموحّدين والمنافقين أن كفرهم كفر نعمة، وهو ما عبّر عنه الهواري بقوله كفر دون كفر، وأعرب عنه في غير موضع، وقد سبق الرد عليه(٤)، لكنهم يرون أنهم مخلّدون في النار مع الكفار كفراً أكبر.

---

(١) الكشاف ج ١ ص ٣٢٧.

(٢) ينظر: آية ٤٨ من سورة البقرة.

(٣) تفسير هود الهواري ج ١ ص ٢٣٨.

(٤) ينظر: آية ٨، ١٩ من سورة البقرة.

الرد على التحريف:

المنافقون لا يمكن وصفهم بالإيمان، بل أبطنوا كفراً أكبر، لذلك قال تعالى في سورة المنافقون في سياق ذمهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣].

فالقرآن يصرّح بكفرهم، واتفقت الأمة على ذلك، ولم يخالف إلا من لا يعتد بقوله، ومضى بيان عور هذا القول وضعفه[1].

أمّا الفسّاق الموحِّدون فلا يُوصفون بالكفر، بل معهم أصل الإيمان بتوحيدهم ولا يخلّدون في النار مع الكافرين، فهم تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عفا عنهم برحمته فلا يعذبهم، وإن شاء عذبهم بعدله، ثم يخرجون إلى الجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وقد تقدم تقرير هذا في أكثر من موضع[2].

[٩٦] قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]:

تحريف معنى ﴿ٱلْحَىُّ﴾:

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨): «﴿ٱلْحَىُّ﴾ الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء»[3].

سبب التحريف:

المعتزلة يفرّون من أن يثبتوا لله صفة وجودية كالحياة التي تنافي الموت، لذلك يفسر الزمخشري الحيّ بما قال.

(١) ينظر: تفصيله عند آية ٨، ١٩ من سورة البقرة.

(٢) ينظر: آية ٣، ٦، ٨١ من سورة البقرة.

(٣) الكشاف ج ١ ص ٣٢٧.

الرد على التحريف:

قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ اسمان من أسماء الله تعالى؛ جامعان لكمال الأوصاف، والأفعال؛ فكمال الأوصاف في ﴿ٱلۡحَيُّ﴾؛ وكمال الأفعال في ﴿ٱلۡقَيُّوم﴾ لأن معنى الحي ذو الحياة الكاملة من حيث الوجود والعدم؛ ومن حيث الكمال والنقص؛ فحياته من حيث الوجود والعدم؛ أزلية أبدية، لم يزل، ولا يزال حياً؛ ومن حيث الكمال والنقص: كاملة من جميع أوصاف الكمال؛ فعلمه كامل، وقدرته كاملة، وسمعه، وبصره، وسائر صفاته[(١)].

والقيوم: كامل القيومية وله معنيان[(٢)]:

١- قام بنفسه، واستغنى عن جميع مخلوقاته.

٢- قامت به الأرض والسماوات وما فيهما من مخلوقات، وهو الذي أوجدها، فهي التي تفتقر إليه من كل وجه، وهو الغني عنها من كل وجه.

فالحيّ والقيوم اسمان لله تعالى جمعا كل صفات الكمال.

[٩٧] قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]:

تحريف معنى ﴿ٱلَّذِي يَشۡفَعُ﴾:

نقل الطباطبائي عن العياشي في تفسيره رواية باطلة نسبها لجعفر، فقال: «عن الصادق عليه السلام قال: قلت: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ قال: **(نحن أولئك الشافعون)**»[(٣)].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ج٥ ص٣٩٣، تفسير أبي السعود ج١ ص٢٤٨، تفسير العثيمين ج٣ ص٢٥١.

(٢) ينظر: شرح أسماء الله الحسنى لسعيد بن وهف ص ١٥٧.

(٣) تفسير الميزان ج ٢ ص ٣٤١.

سبب التحريف:

سبب هذا التحريف الغلو في الأئمة المكذوبة، التي تزعمها بعض الرافضة، وكون الطباطبائي ينقلها عن غيره لا يعفيه نقله لمثل هذه التحريفات المنسوبة زوراً لآل البيت من تبعتها والمؤاخذة عليها.

الرد على التحريف:

أما هذه العقيدة الباطلة فقد تقدم الرد عليها في أكثر من موضع(١).

وأما الشافعون في الآية فهم من أذن لهم الله تعالى من الشفعاء يوم القيامة؛ من الملائكة، والأنبياء، والصالحين(٢)، فلا شفاعة لمن لم يأذن له الله ﷻ، حتى أعظم الناس جاهاً عند الله تعالى وهو النبي ﷺ لا يشفع إلا بإذنه تبارك وتعالى، قال عز من قائل: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

[٩٨] قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]:

تحريف معنى الكرسي:

قال السُّلمي (ت: ٤١٢): «العرش والكرسي إظهاراً للقدرة، لا محلاً للذات»(٣).

وقال الزمخشري (ت: ٥٣٨): «... كرسيه لم يضق عن السموات والأرض لبسطته وسعته، وما هو إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط، ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد»(٤).

---

(١) ينظر: على سبيل المثال آية ٦ من سورة الفاتحة، ٣، ١٢٤، ١٨٥، ١٨٩ من سورة البقرة وغيرها من الآيات.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ج ١٤ ص ٣٨٩، الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف للصنعاني اليماني ص ٦٠، القول السديد شرح كتاب التوحيد للسعدي ص ٧٦.

(٣) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٧٦.

(٤) الكشاف ج ١ ص ٣٢٨.

وعلى الرغم من أن الرازي (ت: ٦٠٦) يرجح أن الكرسي جسم عظيم جاءت النصوص الصحيحة بإثباته[١]، خلا أنه يقول: «... ومن البعيد أن يقول ابن عباس: هو موضع قدمي الله تعالى وتقدس عن الجوارح والأعضاء، وقد ذكرنا الدلائل الكثيرة على نفي الجسمية في مواضع من هذا الكتاب، فوجب رد الرواية أو حملها على أن المراد أن الكرسي موضع قدمي الروح الأعظم أو ملك آخر عظيم القدر عند الله تعالى»[٢].

سبب التحريف:

التشبيه، والتمثيل، والجسمية، والقول بالمجاز، ادعاءات باطلة حرّف بها مدّعوها أسماء الله تعالى وصفاته، ونصوص الشرع لمّا أملت عليهم عقولهم القاصرة أمثال تلك التبريرات، فحكموا ما أملته عليهم عقولهم في نصوص الكتاب والسنة.

الرد على التحريف:

أهل السنة والجماعة يثبتون الكرسي لله سبحانه وتعالى، وثبوت ذلك عندهم بالأدلة من الكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة.

فمن القرآن هذه الآية العظيمة آية الكرسي، ومن السنة ما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما (ت:٦٨) قال: (الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى)[٣].

وما صح عن ابن عباس موقوفاً، لا يقال من قبل الرأي فله الحكم بالرفع[٤]. وفي

---

(١) التفسير الكبير ج ٧ ص ١٢.

(٢) المرجع السابق ج ٧ ص ١٣.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ج١ ص٢٤٨، والطبراني في المعجم الكبير ج١٢ ص٣٩، الدارقطني في الصفات ص٤٤، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج٣ ص٥٢٦، ابن عبدالبر في التمهيد ج٧ ص١٤٩، الخطيب في تاريخ بغداد ج٩ ص٢٥١، الهروي في الأربعين في دلائل التوحيد ص٥٧، الذهبي في العلو ص٧٦، وقال الألباني في مختصر العلو: صحيح موقوف ص٧٥.

(٤) ينظر: شرح نخبة الفكر للقاري ص ٥٥١، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣١٢، نيل الأوطار ج ١ ص ٢٠٣، المسائل الاعتزالية ج ١ ص ٢٥٢.

الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه (ت: ٣٢): (... ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل الكرسي على العرش كفضل الفلاة على تلك الحلقة)(١).

فالعرش والكرسي مخلوقان، والكرسي دون العرش في الحجم(٢).

والقول بأن المراد بالكرسي: علمه، قول ضعيف، وممّن ذكره الماتريدي، والزمخشري، والرازي، ومحمد رشيد، والطباطبائي، من المفسّرين المشمولة تفاسيرهم بالبحث، وينسب هذا القول لابن عباس رضي الله عنهما (ت:٦٨)(٣)، لكنه قول ضعيف من وجهين:

١-أن الله تعالى ذكر عن كرسيه أنه وسع السموات والأرض، وعلمه وسع كل شيء كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، والله تعالى يعلم ما كان وما لم يكن، فلو قيل: (وسع علمه السموات والأرض) لم يكن هذا المعنى مناسباً.

٢-قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أي: لا يثقله حفظهما(٤)، وهذا يناسب القدرة لا العلم(٥).

ونسبة هذا القول لابن عباس لا تصح، والثابت عنه القول الأول وهو المحفوظ عنه(٦).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في العرش ج ١ ص ٧٧ برقم ٥٨، ابن حبان في صحيحه ج ٢ ص ٧٧ برقم ٣٦١، الأصبهاني في العظمة ج ٢ ص ٥٧٠، البيهقي في الأسماء والصفات ج ٢ ص ٤٠٣، الذهبي في العلو ص ١١٥، الألباني في السلسلة الصحيحة ج ١ ص ١٠٨ وقال بعد جمع طرقه: «الحديث بهذه الطرق صحيح».

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣١٢.

(٣) ينظر: تفسير الماتريدي ج١ ص ٥٩٣، الكشاف ج١ ص ٣٢٨، تفسير الرازي ج٧ ص ١٣، تفسير المنار ج٣ ص ٣٣، الميزان ج٢ ص ٣٣٥.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ج٥ ص ٤٠٣.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى ج٦ ص ٨٥٤، المسائل الاعتزالية ج١ ص ٢٥٢.

(٦) ينظر: شرح الطحاوية ج٢ ص ٣٣٥.

وكذا يقال فيمن فسّر الكرسي بالملك[١].

١-حكم العلماء على هذه الرواية المنسوبة لابن عباس بالتضعيف وأنها لا تثبت عنه[٢]، وإن ذكرها بعض علماء أهل السنة. وبهذا يتبين أن الكرسي غير العرش، وأنه موضع القدمين، لصحة الأدلة على ذلك، وهو مذهب جمهور السلف من أهل السنة والجماعة[٣].

قال شارح الطحاوية: «وقيل: كرسيه علمه، وينسب إلى ابن عباس، والمحفوظ عنه ما رواه ابن أبي شيبة[٤]، ومن قال غير ذلك فليس له دليل إلا مجرد الظن، والظاهر أنه من جراب الكلام المذموم»[٥].

[٩٩] قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]:

تحريف معنى ﴿ٱلۡعَلِي﴾:

قال الماتريدي (ت: ٣٣٣): «العليّ عن كل موهم يحتاج إلى عرش أو كرسي»[٦].

قال الرازي (ت: ٦٠٦): «واعلم أنه لا يجوز أن يكون المراد منه العلو بالجهة..»[٧].

---

(١) قال به من المفسّرين المشمولة تفاسيرهم بالبحث الماتريدي ج١ ص٥٩٣، الزمخشري ج١ ص٣٢٨، الرازي ج٧ ص ١٣، الطباطبائي ج ٢ ص ٣٣٥.

(٢) ينظر: نقض الدارمي ج ١ ص ٤١١، شرح العقيدة الواسطية ج ١ص ١٢١، شرح قصيدة ابن القيم ج ١ ص ٥٣، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٦٨١، شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٢٨، السلسلة الصحيحة للألباني ج ١ ص ١٠٨.

(٣) ينظر: السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ج ١ص ٣٠١، العرش ص ٧٨، كتاب التوحيد لابن خزيمة ج ١ ص ٢٤٨، مجموع الفتاوى ج ٥ ص ٧٥، أقاويل الثقات ص ١١٧.

(٤) أي ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما من أن الكرسي موضع القدمين.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣١٢.

(٦) تفسير الماتريدي ج ١ ص ٥٩٣.

(٧) تفسير الرازي ج ٧ ص ١٤.

سبب التحريف:

ينفي المبتدعة عن الله تعالى العلو اللائق بجلاله، واستواءه على عرشه فوق سماواته، وفرّوا من إثبات هذا المعنى العظيم الذي أثبته الله لنفسه، لينفوا عنه مصطلحات ما أنزل الله بها من سلطان، مثل التحيز، والجسمية والجهة، والمكان، وغيرها مما خلطوا فيها بين الحق والباطل[1].

الرد على التحريف:

﴿ٱلۡعَلِي﴾ في هذه الآية، والأعلى في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١]، والمتعال في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

أسماء حسنى أثبتها الله تعالى لنفسه، دالة على أن جميع معاني العلو، ثابتة لله من كل وجه، فله علوّ الذات، فإنه فوق المخلوقات، وعلى العرش استوى أي: علا وارتفع، وله علوّ القدر، وهو علوّ صفاته وعظمتها، فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، وله علوّ القهر لجميع الكائنات[2].

والآية وأشباهها تردّ على الرازي؛ ففيها إثبات علوّ الله سبحانه أزلاً وأبداً، فهي صفة تدل على الثبوت والاستمرار، وأهل السنة والجماعة يثبتون علو الذات والصفات، ولا يحرّفون الآيات ويقصرونها على علو الصفات كما فعل المؤولة، وقد دلّ على علو الله ﷻ آلاف الأدلة من الكتاب، والسنة، وإجماع السلف، والعقل، والفطرة، وخالفهم في ذلك طائفتان؛ الأولى: الحلولية من الجهمية وغلاة الصوفية ومن وافقهم الذين قالوا: إن الله نفسه في كل مكان في السماء والأرض، وقولهم باطل شديد النكارة سبق الرد عليه[3]،

---

(١) سبق التفصيل في هذه المصطلحات عند المتكلمين عند آية ٢٨، ٢٩ من سورة البقرة.

(٢) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١١٨، التحفة المدنية في العقيدة السلفية ص ١٥٩، التنبيهات اللطيفة ص ٢٥، فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأحكام المستنبطة من القرآن للسعدي ص ٦٧.

(٣) عند آية ٢٩ من سورة البقرة.

والطائفة الثانية، قالوا: إنه لا يوصف بعلوّ، ولا غيره؛ فلا يقال فوق العالم ولا تحته، ولا يمين ولا شمال، ولا داخل ولا خارج، وهذا يفضي على القول بالعدم، وهو قول بعض الأشاعرة ومن وافقهم وسبق بسط الرد عليهم بشيء من التفصيل عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

وأما قول الماتريدي فيفهم منه إنكار العرش والكرسي، وسبق قوله في تأويل الاستواء في الآية السابقة إلى الاستيلاء، وتحريف علوّ الله عليه، أمّا إنكار الكرسي فيّرجع إلى تقرير مذهب أهل السنة والجماعة فيه في التحريف السابق.

[١٠٠] قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]:

تحريف معنى ﴿ٱلنُّور﴾ و﴿ٱلظُّلُمَٰت﴾:

قال الطباطبائي (ت: ١٤٠٤): «وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: قال: النور آل محمد، والظلمات أعداؤهم»[1]، وتعقّبه بقوله: «وهو من قبيل الجري، أو من باب الباطن أو التأويل»[2].

سبب التحريف:

الغلو في الأئمة عند الرافضة ومن وافقهم من الشيعة، دعاهم لتحريف النصوص وتطويعها لتوافق معتقداتهم الباطلة، دون اعتبار دلالة اللغة على ذلك.

الرد على التحريف:

مرّ كثير من أمثال هذه التحريفات عند الطباطبائي، وهو ينقلها في بحوثه الروائية عن غيره، وهذا لا يعفيه من إيراد أمثال هذه التحريفات، بل هو لا يكتفي بالنقل، إنما يتعقبها بقوله: إنها معاني باطنة للآية.

---

(١) تفسير الميزان ج ٢ ص ٣٤٧.

(٢) المرجع السابق.

والحق أن الآية بعيدة كل البعد عما قالوا، بل إن الظلمات في الآية تعني: ظلمات الكفر والشك، والنور: نور الحق والإيمان، وعلى هذا سار جماهير المفسّرين(١).

[١٠١] **قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]:**

تحريف معنى ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾:

خاض السُّلمي (ت: ٤١٢) في معنى الآية، وأورد تحريفات منكرة، وادّعاءات باطلة لا تليق بمقام رب العزة، ولا بالخليل عليه السلام ومما قاله: «وقيل أرني كيف تحيي الموتى، يعني: القلوب الميتة عنك بإحيائها بك...»(٢).

وقال: «أَرَى الخليل من نفسه الشكَّ، وما شك ليقابل بالجواب الشك ليزيده به قربةً، وكذلك الخليل يحتال في محاورة خليله أبداً، فلما قيل له: أولم تؤمن قال: بلى، ولكن اشتقت إلى خطابك، فأنزلت نفسي منزلة لا شك، لأنال لذيذ خطابك، ولكن ليطمئن قلبي، فإن أكن محلاً لعتابك فإنه قيل: (ويبقى الود ما بقي العتابُ)(٣).

وذكر أقوالاً أخرى بدرجة هذا التحريف أو أشد.

سبب التحريف:

القول في كتاب الله بغير علم، وصرف الآيات عن معناها الصحيح بغير دليل منهج اتبعه غلاة الصوفية ومن نحا نحوهم، وزعموا أنها علم باطن للآيات وهذا عين صنيع السُلمي في هذه الآية وغيرها، وسبق مثاله في غير موضع.

---

(١) ينظر: تفسير البغوي ج ١ ص ٣١٥، زاد المسير ج ١ ص ٣٠٦، تفسير القرطبي ج ٣ ص ٢٨٣، البحر المحيط ج٢ ص٢٨١، تفسير ابن كثير ج١ ص٦٨٥، أضواء البيان ج١ ص١٥٨.

(٢) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٧٩.

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٧٨.

الرد على التحريف:

الموتى في الآية بمعناها المعروف، وهم الذين فارقت أرواحهم أجسادهم من إنسان أو حيوان، وفي الآية أرشده الله لموتى الطير، وقوله تعالى: ﴿أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: أرني بعيني؛ فالسؤال هنا عن الكيفية لا عن الإمكان ؛ لأن إبراهيم لم يشك في القدرة(١)؛ ولا معنى الإحياء؛ لأن معنى الإحياء عنده معلوم؛ لكن أراد أن يعلم الكيفية: كيف يحيي الله الموتى بعد أن أماتهم، وصاروا تراباً وعظاماً، ويزداد إيماناً وطمأنينة بذلك، فالخليل عليه السلام أراد الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين(٢).

[١٠٢] قوله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:٢٦٩]:

تحريف معنى ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾:

نقل السُّلمي (ت: ٤١٢) تحريفات لمعنى الحكمة منها قوله: "الحكمةُ: العلم اللَّدُني، وقيل: الحكمة إشارة لا علة فيها...»(٣).

قال الطباطبائي (ت: ١٤٠٤): «وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في الآية، قال: طاعة الله ومعرفة الإمام»(٤).

سبب التحريف:

كلا المفسّرين يسعى لتطويع الآية لتوافق معتقده، فالسُّلمي يفسر الحكمة بالعلم

---

(١) قال النبي ﷺ: (**نحن أحق بالشك من إبراهيم عليه السلام إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾**...) الحديث، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله ﷻ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قوله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ ج٣ ص١٢٣٣ برقم ٣١٩٢.

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ١٨٣، مدارج السالكين ج ١ ص ٤٧١، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٦٨٩، تفسير السعدي ص ١١٢.

(٣) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٧٩.

(٤) تفسير الميزان ج٢ ص ٤٠٤.

اللَّدُني، وهو درجات في مقامات أوليائهم، يكشف لهم الله الغيب بزعمهم، وهو ما اعتقدته بعض الرافضة في أئمتهم المزعومة الذين زعموا فيهم علمهم للغيب.

الرد على التحريف:

قبل بيان المعنى الصحيح للحكمة في الآية الكريمة كما بينه علماء التفسير، نؤكد على أن هذه العقائد الباطلة؛ الغالية في الأئمة والأولياء فضلاً عن أنها تحريف، لمعنى للآية؛ هي نفسها أباطيل يجب على المسلم الكفر بها قبل إدخالها في تفسير كتاب الله تعالى.

وأما الحكمة فهي مأخوذة من الحكَمة (بالتحريك) وهي ما أحاط بحنكي الفرس من اللجام، وفيها العذاران، وفي ذلك معنى ما يضبط به الشيء، ومنه إحكام الأمر وإتقانه[١].

واختلف أهل التفسير في معناها في الآية فقال بعضهم: هي النبوة، وقال بعضهم: القرآن والفقه فيه، ومنهم من قال: الإصابة في القول والفعل وآخرون قالوا: هي العقل وغيرها من الأقوال، وكلها ذكرها ابن جرير بأسانيدها إلى قائليها، ثم جمع بينها بقوله: «وقد بينا فيما مضى معنى الحكمة، وأنها الإصابة بما دلّ على صحته، فإذا كان ذلك كذلك معناه، كان جميع الأقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك داخلاً فيما قلنا من ذلك، لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها ومعرفة، وإذا كان ذلك كذلك كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره، مفهماً، خاشياً لله، فقيهاً، عالماً، وكانت النبوة من أقسامه، لأن الأنبياء مسدّدون مفهمون، وموفَّقون لإصابة الصواب في بعض الأمور، والنبوة بعض معاني الحكمة. فتأويل الكلام: يؤتي الله إصابة الصواب في القول والفعل من يشاء، ومن يؤته الله ذلك فقد آتاه خيراً كثيراً»[٢].

وقول السُّلمي فيه تحريف ومخالفة لأقوال المفسّرين، إذ تعتبر أقوالهم هذه من قبيل اختلاف التنوع، ومرجع أقوالهم واحد.

---

(١) ينظر: مختصر المعاني للتفتازاني ص ٤، القاموس المحيط ص ١٤١٥، كتاب الكليات ص ٣٨٢، زهر الأكم في الأمثال والحكم لنور الدين البوسي ص ٦، تاج العروس ج ٣١ ص ٥١٥.

(٢) تفسير الطبري ج ٥ ص ٥٧٩ باختصار.

[١٠٣] **قوله تعالى:** ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ **[البقرة: ٢٧٣]:**

تحريف معاني ألفاظ الآية:

جعل السُّلمي (ت: ٤١٢) الآية على معتقداته الصوفية فقال: «﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لا يتحركون لطلب الأرزاق»(١) وقال في معنى ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾: «...سُمّوا جُهالاً لجهلهم بالفقر والغنى، ولتوهمهم أن الفقر قلة الشيء والغناء كثرته، ولم يعلموا أن الفقر هو الفقر إلى الله، والغناء هو الاستغناء به»(٢)، ويفسِّر ﴿سِيمَاهُم﴾ بنقولات باطلة فيقول: «بطيب قلوبهم، وحسن حالهم، وبشاشة وجوههم، ونور أسرارهم عند موارد البلاء عليهم»(٣). وذكر أقوالاً أخرى باطلة لا علاقة لها بالآية.

سبب التحريف:

بيّنا في أمثلة سابقة(٤)، معتقدات الصوفية الباطلة، التي تدعو إلى تعذيب الجسد بالجوع، وترك ضروريات الحياة، وترك العمل بادّعاء الزهد، وقد غلو في هذا المعنى الباطل، وترى السُّلمي يذكره كمعنى للآية.

الرد على التحريف:

تكرر الرد على صوفيات السُّلمي التي حرّف فيها آيات الكتاب، وأما الآية فيبين الله تعالى فيها مصرفاً من مصارف الصدقات، وهم الفقراء الذين حبسهم العذر من جهادٍ وغيره، فحبسوا أنفسهم في سبيل الله، فلا يسعهم الاشتغال بالكسب والضرب في

---

(١) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٨٢.

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٨٣.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ينظر: آية ٦ من سورة الفاتحة.

الأرض للتجارة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

ولا يصح قول السُّلمي أنهم تركوا طلب الرزق، فهو يريد والله أعلم بدعة الصوفية التي تدعو إلى الاتكال، وترك طلب الرزق بزعم الزهد، فدعوا إلى تعذيب الجسد وحرمانه(١)، وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾ أي: الجاهل بحالهم، الذي لا يعلم حاجتهم، وهذا يدل على أنهم لا يُظْهرون فقرهم لأحد(٢)، والسُّلمي جعل الجاهل؛ الجاهل بمعنى الفقر والغنى وحقيقته، وهذا تحريف.

وقوله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي: بعلامات الفقر، والحاجة عليهم من رثاثة الثياب، والانكسار(٣).

وأما السمات التي ذكرها السُّلمي ليس لها وجه في الآية، وخالف فيها جمهور المفسّرين.

[١٠٤] قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]:

تحريف معنى الخلود في الآية:

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨): «﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ وهذا دليل بيّن على تخليد الفسّاق»(٤).

(١) سبق الرد عليها عند قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ج ١ ص ٧٠٤.

(٣) تفسير البغوي ج ١ ص ٣٣٨.

(٤) الكشاف ج ١ ص ٣٤٨.

قال محمد رشيد (ت: ١٣٥٤): «هم أهل النار الذين يلازمونها كما يلازم الصاحب صاحبه، فيكونون خالدين فيها»[(١)]، ويصرّح برفضه لتفسير السلف للخلود، وينكره عليهم، فيقول: «وقد أوّل الخلود المفسّرون لتتفق الآية مع المقرر في العقائد والفقه؛ من كون المعاصي لا توجب الخلود في النار، فقال أكثرهم: إن المراد ومن عاد إلى تحليل الربا واستباحته اعتقاداً، ورده بعضهم بأن الكلام في أكل الربا وما ذكر عنهم من جعله كالبيع، وبيان لرأيهم فيه قبل التحريم، فهو ليس بمعنى استباحة المحرّم، فإذا كان الوعيد قاصراً على الاعتقاد بحلِّه لا يكون هناك وعيد على أكله بالفعل، والحق أن القرآن فوق ما كتب المتكلمون والفقهاء، يجب إرجاع كل قول في الدين عليه، ولا يجوز تأويل شيء منه ليوافق كلام الناس، وما الوعيد بالخلود هنا إلا كالوعيد بالخلود في آية قتل العمد، وليس هناك شبهة في اللفظ على إرادة الاستحلال... وخير من هذا التأويل تأويل بعضهم للخلود بطول المكث، أما نحن فنقول: ما كل ما يُسمى إيماناً يعصم صاحبه من الخلود في النار، الإيمان إيمانان؛ إيمان لا يعدو التسليم الإجمالي بالدين الذي نشأ فيه المرء أو نسب إليه... وإيمان هو عبارة عن معرفة صحيحة بالدين عن يقين بالإيمان، متمكنة في العقل بالبرهان، مؤثرة في النفس بمقتضى الإذعان، حاكمة على الإرادة المصَرِّفة للجوارح في الأعمال، بحيث يكون صاحبها خاضعاً لسلطانها في كل حال، إلا ما لا يخلو عنه الإنسان من غلبة جهالة أو نسيان، وليس الربا من المعاصي التي تنسى... فهذا هو الإيمان الذي يعصم صاحبه بإذن الله من الخلود في سخط الله، ولكنه لا يجتمع مع الإقدام على كبائر الإثم والفواحش... وأما الإيمان الأول فهو صوري فقط، فلا قيمة له عند الله تعالى.. وهو مذهب السلف الصالح وإن جهله كثير ممن يدّعون اتباع السنة...»[(٢)].

---

(١) تفسير المنار ج ٣ ص ٩٨.

(٢) تفسير المنار ج ٣ ص ٩٨، ٩٩.

سبب التحريف:

الزمخشري يفسر الخلود على عقيدة المعتزلة التي تخلد مرتكب الكبيرة في النار، ووافقهم بعض رجال المدرسة العقلية معتزلة العصر، ومنهم محمد رشيد، كما يتضح تفسيره للآية.

الرد على التحريف:

للسلف في مرجع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ قولان:

الأول: أن يعود إلى أكل الربا، وهو كبيرة من الكبائر، وبالجمع بين نصوص الوعد والوعيد، فإنّ أصحاب الكبائر لا يخلّدون في النار للنصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، فوجب تأويل الخلود هنا بطول المكث(١).

الثاني: أن يعود على الذين قالوا: إنما البيع مثل الربا. وعليه فيكون قد كفر باستحلاله ما حرم الله، فيستحق الخلود في النار(٢).

وتأويل أهل السنة والجماعة لهذه الآية، دلّ عليه الدليل من الكتاب والسنة، فإن صاحب الكبائر ومنها أكل الربا لا يخلد صاحبها في النار بأدلة من الكتاب والسنة بلغت حد التواتر، سقنا شيئاً منها في غير موضع تمّ فيه الرد على الوعيدية.

قال الشوكاني (ت: ١٢٥٠) في بيان عدم التخليد في النار لأهل الكبائر، وتأويل أمثال هذه الآية: «والمصير على هذا التأويل واجب للأحاديث المتواترة»(٣).

وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤): «وقد تواترت الأحاديث من رسول ﷺ: أنه (**يخرج من**

---

(١) ينظر: فتح الباري ج٨ ص ٢٥٨، الاعتصام ج٢ ص ٢٤٧، روح المعاني ج٨ ص ١٠٠، التحرير والتنوير ج٣ ص٩٠

(٢) ينظر: تفسير مقاتل ج١ ص١٤٨، تفسير الطبري ج٦ ص١٤، تفسير السمرقندي ج١ ص٢٠٧، تفسير الواحدي ج١ ص١٩٢، تفسير السمعاني ج١ ص٢٨١، تفسير البغوي ج١ ص٢٦٣، التفسير الكبير ج ٧ ص ٨٠، تفسير النسفي ج ١ ص ١٣٤.

(٣) فتح القدير ج ١ ص ٢٩٦.

النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان)»(١).

وهذا هو مذهب السلف؛ أهل السنة والجماعة، وما نسبه إليهم محمد رشيد غير صحيح وهو معلوم البطلان ويكذّبه الواقع، والكل يعلم أنه مذهب الخوارج والمعتزلة.

وتعرض محمد رشيد في كلامه السابق للغمز في السلف على مذهبهم في أهل الكبائر بقوله: «وقد أوّل الخلود المفسّرون لتتفق الآية مع المقرر في العقائد والفقه..»(٢)، وقوله: «والحق أن القرآن فوق ما كتب المتكلمون والفقهاء، ويجب إرجاع كل قول في الدين إليه، ولا يجوز تأويل شيء منه ليوافق كلام الناس»(٣)، وقد تعقبه د. فهد الرومي في كتابه المدرسة العقلية بقوله: «كان الأحرى بالسيد رشيد أن يتجه إلى تفنيد هذه الأدلة إن استطاع بما يبطل الاحتجاج بها، ولكنه وغيره لا يستطيع ذلك، فعمد إلى الغمز منهم بالإسناد إلى ما هو مقرر في العقائد والفقه، وكأن الإسناد إلى ما هو مقرر فيهما بدعة في الدين أو خروج منه،... ما زاد الطين بلة كما يقولون ـ ما يفهم منه أن السلف بتقريرهم هذا في العقائد والفقه لم يستندوا إلى القرآن الكريم بل إلى كلام الناس، فطلب الرجوع إليه، ونسي أن السلف هم أول من يطلب الرجوع إلى الكتاب، وأضافوا إليه أيضاً الرجوع إلى السنة.. ولا ندري هل يسمي السيد رشيد رضا الآيات القرآنية التي استند إليها السلف (لكلام الناس) أم أنه لا يعرف تلك الآيات التي استدلوا بها؟ هذان أمران أحلاهما مر »(٤).

فمرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة لا يخلّد في النار، بل هو تحت المشيئة، إن شاء الله عفا عنه برحمته فلا يدخل النار، وإن شاء عذّبه بذنبه ثم يخرج إلى الجنة. وهذا في أصحاب الكبائر، سواءً آكل الربا أو القاتل العمد أو غيرهما من الكبائر التي ورد فيها الخلود في النار، فإنه يردّ إلى نصوص الخروج من النار لعصاة الموحدين(٥).

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٣٨ طبعة دار النشر، ١٤٠١هـ، والحديث سبق تخريجه ص٣٨١.

(٢) تفسير المنار ج ٣ ص ٩٨.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المدرسة العقلية ج ٢ ص ٦٥٨.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى ج ١٢ ص ٤٨٠.

[١٠٥] **قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ **[البقرة: ٢٧٥]:**

تحريف معنى مس الشيطان:

قال رشيد رضا (ت: ١٣٥٤): «والمراد بالمس الصرع، وهو من الأمراض العصبيّة، وسببها بإذن الله تلك الجراثيم التي تدخل جسم الإنسان»[(١)].

وكثير من النصوص التي تتحدث عن الجن يتأوّلها محمد رشيد بالجراثيم[(٢)].

سبب التحريف:

تحكيم العقل في المغيبات، والانهزام أمام الماديين الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوسات، جعلهم يحرّفون النصوص لتقريبها إلى عقولهم، التي لا يكفيها الإيمان بالغيب.

الرد على التحريف:

دلّ القرآن الكريم على وجود الجن في آيات وأحاديث كثيرة، استمدّ السلف الصالح عقيدتهم في الجن منها؛ ففي إثبات وجودهم قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وفي وصفهم قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ﴾ [الرحمن: ١٥].

وأرسل إليهم رسلاً، كما قال تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠].

ومنهم من آمن بالرسل، ومنهم من كفر لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ﴾ [الجن: ١٤].

---

(١) تفسير المنار ج ٣ ص ٩٦.

(٢) ينظر: المدرسة العقلية ج ٢ ص ٦٤١.

وهم الذين يوسوسون في الصدور، ويجرون من بني آدم مجرى الدم؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٦]، وقال ﷺ: (**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم**)(١) وغيرها من الآيات والأحاديث التي التزمها أهل السنة والجماعة في إيمانهم بما جاء فيها عن الجن، وعدم تعديها، والخوض فيها بالتأويل الذي لا يستند إلى دليل، والإيمان بها واجب وفق ما جاء في الكتاب والسنة(٢)، والله تعالى أعلم.

[١٠٦] قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

تحريف معنى الرجوع:

قال الرازي (ت: ٦٠٦): «الرجوع إلى الله تعالى ليس المراد منه ما يتعلق بالمكان والجهة فإن ذلك محال على الله تعالى...»(٣).

وحمله على الرجوع إلى ما أعد لهم من الثواب والعقاب.

سبب التحريف:

الرازي من جمهور الأشاعرة الذين ضلوا في أسماء الله تعالى وصفاته فزعم تنزيه الله تعالى عن مصطلحات ما أنزل الله بها من سلطان، وجاوزوا ذلك بأن نفوا عنه ما أثبته لنفسه ومنه ما دلّت عليه هذه الآية أن الخلائق ترجع لله تعالى في مكانه اللائق به، والرازي يَحْرِف معنى الآية عن الحق لتوافق معتقد الأشعرية ومن نحا نحوهم من الفرق الضالة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه ج ٢ ص ٧١٧ برقم ١٩٣٣.

(٢) للاستزادة ينظر: المدرسة العقلية ج ٢ ص ٦٤١.

(٣) التفسير الكبير ج ٧ ص ١١٣.

الرد على التحريف:

فَرَّ الرازي من إثبات المعنى الصحيح الذي تدل عليه الآية، ويفهم منها دون حاجة إلى تحريف، وهو رجوع الخلائق إلى الله ﷻ حيث علوه اللائق به، وهو العلو فوق سماواته، والاستواء على العرش فوقهن.

ومضى الرد على هذا التحريف بشيء من التفصيل ما أغنى عن إعادته(١).

[١٠٧] قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]:

تحريف معنى الإيمان:

قال السُّلمي (ت: ٤٠٢): «فإيمان رسول الله ﷺ إيمان مكاشفة ومشاهدة، وإيمان المؤمنين إيمان بالوسائط والعلائق، وقيل في قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ حكماً وتسمية، ولا المؤمن موجود ولا الإيمان ظاهر»(٢).

قال الرازي (ت: ٦٠٦) في معنى الإيمان بالله: «أما الإيمان بوجوده، فهو أن يعلم أن وراء المتحيزات موجوداً خالقاً لها، وعلى هذا التقدير فالمجُسِّم(٣) لا يكون مقراً بوجود الإله تعالى، لأنه لا يثبت ما رواء المتحيزات شيئاً آخر، فيكون اختلافه معنا في إثبات ذات الله تعالى، أما الفلاسفة والمعتزلة فإنهم مقرِّون بإثبات موجود سوى المتحيزات مُوجد لها، فيكون الخلاف معهم لا في الذات بل في الصفات»(٤).

---

(١) ينظر: آية ٢٨، ٢٩ من سورة البقرة.

(٢) تفسير السُّلمي ج ١ ص ٨٥، وكلامه غير مفهوم.

(٣) يعني بهم أهل السنة الذين يثبتون الأسماء والصفات كما أخبر الله ورسوله ﷺ دون تحريف، أو تعطيل، أو تشبيه، ينظر: آية ١ من سورة الفاتحة.

(٤) التفسير الكبير ج ٧ ص ١٤١.

سبب التحريف:

ما ذكره السُّلمي من قطع العلائق عن العباد، راجع لمعتقده الصوفي الباطل، وبقية كلامه من القرمطة التي لا معنى لها وهي ما ادّعوه من ألغاز وإشارات باطنة للآيات، أما الرازي فقد أسرف في تقرير معتقده في التعطيل والتشبيه في أسماء الله تعالى وصفاته، والحكم على أهل السنة والجماعة بالكفر، لأنهم يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه في الكتاب والسنة.

الرد على التحريف:

الرسول ﷺ أكمل المؤمنين إيماناً وهو أعبدهم لله، وقد بيّن سبب ذلك ﷺ، فكونه أخشى الناس لله لأنه أعلمهم به، قال ﷺ: (**قد علمتم أني أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم..**) الحديث[(١)] وهذا ما جعله عليه السلام أعبدهم لله تعالى، ولا يزعم أحد من الصوفية وغيرهم أنه كان لا يسأل الله الجنة ولا يخاف من النار، وهو ما يريده الصوفية من بدعتهم قطع العلائق، وقد ذكرنا الشواهد عليها من كلام السُّلمي وغيره من الصوفية في غير موضع[(٢)]، وكررنا الرد عليهم في موضعه.

والرسول ﷺ والمؤمنون صرّح الله تعالى في هذه الآية أنهم جميعاً آمنوا بالله لا إله إلا هو وبرسله، وكتبه، وملائكته.

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤): «قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف على الرسول ﷺ ثم أخبر عن الجميع، فقال: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾»[(٣)].

والإيمان درجات حاز النبي ﷺ أعلاها بلا شك.

أما قول السُّلمي إيمانه بالمشاهدة وغيره بالعلائق، غير صحيح، فإن النبي ﷺ لم يقتصر إيمانه على علم بعض أمور الغيب، بل أن إيمانه بهذه المغيبات جعله يعبد الله تعالى

(١) أخرجه البخاري، باب نهي النبي ﷺ، ٦/ ٢٦٨١، ومسلم باب بيان وجوه الإحرام ٢/ ٨٨٣.

(٢) ينظر: الآية [٥] من سورة الفاتحة.

(٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٧٣٦.

حتى تتفطر قدماه طمعاً في أعلى مقامات الجنة، ولا يمكن لأحد أن ينكر ذلك، والأنبياء قبله على نفس هديه بين الرجاء والخوف، والجمع بين العلم والعبادة، والمؤمنون يقتدون بهم، ويؤمنون بما أخبروا به من المغيبات، ويسيرون على دربهم في العبادة، والله ﷻ يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وبقية كلام السُّلمي: «لا المؤمن موجود ولا الإيمان ظاهر» قرمطة وتحريف قبل أن يكون تحريف، وهو ما يدعيه من إشارات وألغاز لا يفهمها إلا هم، والله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

وأما الرازي فإنه يحرّف معنى الإيمان بالله، ويجعل المراد منه على عقيدة الفرق المخالفة لمنهج السنة والجماعة من جمهور الأشاعرة والمعتزلة والفلاسفة، ويكفّر أهل السنة والجماعة، وأطلق عليهم المجسمة.

وجمعه بين الأشاعرة والمعتزلة والفلاسفة صحيح، فإنهم مشتركون في تحريف أسماء الله وصفاته وإن افترقوا في التفصيل، وأهل السنة والجماعة هُدوا إلى القول الحق في إثبات ما أثبت الله تعالى لنفسه في كتابه وسنة رسوله ﷺ ونفي ما نفاه عن نفسه.

وتركوا ابتداع ما لم يأذن به الله من مصطلحات، فضلاً عن نفيه وإثباته، وإلزام الناس به وتكفيرهم بتركه.

ومن أركان الإيمان؛ الإيمان بالله، وهو: التصديق الجازم بوحدانية الله تعالى بأنواع التوحيد الثلاثة: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات[1] على عقيدة أهل السنة والجماعة، الذين يستمدّون عقيدتهم من الكتاب والسنة، وما يدّل الدليل الصحيح عليه في فهم تلك النصوص، فهم لا يحكّمون العقل ولم يتأثروا بفلسفة أهل الكفر، وهذا ما وقع به مخالفوهم، فدعتهم عقولهم بدعوى التنزيه عن الجسمية والتحيز والجهة وغيرها

---

(١) ينظر: الوجيز في عقيدة السلف الصالح ص ٣٦، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث لابن باديس ص ٤٠.

إلى نفى صفات الكمال عن الله تعالى من العلو والاستواء على العرش، وغيرها من الصفات والأسماء، التي أثبتها لنفسه تعالى عما يقولون علواً كبيراً، وتمادى بعضهم بنفي صفاته من العلم، والسمع، والبصر، فقالوا: عليم بلا علم، وسميع بلا سمع. وبه تقول المعتزلة ومن وافقهم من نفاة الصفات[1].

وأهل السنة والجماعة؛ أهل الوسطية، بيّنوا القول الحق بأدلة دامغة، اجتثت القول الباطل، فلم يبق له قرار، وعلى رغم قوة أدلتهم وضعف أدلة عند مخالفيهم كانوا وسطاً في الحكم عليهم، وتركوا الغلوّ في تكفيرهم، بل كانوا حذرين في إطلاق لفظ الكفر إلا على من يستحقه، ومقالاتهم في كتبهم تدل على هذا المنهج الوسط العادل في المخالفين[2].

[١٠٨] **قوله تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]:**

تحريف معنى الإيمان بالملائكة:

قال محمد رشيد (ت: ١٣٥٤): «وبوجود الملائكة الذين هم السفراء بين الله وبين الرسل من البشر، ينزلون بالوحي على قلوب الأنبياء، قال المفسّرون: ليس المراد بالإيمان بالملائكة؛ الإيمان بذواتهم، بل الإيمان بسفراتهم في الوحي، كما يفهم من النظم والترتيب، ولذلك عطف عليهم الإيمان بحقيقة كتبه وصدق رسله، لكن ما يفيده الترتيب والنظم من إرادة الإيمان بالملائكة من حيث هم حملة الوحي إلى الرسل، لا ينافي ملاحظة الإيمان بهم، من حيث هم من عالم الغيب، بل يستلزمه، وأما البحث عن ذواتهم ما هي وعن صفاتهم وأعمالهم كيف هي، فهو مما لم يأذن به الله في دينه»[3].

---

(١) ينظر: بيان تلبيس الجهمية ج ١ ص ٢٧٠، أعلام السنة المنشورة ص ٩١.

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٥.

(٣) تفسير المنار ج ٣ ص ١٤٤.

سبب التحريف:

سبق التعرض لمنهج رشيد رضا وغيره من رجال المدرسة العقلية في الملائكة، وادّعائهم أنها قوى الخير والشر، وإنكارهم لبعض الأحاديث التي تثبت شيئا من خلقهم وأعمالهم، ويرجع سبب ذلك كما بيّناه في موضعه[(١)] إلى تحكيم عقولهم على نصوص الغيب وغيرها، ومجاراة الماديين من الكفار.

الرد على التحريف:

لم أجد فيما بين يدي من كتب التفسير ما نسبه محمد رشيد للمفسرين من إنكار الإيمان بذوات الملائكة[(٢)]، ورغم أنه ردّه إلا أنه رجع لإثبات مثله لمّا زعم أن البحث عن ذواتهم وأعمالهم مما لم يأذن به الله، وهذا غير صحيح، بل هو إنكار غير مباشر لما أخبر به الكتاب والسنة عن ذوات الملائكة وأعمالهم، وكيف يدعي ذلك مع تلك النصوص التي تخبرنا عنهم، والإيمان بالملائكة الذي طالب الله عباده به يستلزم الإيمان بتلك النصوص[(٣)]، وناقض محمد رشيد قوله بادّعائه أن الملائكة قوى الخير والشر أو دواعيهما في الإنسان،

---

(١) ينظر: آية ٣٠ من سورة البقرة.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل ج١ ص١٥٣، تفسير الطبري ج٦ ص١٢٤، تفسير ابن أبي حاتم ج٢ص٥٧٧، معاني القرآن للنحاس ج١ ص٣٣٠، تفسير السمرقندي ج١ ص٢١٤، تفسير الثعلبي ج٢ ص٣٠٤، تفسير السمعاني ج ١ ص ٢٨٨، تفسير البغوي ج ١ ص ٣٥٧، الكشاف ج ١ ص ٣٥٧، التفسير الكبير ج ٧ ص ١١١، تفسير العز بن عبد السلاّم ج ١ ص ٢٥٠، تفسير القرطبي ج ٣ ص ٤٢٥، تفسير البيضاوي ج ١ ص ٥٨٦، تفسير الخازن ج ١ ص ٣١٠، غرائب القرآن ج ٢ ص ٨٥، البحر المحيط ج ٢ ص ٣٥٧، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٧٣٧، تفسير الثعلبي ج ٢ ص ٣٠٤، تفسير الجلالين ص٦٤، الدر المنثور ج٢ ص١٢٧، فتح القدير ج١ ص٣٠٧، روح المعاني ج ٣ ص ٦٨، التحرير والتنوير ج ١ ص ٧١، تفسير العثيمين ج ٣ ص ٤٤٤.

(٣) ينظر: تفسير الخازن ج ١ ص ٣١٣.

فكيف الخوض في ذلك، وهو مما لم يأذن به الله، وليتهم التزموا ما جاء في الكتاب والسنة، وتركوا الخوض بما لم يأذن به لله تعالى حقا.

ومضى بسط هذه المسألة والرد عليهم عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وإن وجد من المفسّرين[(١)] من قيّد الإيمان بالملائكة بالإيمان برسالتهم إلى الأنبياء، لا يعني كلامه عدم الإيمان بذواتهم، وما جاء عنهم في نصوص الشرع، ولما كان وحي الله تعالى يصل إلى البشر بواسطة الملائكة، فكانوا الواسطة بين الله وخلقه؛ ذكر الإيمان بهم في المرتبة الثانية بعد الإيمان بهم، ومن هنا خص بعض المفسّرين رسالتهم بالذكر في تفسيرهم للإيمان بالملائكة وذلك يستلزم الإيمان بذواتهم[(٢)]، والله أعلم.

---

(١) ينظر: النكت والعيون ج ١ ص ٣٦٢.

(٢) ينظر: تفسير ابن عادل ج٤ ص٥٢٦، تفسير أبي السعود ج١ ص٢٧٤، فتح القدير ج ١ ص ٣٠٧، روح المعاني ج ٣ ص ٦٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي أنعم عليّ ببلوغ خاتمة بحثي، فله الثناء الجميل، والشكر العميم في الأولى والآخرة، وقد انتهى بي المطاف إلى جملة من النتائج والتوصيات، فأقول وبالله التوفيق:

* لا يصدُر التحريف إلا عن هوىً متّبع، ولا يعتبر من الاجتهاد الخاطئ الذي يثاب عليه صاحبه؛ لأن المجتهد المخطئ المتمسك بشروط الاجتهاد هو الذي يثاب على اجتهاده، أما المحرّف فإنه يتبع هواه.

*بدعة التحريف نتيجة متوقعة لمخالفة منهج النبي ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم، وتابعيهم بإحسان.

*يتستر كثير من المحرِّفين من أعداء الإسلام والمبتدعة بلفظ التأويل لكونه لفظاً مجملاً يشمل تأويل التفسير وهو الحق، وتأويل الباطل وهو ما يريده أهل التحريف.

*المنافقون وأعداء الدين سبب أول تحريف في فهم كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ووجدوا قبولاً لتحريفاتهم في نفوس الجهلة وضعيفي الإيمان من المسلمين مما تسبب بانقسام الأمة.

*من نِعَم الله عز وجل حفظه لكتابه من التحريف والتبديل، وقد أنجز وعده وقيّض له من العلماء الذين جاهدوا في سبيل بيان الحق، ودحض الباطل، والتصدي لكل محرِّف.

*من أهم أسباب التحريف التعصب العقدي، والتحريف في آيات العقائد من أوسع مجالات التحريف مما يزيد من خطر التحريف على عقيدة المسلم.

*دفعت الأمة الإسلامية نتيجة تحريف دستورها ثمناً غالياً من وحدتها وقوتها، وكانت ولا زالت تعاني من آثار التحريف الذي شق صفها، ومزّق لحمتها، وأضعف همتها.

*الإخلال بضوابط التفسير وشروط المفسّر يؤدي إلى تحريفات واسعة ومتنوعة، وجرأة لكل من هبّ ودبّ للقول في كتاب الله تعالى بغير علم.

*التحريف بدعة وجريمة من كبائر الذنوب قد تخرج صاحبها من الإسلام وتوقعه بالكفر والعياذ بالله، وقد تكاثرت الآيات والأحاديث في ذمه ووصفه بأعظم الظلم.

*فتح التحريف الباب لأعداء الإسلام لينفثوا سمومه وكيدهم للإسلاَّم وأهله.

*و من أهم النتائج التنبيه على كثير من التحريفات الموجودة في تفاسير مشهورة ومتداولة بين كثير من المسلمين؛ الذين لديهم استعداد كبير لقبول تلك التحريفات بسبب ضعف العلم الشرعي أو بسبب عمى التعصب، ومن هنا تجدر الإشارة إلى أهم التوصيات:

*التمسك بمنهج السلف الصالح والحذر من البدعة، فإنها تؤدي إلى التحريف في كل مجالات الدين.

*عدم الجرأة على القول في كتاب الله ﷻ بغير علم، واشتراط الأهلية لكل من رام ذلك.

*العناية بتفسير كتاب الله تعالى وفق منهج السلف الصالح، والدعوة إليه ونشره، ليصل للمسلمين دستورهم كما أراده الله تعالى لهم؛ فتزول الخلافات بينهم وتعود لهم قوتهم.

*التصدي لكل صغيرة وكبيرة من أمثال تلك التحريفات، والتنبيه على ما فيها من باطل وفضح أمر المحرِّفين لئلا يغتر بهم.

* غربلة تلك التفاسير المشتهرة المتداولة مما حوت من التحريف وتوضيح الصحيح من السقيم فيها.

*وحبذا أن يكون هناك هامش لكل تفسير هو مظنة لذلك، يتم رصد كل تحريف والرد عليه ببيان القول الحق، وهذا ما هدفت إليه بهذا البحث ولعله يكون خطوة متواضعة في إخراج تلك التفاسير بما يضمن سلامتها على عقيدة قارئها.

*سورة البقرة سورة عظيمة شاملة، تقرر معظم مسائل العقيدة وكثير من الأحكام والمعاملات، وهي أطول سور القرآن، وعند استقرائي لها من خلال التفاسير الثمانية، وجدت أن كل ما تحرفه المبتدعة يمكن أن يُجمع معظمه من خلال تحريفاتهم في سورة البقرة، فإنك تستطيع التعرف على عقائد جمهور الأشاعرة مثلاً بقراءة تفسير الرازي لسورة البقرة فقط، لشمولية هذه السورة، وكذلك هو الحال مع بقية التفاسير، وتسجيل السورة كاملة للدراسة في رسالة ماجستير أو دكتوراه يكلف الطالب الجهد والوقت، ناهيك عن أن يكون من خلال ثمان تفاسير، فإنه يكفي في ذلك الجزء الأول من خلال تفسير أو تفسيرين كحد أقصى، وهذه التوصية أسجلها لما وجدته من مشقة في الجهد والوقت نتيجة لطول البحث، بالإضافة إلى صعوبة الدراسة النظرية؛ فالتحريف بحث شائك يحتاج لتأمل وتحرير.

هذا والله أسأل أن ينفع بما كُتب، ويتقبل عملي ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين.



الفهـــارس

وتشمل:

[١] فهرس المصادر والمراجع.

[٢] فهرس الموضوعات.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإبانة عن أصول الديانة: علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط الأولى، ١٣٩٧هـ.

٢. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، دار الراية للنشر، السعودية، ط الثانية، ١٤١٨هـ.

٣. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم: صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبدالجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

٤. إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

٥. الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض،ط الأولى، ١٤١٧هـ.

٦. ابن عثيمين الإمام الزاهد: ناصر الزهراني، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٢.

٧. الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي: علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.

٨. اتجاهات التفسير في العصر الحديث: مصطفى الطير، بحث ألقي في المؤتمر السادس لمجمع البحوث، ١٣٩٥هـ.

٩. اتجاهات التفسير في العصر الراهن، د. عبد المجيد المحتسب، مكتبة النهضة الإسلامية، عمان، ط الثالثة، ١٤٠٢هـ.

١٠. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي، ط الأولى، ١٤٠٧هـ.

١١. الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها: محمد الذهبي، دار الاعتصام، الكويت، ط الثانية، ١٣٩٨هـ.

١٢. اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

١٣. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ط الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٤. آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا بن محمد بن محمود القزويني.

١٥. إثبات صفة العلو: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، تحقيق: بدر عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ.
١٦. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١٧. الأحاديث المختارة: أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي، تحقيق: عبد الله بن عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط الأولى، ١٤١٠هـ.
١٨. الأحكام الشرعية الكبرى: أبو محمد عبد الحق الإشبيلي، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٩. أحكام العيدين: جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي أبو بكر، تحقيق: مساعد سليمان راشد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط الأولى، ١٤٠٦هـ.
٢٠. أحكام القرآن: أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان.
٢١. أحكام القرآن: أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٢٢. أحكام القرآن: محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٢٣. الإحكام في أصول الأحكام: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، دار الحديث، القاهرة، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.
٢٤. الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الآمدي أبو الحسن، تحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.
٢٥. أحوال الرجال: إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني أبو إسحاق، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٥هـ.
٢٦. أخبار الشيعة وأحوال رواتها لمحمود الألوسي، تقديم وتعليق: محمد مال الله.
٢٧. أخبار العلماء بأخيار الحكماء: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي.
٢٨. أخبار القضاة: محمد بن خلف بن حيان، عالم الكتب، بيروت.
٢٩. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر، بيروت، ١٩٩٦م- ١٤١٦هـ.

٣٠. اختلاف الحديث: محمد بن إدريس أبو عبدالله الشافعي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣١. الاختيارات العلمية: ابن اللحام، علاء الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي.

٣٢. الإخلاص والنية: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا،تحقيق: إياد خالد الطباع، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ١٩٩٢م، ١٤١٣هـ.

٣٣. أدب الإملاء والاستملاء: عبدالكريم بن محمد بن منصور أبو سعد التميمي السمعاني، تحقيق: ماكس فايسفايلر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٤. الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار: الإمام النووي، دار الكتب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣٥. الأربعين في دلائل التوحيد: عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الهروي أبو إسماعيل، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، المدينة المنورة، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣٦. إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب، دار الفكر، بيروت، ط الأولى، ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢م.

٣٧. إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد: محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، الدار السلفية، الكويت، ط الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٨. الإرشاد في معرفة علماء الحديث: الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي القزويني أبو يعلى، تحقيق: د. محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٩. أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار الفكر، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م

٤٠. أساس التقديس في علم الكلام: الإمام فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٤١. أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية: طاهر محمد يعقوب، دار ابن الجوزي، الدمام،ط الأولى، ١٤٢٥هـ.

٤٢. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠٠م.

٤٣. الاستغاثة في الرد على البكري: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: عبدالله بن محمد السهلي، دار الوطن، الرياض، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٤. الاستقامة: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ط الأولى، ١٤٠٣هـ.

٤٥. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٤٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط الأولى، ١٤١٢هـ.

٤٧. أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

٤٨. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط الرابعة، ١٤٠٨هـ.

٤٩. إسعاف المبطأ برجال الموطأ: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٥٠. الإسلام أصوله ومبادؤه: محمد السحيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٢هـ.

٥١. أسماء الكتب: عبد اللطيف بن محمد رياض زادة، تحقيق: د. محمد التونجي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط الثالثة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٥٢. أسماء الله الحسنى في خواتم آيات سورة الفاتحة والبقرة، علي العبيد،دار العاصمة، الرياض، ط الأولى، ١٤١٨هـ.

٥٣. أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة، للدكتور عمر سليمان الأشقر، ط الرابعة، ١٤١٩هـ، دار النفائس، الأردن.

٥٤. أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط الرابعة، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م.

٥٥. أسماء من يعرف بكنيته: محمد بن الحسين أبو الفتح الأزدي الموصلي، تحقيق: أبو عبدالرحمن إقبال، الدار السلفية، الهند، ط الأولى، ١٤١٠ هـ- ١٩٨٩م.

٥٦. الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبوبكر البيهقي، تحقيق: الشيخ عبدالله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي بجدة، ط الأولى، ١٤١٣هـ.

٥٧. الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط الأولى، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م.
٥٨. أصل الشيعة وأصولها: محمد حسين كاشف الغطاء، المكتبة الحيدرية النجف، المطبعة العربية القاهرة، ط العاشرة، ١٣٧٧هـ. ١٩٥٨م.
٥٩. الأصمعيات اختيار الأصمعي: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، تحقيق: أحمد محمد شاكر، عبد السلاَّم محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط السابعة، ١٩٩٣م.
٦٠. أصول الإيمان: محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة.
٦١. أصول التفسير وقواعده، للشيخ خالد العك، دار النفائس، بيروت، ط: الثانية ١٤٠٦هـ.
٦٢. أصول الدين: جمال الدين أحمد بن محمد الغزنوي، تحقيق: د. عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٦٣. أصول السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي أبو بكر، دار المعرفة، بيروت.
٦٤. أصول السنة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن أبي زمنين)، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية، ط الأولى، ١٤١٥ هـ.
٦٥. أصول السنة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن أبي زمنين)، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية، ط الأولى، ١٤١٥ هـ.
٦٦. أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد: ناصر الغفاري.
٦٧. الأصول من الكافي: محمد الكليني، تصحيح وتعليق، علي أكبر الغفاري، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥م- ١٤٠٥هـ.
٦٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٦٩. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الحديث، القاهرة، ط الأولى، ١٤٢٦هـ.
٧٠. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: صالح بن فوزان الفوزان، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٧١. الاعتصام: أبو إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

٧٢. اعتقاد أئمة الحديث: أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى، ١٤١٢هـ.

٧٣. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠١هـ.

٧٤. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: محمد بن عمر بن الحسين الرازي أبو عبد الله، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٧٥. إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط الخامسة، ١٩٩٧م.

٧٦. إعراب القرآن: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

٧٧. أعلام السنة المنشورة: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: أحمد علوش مدخلي، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٤١٤هـ.

٧٨. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية: عمر بن علي بن موسى البزار أبو حفص، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٠هـ.

٧٩. إعلام الموقعين عن رب العالمين: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

٨٠. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، ١٣٩٨هـ.

٨١. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط الخامسة، ١٩٨٠م.

٨٢. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٥ هـ- ١٩٧٥م.

٨٣. الأغاني: أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق: علي مهنا، سمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان.

٨٤. إفحام اليهود، وقصة إسلاَّم السموأل، ورؤياه النبي ﷺ: الإمام المهتدي السموأل بن

يحيى المغربي، تحقيق: الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، ط الثالثة، ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م.

٨٥. الأفعال: أبو القاسم علي بن جعفر السعدي، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٨٦. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات: مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٦.

٨٧. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط الثانية، ١٣٦٩هـ.

٨٨. الأقوال الشاذة في التفسير لعبد الرحمن الدهش، مجلة الحكمة، بريطانيا، مانشستر، ط الأولى، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٨٩. اكتفاء القنوع بما هو مطبوع: أدورد فنديك، دار صادر، بيروت، ١٨٩٦م.

٩٠. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى: علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

٩١. الأم: محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية ١٣٩٣هـ.

٩٢. الأمالي الشجرية: الشريف هبة الله ابن الشجري، تحقيق: محمد الطناحي، مطبعة المدني، القاهرة، ط الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٩٣. إمام العصر: ناصر الزهراني.

٩٤. الإمام المجدد العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، عمر أبي بكر، بيت الأفكار الدولية، الرياض ١٤١٢هـ.

٩٥. الإمامة والرد على الرافضة: أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، المدينة المنورة، ط الثالثة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٩٦. الإمامة والسياسة: أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٩٧. أمراض القلوب وشفاؤها: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، ط الثانية، ١٣٩٩هـ.

٩٨. إنباء الغُمر بأبناء العمر في التاريخ: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: د.محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الثانية، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

٩٩. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار: يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، ط الأولى، ١٩٩٩م.

١٠٠. الانتصاف على هامش الكشاف: أحمد بن المنيّر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الثالثة، ١٤٢٤هـ.

١٠١. الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم: الإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٢. الانحراف الفكري في التفسير المعاصر دوافعه ومجالاته وآثاره: يحيى بن ضاحي شطناوي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٩هـ (غير مطبوعة).

١٠٣. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري.

١٠٤. الأنساب: أبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٨م.

١٠٥. الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف: محمد بن إسماعيل الصنعاني اليماني، تحقيق: حسن بن علي بن حسين العواجي، ط الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٠٦. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، عالم الكتب، لبنان، ط الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

١٠٧. الأهوال: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا.

١٠٨. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد: محمد بن نصر المرتضى اليماني (ابن الوزير)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية ١٩٨٧م.

١٠٩. الإيثار بمعرفة رواة الآثار: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٣هـ.

١١٠. أيسر التفاسير: أسعد محمود حودم، مراجعة: محمد متولي الشعراوي وأحمد مسلم، الناشر: أسعد حومد، دمشق، ١٩٩٧م.

١١١. إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار السلاّم للطباعة والنشر، مصر، ط الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١١٢. إيقاظ همم أولي الأبصار: صالح بن محمد بن نوح العمري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.
١١٣. الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، تحقيق: المحمود، دار الوطن، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٤هـ.
١١٤. الإيمان لابن منده: محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٦هـ.
١١٥. الإيمان للعدني: محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، تحقيق: حمد بن حمدي الجابري الحربي، الدار السلفية، الكويت، ط الأولى، ١٤٠٧هـ.
١١٦. الإيمان: ابن تيمية، خرج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، أشرف عليه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت،ط الخامسة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
١١٧. الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير: أحمد محمد شاكر، دار التراث، مصر، ط الثالثة، ١٣٩٩هـ ٩ ١٩٨٩م.
١١٨. البحر الرائق شرح كنز الدقائق: زين الدين ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية.
١١٩. البحر الزخار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، المدينة، ط الأولى، ١٤٠٩هـ.
١٢٠. البحر المحيط في أصول الفقه: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: د. محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٢١. البحوث العلمية: هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.
١٢٢. بحوث ودراسات في ضوء القرآن الكريم: محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٤٢٣هـ.
١٢٣. البدء والتاريخ: المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر.
١٢٤. بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي، أشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط الأولى، ١٤١٦ - ١٩٩٦.
١٢٥. البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف، بيروت.
١٢٦. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.

١٢٧. البدع: أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني، تحقيق: محمد أحمد دهمان، دار الصفا، ١٤١١ هـ.

١٢٨. البدعة أسبابها ومضارها: محمد شلتوت، تخريج: علي الحميد، مكتبة ابن الجوزي، الدمام، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٢٩. بدعة التعصب المذهبي وآثارها الخطيرة في جمود الفكر وانحطاط المسلمين: محمد عيد العباسي، المكتبة الإسلامية، الأردن، ط الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٣٠. البرهان في أصول الفقه: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي، تحقيق: د. عبد العظيم محمود الديب، الوفاء، مصر، المنصورة، ط الرابعة، ١٤١٨هـ.

١٣١. البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

١٣٢. البرهان في معرفة عقائد الأديان: أبو الفضل عباس بن منصور السكسي الحنبلي، تحقيق: بسام علي سلاَّمة العموش، مكتبة المنار، الأردن، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٣٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآيادي، المكتبة العلمية، بيروت.

١٣٤. البعث والنشور: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني الأبياني، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٨ هـ.

١٣٥. بغية الطلب في تاريخ حلب: كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر.

١٣٦. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د. موسى سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٣٧. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية،لبنان، صيدا.

١٣٨. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٣٩. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار: عبد الرحمن السعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ط الرابعة، ١٤٢٣هـ.

١٤٠. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: أحمد عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط الأولى، ١٣٩٢هـ.

١٤١. بين الشيعة وأهل السنة لإحسان إلهي ظهير.

١٤٢. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٤٣. تاريخ ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٤٤. تاريخ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ط الخامسة، ١٩٨٤م.

١٤٥. تاريخ ابن معين (رواية الدوري): يحيى بن معين أبو زكريا، تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط الأولى، ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩م.

١٤٦. تاريخ أصبهان: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران المهراني الأصبهاني، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م.

١٤٧. تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، للسيد محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر، ط الأولى، ١٣٥٠هـ.

١٤٨. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلاَّم تدمرى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٤٩. تاريخ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥٠. التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر.

١٥١. تاريخ بغداد: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥٢. تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا): أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط الخامسة، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٥٣. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل: أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

١٥٤. التأويل خطورته وآثاره: عمر الأشقر.

١٥٥. تأويل مختلف الحديث: عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٢م.

١٥٦. التبصرة في أصول الفقه: إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي أبو إسحاق، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٥٧. التبصرة: أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: د.مصطفى عبد الواحد، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط الأولى، مصر، لبنان، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

١٥٨. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: طاهر بن محمد أبو المظفر الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، ط الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٥٩. التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٦٠. التبيان في أقسام القرآن: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الفكر.

١٦١. التبيان في تفسير غريب القرآن: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي، دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر، ط الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٦٢. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق: فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، دار الكتب الإسلامي، القاهرة، ١٣١٣هـ.

١٦٣. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٤.

١٦٤. تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني.

١٦٥. تجديد الفكر الإسلامي: جمال سلطان، دار الوطن، الرياض، ط الأولى، ١٣١٢هـ.

١٦٦. تجديد الفكر الإسلامي: حسن الترابي.

١٦٧. التحبير شرح التحرير في أصول الفقه: علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٦٨. تحذير أهل الإيمان من التقارب بين الأديان: ناصر السوهاجي.

١٦٩. تحريف المصطلحات القرآنية وأثره في انحراف التفسير في القرن الرابع عشر: فهد بن عبد الرحمن الرومي، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٤هـ.

١٧٠. تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال: بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى، ١٤١٢هـ.

١٧١. تحريم النظر في كتب الكلام: موفق الدين ابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، عالم الكتب، السعودية، ط الأولى، الرياض، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٧٢. التحف في مذاهب السلف: محمد بن علي الشوكاني، ضمن الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية ﷺ، تعليق: خالد عبد اللطيف السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية، ١٤١٤هـ.

١٧٣. تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف: الحافظ المزي، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، ط الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

١٧٤. تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي، علاء الدين علي بن إبراهيم بن العطار.

١٧٥. التحفة العراقية في الأعمال القلبية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، ط الثانية، ١٣٩٩هـ.

١٧٦. التحفة المدنية في العقيدة السلفية: الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر، تحقيق: عبد السلاّم بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط الأولى، ١٤١٣هـ.

١٧٧. التدوين في أخبار قزوين: عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، تحقيق: عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

١٧٨. تذكرة الأريب في تفسير الغريب: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي.

١٧٩. تذكرة الحفاظ: أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى.

١٨٠. التذكرة الحمدونية لابن حمدون.

١٨١. تذكرة المؤتسي فيمن حَدَّث ونَسِي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، الدار السلفية، الكويت، ط الأولى، ١٤٠٤.

١٨٢. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٨٣. ترجمان شعب الإيمان: سراج الدين أبي حفص عمر بن رسلان البلقيني، تحقيق: د. سعود بن عبد العزيز الدعجان، دار العلوم والحكم، دمشق، سوريا، ط الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٨٤. ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لعبد الرحمن السديس

١٨٥. ترجيحات الرازي في تفسيره في ضوء قواعد الترجيح المعلقة بالنص القرآني دراسة نظرية تطبيقية رسالة دكتوراه، إعداد: عبد الله الرومي، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية.

١٨٦. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد، تحقيق، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

١٨٧. تسمية من روي عنه من أولاد العشرة: علي بن عبدالله بن جعفر أبو الحسن السعدي مولاهم، تحقيق: د. علي محمد جماز، دار القلم، الكويت، ط الأولى، ١٤٠٢ - ١٩٨٢.

١٨٨. التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي: عبد القادر عودة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٨٩. التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة: محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري أبو بكر، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٨.

١٩٠. التصوف المنشأ والمصادر: إحسان إلهي ظهير.

١٩١. التعديل والتجريح ، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح: سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجي، تحقيق: د. أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.

١٩٢. التعرف لمذهب أهل التصوف: محمد الكلاباذي أبوبكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠.

١٩٣. التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٩٤. تعظيم قدر الصلاة: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط الأولى، ١٤٠٦.

١٩٥. التعليقات الأثرية على العقيدة الطحاوية لأئمة الدعوة السلفية: أحمد الزهراني
١٩٦. تفسير ابن عادل المسمى: اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
١٩٧. تفسير ابن عرفة: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ط الأولى، ١٩٨٦م.
١٩٨. تفسير ابن عطية المسمى: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلاّم عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط الاولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
١٩٩. تفسير أبي السعود المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٠٠. تفسير أبي حيان المسمى: البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.
٢٠١. تفسير أسماء الله الحسنى: إسحاق إبراهيم بن محمد بن سهل الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية.
٢٠٢. تفسير البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
٢٠٣. تفسير البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت.
٢٠٤. تفسير البيضاوي: ناصر الدين أبوالخير عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي، دار الفكر، بيروت.
٢٠٥. تفسير الثعالبي المسمى: الكشف والبيان: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى، لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٢٠٦. تفسير الثعلبي المسمى: الكشف والبيان: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى، لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٢٠٧. تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي دار الحديث، القاهرة، ط الأولى.

٢٠٨. تفسير ابن الجوزي المسمى: زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٢٠٩. تفسير الجوهري المسمى: الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات، طنطاوي جوهري، مطبعة: مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط الثانية، ١٣٥٠هـ.

٢١٠. تفسير الجوهري المسمى: الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات، طنطاوي جوهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الرابعة، ١٤١٢هـ.

٢١١. تفسير الخازن المسمى: لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

٢١٢. تفسير الخازن المسمى: لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ط الثانية، ١٣٧٥هـ.

٢١٣. تفسير الرازي المسمى: مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٢١٤. تفسير الرازي المسمى: مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢١٥. تفسير السعدي المسمى: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت ط الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢١٦. تفسير السلمي المسمى: حقائق التفسير: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢١٧. تفسير السمرقندي المسمى: بحر العلوم: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

٢١٨. تفسير السمين الحلبي المسمى: الدر المصون، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي.

٢١٩. تفسير الطاهر بن عاشور المسمى: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

٢٢٠. تفسير الطباطبائي المسمى: الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط الثالثة، ١٣٩٣.

٢٢١. تفسير الطبري المسمى: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط الأولى، ١٤٢١ هـ.

٢٢٢. تفسير الطبري المسمى: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٢٣. تفسير الطبري المسمى: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٢٤. تفسير العياشي، لمحمد بن مسعود العياشي، تحقيق: هاشم المحلاتي، المطبعة العلمية قمم، إيران.

٢٢٥. تفسير القرآن الحكيم: محمد رشيد رضا، دار المنار، مصر، ط الثانية، ١٣٦٦هـ.

٢٢٦. تفسير القرآن العزيز: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، ط الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٢٧. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلاَّمة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٢٢٨. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١.

٢٢٩. تفسير القرآن: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط الأولى، السعودية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٣٠. تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

٢٣١. تفسير القرآن: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٤١٠.

٢٣٢. تفسير القرآن: محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٣٣. تفسير القرآن، اختصار النكت للماوردي: الامام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلامّ السلمي الدمشقي الشافعي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٣٤. تفسير القرطبي المسمى: الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة.

٢٣٥. تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي الشيعي، تعليق: طيب الموسوي، مؤسسة دار الكتاب، قم، ط الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٢٣٦. تفسير الكشاف المسمى: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٣٧. التفسير اللغوي للقرآن الكريم: مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، ط الثانية، ١٤٢٧هـ.

٢٣٨. تفسير الماتريدي المسمى: تأويلات أهل السنة: أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، تحقيق: د. إبراهيم عوضين، والسيد عوضين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط الثانية، ١٤١٥هـ.

٢٣٩. تفسير الماتريدي المسمى: تأويلات أهل السنة: أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، تحقيق: د. محمد مستفيض الرحمن، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٤٠٤ هـ.

٢٤٠. تفسير الماوردي المسمى: النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٤١. تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، ط الثانية، ١٣٩٤هـ.

٢٤٢. التفسير الميسر: عدد من الأساتذة تحت إشراف د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٢٤٣. تفسير النسفي المسمى: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ومحيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٤٤. تفسير الواحدي المسمى: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، الدار الشامية، دمشق ، بيروت، ط الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٤٥. تفسير سفيان الثوري: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٣هـ.

٢٤٦. تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية، مراجعة وتعليق: عبد العلي حامد، الدار السلفية، بومباي، الهند، ط الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٤٧. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٤٨. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن بن يصل الأزدي الحميدي، تحقيق: د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، ط الأولى، مصر، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م.

٢٤٩. تفسير كتاب الله العزيز: هود بن محكم الهواري، تحقيق: بالحاج سعيد شريفي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٢٥٠. تفسير مجاهد: مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج، تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد، المنشورات العلمية، بيروت.

٢٥١. تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٥٢. التفسير والمفسّرين، للدكتور محمد حسين الذهبي، ط: الأولى، دار القلم، بيروت.

٢٥٣. التفسير ورجاله لابن عاشور، دار سمحون، تونس، ١٩٩٩م.

٢٥٤. التفسير ورجاله: محمد الفاضل.

٢٥٥. التفسير: نشأته وتدرجه وتطوره لأمين الخولي، دار الكتاب اللبناني، ط الأولى، ١٩٨٢م.

٢٥٦. تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب

الأصفهاني، طبع ضمن سلسلة الثقافة الإسلامية التي كان يصدرها محمد عبد الله السمان، القاهرة، ١٩٦١م.

٢٥٧. تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.

٢٥٨. التقريب لحد المنطق: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق: د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط الثانية، ١٩٨٧م.

٢٥٩. التقرير والتحرير في علم الأصول: ابن أمير الحاج، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢٦٠. تلبيس إبليس: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٦١. تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري: شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق: محمد على عجال، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٦٢. تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل: محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ط الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٦٣. التمهيد لشرح كتاب التوحيد:دروس ألقاها صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دار التوحيد، ط الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٦٤. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

٢٦٥. التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان: محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي، تحقيق: د. محمود يوسف زايد، دار الثقافة، قطر، الدوحة، ط الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢٦٦. التنبيه على المخالفات العقدية في الفتح: علي الشبل، دار الوطن، الرياض، ط الثانية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢٦٧. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٦٨. التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة: عبد الرحمن ناصر السعدي، دار طيبة، الرياض، ط الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٦٩. تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء: أبو الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٢٧٠. تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة: علي بن محمد بن علي بن عراق الكناني أبو الحسن، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف ، عبد الله محمد الصديق الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٣٩٩ هـ.

٢٧١. تنزيه القرآن عن المطاعن، إملاء القاضي عبد الجبار المعتزلي الأسدي آبادي، الشركة الشرقية، دار النهضة الحديثة، بيروت.

٢٧٢. تنوير الأفهام إلى بعض مفاهيم الإسلام: محمد شقرة.

٢٧٣. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار: أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

٢٧٤. تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الفكر، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢٧٥. تهذيب السماء واللغات: العلامة أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٦م.

٢٧٦. تهذيب الكمال: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٧٧. تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠١م.

٢٧٨. توحيد الألوهية: أحمد عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، ط الثانية.

٢٧٩. التوحيد: أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية.

٢٨٠. التوسط والاقتصار في أن الكفر يكون بالقول أو بالعمل أو بالاعتقاد: علوي السقاف.

٢٨١. توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار: محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

٢٨٢. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم: ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٣م.

٢٨٣. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم: أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٦هـ.

٢٨٤. التوضيحات الأثرية لمتن الرسالة التدمرية، جمع وترتيب: فخر الدين بن الزبير المحسي، تقديم: أ. د. محمد بن عبد الرحمن الخميس، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٨٥. التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط الأولى، ١٤١٠.

٢٨٦. التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر، بيروت ، دمشق، ط الأولى، ١٤١٠هـ.

٢٨٧. تيارات اليقظة الإسلامية: محمد عمارة.

٢٨٨. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: محمد أيمن الشبراوي، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٩م.

٢٨٩. الثقات: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، ١٣٩٥هـ، ط الأولى، ١٩٧٥م.

٢٩٠. ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام ابن تيمية والحافظ علم الدين البرزالي والحافظ جمال الدين المزي: الحافظ الإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار ابن الأثير، الكويت، ط الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢٩١. ثلاثة الأصول: محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: ناصر بن عبد الله الطريم، سعود محمد البشر، عبد الكريم بن محمد اللاحم، مطابع الرياض، ط الأولى.

٢٩٢. جامع التحصيل في أحكام المراسيل: أبو سعيد بن خليل بن كيكلدي أبو سعيد العلائي، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، عالم الكتب، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٦م.

٢٩٣. جامع الدروس العربية: مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، راجع هذه الطبعة: د. محمد أسعد النادري، المكتبة العصرية، بيروت، ط ٢٩، ١٤١٥هـ.

٢٩٤. جامع الرسائل: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد رشاد رفيق سالم، مصر.

٢٩٥. الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب: الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري، تحقيق: محمد إدريس، عاشور بن يوسف، دار الحكمة، مكتبة الاستقامة، بيروت، سلطنة عمان، ط الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٩٦. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بهامشه: كنوز الحقائق للمناوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر،ط الرابعة.

٢٩٧. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط السابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٩٨. جامع بيان العلم وفضله: يوسف بن عبد البر النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٢٩٩. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.

٣٠٠. الجامع: معمر بن راشد الأزدي، تحقيق: حبيب الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٣هـ.

٣٠١. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله.

٣٠٢. الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف: علي الشبل.

٣٠٣. الجرح والتعديل: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى، ١٢٧١ هـ- ١٩٥٢م.

٣٠٤. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبوعبد الله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، ط الثانية، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.

٣٠٥. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين: أحمد عبد الحليم ابن تيمية، واحمد بن محمد بن حجر الهيثمي: نعمان الألوسي، مطبعة المدني، مصر، ١٤٠٠هـ.

٣٠٦. جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير.

٣٠٧. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: أحمد عبد الحليم بن عبد السلاّم ابن تيمية، تحقيق: علي سيد صبح المدني، مطبعة المدني، مصر.

٣٠٨. جوانب من سيرة ابن باز: محمد الحمد.

٣٠٩. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤١٨هـ.

٣١٠. الجواهر المضية في طبقات الحنفية: عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد، مير محمد كتب خانه، كراتشي.

٣١١. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١٢. حاشية ابن القيم على سنن أبي داود: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م.

٣١٣. حاشية الصبان على شرح الاشموني على ألفية ابن مالك، ومعه شرح العيني: محمد بن علي الصبان، دار الفكر لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٣١٤. حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني: علي الصعيدي العدوي المالكي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

٣١٥. حاشية العطار على جمع الجوامع: حسن العطار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣١٦. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني: علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، لبنان، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م.

٣١٧. الحبائك في أخبار الملائك: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٣١٨. حجة الله البالغة: الإمام أحمد المعروف بشاه ولي الله ابن عبد الرحيم الدهلوي، تحقيق: سيد سابق، دار الكتب الحديثة، مكتبة المثنى، القاهرة، بغداد.

٣١٩. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: أبو القاسم اسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، السعودية، الرياض، ط الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٣٢٠. حراسة العقيدة: د. ناصر بن عبد الكريم العقل.

٣٢١. الحسنة في الإسلام: شيخ الإسلام ابن تيمية، طبعت في دار المطبعة السلفية، القاهرة، ط الثانية، ١٤٠٠هـ.

٣٢٢. الحسنة والسيئة: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مطبعة المدني، القاهرة.

٣٢٣. حقيقة الإيمان: عبد الله محمد بن أحمد القنائي.

٣٢٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الرابعة، ١٤٠٥هـ.
٣٢٥. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرازق بن حسن بن إبراهيم البيطار.
٣٢٦. الحور العين: نشوان بن سعيد الحميري اليمني.
٣٢٧. الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلاّم محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٣٢٨. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي، اميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٨م.
٣٢٩. خصائص القرآن الكريم: أ. د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة التوبة، الرياض، ط العاشرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٣٣٠. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: أحمد بن شعيب النسائي أبو عبد الرحمن، تحقيق: أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلا، الكويت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ.
٣٣١. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.
٣٣٢. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: المحبي، دار صادر، بيروت.
٣٣٣. خلق أفعال العباد: محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، دار المعارف السعودية، الرياض، ١٣٩٨ هـ- ١٩٧٨م.
٣٣٤. الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام: ناصر العقل، دار إشبيليا، الرياض، ط الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٣٣٥. خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية رسالة دكتوراه: عماد حسين.
٣٣٦. الدارس في تاريخ المدارس: عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٠هـ.
٣٣٧. الدر المنثور: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.
٣٣٨. درء الفتنة عن أهل السنة: بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى، ١٤١٩هـ.
٣٣٩. درء تعارض العقل والنقل: تقي الدين أحمد بن عبد السلاّم بن عبد الحليم بن عبد السلاّم ابن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٤٠. دراسة تأصيلية في مسألة الإيمان: علي بن عبد العزيز الشبلي.

٣٤١. درة العلامة الألباني وتميزه في علم الحديث والدعوة السلفية: إبراهيم الهاشمي.

٣٤٢. الدرر السنية في الأجوبة النجدية: لمجموعة علماء، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط السادسة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٣٤٣. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق: مراقبة: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر آباد، الهند، ط الثانية، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٣٤٤. دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، دار الوطن، الرياض، ط الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٤٥. دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي: محمد بن عبد الله بن سليمان السلمان، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٤٦. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، تأليف: محمد الأمين بن المختار الشنقيطي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط الأولى، ١٤١٤هـ.

٣٤٧. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي، تحقيق: حسن السقاف، دار الإمام النووي، الأردن، ط الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣٤٨. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دار الإمام النووي، الأردن، ط الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣٤٩. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط الثانية، ١٤٠٤هـ.

٣٥٠. دلائل النبوة: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى الخُسْروجَرْدِي البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٨هـ.

٣٥١. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٥٢. دين الحق: عبد الرحمن بن حماد آل عمر، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية. ط السادسة، ١٤٢٠هـ.

٣٥٣. ديوان الإسلام: شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن الغزي.

٣٥٤. ديوان الخنساء، تحقيق: أنور أبو سويلم، عمان، الأردن، ١٩٨٨م.

٣٥٥. ذخيرة الحفاظ: محمد بن طاهر المقدسي، تحقيق: د.عبد الرحمن الفريوائي، دار السلف، الرياض، ط الأولى، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م.

٣٥٦. ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، تحقيق: بوران الضناوي، كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى، لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

٣٥٧. ذم التأويل: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣٥٨. ذم الكلام وأهله: شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٣٥٩. ذيل (تذكرة الحفاظ للذهبي) لتلميذه أبي المحاسن الحسيني الدمشقي: محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٦٠. ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد: محمد بن أحمد الفاسي المكي أبو الطيب، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٠.

٣٦١. ذيل طبقات الحفاظ (للذهبي): الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٦٢. ذيل طبقات الحنابلة: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: حامد الفقي، مصر، ١٣٧٢هـ.

٣٦٣. رؤية الله: علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، تحقيق: مبروك إسماعيل مبروك، مكتبة القرآن، القاهرة.

٣٦٤. الرازي مفسراً: محسن عبد الحميد رسالة دكتوراه، جامعة بغداد.

٣٦٥. رأس الحسين: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.

٣٦٦. رجال صحيح مسلم: أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبو بكر، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٦٧. الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي المسمى بالحق الدامغ: أ.د. علي بن محمد ناصر الفقيهي، دار المآثر، المدينة النبوية.

٣٦٨. الرد على الجهمية: ابن منده، تحقيق: علي محمد ناصر الفقيهي، المكتبة الأثرية، باكستان.

٣٦٩. الرد على الجهمية: عثمان بن سعيد الدارمي أبو سعيد، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير، الكويت، ط الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣٧٠. الرد على الزنادقة والجهمية: أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، تحقيق: محمد حسن راشد، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٣هـ.

٣٧١. الرد على القائلين بوحدة الوجود: العلامة علي بن سلطان القاري، تحقيق: علي رضا بن عبدالله بن علي رضا، دار المأمون للتراث، دمشق، ط الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٧٢. الرد على المنطقيين: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، دار المعرفة، بيروت.

٣٧٣. الرد على من يقول القرآن مخلوق: أحمد بن سلمان النجاد أبو بكر، تحقيق: رضا الله محمد إدريس، مكتبة الصحابة الإسلامية، الكويت، ١٤٠٠هـ.

٣٧٤. رسائل ابن حزم الأندلسي: ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: ط الأولى، ١٩٨١ م.

٣٧٥. الرسائل الشخصية: محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي، د. محمد بلتاجي، د. سيد حجاب، مطابع الرياض، الرياض، ط الأولى.

٣٧٦. رسالة التوحيد: محمد عبده، دار الكتاب العربي، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

٣٧٧. الرسالة القبرصية (رسالة من ابن تيمية إلى ملك قبرص): شيخ الإسلام ابن تيمية، تقديم وتعليق: علي السيد صبح المدني، مطبعة المدني (المؤسسة السعودية بمصر) القاهرة، ١٣٨٠هـ.

٣٧٨. الرسالة القشيرية: أبو القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيري، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٧٩. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة: محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط الرابعة، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م.

٣٨٠. رسالة إلى أهل الثغر: علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر المصري، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، لبنان، ط الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٣٨١. رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد: أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق: أحمد معاذ بن علوان حقي، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض، ط الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٣٨٢. الرسالة في أصول الحنفية: الكرخي.

٣٨٣. رسالة في الرد على الرافضة: محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: تحقيق الدكتور: ناصر بن سعد الرشيد، مطابع الرياض، الرياض، ط الأولى.

٣٨٤. رسالة في تحقيق الشكر: أحمد بن عبد الحليم بن نيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد رشاد رفيق سالم، مصر.

٣٨٥. رسالة في معنى كون الرب عادلاً: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، الإدارة العامة للطبع والترجمة، الرياض، ط الأولى، ١٤١٠هـ.

٣٨٦. رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر: مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، تحقيق: أسعد محمد المغربي، دار حراء، السعودية، مكة المكرمة، ط الأولى، ١٤١٠هـ.

٣٨٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٨٨. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٣٨٩. الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ﷺ: محمد بن إبراهيم الوزير، عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

٣٩٠. روضة المحبين ونزهة المشتاقين: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢م.

٣٩١. روضة الناظر وجنة المناظر: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط الثانية، ١٣٩٩هـ.

٣٩٢. الزهد: أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن سفيان بن الحارث بن عمرو ابن عبيد بن رؤاس الرؤاسي، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، بالمدينة المنورة، ١٤٠٤هـ.

٣٩٣. الزهد: عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٩٤. الزهد: هناد بن السري الكوفي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣٩٥. زهر الأكم في الأمثال و الحكم: الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي، تحقيق: محمد حجي، د. محمد الأخضر، الدار البيضاء، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٩٦. الزواجر عن اقتراف الكبائر: ابن حجر الهيثمي، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، ط الثانية، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٩٧. سبل السلاَّم شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام: محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير، تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الرابعة، ١٣٧٩هـ.

٣٩٨. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٤هـ.

٣٩٩. سر العالمين وكشف ما في الدارين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد بن حسين المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م.

٤٠٠. سر الفصاحة: الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٤٠١. سلسلة الأحاديث الصحيحة (وشيء من فقهها وفوائدها): محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ.

٤٠٢. السنَّة: عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ط الأولى، ١٤٠٦هـ.

٤٠٣. السنَّة: عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٠هـ.

٤٠٤. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٤٠٥. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٤٠٦. سنن البيهقي الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤م.

٤٠٧. سنن الترمذي: الجامع الصحيح: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٠٨. سنن الدارقطني: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦ هـ- ١٩٦٦م.

٤٠٩. سنن الدارمي: عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٧هـ.

٤١٠. السنن الكبرى: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١١ هـ- ١٩٩١م.

٤١١. سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط التاسعة، ١٤١٣هـ.

٤١٢. السير الكبير: محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، معهد المخطوطات، القاهرة.

٤١٣. السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط الأولى، ١٤١١هـ.

٤١٤. شبهات المشككين: مجموعة من العلماء.

٤١٥. الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح: إبراهيم بن موسى بن أيوب البرهان الأبناسي، تحقيق: صلاح فتحي هلل، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٤١٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق، ط الأولى، ١٤٠٦هـ.

٤١٧. شرح ابن عثيمين لأصول الإيمان: محمد بن عبد الوهاب، دار الوطن، الرياض، ط الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤١٨. شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة: سعد بن علي بن وهف القحطاني، راجعه: عبد الله الجبرين: الرياض، ط الرابعة، ١٤١٥هـ.

٤١٩. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة: هبة الله بن الحسن ابن منصور اللالكائي أبو القاسم، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.

٤٢٠. شرح أصول الإيمان: محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، ط الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٢١. شرح الأربعين النووية: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي.

٤٢٢. شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار المعتزلي، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الثالثة، ١٤١٦هـ.

٤٢٣. شرح الإيمان والإسلام وتسمية الفرق والرد عليهم: أبو عبد الله الزبير بن أحمد بن سليمان الزبيري، تحقيق: حسام الحفناوي، دار الضياء، طنطا، مصر، ط الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٤٢٤. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١١هـ.

٤٢٥. شرح الزركشي على مختصر الخرقي: شمس الدين لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي، تقديم وتعليق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٤٢٦. شرح السنَّة: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤٢٧. شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤١٨هـ.

٤٢٨. شرح العقيدة الأصفهانية: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: إبراهيم سعيداي، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٤١٥هـ.

٤٢٩. شرح العقيدة السفارينية: ابن عثيمين.

٤٣٠. شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الرابعة، ١٣٩١هـ.

٤٣١. شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية: محمد خليل الهراس، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والإرشاد، الرياض، ط الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٤٣٢. شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول

الفقه: محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار، تحقيق: د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، ط الثانية، ١٤١٣ هـ.

٤٣٣. شرح المقاصد في علم الكلام: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، دار المعارف النعمانية، باكستان، ط الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٣٤. الشرح الممتع على زاد المستنقع: محمد بن صالح بن عثيمين، مؤسسة آسام للنشر، الرياض، ط الرابعة، ١٤١٦هـ.

٤٣٥. الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والاكبر المنسوبين لأبي حنيفة: أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زطي الخزاز الكوفي، تحقيق: د.محمد بن عبدالرحمن الخميس، مكتبة الفرقان، عجمان، ط الأولى، ١٩٩٩م.

٤٣٦. شرح ديوان الحماسة: أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلاّم هارون، القاهرة، ١٩٥١ -١٩٥٣م.

٤٣٧. شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن عثيمين، دار الثريا للنشر، الرياض.

٤٣٨. شرح صحيح البخاري: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٤٣٩. شرح صحيح مسلم: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٢هـ.

٤٤٠. شرح فتح القدير: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، دار الفكر، بيروت، ط الثانية.

٤٤١. شرح فتح القدير: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، دار الفكر، بيروت، ط الثانية.

٤٤٢. شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر: نور الدين أبو الحسن على بن سلطان محمد القاري الهروي المعروف (بملا على القاري)، تحقيق: محمد نزار تميم، وهيثم نزار تميم، دار الأرقم، لبنان، بيروت.

٤٤٣. شرح مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير: مساعد الطيلر، دار ابن الجوزي، الدمام، ط الثانية، ١٤٢٨هـ.

٤٤٤. شرف أصحاب الحديث: أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر، تحقيق: د. محمد سعيد خطي أوغلي، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة.

٤٤٥. الشريعة: أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٤٤٦. شعار أصحاب الحديث: محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الحاكم أبو أحمد، تحقيق: صبحي السامرائي، دار الخلفاء، الكويت.

٤٤٧. شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٠هـ.

٤٤٨. الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة، ١٩٦٦م.

٤٤٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة.

٤٥٠. الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٤٥١. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٤٥٢. شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه: أبو الفداء لإسماعيل بن كثير، تعليق: عبد القادر الأرناووط، مكتبة العبيكان، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤٥٣. الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية: مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار الفرقان ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.

٤٥٤. الشيخ ابن باز بقية السلف وإمام الخلف إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٤٥٥. الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته، تأليف: عبد الله الشبل، مطابع جامعة الإمام، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٠هـ.

٤٥٦. الشيخ عبد العزيز بن باز نموذج من الرعيل الأول محاضرة مسجلة لعبد المحسن البدر ألقيت في مسجد الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من شهر صفر عام ١٤٢٠هـ.

٤٥٧. الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ابن حجر آل بوطامي.

٤٥٨. الشيخ محمد بن عثيمين من العلماء الربّانيّين محاضرة مسجلة ألقاها عبد المحسن البدر في مسجد الجامعة الإسلامية بالمدينة في ٢٤/ ١٠/ ١٤٢١هـ.

٤٥٩. الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية.

٤٦٠. الصارم المسلول على شاتم الرسول: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم، بيروت، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٦١. الصارم المنكي في الرد على السبكي: محمد بن عبد الهادي أبو عبد الله، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، مكتبة التوعية الإسلامية.

٤٦٢. صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م.

٤٦٣. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصدّيق، ط الأولى، ١٤٢١هـ.

٤٦٤. صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ.

٤٦٥. صحيح الجامع الكبير وزيادته (الفتح الكبير): محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٤٦٦. صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٧هـ.

٤٦٧. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٦٨. صحيح وضعيف سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة التربية لدول الخليج العربي، إشراف: زهير الشاويش.

٤٦٩. صحيح وضعيف سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٤٧٠. الصفات: علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: عبد الله الغنيمان، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط الأولى، ١٤٠٢هـ.

٤٧١. صفة الجنة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٧٢. صفة الصفوة: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: محمود فاخوري، د.محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩م.

٤٧٣. صفة المنافق: جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، تحقيق: بدر البدر، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط الأولى، ١٤٠٥هـ.

٤٧٤. صفحات بيضاء من حياة الإمام محمد ناصر الدين الألباني: صديقي سالم.
٤٧٥. صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، العمارية، الرياض، ط الأولى، ١٤٠١هـ.
٤٧٦. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيثمي، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي، كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٤٧٧. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط الثالثة، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٨م.
٤٧٨. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط الثالثة، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٨م.
٤٧٩. الصوفية نشأتها وتطورها: محمد العبده.
٤٨٠. الضعفاء والمتروكين: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ.
٤٨١. ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير): محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة، ١٤١٠هـ.
٤٨٢. ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة: عبد الله القرني.
٤٨٣. طبقات الحفاظ: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٣هـ.
٤٨٤. طبقات الحنابلة: محمد بن أبي يعلى أبو الحسين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
٤٨٥. طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د.عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط الثانية، ١٤١٣هـ.
٤٨٦. طبقات الشافعية: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٧هـ.

٤٨٧. طبقات الصوفية: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٨٨. طبقات الفقهاء: إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق، تحقيق: خليل الميس، دار القلم، بيروت.

٤٨٩. الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، دار صادر، بيروت.

٤٩٠. طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها: عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمد الأنصاري، تحقيق: عبدالغفور عبدالحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية، ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢م.

٤٩١. طبقات المفسّرين: أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٤٩٢. طبقات المفسّرين: أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق، سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط الأولى، ١٩٩٧م.

٤٩٣. طبقات المفسّرين: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الأولى، ١٣٩٦هـ.

٤٩٤. طبقات النسابين: بكر أبو زيد.

٤٩٥. طبقات صلحاء اليمن: عبد الوهاب البريهي.

٤٩٦. طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلاَّم الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.

٤٩٧. طرح التثريب في شرح التقريب: زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي، تحقيق: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠٠م.

٤٩٨. طريق الهجرتين وباب السعادتين: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: عمر ابن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٤٩٩. الطعن في القرآن الكريم و الرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري: عبدالمحسن بن زبن بن متعب المطيري، رسالة لنيل درجة الدكتوراة من كلية دار العلوم جامعة القاهرة، قسم الشريعة الإسلامية.

٥٠٠. الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري: عبد المحسن بن

زبن متعب المطيري، رسالة لنيل درجة الدكتوراه من كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، قسم الشريعة الإسلامية.

٥٠١. طلائع الصوفية: جاد الكريم.

٥٠٢. الطيوريات من انتخاب الشيخ أبي طاهر السلفي: أبو الحسيني المبارك بن عبد الجبار الطيوري، تحقيق: دسمان يحيى معالي، عباس صخر الحسن، دار أضواء السلف، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٥٠٣. ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ١٣٨٣هـ.

٥٠٤. العبر في خبر من غبر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط الثانية، ١٩٨٤م.

٥٠٥. العبودية: شيخ الإسلام ابن تيمية، تقديم: عبد الرحمن الباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الرابعة، ١٣٩٧هـ.

٥٠٦. العجاب في بيان الأسباب: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، السعودية، ط الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٥٠٧. العدل والتوحيد، تحقيق تأويلات أهل السنة لإبراهيم عوضين والسيد عوضين: القاسم الرسي.

٥٠٨. العرش وما روي فيه: محمد بن عثمان ابن أبي شيبة العبسي أبو جعفر، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، مكتبة المعلا، الكويت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ.

٥٠٩. العرف الوردي في أخبار المهدي: جلال الدين السيوطي، تحقيق: أبو يعلى البيضاوي.

٥١٠. العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب: محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر، الرياض، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

٥١١. العصريون معتزلة اليوم: يوسف كمال، دار الوفاء، مصر، ط الثانية، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٥١٢. العظمة: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبو محمد، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.

٥١٣. عظيم المنة في رؤية المؤمنين ربهم في الجنة: عبد الرحمن الأهدل.

٥١٤. العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية: عبد الحميد بن باديس، تحقيق: محمد الصالح رمضان، دار الفتح، الشارقة، ط الأولى، الإمارات العربية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٥١٥. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني.

٥١٦. العقد الفريد: احمد بن محمدبن عبد ربه الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط الثالثة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٥١٧. العقيدة الأصفهانية: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: إبراهيم سعيداي، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٤١٥هـ.
٥١٨. عقيدة التوحيد في القرآن الكريم: محمد ملكاوي، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.
٥١٩. عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة: محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة، ١٣٩٧هـ.
٥٢٠. العقيدة الواسطية: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد بن عبد العزيز بن مانع، الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء، الرياض، ط الثانية، ١٤١٢هـ.
٥٢١. العقيدة رواية أبي بكر الخلال: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، تحقيق: عبدالعزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة، دمشق، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.
٥٢٢. العقيدة وأثرها في بناء الجيل: عبد الله عزام، مركز شهيد عزام الإعلامي، بيشاور، باكستان، ط الأولى.
٥٢٣. العلل ومعرفة الرجال: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، المكتب الإسلامي ، دار الخاني، بيروت ، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٨ هـ– ١٩٨٨م.
٥٢٤. علماء نجد خلال ثمانية قرون، تأليف سماحة الشيخ عبد الله بن حميد بن صالح آل بسام، دار العاصمة، الرياض، ط ا؟لأولى، ١٣٩٨هـ، وط الثانية بتعديلات وزيادات كثيرة، ١٤١٩هـ.
٥٢٥. علماء ومفكرون عرفتهم: محمد المجذوب.
٥٢٦. العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها: الإمام الحافظ شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
٥٢٧. عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (مختصر تفسير القرآن العظيم) اختصار وتحقيق: أحمد شاكر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط الثانية، ١٤٢٦هـ.
٥٢٨. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٢٩. عمر بن عبد العزيز معالم الإصلاح والتجديد: علي الصلابي.
٥٣٠. عون المعبود شرح سنن أبي داود: محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية، ١٩٩٥م.
٥٣١. العين والأثر في عقائد أهل الأثر: عبد الباقي المواهبي الحنبلي، تحقيق: عصام رواس قلعجي، دار المأمون للتراث، لبنان، ط الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٥٣٢. عيون الأنباء في طبقات الأطباء: موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.
٥٣٣. الغارة التنصيرية على أصالة القرآن: عبد الراضي عبد المحسن.
٥٣٤. غاية المرام في علم الكلام: علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ.
٥٣٥. غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، نشر بعناية: برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٠هـ.
٥٣٦. غاية الوصول شرح لب الأصول: أبي يحيى زكريا الأنصاري.
٥٣٧. غريب الحديث: القاسم بن سلاَّم الهروي أبو عبيد، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى، ١٣٩٦هـ.
٥٣٨. الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة: عبد الرحمن اللويحق.
٥٣٩. الغنية عن الكلام وأهله: الخطابي.
٥٤٠. الغنية في أصول الدين: أبو سعيد عبد الرحمن النيسابوري المتولي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ط الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٧م.
٥٤١. غياث الأمم والتياث الظلم: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم، د. مصطفى حلمي، دار الدعوة، الاسكندرية، ط الأولى، ١٩٧٩م.
٥٤٢. فتاوى ابن الصلاح.
٥٤٣. فتاوى السبكي: أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٥٤٤. الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، دار المعرفة، بيروت.
٥٤٥. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: أحمد بن عبد الرازق الدويش، رئاسة إدارة

البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٥٤٦. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب، الشيخ أحمد بن عبد الرازق الدويش، طبع ونشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط الثانية، ١٤٢١هـ.

٥٤٧. فتَاوى ورَسَائل الشيخ محمَّد بن إبراهيم بن عَبداللطِيف آل الشيخ، جَمع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ط الأولى، ١٣٩٩ هـ.

٥٤٨. الفتاوى: محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: صالح الدويش، مطابع الرياض، الرياض، ط الأولى.

٥٤٩. الفتاوى: محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: صالح بن عبد الرحمن الأطرم ومحمد بن عبد الرزاق الدويش، مطابع الرياض، الرياض، ط الأولى.

٥٥٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

٥٥١. فتح الباري في شرح صحيح البخاري: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، السعودية، الدمام، ط الثانية، ١٤٢٢هـ.

٥٥٢. فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط الثانية، ١٤٢٢هـ.

٥٥٣. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت.

٥٥٤. الفتح المبين بالرد على نقد عبد الله بن محمد الصديق الغماري لكتاب الأربعين: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، ط الأولى، ١٤٠٨هـ..

٥٥٥. فتح المغيث شرح ألفية الحديث: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط الأولى، ١٤٠٣هـ.

٥٥٦. فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن للنشر، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٧هـ.

٥٥٧. الفتنة ووقعة الجمل: سيف بن عمر الضبي الأسدي، تحقيق: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، ط الأولى، ١٣٩١هـ.

٥٥٨. الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية: محيي الدين بن علي بن محمد الطائي الخاتمي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٥٥٩. فرق الشيعة: الحسن بن موسى النوبختي، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥٦٠. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط الثانية، ١٩٧٧م.

٥٦١. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة المعارف بالرياض، ط الأولى، ١٤٠٦هـ.

٥٦٢. الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق: أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٥٦٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري أبو محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٥٦٤. فضائح الباطنية: محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.

٥٦٥. فضائل الشام ودمشق للربعي: محمد ناصر الدين الألباني، ط الرابعة، ١٤٠٥هـ.

٥٦٦. فضائل القرآن: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: فاروق حمادة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٥٦٧. فضائل القرآن: أبو عبيد القاسم بن سلاَّم، تحقيق: مروان العطية، محسن خرابة، وفاء تقي الدين، دار ابن كثير دمشق، بيروت، ط الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٦٨. فضائل القرآن: عماد الدين إسماعيل بن كثير، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٥٦٩. فضائل القرآن: محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي، محمد بلتاجي، سيد حجاب، مطابع الرياض، ط الأولى.

٥٧٠. فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب الحنبلي، حققه وخرج أحاديثه: يحيى مختار غزاوي، دار البشائر الإسلامية، ط الأولى، ١٤٠٣هـ.

٥٧١. الفقيه و المتفقه: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط الثانية، ١٤٢١هـ.

٥٧٢. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني،

تحقيق: د. إحسان عباس، دار العربي الإسلامي، بيروت، لبنان، ط الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٥٧٣. فهرست اللبلي: أحمد بن يوسف بن يعقوب بن علي الفهري، تحقيق: ياسين يوسف بن عياش، عواد عبد ربه أبو زينة، دار الغرب الإسلامية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥٧٤. الفهرست: محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

٥٧٥. فوات الوفيات: محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠٠م.

٥٧٦. الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب: حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر، دراسة وتحقيق: عبد السلاَّم بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، دار العاصمة، ط الأولى.

٥٧٧. القاديانية دراسةوتحليل: إحسان إلهي ظهير.

٥٧٨. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

٥٧٩. القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً: سعدي أبو حبيب، دار الفكر، دمشق، سورية، ط الثانية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨ م.

٥٨٠. القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٨١. قدم العالم وتسلسل الحوادث: كاملة الكواري.

٥٨٢. القراءات الشاذة: أبو عبد الله الحسين بن خالويه، دار الكندي، الأردن، ٢٠٠٢م.

٥٨٣. القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: خادم بخش.

٥٨٤. قصص الأنبياء: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: عبد الحي الفرماوي، دار اليقين، مصر، ط الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٥٨٥. قصص الأنبياء: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، ط الأولى، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م.

٥٨٦. القصص في القرآن الكريم: إسلان دربالة.

٥٨٧. قطب السرور في أوصاف الخمور: الرقيق القيرواني، أبو اسحاق لإبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق النديم، تحقيق: أحمد الجندي، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦١م.

٥٨٨. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر: محمد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق: د. عاصم عبد الله القريوتي، شركة الشرق الأوسط للطباعة، ماركا الشمالية، الأردن، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.

٥٨٩. قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن: مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي، تحقيق: سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم، الكويت، ١٤٠٠هـ.

٥٩٠. قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥٩١. قواعد التفسير جمعاً ودراسة: خالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٦هـ.

٥٩٢. القواعد الحسان لتفسير القرآن: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار البصيرة، مصر، الاسكندرية.

٥٩٣. قواعد الفقه: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الصدف ببلشرز، كراتشي، ط الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٥٩٤. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: محمد بن صالح بن عثيمين، مكتبة ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط الأولى، ١٤٠٦هـ.

٥٩٥. قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية: محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي المالكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤م.

٥٩٦. القول السديد شرح كتاب التوحيد: عبدالرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط الثانية، ١٤٢١هـ.

٥٩٧. القول المفيد على كتاب التوحيد: محمد بن صالح العثيمين، جمعه وخرّج أحاديثه: د. سليمان أبا الخيل، د. خالد المشيقح، دار ابن الجوزي، الدمام، ط الأولى، ١٤١٨هـ.

٥٩٨. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: حمد بن أحمد أبو عبد الله الذهبي الدمشقي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو، جدة، ط الأولى، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٢م.

٥٩٩. الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل: عبد الله بن قدامة المقدسي أبو محمد، المكتب الإسلامي، بيروت.

٦٠٠. الكافي في فقه أهل المدينة: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٧هـ.

٦٠١. الكامل في التاريخ: عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية، ١٤١٥هـ.

٦٠٢. الكامل في ضعفاء الرجال: عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٨م.

٦٠٣. الكبائر: محمد بن عثمان الذهبي، دار الندوة الجديدة، بيروت.

٦٠٤. كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: نخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤٢١هـ.

٦٠٥. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط الرابعة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٦٠٦. كتاب التلخيص في أصول الفقه: أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٦٠٧. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، السعودية، ط الخامسة، الرياض،١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٦٠٨. كتاب الدعوات الكبير: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٦٠٩. كتاب الزهد: أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتاب العربي بيروت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ، ودار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى، ١٤٠٣هـ.

٦١٠. كتاب السبعة في القراءات: أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط الثانية، ١٤٠٠هـ.

٦١١. كتاب السنة: الحافظ أبي بكر عمرو أبي عاصم، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٠هـ.

٦١٢. كتاب الصفدية: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

٦١٣. كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٦١٤. كتاب الفتن: نعيم بن حماد المروزي أبو عبد الله، تحقيق: سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، ط الأولى، ١٤١٢هـ.

٦١٥. كتاب القدر: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريابي، تحقيق: عمرو

عبدالمنعم سليم، دار ابن حزم، بيروت، ط الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٦١٦. كتاب المصاحف: أبو بكر بن أبي داود السجستاني عبد الله بن بن سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، ط الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٦١٧. كتاب المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٩هـ.

٦١٨. كتاب دلائل النبوة: إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٩هـ.

٦١٩. كتاب غريب القرآن: أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٦٢٠. كتاب من عاش بعد الموت: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق: محمد حسام بيضون، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٣هـ.

٦٢١. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: أحمد عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، ط الثانية.

٦٢٢. الكسب: محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق: د. سهيل زكار، عبد الهادي حرصوني، دمشق، ط الأولى، ١٤٠٠هـ.

٦٢٣. الكسب: محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق:د. سهيل زكار، دار عبد الهادي حرصوني، دمشق، ط الأولى، ١٤٠٠هـ.

٦٢٤. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تأليف: محمد علي الفاروقي التهانوي، تحقيق: لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٦٢٥. كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي: علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر.، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٦٢٦. كشف الأوهام والالتباس عن تشبيه بعض الأغبياء من الناس: سليمان بن سحمان الفزعي الخثعمي، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله الزير آل حمد، دار العاصمة، السعودية، ط الأولى، ١٤١٥هـ.

٦٢٧. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الرابعة، ١٤٠٥هـ.

٦٢٨. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٢م.

٦٢٩. كشف المشكل من حديث الصحيحين: أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٦٣٠. الكفاية في علم الرواية: أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
٦٣١. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٦٣٢. الكليني وتأويلاته الباطلة للآيات القرآنية في كتاب أصول الكافي: صلاح الخالدي، دار عمار، الأردن، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م.
٦٣٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٦٣٤. الكنى والأسماء: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.
٦٣٥. لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد البيهقي، الشهير بابن فندمة.
٦٣٦. اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
٦٣٧. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط الأولى.
٦٣٨. لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعرف النظامية - الهند -، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م.
٦٣٩. لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة: عبد الملك بن عبد الله الجويني إمام الحرمين، تحقيق: فوقية حسين محمود، عالم الكتب، لبنان، ط الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٦٤٠. اللمع في أصول الفقه: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.
٦٤١. لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ.
٦٤٢. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، ١٩٦١م.

٦٤٣. مؤلفات محمد بن عبد الوهاب: محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: عبد العزيز زيد الرومي، د. محمد بلتاجي، د. سيد حجاب، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.

٦٤٤. الماتريدية دراسة وتقويماً: أحمد بن عوض الله الحربي، دار العصيمي، الرياض، ط الثانية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٦٤٥. مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها: ناصر بن عبدالكريم العقل. دار الوطن للنشر، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط الأولى، ١٤١٢ هـ.

٦٤٦. المبدع في شرح المقنع: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي أبو إسحاق، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٦٤٧. المبسوط، شمس الدين السرخسي. دار المعرفة، بيروت.

٦٤٨. المتحابين في الله: ابن قدامة المقدسي، دار الطباع، دمشق، ط الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

٦٤٩. متن العقيدة الطحاوية: أبو جعفر الطحاوي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٦٥٠. متن العقيدة الطحاوية: أبو جعفر الطحاوي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٦٥١. مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تحقيق: فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية، ١٤٠١هـ.

٦٥٢. المجددون في الإسلام من القرن الأولى إلى القرن الرابع عشر: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، بدون تاريخ طبع.

٦٥٣. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين: الإمام محمد بن حيان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ط الأولى، ١٣٩٦هـ.

٦٥٤. مجلة البحوث الإسلامية: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العليمة والإفتاء، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

٦٥٥. مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، قام بطباعتها دار أولي النهى، بيروت، ١٤١٣هـ.

٦٥٦. مجلة البيان، مجلة شهرية تصدر عن المنتدى الإسلامي بلندن، العدد (٢٢)، ربيع الأول، ١٤١٠هـ.

٦٥٧. مجلة المنار: محمد رشيد رضا، أنشئت سنة ١٣١٥هـ.

٦٥٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، القاهرة ، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٦٥٩. مجمل اعتقاد أئمة السلف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط الثانية، ١٤١٧هـ.

٦٦٠. مجموع الفتاوى: أحمد عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، ط الثانية.

٦٦١. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، تأليف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع وترتيب: د. محمد بن سعد الشويعر، طبع تحت إشراف إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط الثالثة، ١٤٢١هـ.

٦٦٢. المجموع: النووي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧م.

٦٦٣. محدث العصر الإمام محمد ناصر الدين الألباني: عصام هادي.

٦٦٤. المحصول في علم الأصول: محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٠هـ.

٦٦٥. المحكم في نقط المصاحف: عثمان بن سعيد الداني أبو عمرو، تحقيق: د. عزة حسن، دار الفكر، دمشق، ط الثانية، ١٤٠٧هـ.

٦٦٦. المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠٠م.

٦٦٧. المحلى: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٦٦٨. محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه: مسعود الندوي.

٦٦٩. المحن: أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام التميمي، تحقيق: د. عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، السعودية، ط الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٦٧٠. المحيط في اللغة: أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٦٧١. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م.

٦٧٢. مختصر إظهار الحق، رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي، تحقيق: د. محمد أحمد عبد القادر ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٦٧٣. مختصر الصواعق المرسلة: محمد الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط الأولى، ١٩٩٢م.

٦٧٤. مختصر العلو للعلي الغفار: ناصر الدين الألباني.

٦٧٥. مختصر المعاني: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، دار الفكر، ط الأولى، ١٤١١هـ.

٦٧٦. مختصر تاريخ دمشق: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري.

٦٧٧. مختصر تفسير البغوي: عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، دار السلاَّم للنشر والتوزيع، الرياض، ط الأولى، ١٤١٦هـ.

٦٧٨. المختصر في أخبار البشر: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي.

٦٧٩. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبوعبدالله، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣م.

٦٨٠. المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل: عبد القادر بن بدران الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٦٨١. المدونة الكبرى: مالك بن أنس، دار صادر، بيروت.

٦٨٢. مذكرة التوحيد: عبد الرزاق عفيفي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤٢٠هـ.

٦٨٣. مذكرة في أصول الفقه، تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

٦٨٤. مرآة الجنان وعبرة اليقظان: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٦٨٥. مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٨٦. مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة: عبد الله اليافعي، تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصار: عبد الله بن أسعد اليافعي، دار النشر: دار الجيل، لبنان، بيروت، ط الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٦٨٧. مروج الذهب: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي.

٦٨٨. مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم: محمد مهر علي.

٦٨٩. مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله: عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٦٩٠. المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف: صالح الغامدي، دار الأندلس، حائل، ط الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٦٩١. مسائل الإمام أحمد بن حنبل وابن راهويه: إسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج أبو يعقوب التميمي المروزي، تحقيق: خالد بن محمود الرباط، وئام الحوشي، د. جمعة فتحي، دار الهجرة، الرياض، السعودية، ط الأولى، ١٤٢٥ هـ -٢٠٠٤ م.

٦٩٢. مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية: محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: محمود شكري الألوسي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٣٩٦هـ.

٦٩٣. مسألة الاحتجاج بالشافعي: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، تحقيق: خليل إبراهيم ملا خاطر، المكتبة الأثرية، باكستان.

٦٩٤. المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م،

٦٩٥. المسلمون والعولمة: محمد قطب.

٦٩٦. مسند ابن الجعد: علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ط الأولى، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠م.

٦٩٧. مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.

٦٩٨. مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٦٩٩. مسند إسحاق بن راهويه: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي، تحقيق: د. عبدالغفور ابن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط الأولى، ١٤١٢ هـ- ١٩٩١م.

٧٠٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.

٧٠١. مسند الشافعي: محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٠٢. مسند الشاميين: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
٧٠٣. مسند جابر بن عبد الله.
٧٠٤. المسند: عبدالله بن الزبير أبو بكر الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبي، بيروت، القاهرة.
٧٠٥. المسودة في أصول الفقه: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلاَّم بن أبي القاسم بن الخضر بن تيمية، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، المدني، القاهرة.
٧٠٦. مشاهير علماء الأمصار: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: م. فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م.
٧٠٧. مشاهير علماء نجد وغيرهم: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط الأولى، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٧٠٨. مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة، ١٩٨٥م.
٧٠٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
٧١٠. المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ: عبد الرحمن بن الجوزي أبو الفرج، تحقيق: د. صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤١٥هـ.
٧١١. المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٣هـ.
٧١٢. المصون في الأدب: العسكري.
٧١٣. مطمع الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس: أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله ابن خاقان القيسي الإسبيلي، تحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٩٨٣م.
٧١٤. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق: عمر ابن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط الأولى، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠م.
٧١٥. المعارف: ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة.
٧١٦. معاني القرآن الكريم: النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط الأولى، ١٤٠٩هـ.

٧١٧. معاني القرآن، تأليف: يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط الثالثة، ١٤١٣هـ.

٧١٨. معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

٧١٩. المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٧٢٠. معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر، بيروت.

٧٢١. معجم الشعراء: للمرزباني، تحقيق: عبد الستار فراج، مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٦٠م.

٧٢٢. المعجم الصغير (الروض الداني): سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ط الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٧٢٣. معجم الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط الأولى، ١٤١٢هـ.

٧٢٤. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، ط الثانية، ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٣م.

٧٢٥. معجم الكتب: يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن عبد الهادي الدمشقي، تحقيق: يسرى عبدالغني البشري، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، مصر، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٧٢٦. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٢٧. المعجم المختص بالمحدثين: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.

٧٢٨. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٧٢٩. معجم مقاليد العلوم: أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق: أ.د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م.

٧٣٠. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلاّم محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٧٣١. معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم: أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي نزيل طرابلس الغرب، تحقيق: عبد العليم عبدالعظيم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية، ط الأولى، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م.

٧٣٢. معرفة السنن والآثار عن الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: الحافظ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو أحمد، البيهقي، الخَسْروَجْردِي، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧٣٣. معرفة الصحابة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، ١٤١٩ هـ.

٧٣٤. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.

٧٣٥. معرفة علوم الحديث: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٧٣٦. المعرفة والتاريخ: أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٧٣٧. المعمرون والوصايا: أبو حاتم السجستاني، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة، ١٩٦١م.

٧٣٨. مغاني الأخيار: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد ين حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني.

٧٣٩. المغرب في ترتيب المعرب: أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيدبن علي بن المطرزي، تحقيق: محمود فاخوري وعبدالحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط الأولى، ١٩٧٩م.

٧٤٠. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط السادسة، ١٩٨٥م.

٧٤١. المغنى في الضعفاء: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. نور الدين عتر، مطبعة الدوحة الحديثة، قطر، ١٩٨٧م.

٧٤٢. مفاتيح العلوم: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧٤٣. مفاكهة الخلان في حوادث الزمان: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالحي، تحقيق: خليل المنصور، درا الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٧٤٤. مفاهيم ينبغي أن تصحح، تأليف: محمد قطب، دار الشروق، ط السابعة، ١٤١٢هـ.

٧٤٥. مفتاح السعادة ومصباح السيادة: أحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٥هـ.

٧٤٦. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٤٧. مفحمات الإقران في مبهمات القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق: إياد خالد الطباع، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٧٤٨. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.

٧٤٩. المفسّرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات: محمد عبد الرحمن المغراوي، دارطيبة، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٥هـ.

٧٥٠. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسّر، د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، السعودية، الدمام، ط الأولى، ١٤٢٣هـ.

٧٥١. مفهوم القدر عند أوائل الصوفية: محمود عبد الرازق.

٧٥٢. مفهوم تجديد الدين: بسطامي سعيد.

٧٥٣. مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد: محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، مطابع الرياض، الرياض، ط الأولى.

٧٥٤. مقاتل الطالبيين: أبي الفرج الأصبهاني.

٧٥٥. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تحقيق: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثالثة.

٧٥٦. مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: تحقيق: د. عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، الكويت، ط الأولى، ١٣٩١هـ.

٧٥٧. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب أحمد: الإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٧٥٨. الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٧٥٩. من حياة الخليفة عمر بن الخطاب: عبد الرحمن البكري.

٧٦٠. المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٧٦١. منازل السائرين: عبد الله الأنصاري الهروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٧٦٢. المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة: عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي أبو محمد، تحقيق: عبد الله يوسف الجديع، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٩هـ.

٧٦٣. مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، لبنان، ط الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
٧٦٤. المنتخب من ذيل المذيل: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.
٧٦٥. المنتخب من مسند عبد بن حميد: عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، ط الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٧٦٦. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار صادر، بيروت، ط الأولى، ١٣٥٨هـ.
٧٦٧. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال: أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار النشر.
٧٦٨. المنخول في تعليقات الأصول: محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط الثانية، ١٤٠٠هـ.
٧٦٩. منهاج السنة النبوية: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط الأولى، ١٤٠٦هـ.
٧٧٠. المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي: السيوطي.
٧٧١. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة: عثمان بن علي حسن، مكتبة الرشد، الرياض، ط الرابعة، ١٤١٨هـ.
٧٧٢. منهج الاستنباط في القرآن الكريم: فهد الوهبي، تقديم أ. د. محمد عبد الرحمن الشايع، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، ط الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٧٧٣. المنهج الأمثل في التفسير معالم وضوابط: د. يوسف القرضاوي، بحث في مجلة المسلم المعاصر، عدد ٨٣.
٧٧٤. منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر: عدنان بن محمد آل عرعور،ط الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٧٧٥. المنهج السلفي عند الشيخ ناصر الدين الألباني: عمرو سليم.
٧٧٦. منهج الفخر الرازي في التفسير بين مناهج معاصريه: محمد عبد الرحمن.
٧٧٧. المنهل العذب الروي: شمس الدين أبو الخير بن عبد الرحمن السخاوي.
٧٧٨. المنية والأمل: ابن المرتضى.

٧٧٩. الموافقات: أبو اسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الخبر، السعودية، ط الأولى، ١٤١٧هـ.
٧٨٠. المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٧٨١. الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة: ناصر القفاري وناصر العقل، دار الصميعي، الرياض، ط الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٧٨٢. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.
٧٨٣. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية.
٧٨٤. الموضوعات: أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد القرشي، تحقيق: توفيق حمدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٧٨٥. موقف ابن تيمية مِن الأشاعرة: عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، الرياض.
٧٨٦. موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (عرضاً ونقداً): الدكتور سليمان ابن صالح الغصن، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى، ١٤١٦هـ.
٧٨٧. ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٥م.
٧٨٨. الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٧٨٩. ناسخ الحديث ومنسوخه: أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المنار، الزرقاء، ط الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٧٩٠. الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن: أبو عُبيد القاسم بن سلاَّم البغدادي، تحقيق: محمد بن صالح المديفر، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٨هـ.
٧٩١. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ.
٧٩٢. الناسخ والمنسوخ: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر، تحقيق: د. محمد عبد السلاَّم محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.
٧٩٣. الناسخ والمنسوخ: هبة الله بن سلاَّمة بن نصر المقري، تحقيق: زهير الشاويش، محمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.

٧٩٤. النبذة الكافية في أحكام أصول الدين (النبذ في أصول الفقه): علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٥هـ.

٧٩٥. النبوات: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦هـ.

٧٩٦. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.

٧٩٧. نحو منهج لتفسير القرآن: للأستاذ محمد الصادق عرجون، منشورات العصر الحديث، ط الأولى، ١٣٩٢هـ.

٧٩٨. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٧٩٩. نزهة الألباب في الألقاب: أحمد بن علي بن محمد المشهور بابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٨٠٠. النزول: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني.

٨٠١. نسب قريش: أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري، تحقيق: ليفي بروفسال، دار المعارف، القاهرة.

٨٠٢. النسخ في القرآن الكريم: للدكتور مصطفى زيد، دار الفكر العربي، القاهرة، ط الأولى، ١٣٨٣هـ.

٨٠٣. النشر في القراءات العشر: الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٨٠٤. النصيحة في صفات الرب جل وعلا: أحمد بن إبراهيم الواسطي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٤هـ.

٨٠٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٨٠٦. نظم المتناثر من الحديث المتواتر: محمد بن جعفر الكتاني أبو عبد الله، تحقيق: شرف حجازي، دار الكتب السلفية، مصر.

٨٠٧. النعوت الأسماء والصفات: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة العبيكان، السعودية، ط الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٨٠٨. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ.

٨٠٩. نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: محمد بن أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي، تحقيق: أحمد عناية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٨١٠. نقض أصول العقلانيين: سليمان بن صالح الخراشي، دار علوم السنة، الرياض، ١٤٢١هـ.

٨١١. نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد: أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، مكتبة الرشد، السعودية، ط الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٨١٢. نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٨١٣. نهاية الإقدام في علم الكلام: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.

٨١٤. النهاية في الفتن والملاحم: الإمام أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط الاولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٨١٥. النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م،

٨١٦. نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ: محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

٨١٧. نواسخ القرآن: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٥هـ.

٨١٨. نواقض الإسلام: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤١٠هـ.

٨١٩. نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف: الدكتور محمد بن عبد الله بن علي الوهيبي، دار المسلم الرياض، ط١، سنة ١٤١٦هـ.

٨٢٠. نواقض الإيمان القولية والعملية: عبد العزيز العبد اللطيف.

٨٢١. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

٨٢٢. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٨٢٣. الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد: أحمد بن محمد بن الحسين البخاري الكلاباذي أبو نصر، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٧هـ.

٨٢٤. الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن: محمد أبو زيد.

٨٢٥. هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٨٢٦. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٨٢٧. الوابل الصيب من الكلم الطيب: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٨٢٨. الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة: محمد بن عبد الوهاب.

٨٢٩. الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٨٣٠. واقعنا المعاصر: تأليف: محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة، جدة، السعودية، ط الأولى، ١٤٠٧هـ.

٨٣١. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، الدار الشامية، دمشق ، بيروت، ط الأولى، ١٤١٥هـ.

٨٣٢. الوجيز في عقيدة السلف الصالح: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

٨٣٣. الورع: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبدالله، تحقيق: د. زينب إبراهيم القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م.

٨٣٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

٨٣٥. وقعة صفين: نصر بن مزاحم المنقرى، تحقيق: عبد السلاّم محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، ط الثانية، ١٣٨٢ هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة